

قصص اليهود

المجلس
الألماني
للثقافة



تأليف: لويس جنزبرج
ترجمة وتصدير: جمال الرفاعي
مراجعة وتقديم: محمد خليفة حسن

المشروع القومي للترجمة





يشمل كتاب 'قصص اليهود' لمؤلفه لويس جنزيرج (١٨٧٣-١٩٥٣) على روايات خاصة بقصص عدد من الشخصيات المهمة في تاريخ ديانة بني إسرائيل. ومن أهمهم شخصيات: آدم وحواء ونوح وإبراهيم ويعقوب ويوسف وأيوب وموسى ويشوع وداود وسليمان ويونس، كما يحتوى أيضا على روايات خاصة بأباء بني إسرائيل وملوكهم وقضاةهم وكهنتهم، ويتناول أيضا روايات خاصة ببعض عصور بني إسرائيل مثل حياة بني إسرائيل في مصر ورحلة الخروج، وعصر القضاة، وعصر الملكية، وعصر السبي، فالكتاب إذن يغطي تاريخ بني إسرائيل منذ البداية وحتى العودة من السبي البابلي.



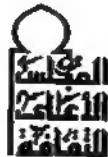
المشروع القومي للترجمة

قصص اليهود

تأليف : لويس جنزبرج

ترجمة وتصدير : جمال أحمد الرفاعي

مراجعة وتقديم : محمد خليفة حسن



٢٠٠٢

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٦٥

- قصص اليهود

- لويس جنزبرج

- جمال أحمد الرفاعي

- محمد خليفة حسن

- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

هذه ترجمة كتاب :

The Legends of the Jews

By : Louis Ginzberg

Translated into English from the German Manuscript

by Henrietta Szold

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٢٥٢٣٩٦ فاكس ٧٢٥٨٠٨٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084 E-Mail : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

11 مقدمة المترجم
19 مقدمة المراجع
45 مقدمة المؤلف
51 الفصل الأول : خلق العالم
53 الأبجدية
55 اليوم الأول
59 اليوم الثاني
62 اليوم الثالث
66 اليوم الرابع
68 اليوم الخامس
71 اليوم السادس
79 كل المخلوقات تسبح للرب
83 الفصل الثاني : آدم
83 الإنسان والعالم
85 الملائكة وخلق الإنسان
87 خلق آدم
88 روح الإنسان
90 الإنسان الكامل
92 ظهور الشيطان
93 المرأة
97 آدم وحواء في الجنة
98 خروج آدم من الجنة
101 العقاب

106	السبت في السماء
108	توبة آدم
111	سفر رازينيل
113	مرض آدم
114	قصة حواء عن الخروج من الجنة
117	موت آدم
118	موت حواء
121	الفصل الثالث : الأجيال العشرة
121	مولد قابيل
122	قاتل أخيه
124	عقاب قابيل
127	سكان الأراضي السبعة
128	نسل قابيل
130	نسل آدم وإبليس
132	شيث ونسله
133	إينوخ
134	سقوط الملائكة
137	إينوخ حاكماً ومعلماً
138	صعود إينوخ
143	تحويل إينوخ
145	ميتوشيلاج
147	الفصل الرابع : نوح
147	ميلاد نوح
149	عقاب الملائكة
152	جيل الطوفان
154	الكتاب المقدس

156 نزل الفلك
159 الطوفان
161 نوح يغادر الفلك
163 لعنة السكر
165 نسل نوح ينتشرون
168 فساد البشر
170 نمرود
171 برج بابل
175 الفصل الخامس : إبراهيم
175 الأجيال الشريرة
176 ميلاد إبراهيم
178 الطفل يعلن عن وجود الرب
180 ظهور إبراهيم العلني
182 الداعي للإيمان الحق
184 في المحرقة
187 هجرة إبراهيم إلى حاران
190 النجم في الشرق
191 المؤمن الحق
194 محطم الأصنام
197 إبراهيم في كنعان
199 ترحاله إلى مصر
201 الفرعون الأول
203 حرب الملوك
208 العهد
210 ميلاد إسماعيل
212 زيارة الملائكة

215	مدن الخطيئة
218	إبراهيم يدافع عن المذنبين
220	دمار المدن المذنبية
223	بين الفلسطينيين
226	مولد إسحاق
228	هروب إسماعيل
229	زوجتا إسماعيل
231	العهد مع أبيمليك
232	الشیطان يتهم إبراهيم
234	الرحلة إلى موريا
237	التضحية
241	وفاة سارة ودفنها
244	مهمة أليعازر
246	التودد إلى ربيكا
249	السنوات الأخيرة لإبراهيم
250	ملاك الموت
252	إبراهيم يطالع الأرض والسماء
255	سيد الخليل
257	الفصل السادس : يعقوب
257	مولد عيساو ويعقوب
260	حبيب إبراهيم
262	بيع حق الميلاد
265	إسحاق بين الفلسطينيين
269	إسحاق يبارك يعقوب
274	تكشف شخصية عيساو الحقيقية
277	يعقوب يغادر منزل أبيه

280 مطاردة أليفاز وعيساو ليعقوب
282 يوم المعجزات
286 يعقوب مع لابان
288 زواج يعقوب
291 ميلاد أبناء يعقوب
296 يعقوب يهجر لابان
298 العهد مع لابان
301 يعقوب وعيساو يستعدان للقاء
305 يعقوب يصارع الملاك
307 لقاء عيساو ويعقوب
312 حلول الغضب على شكيم
314 انتهاء الحرب
316 الحرب مع سكان نينوى
319 الحرب ضد الأموريين
321 إسحاق يبارك لآوى ويهوذا
323 البهجة والحزن فى منزل يعقوب
325 حملة عيساو ضد يعقوب
328 نسل عيساو
331 الحواشى
331 خلق العالم
341 آدم
347 الأجيال العشرة
351 نوح
357 إبراهيم
373 يعقوب

تصدير

كانت الأسطورة ولا زالت أحد مكونات الوعي البشرى . ورغم التقدم العلمى الذى أحرزته الإنسان طيلة العقود الماضية ، فلا زال يلجأ للأسطورة التى كثيراً ما يجد فيها سُلوى لمجده عن فهم الكثير من قضاياها ، كما أنه يلجأ إليها ليستمد منها قوازه ، فالأسطورة وعلى حد اعتقاد الباحثين المتخصصين فى علمى الأنثروبولوجيا والأديان تشبع بعض الحاجات البشرية العامة . وتعد على هذا الأساس عنصراً ضرورياً لا غنى عنه بالنسبة للثقافات الإنسانية فى كل مراحل تطورها .

وبينما لجأ الإنسان فى الأزمان الغابرة إلى الأسطورة وما تتضمنه من قصص خيالية حتى يفسر من خلالها ظواهر الكون الطبيعية وغيرها من الظواهر التى لم يكن بمقدوره أن يستنبط قوانينها العلمية ويسخرها لصالحه ، فلا زال الإنسان المعاصر يحرص على استهلاك وإنتاج الأسطورة التى تسهم فى تحقيقه لقدرة من الاتزان فى علاقته بذاته وفى علاقته بأفراد المجتمع .

وهذا الكتاب الذى نقدمه للقارئ العربى يتضمن قصص اليهود الأسطورى الذى تشكل عبر قرون طوال ، وتكمن قيمة هذا القصص فى أنه يتيح لنا فرصة الإطلال على مكونات اللاوعى اليهودى الإسرائيلى ، فالقصص ليس خيلاً أو هراء وإنما القصص حياة ، فالقصة لا تقدم تلويلات أو قراءات لقضايا عصرها فقط وإنما تطرح ومن خلال وسائل فنية متعددة الكثير من المثل والقيم المستهدف غرسها فى مجموع القراء . وبالرغم من غلبة الطابع الأسطورى على قصص اليهود إلا أنه يمكننا أن نستشف من خلالها رؤيتهم لذاتهم وللآخر .

وتكمن قيمة هذا العمل فى أنه يتيح للمتخصص وغير المتخصص على حد سواء فرصة التعرف على طبيعة المؤثرات العربية الإسلامية فى القصص اليهودى ، هذه المؤثرات التى أعترف مؤلف الكتاب بوجودها ، ومن ثم فإن نقل هذا العمل إلى اللغة العربية يكشف فخل التراث العربى القصصى فى تطور تقنيات السرد فى القصة اليهودية .

ويخدم هذا العمل المشتغلين فى مجالات عدة مثل الألب الشمى ومقارنة الأديان ، ويخدم أيضاً المشتغلين فى مجال التفسير الإسلامى إذ يتيح لهم فرصة التعرف على مصادر الإسرائيلىات التى تسلت إلى كتب قصص الأنبياء والتفسير .

ويعرض الكتاب مجموعة من القصص الدينى المؤسس للفكر اليهودى ، ومن إحدى فوائد الكتاب تنوير العقل العربى المسلم ومساعدته على الكشف عن العناصر الأسطورية فى تراثه والمستمدة من القصص الدينى اليهودى ، وتعريفه بما هو حقيقى وما هو أسطورى فى هذا التراث .

جمال الرفاعى

مقدمة المترجم

يعد الدين واحداً من أقدم الأمور التي صاحبت الإنسان منذ نشأته على ظهر الأرض وفي جميع العصور . ومنذ فجر التاريخ تميز الإنسان بالدين . وإذا كان أرسطو قد عرف الإنسان بأنه حيوان ناطق أى عاقل قادر على إدراك الأشياء فقد عرفه غيره من الفلاسفة بأنه حيوان متدين . فذهب هيجل إلى " أن الإنسان وحده هو الذى يمكن أن يكون له دين ، وأن الحيوانات تفتقر إلى الدين بقدر افتقارها إلى القانون والأخلاق " ، وذلك لأن التدين عنصر أساسى فى تكوين الإنسان ، والشعور الدينى إنما يكمن بدرجات متفاوتة فى أعماق كل قلب بشرى .

ويعد إيمان البشرية منذ نشأتها بوجود إله دليلاً على أن الدين سمة متأصلة فى هذا الفكر . وإذا كان فهم البشرية المعاصر للدين يختلف كثيراً عن فهم القرون الماضية إلا أن الدين مازال يعد ملمحاً رئيسياً فى وعى وذاكرة أية جماعة ، ولهذا لا يمكن فهم الحاضر الفكرى للبشرية إذا تم إغفال هذا العنصر الأساسى ، وإن نجافى الحقيقة كثيراً إذا قلنا إنه إذا كان لا يمكن للفرد التخلّى عن ذاكرته الخاصة فلا يمكن للبشرية التخلّى عن ذاكرتها الجمعية التى يعد الدين واحداً من أهم مكوناتها .

ولا تعد الخبرة الدينية خبرة فردية فقط وإنما تعد خبرة اجتماعية لا تتحقق إلا حينما ينقل الأفراد خبراتهم المنعزلة إلى بعضهم البعض فى محاولة لتحقيق المشاركة والتعبير عن التجارب الخاصة فى تجربة عامة ، وذلك من خلال استخدام رموز تستقطب شتات التجارب الدينية المتفرقة فى تجربة دينية جمعية ، وهذا ما يقود إلى تكوين المعتقد ، وهو حجر الأساس الذى يقوم عليه الدين الجمعى . ويتفق الأفراد والجماعات فى إطار تجاربهم الجمعية على وضع صيغ وأطر نصية لتجاربها . وعندما يوضع المعتقد الدينى فى إطار ثابت راسخ يجد الأفراد أنفسهم مضطرين وبدافع نزوع الفرد إلى الاتحاد بالجماعة للانخراط فى إطاره بل وإلى فهم وتفسير خبراتهم وفقه .

ويتكون كل معتقد ديني في جوهره من نص وتفسير وشروح وتعليقات على هذا النص ، والنص ثابت لا يتغير ، لأنه يمثل التعبير الفعلي عن الإرادة العليا ، وطالما أن هذا النص المدون بلغة البشر تعبير عن الإرادة العليا فإن لغته ليست كسائر اللغات إذ إن هذه اللغة تعبير عن إرادة الإله . أما التفسير فهو ما يثيره الوحي من رد فعل في العقل الإنساني الذي يحاول بدوره فك شفرات هذا النص والوقوف على أدق أسرارها .

ويمكننا على نحو آخر القول بأن الديانة تتكون من شقين أحدهما ثابت والآخر متحول فالشئ الثابت وهو النص الموحى به يبقى على مر القرون دون أن يخضع لأي تغيير ، في حين أن الشئ المتحول يتمثل في التفسير والشروح والتعليقات التي تخضع بدورها لكثير من التغيرات الناجمة إما عن مؤثرات خارجية تتمثل في تعرض وتقبل الشراح والمفسرين لكثير من الأفكار الدخيلة التي تدفعهم لفهم النص على نحو مغاير لفهم الأقدمين ، وإما عن مؤثرات داخلية قد تتمثل في الرغبة في تكيف النص لاحتياجات الجماعة . ولا تكتفى هذه الشروح والتفسير بقراءة النص وسبر أغواره وما يستغل من فهمه فحسب وإنما تقرأ فيه معتقدات وتصورات وأفكار عصرها ، ومن هنا تتباين التفسيرات . وبالرغم من أن هذه التفسيرات تعد بطبيعة الحال نتاجاً بشرياً فإن ارتباطها بالنص الديني يجعل القداسة تتجاوز حدود ما هو إلهي ممثلاً في النص لتشمل ما هو دنيوي .

وقد تكون الديانة اليهودية من أكثر الديانات التي تتماهى فيها الحدود الفاصلة بين المطلق والنسبي ، أو بين المقدس والدنيوي ، فالقداسة في الديانة اليهودية لا تقتصر على أوامر الإله فحسب وإنما تشمل أيضاً شروح وتعليقات العاظماء ، ومن هنا تنقسم الشريعة اليهودية إلى شقين رئيسيين وهما : الشريعة المكتوبة والشريعة الشفهية . ولا يعبر الفهم العربي التقليدي لفظة التوراة عن حقيقة مكون الشريعة اليهودية ، فبينما تشير هذه اللفظة في الذهن العربي مجمل الشريعة اليهودية فإنها لا تعبر في أذهان اليهود إلا عن جزء محدود من الشريعة المكتوبة التي تضم حسب الفهم اليهودي مجمل العهد القديم الذي يتكون بدوره من ثلاثة أقسام رئيسية وهي : التوراة ، والأنبياء ، والمكتوبات ، وتمثل هذه الأقسام الثلاثة - إن لم يكن كل قسم منها -

مراحل تاريخية شديدة التباين يختلف كل منها اختلافاً شاسعاً عن نظيره ، ونجد مثل هذه التباينات في داخل النص التوراتي فقد أثبتت مدارس نقد العهد القديم الحديثة أن هذا النص يمثل مراحل تاريخية مختلفة .

وقد استقر رأى هذه المدرسة على أن التوراة تتكون من أربعة مصادر وهي اليهودى والألوهيمى ، والتثنوى ، والكهنوتى . وسنحاول فى هذا المجال أن نلقى الضوء فى عجالة على تاريخ كل مصدر :

١ - المصدر اليهودى : ويحمل هذا المصدر اسم الإله يهوه الذى يعد إلهاً خاصاً ببنى إسرائيل دون غيرهم ، ويعود تاريخ هذا المصدر إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، ورواته كانوا من مملكة يهوذا .

٢ - المصدر الألوهيمى : وينسب هذا المصدر إلى اسم الإله "ألوهيم" . وتختلف دلالات مسمى "ألوهيم" عن مسمى "يهوه" إذ إن ألوهيم ليس إلهاً قليلاً وإنما إله لكل الكون ، وقد كان هذا الاسم منتشرًا فى مملكة إسرائيل الشمالية ، ويعود تاريخ هذا المصدر إلى القرن الثامن قبل الميلاد .

٣ - المصدر التثنوى : وهذا المصدر فى جوهره مصدر تشريعى بحث ، صادر عن وسط مثقف لا يلقى بالاً إلى القصص الشعبى ، بقدر ما يهدف إلى التوجيه والتعليم والتطوير عن طريق سن القوانين . والظاهر أن هذا المصدر الذى يتجلى بوضوح فى آخر أسفار التوراة - أى سفر التثنية - وينسب إليه ، قد أدخل فى صميم التوراة سنة ٦٢١ قبل الميلاد ضمن برنامج الإصلاح والتطوير الذى عمله الملك يوشياهو ، أما كتابته فترجع إلى حكم الملك اليهودى "منشه" ومن هنا يعود هذا المصدر إلى القرن السابع قبل الميلاد ، وأصبح هذا السفر جزءاً من التوراة سنة ٦٢١ قبل الميلاد .

٤ - المصدر الكهنوتى : ويرجع تاريخ هذا المصدر إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، وقد أضيف هذا المصدر إلى نص التوراة فى عهد عزرا ونحميا أى بعد العودة من السبى البابلى ، وهى فترة وصل فيها الكهنة إلى كامل قوتهم وقمة سيطرتهم على مقدرات اليهود .

أما باقى أسفار العهد القديم والتي تنتمى إلى ما يعرف فى العهد القديم بالأنبياء والمكتوبات فتقدم سرداً للأحداث التي وقعت لبنى إسرائيل بعد موت موسى منذ دخولهم أرض فلسطين إلى أن أخرجوا منها فى إطار السبى البابلى ، كما أنها تتضمن مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبى ، وتغطى هذه الأسفار فترة زمنية تمتد تقريباً من عام ١٢٠٠ حتى عام ٢٠٠ قبل الميلاد. ولما كانت غالبية هذه الأسفار قد وضعت خارج فلسطين وفى إطار السبى فإنها لا تتضمن مجرد سرد للأحداث أو رؤية تاريخية للأحداث فحسب ، وإنما تضمنت تطوراً لكثير من المفاهيم كان من أهمها مفهومى الألوهية و النبوة فلم تعد النبوة قاصرة على تلقى الوحي من الرب كما حدث مع موسى وإنما أصبح هذا المفهوم يشمل قادة اليهود سواء كانوا من العسكريين مثل يهوشع أو المشتغلين بالسياسة مثل داوود وسليمان أو المصلحين الاجتماعيين مثل أشعيا وأرميا وغيرهم .

وإذا كان من المفترض أن تمثل الشريعة المكتوبة الممتلئة فى العهد القديم عامة وفى التوراة على وجه الخصوص الشق الثابت من الديانة اليهودية فإن العقيدة اليهودية لا تقتصر على الأوامر والنواهي الواردة فى نص التوراة وإنما تقوم أساساً على تعاليم الحاخامات التي تُعرف باسم الشريعة الشفهية التي لا تقل قداسة عن نص العهد القديم ، ووفقاً لهذه الشريعة الشفهية فإن لوهى الشريعة اللذين تلقاهما موسى اشتتملا على الشريعة المكتوبة فضلاً عن كافة الشروح والتعليقات التي لا يحق لأحد سوى الحاخامات تقديمها ، فجاء فى فصول الأباء : " تلقى موسى التوراة من سيئاء ونقلها إلى يهوشع ، ونقلها يهوشع إلى الشيوخ ، والشيوخ إلى الأنبياء ، ونقلها الأنبياء إلى أعضاء المجمع الإسرائيلى الأكبر " .

وفى الوقت الذى يشير فيه تعبير " أعضاء المجمع الإسرائيلى الأكبر " من الناحية التاريخية إلى حاخامات اليهود الذين عاصروا الفترة الممتدة من عهد ملوك فارس إبان ظهور النبو عزرا والنبى نحميا خلال القرن الخامس قبل الميلاد حتى عهد الإسكندر المقدونى والذين تولوا معالجة الشؤون الدينية والنيوية لليهود فقد تم توسيع دلالة هذا التعبير ليشمل كافة قيادات المجتمع اليهودى التي عاشت خارج فلسطين . وهكذا لم تعد القداسة قاصرة على موسى وإنما امتدت لتشمل تقاسير وشروح وتؤويلات

حاخامات اليهود عبر التاريخ لنص التوراة ، بل وإلى التشريعات المختلفة التي طرحوها عبر العصور .

وقد يكون خير دليل على أهمية هذه الشريعة الشفهية التي سنّها حاخامات اليهود أنها تذهب إلى أن الوصايا العشر التي تلقاها موسى تعد وصايا خاصة بالبشرية جمعاء في حين أن لليهود دون غيرهم من سائر الشعوب عدداً أكبر من الوصايا عددها ستمائة وثلاث عشرة وصية . وإذا كان المجال لا يتسع لسرد كل هذه الوصايا فإنه يمكننا القول بأنها تتمحور حول ضرورة الإعلاء من شأن الحاخامات ورؤاهم للنص ، كما أن هذه الوصايا تحض على ضرورة خضوع الفرد لسلطتهم وتعمل على تكثيف إحساس المرء بيهوديته وتفردّه وانغلاقه على ذاته ، فضلاً عن أنها تحول في مجملها دون تفاعل اليهودي مع سائر البشر .

ويمثل نص المشنا ذروة النتاج الفكري لحاخامات اليهود ومفسريهم إذ إنه يتضمن خلاصة الشريعة الشفهية لليهود . وإذا كان البعض يعزو تأليف المشنا إلى الحاخام يهوذا هاناسي إلا أن الأرجح أنه يعود إليه فضل تجميع وتبويب آراء الفقهاء السابقين له ، هذه المهمة التي قام بها في نهايات القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الميلادي . وتكمن أهمية هذا النص الذي يتكون من ستة أقسام في أنه يتضمن تلك الأحكام التي تحدد علاقة اليهود ببعضهم البعض من جهة وعلاقة اليهودي من جهة أخرى بالأغيار في كافة المجالات ، فيتضمن هذا النص أحكاماً وشرائع وأوامر خاصة بالزراعة والأعياد ، وقوانين الزواج والطلاق ، والبيع والشراء ، وقوانين تقديم القرابين والأضاحي في المعبد ، وقوانين الطهارة والنجاسة .

ولا تقتصر الشريعة الشفهية على المشنا والتلمود فحسب وإنما تشمل أيضاً شروح الحاخامات لأسفار التوراة ، هذه الشروح التي تنطوي جميعها تحت لفظة "ميدراشيم" ، هذه اللفظة المشتقة من الفعل العبري "داراش" الذي يعني درس أو بحث. وتنقسم هذه الشروح أو التفاسير إلى نوعين رئيسيين أحدهما معنى باستخراج أحكام الشريعة من متن النصوص التوراتية في حين أن الثاني يغلب عليه الطابع القصصي . ويُطلق على هذا النوع الثاني اسم أجاده ، هذه اللفظة التي تعني قصة . وتمثل هذه التفاسير القصصية الألب اليهودي الذي لا ينطوي على

جوانب تشريعية ، فنتناول قصص الأجداد مواضيع شتى مثل التاريخ اليهودي والأخلاق والفلسفة والفولكلور . ويحتوى هذا القصص على الكثير من المعتقدات الشعبية المتعلقة بالملائكة والجن والسحر .

وبينما قلل بعض حاخامات التلمود من أهمية دراسة الأجداد إلا أن بعضهم الآخر بالغ فى أهميتها بقوله : " إن الرب لم يقم عهده مع إسرائيل إلا بفضل الشريعة الشفهية التى تشمل كلا من نص المشنا ، والأجداد والتلمود " . وتعد هذه المقولة على قدر كبير من الأهمية إذ إنها تنطوى على عقيدة يمكننا وصفها بأنها مغايرة لعقيدة العهد القديم (الشريعة المكتوبة) فبينما يقدم العهد القديم فى مجمله الرب فى صورة الإله الواحد العليم القدير الأمر النافى ، والشعب فى صورة الطرف الذى يتعين عليه الأخذ بشريعة الرب والانصياع لها فإن الشريعة الشفهية تطلى من شأن الحاخامات وتضعهم فى الصدارة بل وتجعلهم العلة التى دفعت الرب لإقامة العهد مع إسرائيل .

ويمكننا على نحو آخر القول بأن هذه الشريعة جعلت من الحاخامات المحور الذى يدور الرب فى فلكه فلولا نتائجهم لما كان الرب قد اختارهم أو أقام عهده معهم . وهكذا لم تعد القداسة قاصرة على أوامر الرب ونواهيه ، وإنما أصبحت تتمثل فى نتائج الحاخامات التشريعية والقصصى وتجعله المحور الذى يدور فى فلكه الرب .

ويتضمن كتاب " جينزبيرج " الذى أقدمنا على ترجمته كما فريداً من هذا القصص الذى تناقله اليهود عبر قرون طوال والذى كان له أعمق الأثر فى تشكيل الوجدان الشعبى اليهودى . وينطوى هذا القصص على كم ضخم من الخرافات والأساطير ، فيحكى هذا القصص عن سبب تسلق القردة الأشجار ، ولماذا لون الغراب الأسود ، ولماذا ينوح الصمام وينعق الغراب ، وعن غيرة القمر من الشمس وعلاقة النهار بالليل ، ويحكى هذا القصص عن أسباب تسمية بعض الأماكن والشخصيات بمسمياتها الحالية ، وعن سبب ازدياد اليهود للأغيار .

ولايمكننا التعامل مع هذا القصص من منظور أنه مجرد ثروة عجائز لاقيمة لها . ففي الوقت الذى يغلب فيه على هذا القصص طابع التسلية والإمتاع فإنه ينطوى على مبررات عديدة لكثير من المعتقدات والشرائع التى لازالت تطبق حتى يومنا هذا .

ومن هنا يمكننا أن نتعرف من خلال هذا القصص الخرافي الأسطوري على جزء من الذاكرة الجمعية لليهود ، هذه الذاكرة التي يمكننا تعريفها بأنها منظومة من العلامات والرموز والممارسات تتجلى في حياتنا في الأعياد والعطلات ، ومسميات الأماكن ، والجبال ، والنصب التذكارية والمتاحف والنصوص والعادات والطباع بل وفي اللغة . وإذا كانت كل هذه الرموز تعد في ظاهرها فعلاً يهدف إلى تظليل الماضي فإنه يهدف أيضاً إلى تكثيف إحساس الفرد بانتمائه إلى مجموع يحمل سمات تميزه عن غيره من الجماعات. ولما كان الإنسان جزءاً من مجموع أعم وأشمل فإن ذاكرته الفردية تحمل بعضاً من سمات الذاكرة الجمعية ، وتتغذى عليها وتطمئن بها وتستند عليها في لحظات مواجهتها مع الآخر .

ويشكل كل هذا القصص الوارد في كتاب " جينز بيرج " جزءاً من ذاكرة اليهود الجمعية . وإذا كان مؤلفو هذا القصص قد جعلوا من أبطال العهد القديم محوراً رئيسياً لنتاجهم الأدبي الفكري فإن هذا القصص لا يتضمن مجرد سرد تسجيلي للأحداث بقدر ما يتقمص أزمنة هؤلاء الأبطال، ويسقط عليها ما يشاء من أفكار وتصورات أسطورية .

ويتسم هذا القصص بسيطرة الطابع الأسطوري عليه ، ومن ثم تغلب على مؤلفيه نزعة إسقاط ما يشاءون من تصورات على الإله ، هذه التصورات التي جعلتهم يحتكرون مشاعر الإله ، فقد أصبح الإله في هذا القصص شديد التأثر والانفعال بكل ما يحل بقومه من أحداث ومصائب ، بل وأصبح شديد الضعف ، ومن ثم نجده في هذا القصص يبكي ويذرف الدمع ويركل السماء غضباً على ما آل إليه قومه فنقرأ في بعض هذا القصص : " حينما يذكر الرب أبناءه المقيمين حزاني بين سائر الشعوب يذرف الدمع الذي يتردد صوته في كل العالم من أقصاه إلى أدناه ، ويركل السماء غضباً وحزناً " .

ولما كان الإله يغضب ويحزن إلى هذا الحد على مصير جماعته فقد تزايد ارتباطه بها خاصة أن وجودها أصبح هو الضمان الحقيقي لوجوده . وقد كانت فكرة الحضرة الإلهية واحدة من أهم الأفكار المحورية المميزة لهذا القصص ، هذه الحضرة التي أصبحت ترتحل مع الشعب أينما حل، فنقرأ في هذا القصص " حينما ارتحل الشعب

إلى مصر صحبته الحضرة الإلهية ، وحينما سُبى إلى بابل صحبته الحضرة الإلهية " .
وتكمن أهمية هذه الفكرة فى أنها جعلت من التاريخ اليهودى تاريخاً مقدساً ، فبدلاً من
أن يتضمن هذا التاريخ سرداً لأفعال ومواقف ورؤى البشر فقد أصبح هذا التاريخ
تاريخاً للإله وجماعته ، وهكذا أصبح المساس بشرائع وحاخامات اليهود المنفلقة على
ذاتها مساساً بمصير الإله .

وإذا كان هذا القصص بما يحتويه من أفكار يمثل مرحلة بدائية من الفكر
اليهودى ويزخر بمادة يصعب على العقل تقبلها والتسليم بها فلازل بعضُ منه يقرأ
حتى يومنا هذا فى الأعياد والمناسبات الدينية اليهودية . ويمكننا القول بأن مطالعة هذا
القصص يساعد فى التعرف على فهم الجوانب غير المادية من الفكر اليهودى ، هذه
الجوانب التى يمكننا أن نطلق عليها جهاز المناعة الخفى الذى يكثف إحساس الجماعة
اليهودية بتفردا وتميزها عن غيرها من الجماعات والشعوب .

مقدمة المراجع

أولاً - التعريف بالعمل ومؤلفه :

يشتمل كتاب قصص اليهود لمؤلفه لويس جنزيرج (١٨٧٣ - ١٩٥٣) على روايات خاصة بقصص عدد من الشخصيات المهمة في تاريخ ديانة بني إسرائيل ، ومن أهمها شخصيات: آدم وحواء ونوح وإبراهيم ويعقوب ويوسف وأيوب وموسى ويشوع وداود وسليمان ويونس، كما يحتوي أيضاً على روايات خاصة بنبأ بني إسرائيل وملوكهم وقضاتهم وكهنتهم، ويتناول أيضاً روايات خاصة ببعض عصور بني إسرائيل مثل حياة بني إسرائيل في مصر ورحلة الخروج، وعصر القضاة ، وعصر الملكية ، وعصر السبي، فالكتاب إذن يغطي تاريخ بني إسرائيل منذ البداية وحتى العودة من السبي البابلي .

وقد ألف لويس جنزيرج هذا العمل في سبعة مجلدات ضخمة عام ١٩٠٩ وتم اختصارها في ثلاثة مجلدات ثم اختصرت في مجلد واحد نشر عام ١٩٧٢ ، ونشرته هيئة النشر اليهودي بأمريكا ومقرها فيلادلفيا. ونظراً لأهمية هذا العمل فقد أعيد نشره عدة مرات في السنوات ١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١١ ، ١٩١٣ ، ١٩٥٦ ، ١٩٧٢ .

أما مؤلف هذا العمل الضخم فهو لويس جنزيرج عالم الدراسات اليهودية الأرثوذكسية الحاخامية والمولود في ليتوانيا عام ١٨٧٣ ، وقد هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٩ م ، وأصبح من المساهمين الرئيسيين لدائرة المعارف اليهودية (١٩٠١ - ١٩٠٦) ، وعمل أستاذاً للدراسات التلمودية في سيمينار اللاهوت اليهودي، وقد تخصص بشكل أساسي في الأجادا التي تمثل الجزء غير التشريعي في التلمود، وفي تحديد أدق تشتمل الأجادا على إضافات مهمة تاريخياً للقصص الوارد

فى التوراة وأسفار الأنبياء والحكمة ، وكذلك على حكايات وقصص قديمة احتفظ بها بنو إسرائيل ولم يرد لها ذكر فى العهد القديم ، وهى مادة غنية فى أشكالها الأدبية ، وفى مجازاتها ، ويلاغتها وعباراتها الشعرية . وقد نمت المادة الأجادية عبر مئات السنين وخلال مايقرب من ألف عام ، وفى بيئات متعددة ، وبين أديان مختلفة وثقافات متباينة، وهى تعكس تأثير هذه البيئات وعلى الأخص التيارات الفكرية اليونانية مثل الأفلاطونية والمثانية والفيثاغورسية، كما تعكس البيئة الشعبية المتأثرة بالشعوذة والسحر، وتعكس أيضاً تيارات وثنية ومعتقدات بابلية . وقد بدأت عملية ترتيب هذه المادة وحفظها فى شكل مكتوب منذ عصر التنايم . وعلى كل حال لم يتم تدوين أى عمل أجادى قبل القرن الرابع الميلادى. وقد انتهى تدوين الميذراشيم المشتعلة على الأجادا مع نهاية القرن العاشر الميلادى، وقد قام يعقوب بن حبيب بجمع الأجزاء الأجادية من التلمود فى عمل يحمل اسم " عين يعقوب " (١) .

أما العمل الحديث للأجادا فقد قام به العالم لويس جنزيرج وأكملة خلال الفترة من ١٩٠٩ وحتى ١٩٢٨ حيث قام بترتيب المادة الأجادية المناسبة حسب الشخصيات والأحداث الموصوفة فى الكتاب المقدس (العهد القديم) . وقد أعطى جنزيرج لعمله اسم قصص اليهود والذى تم نشره فى سبعة مجلدات فى عام ١٩٠٩ . وبالإضافة إلى عمل لويس جنزيرج قام الأديب الحديث حاييم نعمان بيباليك (١٨٧٣ - ١٩٣٤) مع ي. هـ. رافنيتسكى بتأليف عمل باللغة العبرية ساعد على نشر الفكر الأجادى وإشاعته وحمل عمله اسم " كتاب الأجادا " ، وقد قاما بتصنيف المادة الميذراشية تصنيفاً موضوعياً .

إذن يمثل العمل الذى نقدمه مترجماً إلى اللغة العربية أحد الأعمال اليهودية الكلاسيكية التى أخذت على عاتقها تصنيف الروايات الخاصة بتراث بنى إسرائيل والتى احتوت عليها الأجادا ، والميذراشيم المحتوية على مواد أجادية ، تصنيفاً علمياً يجعلها منظمة ومرتبّة بحسب شخصياتها الرئيسية فتصبح بمثابة مادة إضافية على هذا التراث ليس لها وجود فى مصدرها الأساسى وهو العهد القديم وإنما تم الاحتفاظ بها فى الروايات الأجادية فى التلمود ، والتى بدأت كروايات شفوية تم إخضاعها فيما بعد لعمليات التدوين والترتيب والتصنيف. ويحتل عمل لويس جنزيرج مكانة المهم داخل

هذه العمليات التصنيفية للروايات الأجادية وهو العمل الأول من هذا النوع فى اللغة الإنجليزية . وكان جنزبرج قد بدأ عمله هذا فى اللغة الألمانية ثم أكمله باللغة الإنجليزية، وتمت ترجمة الأجزاء الألمانية إلى اللغة الإنجليزية فأصبح العمل كاملاً فى هذه اللغة. وقام بيباليك بهذا المجهود فى اللغة العبرية الحديثة فتوفر لدينا عملان تصنيفيان للمادة المدراسية الأجادية يعدان من أهم الأعمال التى تمت خلال القرن العشرين لتصنيف هذه المادة وجعلها متاحة للمستخدمين لها فى شكل مرتب حسب الشخصيات كما فعل جنزبرج ، وحسب الموضوعات كما فعل بيباليك^(١) .

ويعتبر قصص اليهود تاج أعمال لويس جنزبرج على حسب تعبير "مثير واكسمان" مؤرخ الأدب اليهودى المعروف ، فهو عمل يجمع بين العمل الأكاديمى الشاق والعمل الشعبى المشهور . وفى الأجزاء الأربعة الأولى جمع جنزبرج كل قصص وحكايات وآراء وأقوال اليهود المتأثرة والتى وجدت فى الأدب اليهودى خلال ألفى عام فى عدة لغات وعدة بيئات فكرية مثل " أدب آباء الكنيسة " والذى خصص له جنزبرج أحد أعماله المهمة الشهيرة بعنوان " الأجادا فى أعمال آباء الكنيسة " ، وكذلك البيئة الإسلامية بما وجده جنزبرج من مواد منتشرة فى الآداب الإسلامية خاصة بحياة كبار شخصيات العهد القديم من التكوين إلى اسستير، وقد استمدها جنزبرج من مئات المصادر اليهودية والمسيحية والإسلامية^(٢) ، وتمكس هذه المادة صورة الشخصيات الواردة فى العهد القديم فى الزمنية الشعبية اليهودية . وقد هدف جنزبرج من جمع هذا التراث الأجادى المنتشر فى الآداب اليهودية خارج العهد القديم والآداب المسيحية والإسلامية إلى وضع تاريخ للأجادا يحدد تطورها وانتشارها بين اليهود وغير اليهود^(٣) .

وقد حاول جنزبرج أن يثبت فى أعماله أقضية الكثير من المواد التفسيرية الأجادية من قصص وحكايات على الرغم من حقيقة أنها موجودة فى مصادر مدراسية متأخرة . فقد اقتبسها آباء الكنيسة قبل أن يتم وضع المدراسيم. وهذا يثبت أنه على الرغم من تأخر تأليف المدراسيم فإن المادة المحتواة فيها مادة قديمة. وفى عمله عن الأجادا فى أعمال آباء الكنيسة أعطى جنزبرج مقابلاً لكل عبارة أجادية فى أعمال الآباء الكنسية من التلمود والمدراسيم والأدب الهلينستى^(٤) .

وقد أعطى جنزيرج لعله اسم "قصص اليهود"، وكلمة "قصص" ترجمة عربية للكلمة الإنجليزية LEGENDS ومفردتها LEGEND التي تعود بأصلها إلى الكلمة اللاتينية LEGENDA ومعناها الحرفي "المقروء" أو الذي "يقرأ". وقد استخدمت الكلمة اللاتينية بالنسبة لحكايات من العصور الوسطى مثل حياة القديسين والتي كانت تقرأ كواجب ديني^(٦). ولذلك تم تعريف عنوان هذا العمل "قصص الكتاب المقدس" في نسخته المختصرة في مجلد واحد على يد شالوم شبيجل بأنه: "تنوعات على قصص الكتب المقدسة كما حكيت وأعيدت حكايتها في الشرق القديم منذ أيام إبراهيم، في المعابد والكنائس والمنازل لمئات الأجيال من البشر"^(٧). وهذا هو المعنى الكنسي للمصطلح أما المعنى الأوسع فيقر شبيجل "بأن القصة LEGEND تتضمن كل ما يقرأ بواسطة العصور المتتالية في شأن أو حدث يخص الماضي، إنها القراءة المتجددة المتغيرة للمصادر القديمة بواسطة الأجيال الحديثة من البشر، فالأحداث والأسفار العظيمة لها قصتها الخاصة بها. وتصب الأجيال التالية روحها وحياتها الداخلية في النصوص القديمة والوثائق القديمة تكافئ بدورها الباحثين الجدد وتعطيهم أجوبة جديدة"^(٨). وقد حكى القرون التالية حكايات خيالية لا نهاية لها حول الشخصيات والأحداث الواردة في الكتابات المقدسة. وقد تضافر الخيال الشعبي مع العالم في إخراج العديد من القصص والخيالات التي ربما لم يرها الكتاب الأصليون أو يتوقعوها. وهكذا تكاملت إبداعات القدامى مع خيالات المتأخرين في خلق جسم غني من القصص والحكايات حول نصوص الكتاب المقدس التي روجعت وأثريت من خلال إيمان وخيال القراء العديدين عبر العصور^(٩).

ويعطى شبيجل أيضاً رأياً مهماً فيما يتعلق بكيفية تكوين هذه القصص، فهو يربطها بالعهد القديم من حيث تأصيلها، ولكنه يفرق بينها وبين مادة العهد القديم من حيث إن مادة العهد القديم تم تدوينها وتثبيتها، أما مادة هذه القصص فقد ظلت مادة شفوية تمثل التراث الشفوي لبني إسرائيل. ويقصد شبيجل من هذا التنويه أن هذه المادة مقدسة على الرغم من أنها لم تدخل في صلب كتاب العهد القديم، فاختيار أسفار العهد القديم يمثل عملية تمت مع نهاية القرن الأول الميلادي بعد سقوط القدس وفلسطين على يد الرومان. وهذه العملية لم تكن نتيجة قرار لأن واضعي العهد القديم

لم يقوموا بعملية اختيار إنما هم قاموا بتحديد وتثبيت الكتابات التي اعتبرت مقدسة لدى اليهود. وقد حاول العلماء أن يضعوا حداً فاصلاً بين الكتب الموحى بها والتي تمثل تراث الآباء وإبداعات القرون التالية. وتم تثبيت الأولى داخل النص المقدس على أنها وحى بينما احتفظ بكل ما تبقى على أنه يمثل التراث الشفوي لبني إسرائيل^(١٠). وهذا الفصل بين المكتوب والشفوي هو الذي يفسر انتقال النوع الثاني من جيل إلى جيل في صورة شفوية، ولم يتم إخضاع هذا النوع للتدوين والكتابة إلا في فترة متأخرة.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل عانى هذا التراث الشفوي من مشكلة أخرى وهي مشكلة الترتيب والتصنيف حيث اهتم اليهود بوضع المادة التشريعية في نظام معين بينما لم يتم الاهتمام بالمادة غير التشريعية فظلت مادة متراكمة غير منظمة. وقد نتج عن تنظيم الأولى ما أصبح يسمى بالهالاخا (الشرعة - الطريق)، ونتج عن الثانية ما أصبح يسمى بالهاجادا التي تشير إلى حكايات وقصص مستمدة من كتاب العهد القديم، وتقابل حرفياً ما اصطلح على تسميته بـ "قصص الكتاب المقدس". ولم تخضع هذه المادة القصصية للترتيب والتنظيم، ولم يتم جمعها بشكل كامل، وظلت هذه المادة متناثرة في مصادر متعددة ومن بينها التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي اللذان اختلطت فيهما مادة هذا القصص مع مادة المناقشات التشريعية التي تكون صلب التلمود. والمحاولات التنظيمية السابقة لهذا القصص ظلت مرتبطة بقطع وفقرات الكتاب المقدس التي تفسرها وتفصلها ولم تكون جسماً مستقلاً عن المادة التي تشرحها الأمر الذي أدى إلى خلق انطباع بأن هذه القصص هي بمثابة شروح أو تفاسير على أقسام أو مختارات من الكتاب المقدس. وقد تسبب هذا الارتباط بأصولها في العهد القديم إلى توزيع القصة وتشتتها بين عدة مواضع من العهد القديم وعدم تواجدها في صورة متكاملة. وعلى الرغم من ذلك فارتباط هذه القصص بالعهد القديم هو الذي ضمن لها القداسة والمكانة التي اكتسبتها في كل ما يتعلق بمناسبات وأعياد اليهود الدينية^(١١).

وقد اختلفت وظيفة هذه القصص في البناء الديني لليهودية. فقد استخدم جزء منها في التعليم الديني وسد احتياجات المدارس الدينية من المادة التعليمية الدينية الوعظية، كما تم استخدام أجزاء أخرى منها للقراءة في أيام السبوت أو في المواسم

الدينية المقدسة حسب تقويم المعبد. وهذه القصص هي من نتاج العمل الوعظي وأصبحت مخصصة للعبادة. وقد اختلطت المواد الموظفة لخدمة هذين الهدفين اختلاط المدرسة بالمعبد .

وقد استمرت عملية جمع القصص القديمة إلى أواخر العصور الوسطى. وقد تم خلال القرن الرابع عشر تكوين مجموعتين إحداهما في جنوب فرنسا والأخرى في جنوب شبه الجزيرة العربية. وتعود أشهر هذه المجموعات وأكثرها شمولية بتغطيتها لكل أسفار العهد القديم إلى القرن الثالث عشر. وقد احتفظت هذه الأعمال المنتمية إلى العصور الوسطى المتأخرة بمواد من مصادر أقدم ليس لها وجود في عصرنا الحالي ، ويشير بعضها إلى العصر الأول لهذه القصص ، ويشير بعضها الآخر إلى عصر الهاجادا الفلسطينية في القرون الأولى للميلاد، ومع ذلك فبعض هذه القصص لا ينتمي إلى المصور القديمة حيث نمت حكايات جديدة مع الزمن مع تكرار حكاية هذه القصص عبر القرون وفي بيئات ثقافية غربية وشرقية .

ولاشك في أن العمل الذي قام به جنزيرج في تنظيم هذه القصص وتبويبها وتصنيفها يعد عملاً عظيماً ، وقد وصف مجهود جنزيرج بأنه أعظم إسهام فردى في دراسة هذا الموضوع خلال قرن كامل ، وأنه أيضاً أعظم عمل مهم في التراث اليهودي تم نشره في اللغة الإنجليزية^(١٢) . فقد قام جنزيرج بإعادة إنتاج قصص العهد القديم (الهجادا) بكل تياراتها الرئيسية كما رأها منعكسة في سجلات الأدب الرباني (الحاخامي) المعروف أيضاً بالأدب التلمودي - المدراسي ، وهو أدب يغطي الفترة من القرن الثاني الميلادي وحتى القرن الرابع عشر الميلادي ، ويحتوي على الجزء الأعظم من أدب القصص اليهودي. أما التيارات غير الرئيسية فقد رأها جنزيرج منعكسة في الكتابات الأبوكريفية والكتابات المزيفة . وهي أعمال مستمدة بشكل مباشر أو غير مباشر من أعمال تعود إلى أصول فلسطينية أو فيلينستية . وهذا يجعل هذه المادة تغطي فترة أكبر من القرون الأخيرة السابقة على الميلاد وحتى القرن الرابع عشر الميلادي. وربما غطت مادة من مصادر أحدث مثل عمل إبراهيم بن سبأ الذي كان شاهداً على طرد اليهود من إسبانيا وضحية لهذا الحدث، ويعود عمله إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي. كما استمد مادة من عمل متأخر للحاخام حاييم يوسف أزولاي (مات ١٨٠٧) .

وهذا يجعل عمل جنزيرج يغطي فترة ألقى عام بالتقريب ويمثل أول محاولة لجمع كل القصص اليهودي من المصادر الأصلية التي تشير إلى شخصيات العهد القديم وأحداثه وإعادة صياغة هذا القصص في أقرب صورة للكمال والصحة ، وأصبح عمله أكبر وأشمل كتاب لقصص العهد القديم في أية لغة في الماضي والحاضر .

ثانياً - الأهمية الإسلامية لقصص اليهود :

والآن نشير إلى بعد مهم من أبعاد قصص اليهود للويس جنزيرج وهو أهمية هذا العمل بالنسبة للديانتين المسيحية والإسلام، فقد لقي قصص اليهود أهمية كبيرة في الديانتين التوحيديتين، وقد اهتم جنزيرج نفسه بدراسة القصص اليهودي في التراث المسيحي وعند آباء الكنيسة حيث كتب رسالة علمية في موضوع " الهجاء عند آباء الكنيسة " بحثاً عن بقايا الهجاء أو قصص العهد القديم في الكتابات اللاتينية واليونانية والسريانية . وقد نجح جنزيرج في جمع العديد من هذه القصص وتأصيلها وردها إلى مصادرها في العهد القديم والتلمود والمدراسيم .

وعلى الرغم من أن جنزيرج لم يقوم بدراسة مماثلة لجمع قصص العهد القديم في التراث الإسلامي فإن هذا القصص له أهمية كبيرة في إكمال الصورة التي أراد جنزيرج في رسمها لقصص العهد القديم . ويبدو من الأهمية أن نشير إلى ضرورة إكمال هذا البعد الناقص في عمل لويس جنزيرج وذلك لعدة أسباب من أهمها :

١ - أن قصص العهد القديم يمثل تراثاً دينياً مشتركاً بين اليهودية والمسيحية والإسلام .

٢ - أن قصص الأنبياء في القرآن الكريم وفي كتب التفسير وردت في المصادر اليهودية والمسيحية، وقد رويت قصص الأنبياء من منظور قرآني إسلامي يجعلها على قدر كبير من الأهمية من حيث إنها تضيف أخباراً جديدة أو تصحح أحداثاً قديمة ، أو تعطي رواية صحيحة لإحدى قصص الأنبياء، وقد فضل التراث الإسلامي تسمية هذه المادة الدينية بـ " قصص الأنبياء " وهي تسمية سليمة وخاصة فيما يتعلق بالموقف الإسلامي من النبوة والأنبياء وعدم اعتراف الإسلام بالمفهوم الواسع للنبوة في اليهودية

من ناحية ، وعدم الاعتراف بمفهوم " الأبوة " الذى أطلق على عدد كبير من الأنبياء المعترف بهم فى الإسلام من ناحية أخرى، فالمفهوم الواسع للنبوة فى اليهودية أدخل فى الأنبياء من ليسوا بنبيا من الكهنة والعرافين والمتنبئين والرائين والحالمين والسحرة، ومفهوم " الأبوة " حرم مجموعة مهمة من الأنبياء من صفة النبوة وفضل عليها صفة الأبوة لكى يربط هؤلاء الأنبياء ببنى إسرائيل فى رباط قومي عرقي عنصري يجعل هذه الشخصيات النبوية شخصيات إسرائيلية ، ويمنع تراثها عن بقية الأديان - وبخاصة المسيحية والإسلام - وعن بقية الشعوب. ومن هذه الشخصيات آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وهارون ودود وسليمان عليهم السلام، فهذه الشخصيات ينظر إليها على أنها آباء حيث تسبق صفة الأبوة صفة النبوة بل ربما تلتى النبوة .

٢ - أن قصص الأنبياء فى القرآن الكريم يصحح الصورة النبوية التى درج عليها قصص العهد القديم الذى قدم الأنبياء أيضاً إما فى صورة أبوية عرقية قومية بدلاً من الصورة النبوية وإما أنه قدم الأنبياء عليهم السلام فى صورة لا تعترف بعصمة الأنبياء من الوقوع فى الآثام والفواحش. وجرى قصص اليهود فى المصادر اليهودية المتأخرة على هذا النهج فى نسبة العديد من الأخطاء والفواحش إلى الأنبياء . وهنا تبرز التسمية الإسلامية " قصص الأنبياء " لكى تتفوق على التسميات اليهودية " قصص اليهود " أو " قصص العهد القديم " حتى لا يتم الخلط بين الشخصيات النبوية والشخصيات غير النبوية ، وحتى لا ينسب إلى الأنبياء من الأعمال الفاحشة ما تمت نسبته إليهم بالفعل فى قصص اليهود أو قصص العهد القديم .

ثالثاً - أهمية قصص الأنبياء فى القرآن الكريم فى نقد قصص العهد القديم :

إن قصص الأنبياء فى القرآن الكريم يعد مقياساً نقدياً لقياس مدى صحة قصص اليهود ، أو قصص العهد القديم ، وذلك لكونه وحياً إلهياً من ناحية ولتفنيد القصص اليهودى ونقده من ناحية أخرى. وتفنيد قصص اليهود يعد جزءاً لا يتجزأ من رسالة

القرآن الكريم النقدية الموجهة إلى كتب اليهود المتهمة قرآنياً بثناها حُرُفت ويُدلت، ومن بين أشكال التحريف والتبديل ما وجه إلى الأنبياء من اتهامات وأخطاء لا تتفق ومبدأ عصمة الأنبياء من الخطأ. فقد صحح القرآن الكريم صورة الأنبياء وأصبح قصص القرآن الكريم عن الأنبياء المثال والنموذج والمقياس الذي يجب أن تقاس عليه حياة الأنبياء عليهم السلام . ويعطى القرآن الكريم بعض الأنبياء الواردة عن الأنبياء وليس لها مقابل في مادة التوراة وبقيّة أسفار العهد القديم ، وقد وجدت هذه المادة طريقها إلى بعض قصص اليهود "الهجاء" . وتشير هذه الظاهرة إلى أن اليهود حرفوا هذه المادة أو بدلوها بحيث إنها لم تدون في العهد القديم أو إنها ضاعت ، أو إنها لم تضم إلى التوراة في شكلها المكتوب ، وخضعت لعمليات الحذف التي تعرضت لها مادة التوراة قبل أن يتم تدوينها في القرن الخامس قبل الميلاد، وظهور هذه المادة في بعض المصادر اليهودية المتأخرة خارج حدود العهد القديم ، ثم ظهورها في القرآن الكريم يجعلنا نحكم عليها بأنها من بقايا الوحي الذي ضاع من خلال عمليات الحذف والتحريف والتبديل فتحوّلت هذه المادة من مادة وحى واجبة الظهور في التوراة إلى مادة شفهوية إلى أن استقرت في أحد المصادر اليهودية المتأخرة وضمّت إلى مادة "الهجاء" وظهرت من جديد في قصص اليهود. وورود بعض هذه المادة في القرآن الكريم دليل على أنها من بقايا الوحي المفقود ، ودليل على صحتها وعلى أنها يجب أن تعود إلى موقعها الحقيقي في التوراة أو في أحد أسفار العهد القديم المناسبة .

ويجب أن نشير إلى أن لويس جنزبرج في قيامه بهذه المهمة الضخمة وجمعه لقصص اليهود كان على دراية كافية بأهمية الإسلام كمصدر خارج على حدود المصادر اليهودية والمسيحية للقصص اليهودي . ولكن لأسباب يمكن أن نخمنها امتنع جنزبرج عن القيام بأي عمل يجعل من الإسلام وتراثه مصدراً لقصص اليهود أو قصص العهد القديم الذي جمعه . وهناك سؤال صريح يجب طرحه وهو لماذا اهتم جنزبرج بجمع القصص اليهودي من المصادر المسيحية ولم يهتم بجمعه من المصادر الإسلامية ؟ وقد توفرت لدى جنزبرج كل الإمكانيات العلمية التي تؤهله للقيام بهذه المهمة ، فهو أعظم عالم دراسات ريبانية حاخامية في عصره ، وقد كان عالماً باللغات السامية وبخاصة الآرامية والسريانية والعربية حيث تعلم اللغات السامية على يد

المستشرق تيودور نولدكه فى جامعة شتراسبورج ، وتوفرت لديه الوسائل النقدية والمنهجية اللازمة لمثل هذا العمل . وقد عبر جنزيرج فى أكثر من مكان عن معرفته بأهمية التراث الإسلامى الذى عاش فيه اليهود واقتبسوا منه كثيراً من معارفهم ، وفى هذا يقول شبيجل فى النسخة المختصرة من قصص العهد القديم : " إن الفتوحات الإقليمية للإسلام أدت إلى جمع العديد من الأجناس والأديان داخل نظام حكم سياسى أكبر من أى نظام آخر عرفه العالم القديم . ومن داخل عدة أشكال للتراث ظهرت مراكز للمعرفة والأدب والفن والفلسفة . وقد اختلط ممثلو الأديان المختلفة فى مدن مثل بغداد وقرطبة يتنافسون بحرية من خلال دعاوى تراثهم ويضعون كل هذا التراث المختلف للنقد والبحث العقلى . وأصبح ظهور اتجاه جديد نحو كلاسيكيات الماضى ضرورة حتمية لكى يبقى التراث القديم فى مواجهة تحدى الأفكار الجديدة . وقد مرت دراسة الكتاب المقدس بتغير عميق تحت تأثير النقد الفلسفى للدين ، وقد ترك هذا بلا شك أثره على قصص الكتاب المقدس حيث انتهت البرامة التى سيطرت على التفكير السابق على الفكر الفلسفى ، وهوجمت التجسيديات السانجة للجهادا القديمة ، أو على الأقل تم تأويلها أو التخلص منها ، وبعض الوقت بدا كما لو أن عصر التفسير النقدى قد أصدر حكماً بالموت على كل إبداعات الخيال الشعبى وعلى كل ما هو قصصى^(١٣) .

وتشير هذه العبارات بشكل غير مباشر إلى التأثير الإسلامى على النظرة إلى قصص اليهود أو قصص العهد القديم . فالبيئة الإسلامية كانت أول بيئة ناقدة لقصص اليهود نقداً عقلياً بدأه القرآن الكريم ، وفصله علماء التفسير المسلمون وهذب الفلاسفة الذين كانوا أكثر جرأة من علماء التفسير فى رفضهم لكل ما يناقض العقل ويخالف المنطق . وقد امتدى علماء التفسير والكلام والفلاسفة بالمنهج العقلى القرآنى فى نقد القصص اليهودى وتنقية قصص الأنبياء وتهذيبه وتخليصه من الخرافات ، ومن الأخطاء المنسوبة إلى الأنبياء والمهددة لعصمتهم من الوقوع فى الخطأ وبخاصة الخطأ الفاحش .

ولاشك فى أن هناك أسباباً مهمة وراء عدم إكمال جنزيرج لمهمته التى نذر لها عمره البحثى ، وهى مهمة جمع قصص اليهود من كل مصادرهم اليهودية وغير اليهودية . فقد أهمل جنزيرج عن عمد مراجعة قصص الأنبياء فى التراث الإسلامى ، وفى مصدره الأساسى وهو القرآن الكريم وتفسيره الإسلامية المختلفة .

ويأتى - كسبب أول لهذا الإهمال المقصود - الادعاء اليهودى أن القرآن ليس وحياً إلهياً من ناحية وأنه متأثر بالهجاء من ناحية أخرى. وهناك العديد من الأبحاث اليهودية التى تتحدث عن عناصر هجائية فى القرآن الكريم وفى كتب التفسير ، وبإصدار هذا الحكم العام بعدم أصالة مادة قصص الأنبياء فى القرآن الكريم وبأنها مأخوذة من مصادر يهودية انتهى الدرس الدينى اليهودى عن قصص الأنبياء فى القرآن الكريم . وعلى الرغم من أن الحكم نفسه يمكن إصداره عن قصص العهد القديم فى المصادر المسيحية فقد وجدنا العديد من العلماء اليهود يهتمون بدراسة هذا القصص الوارد فى المصادر المسيحية ويستفيدون منه ويعتبرونه مادة إضافية ونافعة فى فهم قصص العهد القديم. وكان لويس جنزيرج نفسه من أهم العلماء اليهود الذين تخصصوا فى الهجاء فى المصادر المسيحية وبخاصة عند أباء الكنيسة المسيحية. بل إن جنزيرج لم يتوقف عند حدود المصادر المسيحية ولكنه تتبع مادة الهجاء فى المصادر المتأخرة حتى القرن الثامن عشر، ولكنه تجاوز القرآن الكريم والمصادر التفسيرية الإسلامية وكنها ليست موجودة على الرغم من عظمة مادة قصص الأنبياء فى القرآن الكريم والمصادر التفسيرية الإسلامية وثرانها الشديد وتنوعها واختلافها ونقائنها وسلامتها الدينية وتعبيرها عن رؤية توحيدية خالصة تدافع عن الأنبياء ومصمتهم ، وتدفع عنهم كل التهم التى وجهت إليهم فى المصادر اليهودية ومنها تهمة السقوط فى الوثنية والوقوع فى الفواحش .

لقد وقف الحكم الدينى الخاطئ والعناد العقلى والإهمال اليهودى المقصود للقرآن الكريم كمقبات قوية أمام التناول اليهودى الجاد لمادة قصص الأنبياء فى القرآن الكريم. وتعتبر كل الدراسات النقدية اليهودية لقصص الأنبياء فى القرآن الكريم دراسات موجهة إلى خدمة هدف واحد فقط وهو إثبات التأثير الهجائى على القرآن الكريم. بينما كان الواجب العلمى والنقدى يحتم ضرورة معالجة قصص الأنبياء فى القرآن الكريم المعالجة العلمية النقدية الصريحة من خلال النظر إلى القرآن الكريم أولاً على أنه أحد أهم مصادر قصص الأنبياء عليهم السلام ، والنظر إلى المادة القرآنية الخاصة بقصص الأنبياء على أنها مادة جديدة فى توجهها ورؤيتها وفى فلسفتها ، بل والنظر إليها على أنها مادة مخالفة فى كثير من المواضع لمواد قصص العهد القديم

ومناقضة لها بل وناقدة لها انطلاقاً من أن قاعدة القرآن الكريم فى علاقته بالكتب المقدسة السابقة عليه هى قاعدة النقد والتصحيح ولذلك فالقرآن الكريم لم يكرر المادة التوراتية الخاصة بقصص العهد القديم ، ولكنه هذبها وصححها وقدمها فى صورتها الأصلية قبل أن تمتد إليها يد التحريف والتبديل ، وعلى الرغم من وضوح الهدف النقدي للقرآن الكريم والذي يجعله مقياساً لنقد قصص العهد القديم أهمله نقاد العهد القديم كما أهمله جامعو ودارسو القصص ومؤرخوه من أمثال جنزيرج إهمالاً تاماً ، وهو إهمال مقصود يستند إلى حكم متعصب وخاطى بالأصل الهجاذى لقصص الأنبياء فى الإسلام. وسيظل عمل جنزيرج ناقصاً حتى تتم الاستفادة من قصص الأنبياء فى القرآن الكريم وفى التراث الإسلامى، وهو من الناحية العلمية سيكون مثلاً لمرحلة نقدية فى تاريخ دراسة قصص العهد القديم. وقد أشار شبيجل إلى أن البيئة الإسلامية كانت بيئة عقلية نقدية أدت إلى تطور الاتجاه النقدي لقصص العهد القديم . وهى البيئة نفسها التى أدت فيما بعد إلى تطور اتجاهات نقد العهد القديم فى الغرب على يد سبينوزا وعلى يد فلهاوزن المستشرق الألمانى الذى جمع بين التخصص فى الدراسات الإسلامية وبين دراسات العهد القديم فى الوقت نفسه واستفاد من النقد الإسلامى للعهد القديم فى تأسيس علم نقد الكتاب المقدس فى الغرب .

ولعل من أهم الأمور التى جعلت جنزيرج وغيره من العلماء اليهود يستبعدون القرآن الكريم كمصدر لقصص الأنبياء وكمقيار لنقد هذا القصص الخوف من أن يؤدى هذا إلى ارتفاع شأن القرآن الكريم بين العلماء اليهود فيصبح أحد المصادر الناقدة للتراث اليهودى فى حالة الاستمانة به. وإذ ذلك لجأ كل العلماء بلا استثناء إلى تسفيه المادة القرآنية والحكم بعدم أصالتها وردّها إلى مصادر يهودية حتى لا ينشغل العقل اليهودى بها فى حالة الاعتراف بأصالتها وبفائدتها العلمية والنقدية فى فهم قصص العهد القديم. وقد وقع العلماء اليهود ضحية النظرية الغربية التى اعتمد عليها الاستشراق اليهودى والاستشراق عامة ، وهى نظرية التثوير والتأثر التى تصر خطأ على أن الدين الأحدث يعتمد على الدين الأقدم ، وأنه فى حالة وجود مادة دينية متشابهة فالدين الأحدث استمدّها من الدين الأقدم . ومن هنا كان الحكم على قصص الأنبياء فى القرآن بأنها منخوذة من التوراة وبقية أسفار العهد القديم ومن التلمود ،

والهاجادا والمدراشيم والعهد الجديد. وتم تطوير نظريات ساذجة لوصف المادة القرآنية منها أنها تحريف للسادة التوراتية أو الهجادية ، أو أنها قراءة خاطئة لهذه المادة ، أو أنها استندت إلى مصادر غير معترف بها في اليهودية الأرثوذكسية مثل مصادر الفرق اليهودية المنشقة والرافضة لليهودية الأرثوذكسية ، أو غير ذلك من التويلات الساذجة التي لا تقوى على الصمود أمام قوة النقد القرآني وعظمة الحجة القرآنية .

رابعاً - أهمية قصص اليهود في تفسير قصص الأنبياء في القرآن الكريم :

تقدم قصص اليهود خدمة كبرى في مجال تفسير القرآن الكريم. فمن المعروف أن القرآن الكريم يحتوى على مادة ضخمة تتعلق بتاريخ بني إسرائيل والديانة اليهودية وتاريخ أنبياء بني إسرائيل. ومما لا شك فيه أن المفسر المسلم للقرآن الكريم في أمس الحاجة إلى العودة إلى مصادر متعددة يستخدمها في تفسير هذه الجوانب في القرآن الكريم . وقد اكتفى المفسر المسلم القديم بالرجوع إلى التوراة وأسفار العهد القديم لكي يستمد منها مادته التفسيرية .

والحقيقة التي لا يجوز أن تغيب عن الأذهان هي أن التوراة وبقيّة أسفار العهد القديم لم تعد كافية كمصدر لشرح ما يتعلق بالتاريخ والدين اليهودي وتاريخ الأنبياء. ولا لوم في ذلك على المفسر القديم الذي لم يجد أمامه سوى أسفار العهد القديم. أما المفسر المسلم المعاصر فلا عذر له فالمادة العلمية التي نعرفها عن التاريخ والدين اليهودي مادة ضخمة هائلة تتعدى بمراحل ما كان متوفراً لدى المفسر القديم. فعلم الآثار قد أمدنا بمادة ضخمة واكتشافات أثرية مهمة سواء في مجال دراسات الشرق الأدنى القديم بما في ذلك تاريخ مصر القديم ، أو في مجال الدراسات التاريخية اليهودية وكذلك الدراسات الدينية. وبالإضافة إلى المادة الأثرية هناك ما تم اكتشافه عبر القرون القليلة الماضية - وبالأذات في القرنين الأخيرين - من مصادر يهودية مهمة جداً ولا تقل أهمية عن التوراة وكتب العهد القديم . ومن بين هذه المصادر كتابات الأبوكريفا ووثائق البحر الميت التي أمدتنا بنصوص جديدة لبعض أسفار العهد القديم وكذلك المعرفة الواسعة الحديثة بالمشنا والجمارا ، أو ما يعرف باسم التلمود ، سواء في نصه البابلي أو الأورشليمي، وكذلك الشروح التي لاحصر لها للتلمود ، وكذلك التفسيرات

التي وضعت للعهد القديم عبر العصور بالإضافة إلى المادة الدينية والفلسفية والأخلاقية التي ألفها اليهود خلال القرون الماضية سواء في العصر الوسيط أو في العصر الحديث بالإضافة إلى كتب العبادة والصلوات ، وكتب التشريعات ، والأحكام الجديدة التي استندت إلى هذه المصادر المتنوعة التي تم اكتشافها. ونضيف إلى هذا كله الترجمات التي وضعت لأسفار العهد القديم في لغات مختلفة وكلها تلقى أضواء جديدة على نصوص هذه الأسفار ، وتعطى رؤى دينية مختلفة لها. وإلى هذا كله نضيف ما قدمته الدراسات اليهودية الحديثة والمعاصرة في لغات متعددة ، ومن بينها اللغة العبرية الحديثة ، من معلومات لاحصر لها عن التاريخ والدين اليهودي ، وما تم وضعه من معاجم وفهارس للعهد القديم ، وما تم اكتشافه من مخطوطات عبرية أو سامية ، ومن مخطوطات لاتينية ويونانية ونشر وثائق الجيزا ومحتويات المعابد اليهودية .

وأمام هذا الكم الهائل من المعلومات تصبح إعادة تفسير المادة المتعلقة بالتاريخ والدين اليهودي في القرآن الكريم واجباً جديداً ملقى على عاتق المفسر المسلم المعاصر. فلا بد وأن يواكب علم التفسير التقدم العلمي الهائل في مجال المعرفة بالتاريخ والدين اليهودي كما أشرنا إليه. فالحاجة ماسة إلى تفسير جديد لهذه الأجزاء في إطار التقدم العلمي المشار إليه. وإذا كانت قد ظهرت تفاسير علمية جديدة تشرح المادة العلمية في القرآن الكريم من ظواهر كونية وطبيعية وحقائق علمية مختلفة في ضوء العلم الحديث فمن باب أولى أن تصدر تفاسير جديدة للمادة التاريخية والدينية اليهودية تستفيد بما قدمه العلم الحديث في هذا المجال .

ويجب أن ننوه أن كل هذه المصادر الجديدة بالنسبة للمفسر المسلم الحديث والتي لم تكن متوفرة للمفسر المسلم القديم .. كلها تعطي نتائج إيجابية تتفق مع وجهة النظر الإسلامية . فقد أدت هذه الاكتشافات العلمية الهائلة إلى ظهور مدارس نقدية لأسفار العهد القديم في الغرب ومما يدعو إلى الاطمئنان أن هذه المدارس النقدية الغربية وصلت إلى نتائج علمية هائلة تتفق مع وجهة النظر الإسلامية تجاه اليهودية واليهود ديناً وتاريخاً. ولعل أهم نتيجة تهمنا كمسلمين في هذا المجال هي الإقرار بأن التوراة الحالية توراة إنسانية خطتها يد اليهود وهكذا الحال بالنسبة لبقية كتب العهد القديم .

ونعتقد أنه أصبح من الضروري على علماء التفسير أن يتخذوا هذه الخطوة الجريئة نحو إعادة تفسير المادة القرآنية الخاصة بتاريخ بني إسرائيل ، وتاريخ أنبيائهم، وتاريخ ديانتهم وإلا سيظل هذا الجزء من تفسير القرآن الكريم غير مواكب للتطورات الهائلة في مجال المعلومات الحديثة عن هذه الجوانب. ومما لاشك فيه أن المفسر المسلم المعاصر هنا في حاجة ماسة إلى مساعدة زميله المتخصص في الدراسات العبرية واليهودية لكي يعرفه بالمصادر الجديدة وبالمعلومات الحديثة ويقدمها له مترجمة من مصادرها العبرية والأوروبية .

خامساً - أهمية قصص اليهود في الكشف عن الإسرائيليات في التراث الإسلامي :

وضحنا في الصفحات السابقة الأهمية الإسلامية لقصص اليهود أو تحديدًا قصص العهد القديم ، وأشرنا إلى الجانب المهم في الدراسات اليهودية والاستشراقية وإلى الأهمية النقدية لقصص الأنبياء في القرآن الكريم وفي كتب التفسير عند المسلمين ، وفي كون قصص الأنبياء الإسلامي مقياساً نقدياً لقصص العهد القديم .

وفي الصفحات التالية نوضح جانباً مهماً من جوانب قصص العهد القديم وقصص اليهود خارج حدود العهد القديم والمعروف بالهجاد ، وهذا الجانب يبدو سلبيًا في علاقته بالتراث الإسلامي. فقد تسربت من هذا القصص أفكار إسرائيلية ودخلت في جسم الأعمال التفسيرية كمادة مفسرة لآيات القرآن الكريم المتعلقة بقصص الأنبياء ، ونجم عن هذا التغلغل جسم غريب أطلق عليه اصطلاحاً اسم "الإسرائيليات" أي مجموع الأفكار الإسرائيلية التي وجدت طريقها إلى الأعمال التفسيرية الإسلامية المتمثلة في كتب التفسير وفي بعض أمهات كتب التاريخ عند المسلمين .

وهناك عدة ملاحظات على الجهود المبذولة إسلامياً لدراسة الإسرائيليات وتتبعها في التفاسير القرآنية ، ومن أهم هذه الملاحظات :

١ - أن مصطلح "الإسرائيليات" كما هو مستخدم في علم التفسير لا يشير فقط إلى الأفكار الإسرائيلية التي دخلت في كتب التفسير ولكنه على حسب استخدامه

(وليس على حسب مدلوله) يشير إلى تسرب أفكار أعم من أن توصف بأنها إسرائيلية فحسب، فكثير من المواضع التي أشار إليها نقاد كتب التفسير على أنها من الإسرائيلية هي ليست في الحقيقة من الإسرائيلية ، ولكنها تفسيرات أخذت من أساطير وخرافات شعوب الشرق الأدنى القديم ، وأطلق عليها " إسرائيلية " خطأ ربما من باب إطلاق الجزء على الكل ، فالإسرائيلية تكون في الحقيقة جزءا من مادة أشمل وأعم مأخوذة من التراث الأسطوري في الشرق الأدنى القديم ، ولكن غلبت التسمية " إسرائيلية " فأصبحت تطلق على ما هو إسرائيلي وما هو غير إسرائيلي، ولاشك في أن السبب في تسرب هذه الأفكار الشرقية الأسطورية إلى كتب التفسير هو ما توفر لدى المفسرين المسلمين الأوائل من معرفة عن تواريخ وديانات المناطق التي فتحها المسلمون ، أو ما عرفه العرب من أساطير وخرافات إما من بيئتهم الجاهلية وإما من جيرانهم المكونين لشعوب الشرق الأدنى القديم ، ومن بينهم الإسرائيليون ، ولعل من أهم المواضع التي استندت إلى التراث الأسطوري الشرقي مواصفات الأشخاص العقلية والجسمانية ، والصفات الخارقة للعادة سواء فيما يتعلق بأفراد أو بأمم ، أو بمواصفات خاصة بالأشياء والأماكن والحيوانات الخرافية وما تمثله من قوى خرافية لا يقبلها العقل والتي وردت في ملاحم العالم القديم عند الفرس وشعوب بلاد النهرين ومصر القديمة وعند الشعوب السورية ، وعند العرب قبل الإسلام، وهي تشتمل على حكايات خاصة بالأبطال القدامى ويطولاتهم التي تظهر فيها قواعم الفانقة في التغلب على حيوانات خرافية ، أو مواقع لها صفات أسطورية ، أو بشر لهم صفات خارقة للعادة إلى غير ذلك من مواد أسطورية استعمان بها المفسرون في وصف بعض الشخصيات والأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مثل يأجوج ومأجوج ، وذى القرنين ، والخضر ، وداود وجالوت ، وهاروت وماروت ، وطوفان نوح عليه السلام وسفينته ، وأهل الكهف ، وما أعطوه من معلومات عن عمر الدنيا وبدء الخلق ، وأسرار الوجود ، والتعليل غير العلمي للظواهر الكونية ، أو ما يسمى في مجاله بالتعليل الأسطوري (أى غيرالعلمي) للطبيعة والكون والظواهر الفلكية والجغرافية وغير ذلك .

ولهذا يجب البحث عن مسمى أعم ليشمل هذه المادة كلها ، أو أن نحتفظ بمصطلح "إسرائيليات" لكونه أصبح مصطلحاً تراثياً ولكن نستخدمه الاستخدام السليم ، وهو أن نحدده فيما دخل في التفسير من أفكار إسرائيلية خالصة بعيدة عن الأفكار الشرقية العامة الأخرى الموجودة في كتب التفسير .

المطلوب تحديد دقيق لمصطلح "إسرائيليات" ، ووضع مصطلح جديد لبقية المادة التي وردت تحت "الإسرائيليات" وهي ليست منها .

٢ - والملاحظة الثانية على الدراسات الخاصة بالإسرائيليات هي عدم رد الإسرائيليات إلى مصادرها اليهودية والاكتفاء بذكر أن ما ورد في الموضع الفلاني من التفسير الفلاني من الإسرائيليات على وجه التعميم .

والحقيقة أن الدراسات العلمية الجادة للإسرائيليات تحتاج إلى التوثيق العلمي المضبوط يرد كل فكرة إسرائيلية إلى مصدرها اليهودي الذي أخذت منه، ولا يخفى على المستمع أن مثل هذا التوثيق العلمي لمادة الإسرائيليات يحتاج إلى جهد مشترك بين المفسر والمتخصص في الدراسات العبرية واليهودية نظراً لكثرة المصادر اليهودية وتنوعها وتشعبها ، وكثرة الشروح التي وضعت لهذه المصادر الأساسية كما أشرنا سابقاً مما يصعب على المفسر احتواؤه ، أو العودة إليه في سهولة ويسر .

٣ - يرتبط بالملاحظة السابقة الملاحظة التالية وهي رد معظم الإسرائيليات إلى التوراة أو إلى كتاب العهد القديم على وجه الإجمال وهذا ليس بصحيح، فكثير من مادة الإسرائيليات أتت من مصادر يهودية أخرى غير التوراة وبقيّة أسفار العهد القديم ، فبعضها مأخوذ من الشروح المتعددة للعهد القديم ، وكثير منها ورد من التلمود وشروحه المتعددة ، ومنها ما ورد من الروايات اليهودية ذات الطابع الفولكلوري الشعبي مثل روايات الهجاء ذات الطابع الأسطوري الخرافي ، أو مما شاع بين اليهود شفها من خرافات وأساطير وحكايات .

٤ - الملاحظة الرابعة هي أن عدم معرفة المفسر بالمصادر اليهودية تجعل عمله في الإسرائيليات ناقصاً ، فهو يعتمد على ما هو متوفر من مصادر يهودية في اللغة العربية وهو قليل جداً وربما لا يشتمل إلا على الترجمة العربية للعهد القديم ، أما بقية

المصادر اليهودية التي تمثل مورداً ومصدراً للإسرائيليات فهي ليست مترجمة إلى العربية، وعلاج هذه المشكلة يتمثل إما في أن يتعلم المفسر اللغة العبرية ويتقنها حتى يتمكن من العودة إلى المصادر العبرية وهذا أمر صعب أو أن يستعين المفسر بالمختص في اللغة العبرية وفي الديانة اليهودية وهو الأمر المعقول والأيسر .

هـ - الملاحظة الخامسة والمهمة جداً هي ترك الإسرائيليات على ما هي عليه في كتب التفسير والاكتفاء ببيان أنها من الإسرائيليات. وفي الحقيقة هذا لا يمثل علاجاً ناجعاً للإسرائيليات فالأولى التخلّص من كل الإسرائيليات التي تفسد التفسير لأن بقاها يخل بالتفسير ويقطع سياق النص التفسيري مما يؤدي إلى ضياع المعنى الصحيح واختلاطه بالمعاني غير الصحيحة فضلاً عن اختلاط ما هو عقلي بما هو غير عقلي في مصادر التفسير. ويجب أن نشير هنا إلى أن القاعدة التي اتبعها المفسرون في الإسرائيليات هي أن رواية الإسرائيليات غير مباحة إلا مع النص عليها ببيان أنها من الإسرائيليات^(١٤) . وهذه القاعدة لم تطبق دائماً فقد أهمل بعض المفسرين البيان ظناً منهم أنها - أي الإسرائيليات - معلومة للقارئ أو ربما كان هذا انعكاساً لعدم معرفة الصحيح من غير الصحيح في الإسرائيليات فيترك على ما هو عليه .

والحقيقة أن هذا المنهج المتبع مع الإسرائيليات في كتب التفسير يحتاج إلى إعادة نظر تمثيلاً مع الظروف التي يمر بها المجتمع الإسلامي في العصر الحالي. ولذلك يجب ألا يؤخذ من الإسرائيليات إلا ما يوافق القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، أما فيما عدا ذلك فلا يجوز ذكره مع النص ببيان أنه من الإسرائيليات فهذا المنهج لا يصلح حالياً ولا يتفق مع طبيعة العصر الذي نعيش فيه للأسباب التالية :

(أ) أن المادة الإسرائيلية المنصوص على أنها من الإسرائيليات مثيرة للشكوك طالما أنها مادة تشتمل على فكرة مرفوضة إسلامياً ولذلك يجب التخلّص منها كلية .

(ب) أن ذكر مثل هذه المادة يؤدي إلى حدوث خلل في سياق النص التفسيري وذلك من خلال الدلالة المرفوضة التي تذكر ضمن مادة تفسيرية مقبولة فالنهن بلاشك ينصرف إليها ثم يعود منها إلى المادة التفسيرية المقبولة ،

وهذا يحدث نوعاً من البلبلة ويؤثر على السياق والاتساق المنطقي للأفكار المعروضة .

(ج) أن ذكر المادة الإسرائيلية المرفوضة يقلل من القيمة العلمية للتفسير ، وبالتالي يقلل من القيمة الدينية له .

(د) أن ذكر المادة الإسرائيلية المرفوضة لا يتفق مع الأسلوب العلمى المباشر فى الكتابة ، وهو أسلوب يعتمد على المباشرة فى الخطاب .

(هـ) الاستجابة لطبيعة الحياة الحديثة وما يميزها من سرعة فى الحركة وانشغال البشر بتدبير أمورهم وضيق وقتهم فيجب التركيز على المعلومة الصحيحة المباشرة الموجزة دون إسهاب أو إسفاف .

٦ - عدم الاستفادة من نتائج علم نقد الكتاب المقدس فى التخلص من الإسرائيليات. فكثير من مادة التوراة وبقية أسفار العهد القديم تم نقدها، رفض بعضها من جانب علماء نقد الكتاب المقدس فى الغرب من اليهود والمسيحيين، وواجب المفسر المسلم أن يكون متنبهاً لهذه النتائج مستفيداً منها فى التخلص من الإسرائيليات التى تم رفضها فى مصدرها الأساسى فكيف لا نرفضها نحن فى استخدامنا لها فى كتب التفسير ؟ .

وهنا يجب التنويه إلى أن علم نقد الكتاب المقدس علم إسلامى خالص قبل أن يتلقاه الغرب عن المسلمين ويقطع فيه خطوات هائلة خلال القرنين الأخيرين ، ويحكم بعدم أصالة كثير من مادة العهد القديم ويرد الكثير منها إلى مواد أسطورية وخرافية ، أو إلى غير أصحابها المنسوبة إليهم ، أو لا يعتبرها من الوحي كما كان مدعى من قبل .

وقد توقفت جهود المسلمين النقدية فى الكتاب المقدس عند علمائنا الأوائل من أمثال ابن حزم والشهرستانى والبيرونى وابن تيمية وابن القيم ، وانتقل هذا العلم إلى الغرب الذى استفاد بجهد هؤلاء العلماء المسلمين الأوائل . والجهود الحديثة الجادة فى هذا المجال قليلة عند المسلمين .

ونخلص من هذا النقد إلى توصية عامة وهي ضرورة كتابة تفاسير جديدة خالية تماماً من الإسرائيليات لما فى ذلك من فوائد علمية ودينية كبيرة. ويجب أن نتوقف تماماً عن استخدام الإسرائيليات المرفوضة فى صلب التفاسير الجديدة . وإذا كان الحفاظ على هذه الإسرائيليات يمثل ضرورة علمية فلتكن لها كتبها الخاصة أو الدراسات التى تهتم بها لكن بعيداً عن كتب تفسير القرآن الكريم التى يستخدمها المسلم استخداماً مباشراً للتعرف على أمور دينه .

أما عن الإسرائيليات فى كتب الحديث فهذه يجب أن يطبق عليها منهج علم الحديث فى النقد تطبيقاً حازماً لا هوادة فيه فينقد سندها ، وقبل هذا وذاك يجب أن ترتبط بوضع الإسرائيليات فى كتب تفسير القرآن الكريم فما رفض على مستوى القرآن الكريم من الإسرائيليات يجب أن يُرفض على مستوى الحديث، وما صح سنده ولم يصح متنه يجب التخلص منه . ودون الدخول فى التفاصيل لقد وضع علماء الحديث منهجاً علمياً دقيقاً لمعرفة صحيح الحديث من ضعيفه وطوروا علماً للنقد وهو علم الجرح والتعديل. وأوطقت هذه العلوم على الإسرائيليات فى الحديث تطبيقاً حرفياً لتخلص منها دون أن تؤثر على الحياة الدينية للمسلم لا من قريب ولا من بعيد . فالفكر الإسلامى والحمد لله غنى وهو ليس فى حاجة إلى الإسرائيليات لى تثريه خاصة المرفوض من هذه الإسرائيليات .

أما عن الإسرائيليات فى كتب التاريخ فهى تشتمل على الإسرائيليات الواردة فى كتب التاريخ العام للبشرية وبخاصة فى عصر ما قبل الإسلام والتى ترد كمقدمات أو مداخل لأحداث كتب التاريخ التى وضعها المؤرخون المسلمون الأوائل .

كما تشتمل أيضاً على الإسرائيليات الواردة فى تاريخ الأنبياء سواء ما ورد منها ضمن أحداث كتب التاريخ التى خصصت أجزاءً لتاريخ الأنبياء وقصصهم كما تدل عناوين بعض هذه الكتب مثل تاريخ الرسل والملوك للطبرى أو الإسرائيليات الواردة فى الكتب المستقلة عن قصص الأنبياء أو عن تاريخ الأنبياء وهى كتب كثيرة اشتملت فى معظمها على إسرائيليات لاحصر لها .

ومثل هذه الأعمال من كتب التاريخ أو قصص الأنبياء أو تاريخ الأنبياء يجب أن يطبق عليها منهج النقد التاريخي الذي طوره المسلمون والذي ارتبط في أساسه بمنهج النقد في علم الحديث، كما يجب الاستفادة أيضاً بمنهج النقد التاريخي الذي طوره الغرب في العصر الحديث للتعرف على الأخبار الصحيحة خاصة فيما يتعلق بالتاريخ القديم وضرورة الاستفادة من المنجزات العلمية الحديثة في مجال الآثار وغيره من العلوم مثل التاريخ والحضارة من أجل التخلص من إسرائيليات كتب التاريخ وتاريخ الأنبياء .

ولابد أيضاً أن يستفاد بالوسائل السابقة التي تم ذكرها فيما يخص الإسرائيليات في التفسير والحديث والاستفادة بعلم نقد الكتاب المقدس وبالتقدم العلمي في دراسات الشرق الأدنى القديم والشعوب القديمة عامة .

أما عن الإسرائيليات في الغزو الفكري الحديث فهي استمرار للإسرائيليات القديمة التي تمثل جزءاً من الغزو الفكري القديم ووجهاً من وجوهه. فكل ما وصلنا في العصر الحديث من الفكر الغربي من أفكار ونظريات لا تتناسب مع الفكر الإسلامي يعد من الإسرائيليات الحديثة فالفكر الغربي مبني على أسس يهودية مسيحية. وهي وإن لم تكن لها صلة بعلم التفسير والحديث لكن لها تأثيراً في الفكر الإسلامي المعاصر وفي التاريخ المعاصر. ويجب أن ننظر إلى الإسرائيليات قديماً وحديثاً على أنها لون من ألوان الغزو الفكري للتراث الإسلامي .

سادساً - وجوه الاختلاف بين قصص الأنبياء، وقصص اليهود أو العهد القديم :

- لم يكن اختيار مصطلح " قصص الأنبياء " اختياراً عشوائياً في الإسلام ، بل هو اختيار مقصود يعبر عن الاختلاف الجوهرى بين قصص الأنبياء كمصطلح إسلامي وقصص اليهود أو قصص العهد القديم (الهجاء) كمصطلحات يهودية خالصة . وبدية نذكر أن مصطلح " قصص الأنبياء " مصطلح قرآني انتشر بعد وروده في القرآن الكريم بين المفسرين الذين تعرضوا لتفسير قصص الأنبياء في أعمالهم التفسيرية الكبرى أو خصصوا لقصص الأنبياء مؤلفات مستقلة^(١٥) ، أو استخرج الجزء الخاص من قصص الأنبياء من تفاسيرهم ، ونشرت في أعمال مستقلة عن هذه التفاسير .

أما عن التفصيل القرآني لمصطلح قصص الأنبياء فنجدّه وارداً في القرآن الكريم في العديد من الآيات القرآنية ، ومن أول الآيات القرآنية الدالة على هذا المصطلح وفلسفته قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (يوسف ١١١) وكذلك : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل ٧٦) . وأهم ما يؤكد عليه المصطلح القرآني " القصص " تاريخية الحدث وواقعيته ، وتعبيره عن الحقيقة ، ويعدّه عن الأسطورة والخرافة التي يختلط فيها الواقع باللاواقع والحقيقي بغير الحقيقي والتاريخي بالأسطوري. وقد حملت لفظة "هجادا" هذه المعاني المختلطة ، وعندما ترجمت إلى اللغات الأوروبية اختيرت لها ألفاظ تقترب من هذا المعنى مثل ترجمتها بكلمة LEGEND أو بكلمة MYTH أو TALES . وتؤكد الآيات القرآنية على هذا البعد الحقيقي الواقعي كما يبدو في قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

ويختلف المفهوم القرآني لقصص الأنبياء عن المفاهيم اليهودية " قصص اليهود " أو " قصص العهد القديم " في أن " قصص الأنبياء " يتناول فقط سير الأنبياء عليهم السلام وأعمالهم ودهواتهم ولا يعالج شخصيات غير نبوية بينما يدخل في المفهوم اليهودي لقصص اليهود أو قصص العهد القديم رواية أحداث مرتبطة بشخصيات غير نبوية مثل الكهان والحكام والمنتبين والملوك والحكام والأنبياء الكذبة وغيرهم ممن أصبحوا يمثلون جزءاً من التراث اليهودي. وقد يشتمل هذا القصص أيضاً على حكايات للمتصوفة اليهود ولأهل الفرق والمذاهب اليهودية والفقهاء وعلماء التلمود وغير ذلك. ويتسع المقام هنا لرواية أحداث وقصص مرتبطة بشخصيات غير يهودية من أراضى الشتات التي استمد منها العقل اليهودي معظم مفردات تراثه الأدبي واشتغل كناقل لهذا التراث بعد تهويده . وتؤكد كلمات جنزيرج هذه السمة في التراث اليهودي حين يقول : " لقد كان اليهود أعظم نقلة للفولكلور ، ففي تجوالهم الطويل من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق أحضروا معهم نتاج الخيال الشرقي إلى الأمم الغربية ، ونقلوا إبداعات الخيال الغربي إلى الشعوب الشرقية " (١٦) .

ونرى فارقاً آخر بين المفهوم القرآني والمفاهيم اليهودية في أن مصطلح "قصص اليهود " يتصف بالعمومية حيث ترتبط القصص بأحداث يهودية وبشخصيات يهودية

وبجماعات يهودية. ويكتسب المصطلح هنا دلالة تاريخية عامة لكي يصبح معناه تاريخ اليهود أو تراث اليهود بشكل عام وليس قصص الأنبياء على وجه التحديد ، كما أن قصص العهد القديم مفهوم يشير إلى كل ما ورد في التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات من قصص وروايات عن كل شخصيات العهد القديم على اختلاف طبائع هذه الشخصيات ووظائفها وديورها في تاريخ بني إسرائيل. وهي تتوزع بين شخصيات نبوية وكهنوتية وأبوية وشخصيات ملوك وزعماء وأبطال ومعتبين وقضاة وحكام وحاخامات وشخصيات نسائية مثل دבורا وراعوث واستير .. إلخ. ويميل قصص اليهود وقصص العهد القديم إلى البعد الفولكلوري بالنظر إلى هذه الشخصيات على أنها تمثل أبطال العهد القديم والتاريخ اليهودي عبر العصور والنظر إلى هذا الإنتاج القصصي على أنه يمثل في مجموعته التراث اليهودي الرسمي والشعبي معاً، وهو يشتمل أيضاً على تعليقات كونية مرتبطة بالكون وبالأماكن وبالمخلوقات المختلفة وعلى أساطير تعليلية موروثة من طبقة العهد القديم .

وبالإضافة إلى الاختلاف الدلالي للمصطلحات يختلف المفهوم الإسلامي والقرآني لقصص الأنبياء عن المفاهيم اليهودية في عدة أمور مرتبطة بفلسفة الدين والتاريخ وبالمضامين التي يحتويها قصص الأنبياء في الإسلام .

وداخل إطار فلسفة التوحيد التزهيمية خلا قصص الأنبياء في القرآن وفي التفاسير القرآنية من الرؤية الدينية التجسيدية أو التشبيهية للألوهية في الوقت الذي تأثر فيه قصص العهد القديم وقصص اليهود بالنظرة التشبيهية للتوراة وإسقاط الصفات الإنسانية على الإله ووصفه بالصفات والمشاعر الإنسانية . كما عبر قصص الأنبياء عن الطاعة الإنسانية الكاملة للإرادة الإلهية والخضوع والاستسلام التام لله باعتبار الطاعة جوهر الدين . هذا في الوقت الذي عبر فيه قصص اليهود والعهد القديم عن العلاقة الخاصة بين الإله والشعب والتي ارتفع فيها الشعب إلى مستوى الرب وتعامل معه على أساس من الندية التي عبر عنها العهد بشروطه على طرفي العهد وهما الإله والشعب .

ومن ناحية أخرى أكد قصص الأنبياء في القرآن الكريم على وحدة الأنبياء ووحدة رسالاتهم فهم يكونون سلسلة داخل إطار تاريخ واحد ورسالة واحدة هي رسالة التوحيد . وقد احتوى تاريخ الأنبياء في الإسلام على كل الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن

أو هؤلاء الذين لم يرد ذكرهم . كما ضم تاريخ الأنبياء كل الأنبياء بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم وأقوامهم . أما قصص العهد القديم وقصص اليهود فلا يتحدث إلا عن أنبياء بنى إسرائيل انطلاقاً من مبدأ عدم الاعتراف بالنبوة خارج إسرائيل فلا أنبياء ولا نبوة خارج بنى إسرائيل ولذلك لا يشمل قصص العهد القديم وقصص اليهود أنبياء مثل هود وصالح وعيسى ومحمد عليهم السلام جميعاً لأنهم ليسوا من بنى إسرائيل . ويركز هذا القصص على أبوة الأنبياء وليس على نبوتهم وذلك لربطهم بينى إسرائيل ربطاً عرقياً يقوم على أساس من صلة النسب وليس على أساس من وحدة الرسالة .

كما أكد قصص الأنبياء فى القرآن على عصمة الأنبياء عليهم السلام وحفظ لهم كرامتهم وشخصيتهم النبوية ، وخلصهم من كل الاتهامات التى وجهتها أسفار العهد القديم إلى معظم الأنبياء والتى تراوحت بين الاتهامات بالشرك وبالوقوع فى عبادة الآلهة الأجنبية وفى ارتكاب بعض الأخطاء والآثام والفواحش مثل اتهام لوط عليه السلام بالزنا مع بناته واتهام داود وسليمان عليهما السلام بالزواج من وثنيات والسماح بالعبادة الأجنبية وغير ذلك من الاتهامات . وترد صورة أنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام فى القرآن الكريم نقية خالصة من الشوائب بريئة من كل إثم ، معصومة من الوقوع فى الخطأ حتى تتم من خلالها القوة الأخلاقية والدينية الضرورية واللازمة لهم ككُتّيباء مكلفين بتبليغ رسالات إلهية . وقد أكد قصص الأنبياء فى القرآن على عقلانية رسالات الأنبياء وعلى بعدها عن مجالات الأسطورة والخرافة وذلك من خلال التفرقة بين المعجزات التى تعكس التنفيد الإلهى للأنبياء وتمكنهم فى الوقت نفسه من أداء رسالاتهم وبين الأساطير والخرافات لما يحتويه القرآن من نقد للأسطوري وإعلاء شأن العقل والاعتراف بالمعجزة كثمر فوق العقل وليس ضد العقل ، وكعمل إلهى مؤيد لنبوة الأنبياء وأرسالاتهم .

ولا يخفى على قارئ قصص اليهود غلبة البعد الأسطوري والفولكلورى المشوه للحقائق التى تحتوى عليها رسالات الأنبياء ، وهذا البعد الأسطوري موروث من طبيعة العهد القديم وطبيعة الديانة اليهودية التى استمدت العديد من أساطير العالم القديم من خلال احتكاك اليهود عبر العصور بالتراث الأسطوري لدى شعوب الشرق الأدنى القديم وتأثرهم بهذا التراث الذى ظهر فى صفحات التوراة ممثلاً فى قصص الخلق والطفوان وبرج بابل والحية وجنة عدن وغيرها من المواد الأسطورية .

وفى النهاية نؤكد على الحقائق التالية :

١ - استقلال قصص الأنبياء فى القرآن الكريم عن قصص اليهود وقصص العهد القديم استقلالا تاما من حيث طبيعة هذا القصص ومحتواه وفلسفته ، وهو استقلال مستمد من استقلال القرآن الكريم عن المصادر اليهودية السابقة عليه ، ومن استقلال الإسلام عن اليهودية كدين .

٢ - يمثل قصص الأنبياء فى القرآن الكريم وحيا إلهيا خالصا بينما يمثل قصص اليهود تفسيرا يهوديا متأخرا لمادة التوراة وأسفار العهد القديم فهى من وضع المفسر اليهودي ، وليس لها أصل من الوحي فى زمن تدوينها .

٣ - إن فلسفة قصص الأنبياء فى القرآن تختلف عن رؤية قصص اليهود حيث يندرج قصص الأنبياء داخل إطار خدمة التوحيد ونشر أخلاقياته ، والدفاع عن عالمية الإله الواحد ، ووحدة رسالات الأنبياء ، وعقلانياتها بينما تميل رؤية قصص اليهود إلى إثبات أحداث تاريخ بنى إسرائيل والتأكيد على قومية رسالات الأنبياء فى بنى إسرائيل .

وفى نهاية هذه المقدمة لابد من تقديم شكر واجب إلى الدكتور جمال الرفاعى أستاذ اللغة العبرية والأدب العبرى المساعد بكلية الأكسن جامعة عين شمس لقيامه بهذا المجهود العظيم فى ترجمة هذا العمل المهم إلى اللغة العربية . وسيستفيد من هذا العمل المتخصصون فى عدة مجالات علمية من أهمها مجالات علوم القرآن الكريم وعلوم التفسير والصديق والتاريخ الإسلامى ، وكذلك المتخصصون فى الدراسات اليهودية والمسيحية وفى تاريخ الأنبياء وفى الدراسات الدينية المقارنة بالإضافة إلى المتخصصين فى الأدب الشعبى والمهتمين بدراسة الأساطير والخرافات والقصص .

ولا يفوتنى فى هذا المقام توجيه الشكر إلى المجلس الأعلى للثقافة لقيامه بنشر هذه الترجمة داخل إطار المشروع القومى لترجمة ، وتشجيعه الدائم على ترجمة الأعمال المفيدة فى فهم طبيعة العقلية اليهودية .

أ.د. محمد خليفة حسن

أستاذ الدراسات اليهودية

كلية الآداب - جامعة القاهرة

الهوامش

- The Standard Jewish Encyclopedia. ed. by Cecil Roth. Massadah Pub. Co. (١)
Jerusalem. 1966. P. 43-44.
- Ibid. P. 304-3.5. (٢)
- M. Waxman. A History of Jewish Literature. Vol. IV. Part 2. New York. 1960 (٣)
P. 1122.
- Ibid. P. 1121. (٤)
- Waxman. P. 1122. (٥)
- Louis Ginzberg. Legends of the Bible. The Jewish Publication Society of (٦)
America. Philadelphia. 1956. P. XI.
- Ibid. (٧)
- Ibid. P. XI. (٨)
- Ibid. P. XI. (٩)
- Ibid. P. XII. (١٠)
- Ibid. P. XIII. (١١)
- Ibid. P. XVI. (١٢)
- Ibid. P. XIV. (١٣)
- (١٤) انظر في هذا : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير . مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة ١٩٨٤
- (١٥) انظر مثلاً : عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، دار الفكر ، بيروت .
- Ginzberg. Legends of the Bible. P. XIX (١٦)

مقدمة المؤلف

يُطلق تعبير الأدب الرياني على الأدب اليهودي الذي وُضع في العصور التالية لتدوين العهد القديم ، وقد أطلقه من رأوا أن الفكر اليهودي المنتمى إلى هذه العصور يختلف - إن لم يكن يعارض - بعض الأفكار الواردة في العهد القديم . ويرى البعض أن الأمة اليهودية لم يعد لها وجود في تو اللحظة التي فقدت فيها استقلالها السياسي، وأن الفكر اليهودي في هذه المرحلة أصبح أكثر ارتباطاً بالمعابد التي كان ينطق بلسانها مفكرو اليهود وحاخاماتهم . وتعامل الباحثون مع ما أنتجه الفكر اليهودي في هذه المرحلة من منظور أنه نتاج نظري محض أكثر من كونه تعبيراً عن حياة عملية مليئة بالحياة. وكانت الرؤى الشعرية والبلاغية هي المادة التي استقى منها الباحثون طبيعة المنظومة اللاهوتية للحاخامات ، ولا غرابة في هذا الأمر حيث إن الحكايات الخرافية التي تمثل النتاج العفوي للشعب والتي اكتسبت ثمة قداسة في الأدب اليهودي أصبحت جزءاً من تفسير الحاخامات لنصوص العهد القديم .

وكما ترتبط الأسماء بالشخص فإن الشخص ترتبط أيضاً بالمسميات ، فقد كان الاسم للإنسان البدائي جزءاً من جوهر الشخص أو الشيء. وفي المراحل المتقدمة من الحضارة فإن الأحكام لا تُصاغ دائماً بما يتوافق مع الحقائق بقدر ما يتوافق مع المسميات التي تطلق عليها . ومن هنا فعند النظر إلى مسمى " الأدب الرياني " نجد أن الأجيال توارثت جيلاً بعد جيل صورة مشوهة عن الأدب المدعو بهذا الاسم . وحتى يومنا هذا فلا زال الرأي الشائع في أوساط الباحثين الذين يقدمون على دراسة هذا الأدب يذهب إلى أن الأدب الرياني لا يعدو عن كونه نتاجاً بحثياً خالصاً. غير أن الطابع الشعبي يعد من أكثر السمات المميزة للأدب الرياني .

ومن المنظور اليهودي فليس هناك أي تناقض بين المدرسة والمنزل إذ كان اليهود يدرسون في منازلهم ، ويعيشون في مدارسهم ، فضلاً عن أنه ليست لدارسي التوراة

مكانة متفردة لدى اليهود أى أنهم ليسوا منعزلين عن المشاركة فى شئون الحياة العملية . وحتى فيما يتعلق بمجال الشريعة فلم يكن الحاخامات منشغلين بالأسس النظرية للشريعة التى عملوا على صياغتها واستيعابها بقدر انشغالهم بقضايا حياتهم اليومية . وليس من الممكن قصر القصص الشعبى اليهودى على ما أنتجته الجماعات اليهودية التى عاشت خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين إذ أدخل اليهود فى العصور اللاحقة على هذا القصص الكثير من الإضافات والشروح والتعليقات .

وقد ساد لدى البعض اعتقاد مفاده أن قصص الهجاء لا تحتوى على أى قصص شعبى وإنما تعد نتاجاً أكاديمياً خالصاً ، غير أن النظر فى الكتابات الزائفة التى تعد أقدم من قصص الهجاء بيضة قرون يبين لنا مدى خطأ هذا التصور . وليس من الممكن تاريخياً تصور أن أحد الأدباء استمد مادته من الآخر خاصة أن قيادات اليهود رفضت فى مرحلة مبكرة الاعتراف بالكتابات الزائفة التى كانت من أكثر الأعمال شيوعاً فى أوساط المسيحيين وبعض الطوائف اليهودية ، ومع هذا فإن بعض قيادات اليهود لهذه الكتابات الزائفة لا ينفى وجود ثمة علاقة فيما بينها وبين قصص الهجاء . ويتمثل الفرق الجوهرى بين هذه الأعمال فى أن قصص الهجاء يطفى عليها الطابع التفسيري فى حين أن الكتابات الزائفة يطفى عليها الطابع الأبوى فضلاً عن أنه يشويها قدر كبير من الغموض .

وينطوى مصطلح أدب ما بعد العهد القديم اليهودى على الفولكلور ، والحكايات الخرافية ، والقصص ، وكافة أشكال الحكى ، وتتدخل كل هذه المسميات تحت اسم الهجاء ، هذا المسمى الذى يمكن تفسيره فقط ، ويصعب فى المقابل ترجمته . وإذا كان لا يمكننا حصر كل ما ينطوى تحت هذا المسمى فإن سمات كل التصنيفات التى تدخل تحت مسمى " الهجاء " تتمثل فى تعلقها بالنصوص المقدسة من جهة وفى حملها لطابع القصة من جهة أخرى .

وتمثل هذه الثنائية فى حقيقة الأمر السمات المميزة للقصة اليهودية . وقد أدرك المؤرخ اليهودى يوسيفوس منذ ثمانية عشر قرناً هذا الوضع بقوله : " بالرغم من أننا فقدنا مدناً وكل ما نعمنا به من مزايا فإن شريعتنا لازالت خالدة " . ولم يكن

يوسيفوس يقصد استخدام لفظة الشريعة وإنما كان يقصد استخدام لفظة التوراة غير أنه لم يجد مقابلاً يونانياً لها سوى " شريعة " . وقد عبر أحد منشدي المعابد بعد موت يوسيفوس بألف سنة عن ذات المشاعر بقوله : " لقد انتهكت المدينة المقدسة وسائر المدن التابعة لها ، وترقد جميعها في الدمار ، وقد سُلّبت من جمالها ، وأضحي بهاؤها ظلاماً . ولم يتبق من ثرواتنا سوى التوراة " .

وكان اليهود يشعرون بأهمية الاحتماء بالماضي كلما كانوا يواجهون قدراً أكبر من الصعاب ، وكانت التوراة هي الأمر الوحيد المتبقى من مرحلة الاستقلال القومي ، فكانت هي الوسيلة السحرية التي جعلت الحاضر المرير يتراجع أمام الصور البهية للذاكرة . وقد خُصصت للتوراة مهمة إمتاع العقل والروح والخيال ، فتولد عن هذه المهمة كل من النتاج الشرعى ، والقصى اليهودى .

ولم يخمد الخيال اليهودى أو يتوقف فى الفترة التالية لتدوين العهد القديم غير أنه كان للماضى الدور الرئيسى فى تحديد نشاطه . وبدلاً من أن يجد البشر متعتهم فيما يقع أمامهم من أحداث فقد وجدوا المتعة الحقيقية فى نبع الماضى . ولقد كانت أحداث التاريخ الإسرائيلى القديم لا تُدرس فحسب وإنما كانت تُعاش مرة تلو الأخرى ، ومن هنا تولدت الرغبة فى التعرف عن كُتب على هذا التاريخ . ولقد انصهرت التأملات الدينية فى الطبيعة والتي تجمعت فى أساطير الشعوب ، والحكايات الخرافية التى هدفها الإمتاع ، والقصى الذى يعبر عن حكم الشعب على التاريخ فى بوتقة واحدة . وقد ارتبط الخيال اليهودى بالماضى كما يتجلى فى العهد القديم ، ولهذا اكتسبت كل إبداعات هذا الخيال مظهراً توراتياً . ويمكننا على هذا النحو فهم خصوصية الهجاء .

ويحتفظ التاريخ بالنتاج العفوى للشعب فى شكل شديد الارتباط بمشاعر وأفكار الشعراء أو تأملات الدارسين ، ومن هنا فإن القصص اليهودى لم ينقل إلا نادراً فى صورته الأصلية ، ولم يخلد إلا فى إطار شروح نصوص العهد القديم ، ولم يكن معلمو الهجاء بعلماء فولكلور يمكن أن نتوقع منهم إعادة إنتاج المادة القصصية على نحو أمين وإنما كانوا فى المقام الأول من الوعاظ الذين استخدموا القصص لأغراض تعليمية ، ولقد كان مهمهم الأول منصرفاً نحو إقامة علاقة وثيقة بين النصوص المقدسة

وبين تشكيلات الخيال الشعبي على نحو يضمن البقاء والخلود لما طرحوه من أفكار وتصورات خيالية .

وتمثل إحدى مهام الباحث المعاصر للهجاءا فى الفصل على نحو قاطع بين العناصر الأولى للقصة (الهجاءا) وبين ما لحق عليها من إضافات من قبل الشراح والمفسرين . ومن المؤسف أنه لم يتم البدء فى هذه المهمة غير أنه طالما أن مهمة الفصل هذه لم تتحقق فمن المستحيل تدوين حكايات اليهود التوراتية دون أن تتضمن عملية التدوين هذه نتاج المشتغلين بالخيال الشعبي .

وقمت فى كتاب " قصص اليهود " بالمحاولة الأولى إذ جمعت من المصادر الأصلية كل القصص اليهودية المتعلقة بشخصيات أو أحداث توراتية ، وأعدت تقديمها بأدق صورة ممكنة . وأحرص هنا على استخدام تعبير "يهودى" أكثر من تعبير "ربانى" لأن المصادر التى رجعت إليها ليست كلها ربانية ، وأعززم تقديم وصف تفصيلى لهذه المصادر على نحو مفصل غير أن المعلومات المقدمة ها هنا كافية .

ويعد النتاج التلمودى المدرشى على قدر كبير من الأهمية ، فيغطى هذا الإنتاج الفترة الممتدة من القرن الثانى حتى القرن الرابع عشر الميلادى ، ويتضمن الجزء الأعظم من مواد القصص اليهودى ، وتتشابه تراجم العهد القديم مع هذا النتاج من ناحية المضمون وليس دائماً من ناحية الشكل ، وتعود أقدم هذه التراجم إلى القرن الرابع الميلادى ، وأحدثها إلى القرن العاشر. أما الأدب المدرشى فقد احتفظ به فى شكل متفرق ، فكثير من مصادر القصص اليهودى قد فقدت ، ولا نعرف عنها إلا ما نقله عنها مؤلفو العصور الوسطى ، ومن ثم فقد تم استقاء عدد كبير من القصص الوارد فى هذا العمل من مفسرى اليهود وخطبائهم بالعصور الوسطى. وكنت سعيد الحظ حقاً حينما تسنى لى الاطلاع على بقايا بعض الميراشيم التى لازالت مخطوطة . وتحتوى كتب التصوف اليهودى على استشهادات عديدة من كتب الميراشيم التى فقدت، كما أن الأدب الحسيدى يحتوى على كثير من هذه الاستشهادات ، ومن هنا فإن الاطلاع على الأديين الصوفى والحسيدى يعد على قدر كبير من الأهمية لمن يقدم على دراسة القصص اليهودى .

وعلاوة على هذا فإن مهمة تجميع القصص اليهودي لا تقتصر حدودها على المصادر اليهودية فقط وإنما تشمل المصادر الكنسية أيضاً فقد قبلت الكنيسة بعضاً من الكتابات اليهودية التي لحضتها المعابد، ويعد أدب الأبوكريفا والكتابات الزائفة من أهم مصادر القصص اليهودي . وطالما أن حديثنا هنا مهتم بالقصص اليهودي فيجب أن نتنبه إلى أن أهمية هذه الكتابات الزائفة تفوق بكثير أدب الأبوكريفا ، فلا تتضمن هذه الكتابات النتاج اليوناني ليهود الحضارة الهيلينية فحسب وإنما تتضمن أيضاً ترجمات لاتينية وسريانية وإثيوبية وأرامية وعربية وفارسية لأعمال يهودية هيلينية .

ويستلزم استخدام هذه الكتابات قدراً كبيراً من الحذر خاصة أن معظمها يتضمن الكثير من الأفكار المسيحية ، وتطغى هذه الأفكار في بعض الأحيان على النص للدرجة التي يصعب معها للوهلة الأولى تحديد إذا ما كان القصص الذي تحتويه هذه المادة مسيحياً أم يهودياً . وأعتقد أن القصص التي استخرجتها من هذه الكتابات الزائفة تعد يقيناً يهودية ، ومن ثم فقد تضمنها هذا العمل .

ويعد النتاج الرباني بلا شك أكثر أهمية مما ورد من قصص في هذه الكتابات الزائفة خاصة أن النتاج الرباني يمثل التيار الرئيسي في الفكر اليهودي في حين أن هذه الكتابات الزائفة لا تشغل المكانة ذاتها . ولم يكن رفض اليهود لهذه الكتابات وتقبل الكنيسة لها ناجماً عن الصدفة وإنما كان لهذه المسألة بعد تاريخي فقد نشأت هذه الكتابات في أوساط تلك الدوائر التي أخذت بعدة أسس فكرية عملت المسيحية فيما بعد على تطويرها، ومن ثم فقد اعتمدت الكنيسة هذه الكتابات .

وعند استخدام أسفار الأبوكريفا والكتابات الزائفة فقد استخدمت ترجماتها الإنجليزية بما يتماشى مع النهج العام للكتاب ، ومن هنا فقد سمحت لنفسى التصرف في هذه التراجم بقدر من الحرية . وبالإضافة إلى هذه الأسفار فهناك مصادر يهودية أخرى غير أنها لا تتواجد إلا في المصادر الخاصة بآباء الكنيسة ، ولذلك فقد اعتنيت أيضاً بكتابات الآباء إلى أقصى حد .

ولم يكن من الممكن بسبب غزارة المادة المتاحة تقديم النص الحرفى لكل قصة غير أنه يمكننى زعم الكمال من ناحية المحتوى . وحينما كانت تتناقض بعض نسخ القصص فقد كنت أكتفى بتقديم واحدة فقط مكتفياً بالإشارة إلى سائر الروايات المتناقضة فى الهوامش ، وفى حالات أخرى فقد كنت أكتفى بسرد إحدى القصص فى حين كنت أشير إلى الروايات الشبيهة فى مواضع أخرى بما يتماشى مع الهدف المتمثل فى تقديم سرد سلس للموضوع .

ولم أتردد أيضاً فى تناول بعض الشخصيات فى أكثر من موضع فبعض القصص المتعلقة بـيعقوب لا تظهر فى الفصل الخاص بهذه الشخصية التوراتية وإنما تظهر فى الفصل الخاص بيوسف الذى يظهر فيه يعقوب كشخصية ثانوية .

ونتيجة لغزارة المادة أيضاً فقد تم تقسيم هذا العمل إلى عدة مجلدات ، وسيجد القارئ فى المجلد الأخير بياناً بالمصادر والكثير من الشروح وفهرساً للمواضيع الواردة فى العمل .

لويس جنزيرج

نيويورك ٢٤ مارس ١٩٠٩

الفصل الأول

خلق العالم

فى البدء وقبل خلق السموات والأرض بألفى عام خلقت سبعة أشياء وهى :
التوراة التى كُتبت بنار سوهاء على نار بيضاء - وكانت بين يدى الرب عند الخلق -
والعرش الإلهى المُقام فى السماء الذى أصبح فيما بعد على رؤوس كافة الكائنات ،
والجنة التى كانت على يمين الرب ، والنار التى كانت على يسراه ، والهيكل السماوى
الذى كان أمام الرب مباشرة ، وكانت توجد جوهرة على مذبح الهيكل الذى نقش عليه
اسم المسيح المنتظر، وكان يسرى فى الأصداء صوت " توبوا يا بنى البشر " (١) .

وحيثما عقد الرب النية على خلق العالم تشاور مع التوراة (٢) التى نصحتها قائلة :
" يارب إن من لا يملك جيشاً أو جمعاً من المريدين والمسيحين يمجده لا يستحق لقب
ملك لأنه لا يابّه إليه أحد " وراقت هذه المشورة للرب وإذا أمر كل ملوك الأرض
بالا يقدموا على شيء دون التشاور أولاً مع الآخرين (٣) .

وكانت نصيحة التوراة منطوية على بعض التحفظات إذ تشككت التوراة فى قيمة
وجود عالم أرضى لعلمها بخطايا البشر وأنهم لن يبالوا بتعاليمها غير أن الرب تجاهل
شكوكها وأخبرها أن التوبة خلقت منذ القدم وأنه سيكون للمخطئين فرصة تقويم
سلوكهم، كما أن خدمة الهيكل تكفر عن الذنوب ، وأن الغرض من خلق الجنة والنار هو
الثواب والعقاب وأن الغرض من قدوم المسيح تحقيق الخلاص الذى سيضع نهاية
لكل الذنوب (٤) .

ولم يكن هذا العالم الممكون بالإتسان أول الأشياء الدنيوية التى خلقها الرب إذ
خلق الرب عوالم سابقة لعالمنا غير أنه دمرها لأنه لم يرق له أىُّ منها حتى خلق عالمنا (٥)

ولم يكن مقدراً لعالمنا هذا الدوام والبقاء لو كان الرب قد نفذ خطته الأولى والأصيلة بشأن تطبيق مبدأ العدل فقط في العالم ، فحينما رأى الرب أن تطبيق مبدأ العدل فقط سيقوض أساس العالم فقد ربط الرحمة بالعدل وجعلهما يتحكمان معاً في أمور العالم^(٦) . ومن هنا عم الخير الإلهي كل الأشياء من البداية ، ولولا هذا الخير لما قُدر لأى شيء الوجود والبقاء، ولولا هذا الخير لكانت ألاف مؤلفة من الأرواح الشريرة قد قضت على أجيال كاملة من البشر . وقد أمر الرب من فرط خيره ومحبته ملائكته بمهاجمة عالم الأرواح الشريرة في شهر نيسان من كل عام حتى تتخوف من أن تلحق أذى بالبشر. ولو لم يكن الرب من فرط خيره قد وفر الحماية للضعفاء لكانت الحيوانات المفترسة قد قضت على الحيوانات الأليفة منذ أمد طويل . وفي شهر تموز من كل عام وحينما تصل قوة الحيوانات إلى أوجها فإن الرب يزأر زئيراً مدوياً تسمعه كل الحيوانات فيسرى الرعب في أوصالها طيلة العام وتصبح أفعالها أقل ضراوة وعنفاً، وفي شهر تشرين ومع حلول الخريف فإن طائر " تسيقتس "^(٧) العملاق يصفق بجناحيه ويصرخ بشدة فتتخوف الطيور المفترسة من صقور ونسور من الانقراض على سفار الطيور. ولولا خير الرب ورحمته لكانت كبار الأسماك قضت على الصفار، وفي موسم الشتاء وفي شهر يناير على الأخص فإن البحر يثور على نحو متواصل لأن حيوان اللويثان يتدفق عندئذ في الماء ، ولا يشعر بالارتياح ، وتكبح مياه البحر الهائجة شبيهة الأسماك الكبيرة فتفر الأسماك الصغيرة من ضراوتها .

وأخيراً فإن رحمة الرب تتجلى في حفاظه على شعب إسرائيل الذي لم يكن من الممكن أن يبقى وسط كراهية الأغيار لو لم يكن الرب قد أقام حماة له مثل كيبيري الملائكة "ميفائيل" و "جبريل"^(٨) . وحينما يعصى إسرائيل الرب ، وتتهمه ملائكة الشعوب الأخرى بارتكاب الأعمال الشريرة فلا تتوفر له الحماية إلا من قبل الملائكة المخصصين لحمايته الذين تخشاهم سائر الملائكة . وحينما ترتعد فرائص ملائكة الأمم الأخرى لا تقوى هذه الأمم على القيام بمخططاتها الشريرة ضد إسرائيل .

ولما كان خير الرب يعم الأرض والسماء فقد خُصص لملائكة الدمار مكان قصى بالسموات لا يمكنها أن تتحرك منه قط في الوقت الذي تحيط فيه ملائكة الرحمة بعرش الرب بأمره^(٩) .

الأبجدية

عندما كان الرب على وشك خلق العالم بكلمته هبط الاثنان والعشرون حرفاً^(١٠) من عرش الرب المهيّب الذي كانت الحروف قد نُقِشت عليه بريشة من اللهب. واصطفت الحروف في دائرة بالقرب من الرب ، وحدث كل منها الرب متوسلاً بقوله " اخلق منى العالم " . وكان حرف " التاء " أول من تقدم الحروف قائلاً " فلنكن مشيبتك ولتخلق العالم من خلاى فستهب من خلاى التوراة إلى إسرائيل عن طريق موسى فُكتب بالتوراة " أمرنا موسى بالتوراة " غير أن الرب فى علاه رفض هذا الطلب فسأله الحرف " ولم لا ؟ " فاجاب الرب " لأنى سأجعلك فى الأيام القادمة علامة للموت الذى سيعل على البشر " ، وحينما تنزلت كلمات الرب على الحرف انسحب محبطاً من حضرة الإله .

وتقدم حرف الشين فيما بعد متوسلاً إلى الرب بقوله " رب العالمين اخلق العالم من خلاى خاصة أن اسمك المقدس " شداى " يبدأ بحرف الشين " ومع هذا وللأسف فإن لفظة " شيكر " العبرية التى تعنى الكذب تبدأ بهذا الحرف ، ومن هنا فقد هذا الحرف مصداقيته أمام الرب . ولم يكن حرف " الراء " أفضل حظاً لاسيما أن لفظتى " الشرير " و " الخبيث " فى العبرية تبدأن بهذا الحرف ، ولم تشفع لهذا الحرف أن لفظة " الرحيم " التى هى صفة من صفات الرب تبدأ بهذا الحرف . ورُفُض مطلب حرف " القاف " لأن لفظة اللعنة فى العبرية تبدأ بهذا الحرف ، وكان ثقل هذه اللفظة أقوى من حقيقة أن اسم " قانوش " هو أحد أسماء الرب .

وحاول حرف " الصاد " عبثاً أن يُخلق العالم به لأن لفظة " الصديق " العبرية تبدأ به غير أن لفظة " الصعاب " التى عانى منها شعب إسرائيل شهدت ضده . وسمى حرف " الباء " نيل هذا الشرف لأن لفظة " المخلص " فى العبرية تبدأ به غير أنه سرعان ما خُذِل لأن لفظة الجريمة فى اللغة العبرية تبدأ به . أما حرف " العين " فقد أنبى أنه ليس صالحاً لأنه وبالأرغم من أن لفظة التواضع فى العبرية تبدأ به فإن لفظة الفجور تبدأ أيضاً به .

وتقدم حرف السين ساميخ قائلاً " فلتبدأ يارب الخلق بى لأن اسمك " ساميخ " من اسمى الذى يعنى ممسك الأشياء من السقوط " بيد أن الرب قال " يجب أن تبقى فى مكانك ، وأن تستمر فى حفظ كل شيء من السقوط " (١١) .

واعتمد حرف " النون " فى مطلبه على أن لفظة شمعة فى اللغة العبرية تبدأ به ، وأن هذه اللفظة تعنى " نور الرب " التى هى " روح البشر " ومع هذا لم يستجب الرب لمطلب الحرف لأن " نار الشر " التى سيطفئ الرب لهيبها تبدأ أيضاً بهذا الحرف .

ولم يكن لحرف الميم أية فرصة فى تحقيق مطلبه فبالرغم من أنه أول حرف من لفظة " الملك " التى هى صفة من صفات الرب فإن لفظة " مهوماء " العبرية التى تعنى الاضطراب والحيرة تبدأ أيضاً به . أما حرف اللام فقد نسى أن المبررات التى ساقها كى يبدأ الرب به الخلق تتطوى على ما يكفى لدحض مطلبه فبينما زعم حرف اللام أن ألواح الشريعة السماوية التى تضمنت الوصايا العشر تبدأ بحرف اللام فقد نسى أن موسى حطمها .

وكان حرف " الكاف " متاكداً من انتصاره خاصة أن ألفاظ " العرش " أى عرش الرب ، و " الاحترام " ، و " التاج " فى العبرية تبدأ جميعها به غير أن الرب ذكر أنه سيدمر العرش بيديه لما سيتعرض له شعبه من ويلات. أما حرف " الياء " فقد تراعى للوهلة الأولى أنه الحرف المناسب خاصة أن اسم الرب " يهوه " يبدأ به غير أن تعبير " يتسر راع " فى العبرية الذى يعنى " الرغبة الشريرة " يبدأ أيضاً به . ورغم أن حرف " الطاء " تصور أنه يكفيه فخراً بدء لفظة " طيب " به فإن هذه اللفظة ومدلولاتها لا تتحقق فى هذا العالم بقدر ما تتمحق فى العالم الآخر . ورغم أن حرف " الحاء " تصور أن اسم " الحنون " الذى يعد إحدى صفات الإله يكفيه فخراً فإنه أغفل أن لفظة الخطينة فى العبرية تبدأ أيضاً به . ورأى حرف " الزين " أنه من الممكن أن يبدأ الخلق به لاسيما أن لفظة " الذكر " تبدأ به ولكن لم تتحقق رغبة هذا الحرف لأن لفظة السلاح فى العبرية تبدأ به أيضاً. أما حرفا " الواو " و " الهاء " فنظراً لأنهما جزء من اسم الإله " يهوه " فإنهما أكثر سمواً من أن يتم استخدامهما فى خلق العالم الدنيوى . ولو كان استخدام حرف " الدال " قاصراً على لفظة " دفار " التى تعنى كلمة الرب لكان هذا الحرف قد استخدم فى الخلق غير أن لفظة العدل والمحاسبة تبدأ بالحرف ذاته. ولم يتم أخذ حرف " الجيم " لأن لفظة العقوبة فى العبرية تبدأ به .

ويعد أن تم بحض دعاوى كل الحروف تقدم حرف الباء إلى الرب قائلاً " رب العالمين فلتكن مشيئتك وتخلق العالم بى خاصة أن كل مخلوقات الكون لا تتوقف ألسنتها عن الثناء عليك من خلاى يقولها : " بورك الرب دائماً وأبداً " ، فاستجاب الرب المبارك لطلب حرف الباء بقوله " تبارك من يذكر اسم الرب " ، وخلق العالم من خلال حرف الباء إذ جاء بالفقرة الأولى بالتوراة " فى البدء خلق الرب السموات والأرض " .

أما الحرف الوحيد الذى توارى خجلاً من أن يطرح دعواه أمام الرب فقد كان حرف الألف ، وكافاه الرب لتواضعه، واختار أن تبدأ أولى وصايا التوراة بحرف الألف التى جاء بها " أنا الرب إلهك " (١٣) .

اليوم الأول

صنع الله فى اليوم الأول من الخلق عشرة أشياء (١٣) وهى : السموات والأرض، الخواء والقفر ، الضوء والظلام ، الريح والمياه ، وأوقات النهار (١٤) وأوقات الليل (١٥) . ورغم أن السموات والأرض تتكون من عناصر شديدة التباين فيما بينها (١٦) فقد خلقت كوحدة واحدة مثل الإناء وغطائه (١٧) . وُخلقت السموات من ضياء ثوب الرب، وخلقت الأرض من الثلج الواقع تحت عرش الإله (١٨) . أما الخواء فهو غطاء أخضر يحيط بكل أرجاء العالم وينشر الظلام. أما القفر فيتكون من حجارة جهنم ، وتخرج منه المياه. أما النور الذى خُلق فى البداية فلم يكن كالضوء المنبثق من الشمس والقمر والنجوم الذى سطع فى اليوم الرابع . وكان ضوء اليوم الأول شديد الخصوصية فتأاح للإنسان أن يبصر العالم من أقصاه إلى أثنائه . وسبق هذا الضوء ظهور أجيال الطوفان التى انغمست فى الرذيلة وجيل برج بابل والتى لم تستحق أن تتعم بمثل هذا الضوء الذى أخفاه الله عنهم غير أنه سيظهر بكل بهائه للصديقين فى الآخرة (١٩) .

وُخلقت عدة سموات (٢٠) وهى سبعة فقط (٢١) ولكل منها دور يخصها . وتتمثل وظيفة السماء الأولى التى يراها الإنسان فى حجب الضوء فى أوقات الليل ، ولذا فإنها تختفى كل صباح. أما الكواكب فإنها مثبتة فى السماء الثانية . أما السماء الثالثة

فيوجد بها المن الذي يعد للصديقين . وتتضمن السماء الرابعة الصورة السماوية للقدس والهيكل الذي يحكمه ميخائيل بوصفه الكاهن الأعظم ، والذي يقدم أرواح الصديقين كأضاح . وتقيم الملائكة فى السماء الخامسة ولا تتوقف فيها عن الثناء على الرب غير أنها لا تثنى على الرب إلا فى المساء خاصة أن مهمة شعب إسرائيل تتمثل فى الثناء نهاراً على الرب. أما السماء السادسة فلا تعدو عن كونها بقعة شاسعة يتم فيها تقدير مصائر الأرض وسكانها . وتوجد بالسماء السادسة أيضاً مجموعات متراكمة من الثلوج ، وتوجد بها شرفات من الندى المؤذى وخزائن مليئة بالعواصف وأقبية مليئة بالدخان . وتفصل بوابات من النيران هذه الغرف السماوية التى تخضع لإشراف كبير الملائكة " ميقاترون " . وقد دنست المحتويات المؤذية لهذه الغرف السموات حتى عصر الملك التقي داود الذى دعا الرب فى صلاته لتطهير مكانه من أى شيء يحمل الشر وأنه لا يعقل أن تتواجد مثل هذه الأشياء بالقرب من الرحيم . وانتقلت هذه الأشياء فيما بعد إلى الأرض .

أما السماء السابعة فلا تحتوى إلا على كل ما هو خير وجميل وصادق وعادل ورحيم ، كما تحتوى على خزائن الحياة والسلام والمحبة ، وأرواح الأتقياء ونفوس الأجيال التى لم تولد والندى الذى سيهيم به الرب الموتى يوم البعث . وتحتوى السماء السابعة أيضاً على عرش الرب الذى تحيط به الملائكة ، والحيوانات المقدسة وكبار الملائكة^(٢٢) .

وفى مقابل السموات السبع خلق الرب سبع طبقات من الأرض تفصل كل واحدة منها عن الأخرى خمس طبقات . ويوجد بالطبقة السابعة التى هى أدنى الطبقات كل من الجحيم والخواء والبحر والمياه^(٢٣) ، وهذه الطبقة هى التى تعرف باسم " أرض " . أما الطبقة السادسة^(٢٤) فتعرف باسم " أديم الأرض " وتتجلى فيها عظمة الرب، وتتفصل على هذا النحو نفسه تلك الطبقة عن نظيرتها الخامسة التى تعرف باسم " أرخا " ، وتتضمن هذه الطبقة ، بوابات الموت وجهنم^(٢٥) ، وتتولى ملائكة الدمار فى هذه الطبقة حراسة أرواح الأشرار. وتعقب هذه الطبقة منطقة تحتوى على الجداول والأنهار ومع هذا تعرف باسم خرابة ، وتعقب هذه المنطقة منطقة اليابسة التى تتضمن

رغم اسمها الأنهار والينابيع. أما منطقة " تيفيل " فهي الأرض الثانية ويسكنها ثلاثمائة وخمسة وستون نوعاً من الكائنات الحية^(٢٦) تختلف جميعها عن كائنات الأرض التي نقيم عليها نحن بنو البشر فلبعضها رموس بشرية وجسد أسد أو أفعى أو ثور غير أن لبعضها الآخر أجسام بشر ورموس حيوانات. وتوطن هذه الطبقة أيضاً كائنات بشرية لكل منها رأسان وأربعة أياد وأقدام . وكل أعضائها مزبوجة باستثناء منطقة الخصر^(٢٧) . ويحدث في بعض الأحيان أن هذه الأعضاء المزبوجة تتشاجر مع بعضها البعض خاصة عند تناول الأطعمة والأشربة إذ إن كل عضو يرغب في الحصول على الأفضل والمزيد . ويتسم هذا النوع من البشر بالشفقة على نحو يميزه عن سكان أرضنا .

أما الأرض التي نسكن عليها فتعرف باسم " خيلد " ، ويفصلها عن الطبقة التالية الجحيم والبحر والمياه. وهكذا فإن الأرض ترتفع فوق بعضها طبقة طبقة من الأولى إلى السابعة ، وترتفع السموات فوق الأرض السابعة وترتبط ببعضها البعض من الأولى إلى الأخيرة ، وترتبط السماء الأخيرة بذراع الرب. وتشكل السموات السبع وحدة واحدة ، كما تشغل طبقات الأرض السبع وحدة واحدة ، وتشكل السموات والأرض وحدة كاملة^(٢٨) .

وحينما خلق الرب السموات المعاصرة والأرض المعاصرة فقد تولدت على هذا النحو السموات الجديدة والأرض الجديدة^(٢٩) ، وأنت معها العوالم التي خلقها الرب بمجده والبالغ عددها ستة وتسعين ألف عالم^(٣٠) .

وتستغرق المسافة من الأرض إلى السماء خمسمائة عام ، كما يقطع الإنسان السماء من أدناها إلى أقصاها في خمسمائة عام ، ويستغرق المدة نفسها عند الانتقال من سماء إلى سماء^(٣١) ، ويستغرق المدة نفسها للانتقال من شرقها إلى غربها ومن جنوبها إلى شمالها^(٣٢) . ورغم رحب المعمورة إلا أن ثلثها فقط هو المأهول بالناس . أما الثلثان الآخران فمقسمان بين الماء والصحراء المقفرة .

ويقع الفردوس^(٣٣) بأقسامه السبعة خلف الجانب الشرقي من الأجزاء المأهولة ، ويخصص كل قسم من هذه الأقسام لنوعية معينة من الصديقين. ويقع في الجانب

الغربي المحيط وتتأثر به عدة جزر يقطنها أقوام شتى . وتقع خلف المحيط أوكار لا حصر لها تقطنها الأقاعي ، وأراض تنبت فيها كل المحاصيل والأشجار . وتقع بالشمال الثلوج والدخان والظلام والعواصف ، وتعيش هناك الشياطين والعفاريت وكل الأرواح الغريبة ، وتقيم جميعها في مساحة شاسعة من الأرض لا يمكن قطعها إلا في خمسمائة عام . ويقع في الخلف الجحيم . أما الجنوب فيقع به مستودع من النيران وكهف الدخان وجحيم من العواصف والزوابع^(٣٤) . ومن هنا فتهب من الجنوب الرياح معرضة الأرض للحرارة والجفاف . ولولا الملك " بن نيتس " لكانت الأرض قد تعرضت إلى الهلاك إذ يحى هذا الملك الرحيم بأجنحته الأرض من الهلاك^(٣٥) . وعلاوة على هذا تقلل الرياح الشمالية من حدة رياح الجنوب ، وتهدأ من سطوة كل الرياح^(٣٦) .

وتعانق السموات والأرض من كل جهات الشرق والغرب والجنوب غير أن الرب لم يكمل جهة الشمال حتى يعرف كل من ينصب نفسه إلهاً زاعماً أنه مكمل للنقص الإلهي أنه ليس إلا مدعي^(٣٧) .

وقد تم البدء في تشييد الأرض من الوسط بوضع حجر الأساس للهيكل^(٣٨) ، ولا غرابة في هذا لأن فلسطين تقع وسط المعمورة ، كما أن القدس تقع وسط فلسطين ، ويقع الهيكل في وسط المدينة المقدسة ، ويقع تابوت العهد وسط الهيكل المشيد على حجر الأساس الذي يقع وسط الأرض^(٣٩) . وصدر فيما بعد أول شعاع من الضوء على الأرض المقدسة لكي تشرق على كل العالم^(٤٠) . ولم يكن من الممكن أن يتم خلق العالم إلا بعد أن طرد الرب حاكم الظلام^(٤١) بقوله " كففاك حكما لأني أبتغي خلق العالم بالضياء " . ويعد أن تم تشكيل الضوء ظهر الظلام ، فساد الضوء السماء ، وساد الظلام الأرض^(٤٢) .

ولم تتجل قوة الرب في خلق عالم الأشياء فحسب وإنما في خلقه لحدود كل شيء ، فحينما تمددت السموات والأرض طولاً وعرضاً رغبة في أن يكونا لا متناهيين فقد تدخلت كلمة الرب لوقف امتدادهما^(٤٣) .

اليوم الثانى

وَأَتَمَّ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي خَلْقَ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ وَهِيَ : جِلْدُ السَّمَاءِ ، وَالْجَحِيمَ وَالنَّارَ وَالْمَلَائِكَةَ^(٤٤) . ويختلف هذا الجلد عن سموات اليوم الأول فهي من البلور المتمدد فوق رؤوس الأحياء ، وتستمد السموات منها ضياعها كما تستمد الأرض نورها من الشمس. ويحمي هذا البلور الأرض من أن تجرفها مياه السماء ، كما يشكل الحد الفاصل بين مياه السموات والأرض^(٤٥) . وقد أصبح جلد السماء بلوريا بفضل النار السماوية التي كثفت سطح هذه القبة ، وفصلت النار على هذا النحو بين ما هو سماوى وما هو أرضى وقت الخلق أى مثلما فطنت عند تلقى موسى الوحي على جبل سيناء^(٤٦) . ولا يتعدى سمك هذا البلور ثلاثة أصابع مجتمعة^(٤٧) غير أنها تفصل عالين شديدي الثقل وهما عالم المياه السفلى التي تشكل أساس العالم السفلى وعالم المياه العلوى الذى تقوم عليه السموات السبع ، والعرش ومسكن الملائكة^(٤٨) .

وكان فصل المياه إلى جزئين علوى وسفلى هو فعل الفصل الوحيد الذى قام به الرب عند خلق العالم^(٤٩) إذ كانت باقى أفعاله لا تفرق بقدر ما كانت تجمع ، وقد أسفر هذا الفعل الإلهي عن ظهور بعض الصعاب فحينما أصدر الرب أمره قائلاً " فلتجتمع المياه فى موضع المياه وتظهر اليابسة " فقد رفضت بعض المياه الانصياع للأمر الإلهي بل وعانقت بعضها البعض بشدة . واستشاط الرب غضباً من المياه فقرّر إعادة الخلق إلى صورته الفوضوية الأولى واستدعى ملاك الدمار وأمره بتدمير العالم فاتسعت حدة الملاك ، وخرجت من عينيه نيران حامية وسحب كثيفة وصرخ فى المياه قائلاً : " إن الرب هو الذى سيشق مياه البحر الأحمر " ، فانصاعت المياه إلى أمر الرب. وكانت كل الأشياء عرضة آنذاك للدمار ، وتردد فى الكون آنذاك صوت ترائيم منشد قائلاً : " رب العالمين لن تتوقف مخلوقاتك عن الثناء عليك ، وستباركك وتمجدك دون حد . وستصطفى إبراهيم على الجميع ، وستسمى أحد أبنائه " ابنى البكر " ، وسيلتزم نسله بمملكتك وستمنحهم شرف حمل التوراة ، وحينما تخبرهم قائلاً : " أنا ربكم " سيجيبونك " سماعاً وطاعةً " . أتوصل إليك رب العالمين ألا تقنى العالم فإذا دمرته من سينفذ مشييتك ؟ "

وهدأت الأنشودة من غضب الرب فتراجع عن قرار إبادة العالم ، وقرر أن تستقر المياه تحت الجبال إلى الأبد^(٥٠) . ولم يكن احتجاج المياه السفلى على الانقسام والانفصال^(٥١) هو المبرر الوحيد لثورتها خاصة أن المياه كانت أول من قدم الثناء إلى الرب . وبينما تقرر أن تنقسم المياه إلى جزئين علوى وسفلى ، فقد ابتهج الشق العلوى قائلاً : " ما أسعدنا لوجودنا بالقرب من خالقنا وعرشه المقدس " . واندفعت المياه إلى أعلى من فرط فرحتها وأنشدت أغنية للثناء على خالق العالم . أما الشق السفلى من المياه فقد عمه الأسى والحزن فقالت مياه هذا الشق في رثاء حالها : " ما أتعسنا بعد أن وجد الرب أننا لا نستحق الوجود في الحضرة الإلهية وأننا لا نستحق مشاركة مياه الجزء الأعلى نشوة المديح " . وحاولت مياه الجزء السفلى العصيان والصعود إلى أعلى غير أن الرب صدها ووضعها تحت الأرض^(٥٢) ومع هذا فقد أثابها الله لإخلاصها وولائها فاشتراط على الشق العلوى من المياه الحصول على موافقة الشق السفلى قبل تسبيح الرب^(٥٣) .

وكان يوم الخلق الثاني يوماً شاقاً صعب المراس من عدة وجوه ، إذ شهد هذا اليوم انفصال المخلوقات عن بعضها البعض في حين أن اليوم الأول كان يتسم بوحدة كل الخلق ، وعلاوة على هذا ، شهد اليوم الثاني من الخلق خلق الجحيم . ومن هنا لم يكن من الممكن أن يقول الرب في هذا اليوم كما قال في سائر الأيام "رأى أنه حسن" ، فلم يكن الجحيم يستحق بالتأكيد صفة الحسن^(٥٤) .

ويتكون الجحيم^(٥٥) من سبعة أقسام^(٥٦) يقع كل واحد منها تحت الآخر ، ومسمياتها هي " شيلول " و" أبادون " و" بشير شحط " و" تيت هاياون " و" شعري هامافيت " و" شعر تسيلمافيت " (بوابات الظلمة) و" جييهيناه " (جهنم) . ويتطلب قطع طول أو عرض أو عمق كل شق منها ثلاثمائة عام . ويحتاج المرء إلى ستة آلاف وثلاثمائة سنة^(٥٧) حتى يقطع مساحة من الأرض موازية لمساحة هذه الأقسام السبعة^(٥٨) .

وينطوى كل قسم من هذه الأقسام على سبعة أجزاء ، وتوجد بكل جزء سبعة أنهار من النار وسبعة من البرد ، ويبلغ عرض كل نهر ألف ذراع وعمق كل نهر ألف ذراع ، ويبلغ طوله ثلاثمائة ذراع . وينبع كل نهر من الآخر ، وتخضع جميعها لإشراف

تسعة آلاف ملاك من ملائكة الدمار، ويوجد في كل قسم أيضاً سبعة آلاف كهف يوجد في كل منها سبعة آلاف شق يوجد بكل منها سبعة آلاف عقرب لكل منها ثلاثمائة ذيل يوجد بكل منها سبعة آلاف جيب من السموم تتدفق منها سبعة أنهار من السموم . وإذا لامس الإنسان أياً منها يتمزق جسده في الحال ، وتقطع أطرافه وتتمزق أحشائه إرباً ويشعر بالخزي^(٥٩) . وتوجد بالجحيم خمسة أنواع من النار يقوم أحدها بالالتهام والإفناء، والآخر بالالتهام بدون إفناء . أما النوع الثالث فيغني بدون التهام . وهناك نار أخرى لا تلتهم ولا تفتي ، كما أن هناك ناراً تلتهم النيران . وتوجد بالجحيم كميات ضخمة من الفحم تشبه في منظرها الجبال ، وبعضها يشبه التلال. ويغطي بعضها مساحة شاسعة مثل البحر الميت. وتوجد أنهار من الزيت والكبريت تتدفق وتغلي مثل الفحم^(٦٠) .

أما ثالث الأشياء التي خلقت في ثاني أيام الخلق فقد كانت الملائكة المضيفين المكلفين والمسيحين للرب. وقد تأخر خلق الملائكة إلى اليوم الثاني بدلاً من اليوم الأول خشية أن يعتقد البشر أن الملائكة ساعدت الرب في خلق السموات والأرض^(٦١) .

وفيما يتعلق بالملائكة التي خلقت من النار فإن شكلها شكل النار^(٦٢) طالما أنها في السماء غير أنها تأخذ شكل الرياح أو البشر^(٦٣) عند هبوطها إلى الأرض لتنفيذ مشيئة وأوامر الرب. وتنقسم الملائكة إلى عشر درجات أو طبقات^(٦٤) ، وأرفعها مكانة تلك التي تحيط بالعرش الإلهي من كافة جوانبه من اليمين واليسار أو من الأمام والخلف. وتخضع هذه الملائكة لقيادة رؤساء الملائكة : ميخائيل وجبريل وأورئيل ورفائيل^(٦٥) .

وتسبح كل كائنات السماء الرب بقولها : " قدوس قدوس قدوس رب الملائكة " ، غير أن البشر يسبقون الملائكة في التسبيح ، فلا تبدأ الملائكة في التسبيح إلا بعد أن ينتهي البشر من تسبيحهم للرب^(٦٦) . ولشعب إسرائيل مكانة خاصة لدى الملائكة. وحينما تحيط الملائكة بالعرش متخذة شكل جبال من نار محاولة رفع صلواتها إلى الرب فإنه يسكتها بقوله : " صمتاً حتى أنتهي من سماع أناشيد وألحان وترانيم إسرائيل " . ومن هنا فإن الملائكة لا ترفع تسابيحها حتى تخفت أصوات تسابيح إسرائيل بالأرض ، ولتبدأ الملائكة عندئذ في التسبيح بصوت عالٍ " قدوس قدوس قدوس رب الجيوش " .

وحيثما تدنو ساعة تمجيد الملائكة للرب ، يقترب الملك " شمينيل " إلى نوافذ^(٦٧) أدنى سماء ليصفى إلى الأناشيد والصلوات والترانيم الصاعدة إلى السماء من المعابد وبور التعليم الدينى ، وحيثما ينهى من على الأرض تسابيحهم يخبر هذا الملك ملائكة كافة السماوات بالانتهاء من التسابيح. وتبدأ الملائكة المعاونة المكلفة بالاتصال بعالم ما تحت القمر^(٦٨) فى التوجه إلى غرفها لأخذ حمام التطهر. وتقطس الملائكة سبع مرات فى تيار من النار واللهيب ، ويتطهرون ثلاثمائة وخمسة وستين مرة من أى دنس يكون قد لحق بأجسادها^(٦٩) . ويشعرون عندئذ فقط بأنهم صالحون لصعود السلم النارى والحقاق بركب ملائكة السماء السابعة المحيط بعرش الرب. وتقف الملائكة المزينة بملايين التيجان والثياب النارية على نحو منظم ، وتتشد جميعها بصوت شجى التسابيح للرب^(٧٠) .

اليوم الثالث

وكانت الأرض حتى ذلك الحين خالية ، وكانت المياه تغمرها تماماً ، وحيثما ذكر الرب " لتجتمع المياه معاً " فقد ظهرت الجبال والتلال^(٧١) ، وتجمعت المياه فى أبار عميقة. غير أن المياه كانت من أكثر الأشياء تمرداً إذ رفضت الانصياع لأمر الإله بأن تشمل مكانة بنيا ، وهددت بغمر الأرض غير أن الرب أجبرها على العودة إلى البحر وأحاطه بالرمال. وكلما حاولت المياه تجاوز حدودها فإنها تصطدم بالرمال وتعود إلى ماكانت عليه^(٧٢) .

وكانت المياه قد حاكت فى تمردها ملاك البحر " رحاب " الذى كان قد تمرد على خلق العالم ، وكان الرب قد أمر هذا الملك باستيعاب المياه غير أنه رفض الانصياع للأمر الإلهى قائلاً : " لى ما يكفينى من المياه " . وكان الموت هو العقوبة الوحيدة التى حلت بالملك الذى يرقد جسده حالياً فى البحر الذى يبعث حتى الآن بروائح كريهة تنبعث من جسده^(٧٣) .

وكان من أهم ما خلق فى اليوم الثالث عالم النباتات الأرضى منها أو تلك التى فى الفردوس. وكانت أشجار الأرض فى لبنان وياقى الأشجار الضخمة من أوائل الأشجار

التي خلقت. ولم تصل هذه الأشجار إلى هذا الارتفاع إلا لافتخارها بأنها كانت من أوائل الأشياء التي خلقت. وعندئذ قال الله " إني أبغض الفطوسة والغرور لأنى صاحب السمو ولا أحد سواى " ، فخلق الرب فيما بعد وفى اليوم نفسه الحديد الذى تُقطع به الأشجار، ولذا بكى الأشجار فسألها الرب عن سبب بكائها فقالت " إننا ننتحب لأنك خلقت الحديد لاقتلاعنا ، وقد تصورنا أننا من أسمى المخلوقات غير أنك سرعان ما خلقت الحديد " فأجاب الرب " إنكم ستزودون الفأس باليد ، ولن يفعل الحديد شيئاً بدونكم (٧٤) .

ولم يلق سوى الشجر الأمر الإلهى بتكاثر البذور ، غير أن سائر أنواع العشب تفكرت قائلة لو لم يكن الرب يبتقى خلق أنواع مختلفة وفقاً للطبقات لما أمر الأشجار بحمل الثمار وما بها من بذور خاصة أن الأشجار تنقسم من تلقاء نفسها إلى أنواع مختلفة . ومن هنا فقد استمر العشب فى الإثمار. وهنا قال الرب " فليستمر مجد الرب إلى الأبد ، وليبتهج الرب بهنائه (٧٥) .

وكانت الجنة من أهم الأشياء التى خلقت فى اليوم الثالث ، وتشكل بوابتان من العقيق الأحمر مدخل الجنة (٧٦) يشرف عليها ستون ألف ملاك ، ويسطع كل ملاك من هذه الملائكة ببريق السموات . وبينما يقف الإنسان التقي أمام هذه البوابات تطلع عنه الأكفان التى دثر بها عند وفاته ، وتضمه الملائكة فى سبعة ثياب من غمام المجد ، وتضع على رأسه تاجين أحدهما من الأحجار الكريمة والمجوهرات والآخر من الذهب (٧٧) ، وتضع ثمانية أغصان من نبات الأس المعطر فى يده ، وتثنى عليه بقولها " سر على دربك وتناول خبزك بسعادة " . وتقوده إلى مكان ملىء بالأنهار وتحيطه بشمانانة نوع من الورد ونبات العطر . . . ، ويحمل كل تقي يدخل الجنة مظلة (٧٨) حسب مكانته تتدفق من تحتها أربعة أنهار يفيض أحدها باللبن والآخر بالبلسم والثالث بالنبيذ والرابع بالعسل. وتكسو كل مظلة كرمة من الذهب تتدلى منها ثلاثون جوهرة يسطع كل منها كنجمة الزهرة. وتقع تحت كل مظلة مائدة من الأحجار الكريمة والمجوهرات. ويقف ستون ملاكاً بجوار كل رجل بالجنة قائلين : " اذهب وتناول بسعادة العسل لأنك شغلت ذاتك خلال حياتك بالتوراة ، وإنها لأشهى من العسل ، واحتس النبيذ المحفوظ فى العنب منذ الخلق (٧٩) لأنك انشغلت بالتوراة التى مثل النبيذ " .

ويبدو الصديقون في أجمل وأبهى صورة مثل يوسف ، ويعيشون كحبات الفضة عند تساقط أشعة الشمس عليها^(٨٠) . وفي الجنة لا وجود للضوء لأن ضوء الصديقين يشع في كل اتجاه .

ويمر الجميع في الجنة بعدة تحولات كل يوم ، يعيشون من خلالها أربع حالات، فيتحول الصديق في الحالة الأولى إلى طفل ويدخل في زمرة الأطفال لينعم بلذة الطفولة ثم ينتقل إلى مرحلة الشباب ويدخل في زمرةهم وينعم بما ينعمون به . وينتقل منها إلى مرحلة البلوغ ويدخل زمرة الرجال وينعم بمباهج الرجولة . أما المرحلة الأخيرة فيدخل فيها في مرحلة الشيخوخة وينضم فيها إلى الشيوخ ، وينعم فيها بما لهذه المرحلة من متعة .

ويوجد في كل زاوية من زوايا الجنة ثمانون ألف شجرة أدناها مرتبة أرفع منزلة من كل أشجار الطيب ، ويوجد بكل زاوية أيضاً ستون ألف ملاك ينشدون جميعهم أعذب الألفان ، وتقع بوسط الجنة شجرة الحياة التي تغطي ظلها كل الجنة^(٨١) ، وهذه الشجرة خمسة عشر ألف مذاق يختلف كل منها عن الآخر ، كما أن روائحها تتباين كل منها عن الأخرى، وتعاقد هذه الشجرة سحب المجد السبع ، وتهب الريح عليها من أركان الأرض الأربعة ، فتغطي رائحتها العالم من أقصاه إلى أدناه^(٨٢) . ويجلس تحت ظلها مفسرو التوراة الذين تظل كل مناهجهم مظلتان إحداهما من النجوم والأخرى من الشمس والقمر ، ويفصل بينهما غطاء من سحب المجد^(٨٣) . وتقع خلف الجنة عدن التي تحتوي على ثلاثمائة وعشرة عوالم^(٨٤) وسبعة أقسام لسبع طبقات متباينة من الصديقين ، ويقع بالقسم الأول الشهداء الذين لقوا حتفهم مثل الحاخام عقيفا ورفاق^(٨٥)، ويقع بالقسم الثاني من لقوا حتفهم غرقاً^(٨٦) وبالثالث^(٨٧) الحاخام يوهنان بن زكاي ، وبالرابع من نقلوا عبر سحب المجد^(٨٨) . ويقع بالقسم الخامس التوابون الذين يشغلون مكانة بالغة السمو لا يستطيع أكثر الصديقين نيلها ، وبالقسم السادس الشباب^(٨٩) الذين لم يقتربوا ذنباً طيلة حياتهم، ويقطن القسم السابع الزهاد الذين كرسوا حياتهم لدراسة التوراة والشريعة والذين حرصوا طيلة حياتهم على الالتزام بقواعد وأصول اللياقة. ويتخذ الرب مجاسه وسط هؤلاء ، ويفسر لهم التوراة^(٩٠) .

ويبلغ عرض كل قسم من أقسام الجنة اثني عشر ألف ميل ، كما يبلغ طول كل قسم اثني عشر ألف ميل ، ويقع في القسم الأول المهتدون الذين اعتنقوا الديانة اليهودية طواعية دون أى قسر، وجدران هذا القسم مصنوعة من الزجاج وخشب الأرز، ويشرف على هذا القسم النبي " عوفديا " (٩١) الذى اهتدى هو نفسه إلى اليهودية . أما القسم الثانى فمشيد من الفضة وخشب الأرز ، ويسكنه من تابوا عن الآثام والخطايا ، ويقف في طليعتهم التائب " منشى بن حزقيا " . والجزء الثالث مشيد من الفضة والذهب ويسكنه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبني إسرائيل الذين خرجوا من مصر ، وأبناء كل الجيل الذين عاشوا في الصحراء (٩٢) ، ويقع في هذا القسم أيضاً داود مع كل أبنائه (٩٣) . باستثناء " أبشالوم " ، ولازال " شيلاب " حيا . ويوجد به أيضاً كل ملوك يهوذا باستثناء " منشى بن حزقيا " الذى يشرف في الجزء الثانى على التائبين .

ويرأس موسى وهارون هذا القسم الذى توجد به أوان شديدة الجمال من الذهب والفضة والمجوهرات ، والمظال ، والسرائر ، والعروش وقناديل من الذهب والأحجار الكريمة ، ويوجد بهذا القسم أربع ما في الجنة (٩٤) .

والقسم الرابع مشيد من الياقوت (٩٥) كما أن مواده الداخلية مشيدة من أخشاب الزيتون ، ويقع بهذا القسم الراسخون في الإيمان ، ومواد هذا الجزء من خشب الزيتون لمرارته الشبيهة بالمرارة التى صادفوها في حياتهم للحفاظ على إيمانهم . والقسم الخامس مشيد من الفضة والذهب (٩٦) ومن أنقى أنواع الذهب والزجاج ، ويتدفق من وسط هذا القسم نهر " جيحون " ، ومواد الجدران الداخلية لهذا القسم من الفضة والذهب ، وتنفوح في هذا القسم رائحة عطر أكثر جمالاً وإثارة من عطر لبنان، أما أغلبية سرائر الفضة والذهب فالوانها أرجوانية وزرقاء كانت حواء قد نسجتها ، ومصنوعة من شعر الفم ، وكانت الملائكة قد نسجته . ويقع المسيح في هذا القسم على محفة مصنوعة من خشب لبنان ، وأعمدة المحفة من الفضة وقاعدتها من الذهب والمقعد من الأرجوان، ويقع معه النبي إيليا الذى يضع رأس المسيح على صدره ويخبره " اهدأ لاقترب النهاية " . ومع حلول أيام الاثنين والخميس والسبت والعطلات يتوجه الآباء إليه في صحبة أبناء يعقوب الاثني عشر ، وموسى وهارون وداود وسليمان وكل ملوك إسرائيل ويهوذا ، ويشاركونه البكاء ويواسونه بقولهم " اهدأ وضع ثقتك في

خالقك لأن النهاية اقتربت . ويأتى كوراح ورفاقه ودانان وأفيرام وأبشالوم إليه كل أربعاء ويسألونه " كم ستستغرق الفترة السابقة على النهاية المليئة بالمعجزات ؟ ومتى ستعيد إلينا الحياة ، ومتى ستجعلنا ننهض من عمق الأرض ؟ " فيجيبهم المسيح بقوله " اذهبوا إلى آبائكم واسألوهم " . وعند سماعهم لهذه الإجابة يشعرون بالخجل ولا يسألون آباءهم .

ويسكن فى القسم السادس أولئك الذين توفوا خلال أدايتهم لأعمال طيبة ، ويسكن القسم السابع أولئك الذين ماتوا من المرض الذى حل بهم للتكفير عن خطايا إسرائيل (١٧) .

اليوم الرابع

وتم خلال اليوم الرابع خلق الشمس والقمر والنجوم، ولم تُخلق هذه الأجرام السماوية فى هذا اليوم بل خُلقت فى اليوم الأول غير أن أماكنها أُحدثت فى السماء فى اليوم الرابع (١٨) . وتمتعت الشمس والقمر فى البدء بالقمر نفسه من القوة والتميز (١٩) . وقد تحدث القمر إلى الرب متسائلاً: " يارب العالمين لماذا خلقت العالم بحرف الباء الذى يرمز فى حساب الجمل إلى الرقم اثنين ؟ " فأنجاب الرب : " حتى تعرف كائناتى أنه يوجد عالمان " ، فعاود القمر تساؤله " أى العالمين أكبر هذا العالم أم العالم الآخر ؟ " فأنجاب الرب " إن العالم الآخر أكبر " فأنجاب القمر " يارب لقد خلقت عالمتين أحدهما أكبر والآخر أصغر ، فخلقت السموات والأرض والسموات تفوق الأرض حجماً ، وخلقت النيران والمياه غير أن المياه أقوى من النار فبمقدورها إطفاء النار، كما خلقت الشمس والقمر ومن الواضح أن أحدهما سيكون أكبر من الآخر " فحدث الرب القمر قائلاً: " أعلم جيداً أنك كنت تبتغى أن أجعلك أكبر من الشمس ، ولكنى سأعاقبك بأننى سأجعلك تحتفظ بسدس خيراتك فقط " فتوسل القمر إلى الرب قائلاً: " هل سأعاقب بشدة لأنى نطقت كلمة واحدة فقط ؟ " فرق الرب ولان قائلاً: " فى العالم الآخر سأجعلك تسترد ضوءك فيصبح ضوءك كضوء الشمس " ، ومع هذا لم يشعر القمر بالرضا فقال " وكيف سيكون ضوء الشمس فى العالم الآخر ؟ " فعاود الغضب الرب

فقال "لماذا تتأمر ضد الشمس وتعلم أن ضوء الشمس في العالم الآخر سيكون سبعة أضعاف ضوءك الحالي" (١٠٠) .

وتسير الشمس في مسارها كالعريس ، فتجلس على العرش ، وكأن إكليلاً من الزهور يزين رأسها (١٠١)، ويرافقها في رحلتها اليومية تسعة وتسعون ملاكاً . ويرافقها في كل ساعة ثمانية ملائكة في كل ساعة يجلس اثنان على يمينها واثنان آخران على يسارها واثنان أمامها واثنان خلفها . ولقوة الشمس فيمكنها قطع رحلتها من الجنوب إلى الشمال في لحظة غير أن ثلاثمائة وخمسة وستين ملاكاً يقيدونها بوسائل أشبه بالحديد . ويخفف كل يوم ملاك من قبضته وهكذا فإن الشمس تتم مسارها في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً . ولا يعدو تقدم الشمس في مدارها سوى ترنيمة متصلة من الثناء على الرب ، ولا تصبح حركتها ممكنة إلا بفضل هذه الترنيمة وحين أراد يوشع أن يأمر الشمس بالوقوف في مكانها فقد تعين عليه أن يأمرها بالتزام الصمت والتوقف عن الترنيم (١٠٢) .

وللشمس وجهان أحدهما من النار وموجه صوب الأرض والآخر من البرد وموجه صوب السماء ، والفرض منه التقليل من حرارة الوجه الآخر وإلا لكانت الأرض أمسكتها النيران . وفي الشتاء توجه الشمس وجهها الناري صوب أعلى ، وهكذا يحل البرد (١٠٣) . وحينما تهبط الشمس في الغرب في المساء فإنها تغطس في المحيط وتستحم به وتنطفئ نارها ، ولهذا فهي لاتشع ضوءاً أو دفئاً خلال المساء ، وحينما تصل الشمس إلى الشرق في الصباح فإنها تفتسل بتيار من اللهب يمنحها الدفء والنور فتلقيهما الشمس على الأرض ، وعلى النحو نفسه فإن القمر والنجوم تستحم في تيار من البرد قبل أن يبدأ في خدمة الليل (١٠٤) .

وحينما تستعد الشمس والقمر للبدء في مهامهما فإنهما يقفان أمام الرب ويرجوانه إعفاءهما من مهامهما حتى لا يشاهدا خطايا البشر ، ولا يقومان بمهامهما اليومية إلا قسراً . وعند خروجهما من حضرة الرب يعميهما ضوء السموات ولا يستطيعان العثور على طريقهما فيرسل إليهما الرب سهماً من نور تهديهما في الطريق . ويسبب خطايا البشر التي تضطر الشمس إلى رؤيتها خلال سيرها فإن الشمس تنه وتضعف مع اقتراب موعد مغيبها فلخطايا آثار موهنة ، وتسقط من الأفق كرة من الدم لأن الدم علامة على الفساد (١٠٥) .

وحيثما تنهض الشمس في الصباح لتبدأ دورتها فإن أجنحتها تلامس أوراق شجر الجنة ، فتتواصل عبر هذا الاتصال باللائكة ، ويسائر النباتات ، وبأشجار ونباتات الأرض ويكل كائنات الأرض والسماء ، وعند رؤية الشمس يرنو الجميع ببصرهم إليها فيشاهدون اسم الإله المنقوش عليها ، ويرفعون أصواتهم مسبحين الله ، ويتردد في اللحظة ذاتها صوت سماوي بقوله " ويلى على بنى البشر الذين لا يتفكرون في مجد الرب مثل سائر الكائنات التي ترتفع أصواتها الآن لتمجده " (١٠٦) .

ولا يسمع البشر بطبيعة الحال هذه الكلمات خاصة أنهم لا يشعرون باصطدام الشمس بالدائرة المعلقة عليها كل الأجرام السماوية هذا على الرغم من أن صوت هذا الاصطدام صاخب (١٠٧) . وينتج الاحتكاك بين الشمس وهذه الدائرة تلك الذرات التي تتراقص بالقرب من أشعة الشمس. وتحمل هذه الذرات الشفاء للمرضى (١٠٨) وهي الشيء الوحيد الذي يهب الصحة في اليوم الرابع (١٠٩) .

وحيثما عاقب الرب القمر الفيور بالتقليل من ضوءه وبهائه توقف عن أن يكون مناظراً للشمس كما كان في الأصل (١١٠) وسقط القمر (١١١) ، وسقطت أشياء ضئيلة للغاية من جسده وهي النجوم (١١٢) .

اليوم الخامس

وأخذ الرب النار (١١٣) والمياه في يوم الخلق الخامس ، وصنع من هذين العنصرين أسماك البحر (١١٤) . ويفوق عدد حيوانات البحر نظيره في البر لأن لكل نوع من حيوانات البر نظائر في البحر باستثناء حيوان " ابن العرس " ، كما أن عدداً كبيراً من الحيوانات لا يقيم إلا في البحر (١١٥) .

ويسيطر " اللويثان " على كافة حيوانات البحر (١١٦) وقد خلق مثل سائر أسماك البحر في اليوم الخامس (١١٧) . وخلق الرب الذكر والأنثى من هذا الحيوان ، وحيثما اتضح أن وجود زوجين من هذا النوع قد يفنى الأرض ببأس شديد قتل الرب الأنثى (١١٨) . واللويثان ضخم للغاية إلى درجة يتعذر معها إطفاء ظمئه إلا بشربه لكل مياه نهر الأردن التي تصب في البحر (١١٩) ، ويتكون طعامه من الأسماك التي تعبر

أمام فكيه^(١٢٠) وحينما يشتد به الجوع يخرج زفيراً ساخناً من خياشيمه فيزيد حرارة البحر العظيم. كما أن فرس البحر العظيم المخيف لا يشعر بالطمأنينة إلا بعد أن يتأكد من أن اللويثان هذا الحيوان البحرى الضخم قد روى ظمأه^(١٢١). ولا تسيطر عليه سوى سمكة " أبو شوكة " الصغيرة ، التى خلقت لهذا الغرض والتى يشعر الحوت بالرعب منها^(١٢٢).

وليس اللويثان بالحيوان الضخم فقط بل هو بديع المنظر أيضاً حيث تشع زعانفه بريقاً يتوارى ضوء الشمس منه خجلاً^(١٢٣) كما أن عينيه تلمعان بشدة ، فتترك بقعاً ضوئية على سطح البحر^(١٢٤) ولا غرابة إذاً فى أن هذا الحيوان هو اللعبة التى تشجى الرب وقت فراغه^(١٢٥).

ورائحة اللويثان الكريهة هى الشيء الوحيد الذى يجعل منه حيواناً منفراً ، وهى رائحة شديدة القوة لو تسالت إلى الجنة لتحوط إلى مكان لا تطاق السكنى فيه.

ولم يُخلق اللويثان إلا ليكون طعاماً شهياً للصيدين فى العالم الآخر ، وقد وضعت أنثى هذا الحيوان بعد أن تم قتلها مباشرة فى ماء مالح لعمائيتها من فعل الزمن^(١٢٦) ، أما ذكر هذا الحيوان فوظيفته أن يكون متعةً للناظرين قبل اختفائه من الوجود، وحينما يحين أجله فإن الله سيبدو الملائكة لئلازلة هذا الوحش غير أن الملائكة سرعان ما تفر مذعورة من ساحة القتال فور أن يرمقها هذا اللويثان بنظرة منه، وحينما تعود الملائكة إلى المنازلة مشهورة سيوفها فإن جهدهما يذهب هباءً إذ بمقدور القشر المغطى لجسد هذا الحيوان تحويل الحديد إلى كومة من القش، ولن تجنى الملائكة سوى الخيبة عند إقدامها على قتله من خلال السهام والعجارة التى لا تترك أثراً عليه، وستشعر الملائكة بالوهن وعندئذ سترحل من ساحة القتال . وسيأمر الرب كلا من " اللويثان " وفرس البحر بأن ينزل كل منهما الآخر ، وسيضطوى هذا الأمر على حكم بقتل كل منهما للآخر إذ ستقتل زعانف اللويثان فرس البحر ، فى حين أن ذيل فرس البحر سيصرع اللويثان .

وسيصنع الرب من جلد اللويثان خياماً سيسكنها الصيدون عند تناولهم للحم اللويثان ، وستفى كمية اللحم التى ستوضع أمام كل منهم برغبته ، وإن يغار أو يحقد

أحد على نصيب الآخر، أما الكمية التي ستبقى من لحم اللويثان فستتشر كمظلة على القدس ، وسينطلق منها ضياء يضيء كل العالم، أما بقية لحمه فيترك لسائر البشر المتاجرة فيه^(١٢٧) .

وُخلقت الطيور في اليوم الذي خلقت فيه الأسماك ، فهناك قرابة بينهما حيث خلقت الأسماك من المياه فبينما خلقت الطيور من أراضي المستنقعات المشبعة بالمياه^(١٢٨) . وإذا كان " اللويثان " هو ملك الأسماك فإن لطائر " الزيز " السطوة على كل الطيور^(١٢٩) . وقد اشتق اسمه من التنوع الضخم في مذاق لحمه الشبيه بمذاق كافة الطيور^(١٣٠) . وهذا الطائر ضخم للغاية ، ويقترب في حجمه من الحوت، ويصل رأسه إلى السماء عند وقوفه بقدميه على الأرض^(١٣١) .

ويحكى أن بعض البحارة شاهدوا ذات مرة طائراً يقف بقدميه في الماء ، وتعاقد رأسه السماء . وتصور النظار أن المياه في هذه المنطقة ضحلة للغاية فتأهبوا للنزول فيها ليستحموا غير أن صوتاً سماوياً حذرهم قائلاً : " سقطت بلعة نجار في هذا المكان ، ولم يصل إلى عمق هذا المكان إلا بعد سبع سنوات من الفوص " . ولم يكن هذا الطائر الذي شاهدوه سوى طائر " الزيز " ^(١٣٢) . وبينما يفرد هذا الطائر جناحيه شديدي الضخامة فإنهما يحجبان أشعة الشمس^(١٣٣) ، ويحمي جناحاه الأرض من العواصف القادمة من الجنوب ، ولولاهما لمجزت الأرض عن الصمود في مواجهة الريح^(١٣٤) . ووقعت بيضة هذا الطائر ذات مرة على الأرض ، وتكسرت فغمر سائرها ستين مدينة ، وحطم ثلاثمائة شجرة أرز ، ولحسن الحظ أن هذه الحوادث لا تتكرر كثيراً خاصة أن هذا الطائر يضع بيضه برفق في العش، وكان سبب هذا الحادث سالف الذكر أن العفن كان قد أصاب البيضة ، ومن ثم فقد ألقاها الطائر دون أن يبالي بما ستحدثه من ضرر .

ويعرف هذا الطائر أيضاً باسم " رينانيم " ^(١٣٥) أي الشادي لشبهه في السماء^(١٣٦) ، ويعرف أيضاً باسم " العراف " لعلاقته الوثيقة بالمناطق السماوية ، كما يعرف باسم " ابن العش " ^(١٣٧) لأن فراخ هذا الطائر تخرج من البيضة دون أية مساعدة من الأم . وتشدو فراخ هذا الطائر فور خروجها إلى الحياة^(١٣٨) . ويقدم هذا الطائر مثل اللويثان طعاماً إلى الصديقين في العالم الآخر الذين تجنبوا تناول الأطعمة غير الطاهرة التي كانت تُفرض عليهم^(١٣٩) .

اليوم السادس

وكما خلقت الأسماك من المياه والطيور من المستنقعات فقد تشكلت الثدييات من الأرض الصلبة^(١٤٠) . وإذا كان " اللويثان " أبرز وأهم ممثل للأسماك وطائر " الزيز " أهم ممثل للطيور فإن فرس البحر أبرز ممثل الثدييات . ويضاهي فرس البحر " اللويثان " في القوة ، وقد حُرِمَ مثل اللويثان من التكاثر من أجل بقاء العالم . ويعد أن خلق الرب الذكر والأنثى من هذا الحيوان حرمة من الرغبة في التكاثر^(١٤١) . وفرس البحر ضخيم للغاية ويحتاج إلى أطعمة يقدر وزنها بالآلاف لكي يتناول غذاءه في يوم واحد ، كما أن المياه التي تتدفق في نهر الأردن طيلة عام يمكنه أن يستلعبها دفعة واحدة ، وقد خصص له نبع مائي كامل ، ويعرف هذا النبع الذي يتدفق من الجنة باسم "يوبال"^(١٤٢) ، ولحم فرس البحر طعام شهى للأنقياء الذين لن يتلذذوا بلحمه إلا بعد مشاهدة الصراع المميت بين " اللويثان " وفرس البحر ، ثواباً لهم لحرمانهم أنفسهم من متع مشاهدة السيرك ومسابقات اللهو^(١٤٣) .

ولا تقتصر الوحوش الضخمة على " اللويثان " و طائر " الزيز " وفرس البحر ، بل توجد حيوانات أخرى كثيرة مثل " الريم " الذي لا يوجد منه سوى زوج واحد فقط لأنه لو كان هناك أكثر من زوج لكان العالم قد تعرض للفناء ، ولا يحدث الجماع بينهما إلا مرة واحدة كل سبعين عاماً لأن الله أمر كلا منهما بأن يقيم على طرف من الأرض بعيداً عن الآخر ، فيقيم أحدهما في الشرق والآخر في الغرب .

ويسفر الجماع بينهما عن موت الذكر بعد أن تلدغه أنثاه لدغة مميتة ، وتحمل الأنثى بعد هذا الجماع ، وتظل على هذا الحال اثني عشر عاماً ، وتنجب بعد هذه الفترة الطويلة من الحمل توأماً أحدهما ذكر والآخر أنثى ، وتعجز الأنثى في العام الحادي عشر من الحمل عن الحركة ، وتكاد الأنثى تموت جوعاً لولا لعابها الذي يتدفق بغزارة منها على الأرض فينبثقها ويثمرها مما يساعدها على البقاء ، ولا تقوى الأنثى طيلة عام على أن تفعل شيئاً سوى أن تتقلب على كل جوانبها حتى تحين لحظة إنجاب التوأم ، ويكون ميلادهما إيذاناً بموت الأم مفسحة المجال لظهور جيل جديد تكتب عليه المعاناة ذاتها التي واجهها الجيل السابق ، وعقب الميلاد فإن كلا منهما

يولى وجهه صوب وجهة مباينة لوجهة الآخر فيتجه أحدهما صوب أقصى الشرق ،
والآخر صوب أقصى الغرب، ولا يلتقيان إلا بعد سبعين عاماً^(١٤٤) .

وقد وصف أحد الرحالة حيوان "الريم" حينما كان يبلغ من العمر يوماً واحداً فقط
بقوله إن ارتفاعه يبلغ أربعة فراسخ ، وطول رأسه فرسخ ونصف^(١٤٥) ، ويبلغ طول
قرويه مائة ذراع ، وارتفاعها أكبر بكثير^(١٤٦) .

ومن أغرب الكائنات "إنسان الجبل" الذى يعرف اختصاراً باسم " آدم " ^(١٤٧)
ويشبهه فى مظهره الإنسان ، ويقف هذا الكائن بثبات على الأرض بفضل ذلك الخيط
المتدلى من سترته الذى تقوم حياته عليه ويموت هذا الكائن عند قطع هذا الحبل ويعيش
هذا الحيوان على ما تنبتة الأرض الواقف عليها وعلى كل ما ينمو فى المنطقة التى
يمكنه أن يتحرك فيها ، ولا يجرؤ أى كائن على الاقتراب منه لأنه يفنى كل ما يقترب
منه . وليس من الممكن قتله بالاقتراب منه ومن هنا فإن أفضل وسيلة لقتله هى
استخدام رمح من بعد لقطع الحبل الذى يربطه بالحياة ، وعندئذ يموت وسط الأنين
والنواح^(١٤٨) .

ويحكى أن أحد الرحالة نزل بمنطقة يوجد بها هذا الحيوان ، وسمع عند نزوله
ببيت مضيفه محادثة بين الرجل وزوجته دارت حول كيف يمكنهما قتل آدم لتناول لحمه ،
وفر الضيف عندئذ مذعوراً إذ تصور أنه حل بمنزل أكلة لحوم البشر ، وعجز المضيف
عن ملاحظته ، ولم يدرك الضيف إلا فيما بعد أن مضيفه كان يفكر فقط فى تقديم لحم
هذا الحيوان الغريب الذى يُعرف باسم آدم إلى ضيفه^(١٤٩) .

وإذا كان "إنسان الجبل" مثبت فى الأرض بحبل يتدلى من سترته فإن نوعاً غريباً
من الأوز ينمو على الشجر ، فهو ليس بحيوان يمكن نبحه وأكله ، كما أنه ليس نباتاً ،
ولا توجد ضرورة لتأنيية أية شعييرة من الشعائر عند تناوله^(١٥٠) .

ويعد طائر العنقاء من أجمل الطيور ولم يمنح هذا الطائر الحياة الأبدية إلا لأنه
رفض تناول الثمار التى كانت حواء قد قسمتها لكل الحيوانات من شجرة المعرفة ،
وحينما يبلغ من العمر ألف عام يذبل جسده ويتساقط ريشه حتى يصبح ضئيلاً مثل
البيضة التى تصبح نواة لطائر جديد^(١٥١) .

ويُعرف طائر العنقاء أيضاً باسم " حارس الأرض " ، ويسلك هذا الطائر مسار الشمس ، ويفرد خلال ترحاله جناحيه ممسكاً بهما أشعة الشمس^(١٥٦) ، ولولا اعتراضه لأشعة الشمس بجناحيه لما كان بمقدور الإنسان أو الحيوان البقاء حياً ، وعند النظر إلى جناحه الأيمن نجد أنه قد نُقش عليه بحروف بارزة^(١٥٧) الكلمات التالية : " لم أخلق من الأرض أو السماء وخلقت من النار " .

ويتكون طعامه من ماء السماء وندى الأرض ، ويحتوى براز هذا الطائر على دودة تبرز أيضاً مادة لونها لون القرفة يستخدمها الملوك والأمراء^(١٥٨) . وقد شاهد "إينوخ" حينما رفعه الرب إلى السماء طيور العنقاء ووصفها بأنها كائنات رائعة وعجيبة تعلق فى السماء ، وأن أقدامها كالقدم الأسود ورموسها كرموس التماسيح ولونها أرجوانية تشبه ألوان الطيف وأنها ضخمة الحجم وأجنحتها كأجنحة الملائكة ولكل منها اثنا عشر جناحاً ، وتركب هذه الطيور عربات الشمس وتجلب معها الحرارة والندى بموجب أمر الرب . وحينما تنشر الشمس أشعتها على الأرض كل صباح فإن طيور العنقاء تبدأ فى الإنشاد ، ويهز كل طائر أجنحته فرحاً وابتهاجاً بالضوء الذى هو من صنع الرب ، ويسبح الرب^(١٥٩) .

ويعد السمندر والقنفذ من أبرز الزواحف ، ويولد السمندر من النار التى أضمرت فى خشب نبات الآس العطري^(١٦٠) والتى ظلت مشتعلة سبع سنوات متتالية ، وعلى الرغم من أن حجم هذا الحيوان لا يفوق حجم الفأر كثيراً فإن له خواص شديدة التميز فمن يتمسح بدمه لا يتعرض لأى أذى أو مكروه^(١٦١) كما أن الأصواف التى تنسج منه ضد الحريق^(١٦٢) . وقد ذكر من عاش أيام الطوفان أنه لو كان الطوفان قد أتى فى صورة حريق لحمو أنفسهم بدم السمندر^(١٦٣) .

ويدين الملك حزقيا بحياته إلى السمندر فحينما ألقاه والده الشرير الملك أهاز فى نيران مولوخ لتحرقه لم يصيبه أذى لأن والدته كانت قد دهنته فى طفولته بدم السمندر^(١٦٤) .

أما دودة الشامير فقد خلقت عند غروب شمس يوم الخلق السادس^(١٦٥) وعلى الرغم من صغر حجمها الذى لا يتعدى حبة القمح فإنها بالغة الحدة فيمكنها قطع المجوهرات

ولهذا استخدمت في قطع الأحجار الكريمة التي ترصع رداء الكاهن الأعظم. وكانت أسماء أسباط اليهود الاثنى عشر قد كتبت في البدء بالحبر على الحجارة التي ترصع رداء الكاهن، ولم تثبت هذه الأسماء على رداءه إلا بعد أن مرت عليها هذه النودة ، وقد تم استخدام هذه النودة أيضاً في تحديد شكل الحجارة التي استخدمت في بناء الهيكل نظراً لأن الشريعة تحرم استخدام أية آلات من المعدن في الهيكل^(١٦٣) ، وليس من الممكن الاحتفاظ بهذه النودة في أي إناء من الحديد أو المعدن إذ بمقدورها تحطيم أي إناء من هذه الأواني، ومن هنا يتم الحفاظ على هذه النودة بوضعها في قطعة من الصوف توضع بدورها في سلة من الرصاص مليئة بنخالة الشعير^(١٦٣) ، وظلت هذه النودة محفوظة في الجنة حتى بعث الملك سليمان نمرأ إلى الجنة لإحضارها^(١٦٤) ، وفنيت هذه النودة مع دمار الهيكل^(١٦٥) .

ولقى المصير ذاته حيوان " تاحاش " الذي خُلِقَ حتى يستخدم جلده في بناء خيمة الاجتماع ، واختفى هذا الحيوان من الوجود مع الانتهاء من بنائها . وكان يحمل قرناً ذا ألوان زاهية تشبه الديك ، وكان ينتمي إلى فصيلة الحيوانات التي يحل لليهود أكلها^(١٦٦) .

ومن بين الأسماك توجد مخلوقات بديعة منها فرس البحر والدولفين ناهيك باللويثان ، وقد شاهد أحد البحارة فرساً البحر نُقِشت على قرونيه عبارة " رغم أنني حيوان صغير بالبحر إلا أنني قطعت ثلاثمائة فرسخ لأقدم نفسي طعماً للويثان " ^(١٦٧) . أما الدولفين فنصفه إنسان ونصفه الآخر سمكة ويمارس الدولفين الجماع مع البشر ولذا يعرف باسم " ابن البحر " لأنه يمثل الجنس البشري في المياه^(١٦٨) .

وعلى الرغم من أن الحيوانات كافة خُلِقَت خلال اليومين الأخيرين من أيام الخلق^(١٦٩) ، فقد ظهر العديد من سمات بعض الحيوانات في مرحلة لاحقة، لقد كانت القطط والفئران أصدقاء في البدء غير أن عداوة كل منهما للآخر نشأت بسبب شديد الخصوصية فحينما وقف الفأر أمام الرب قائلاً " أنا والقط شريكان غير أنه ليس لدينا الآن ما نتناوله من طعام " فأجاب الرب " إنك تتأمر على رفيقك وتبتغي التهامه وسيلتهمك القط عقاباً لك " فذكر الفأر " رب العالمين أخبرني أين أخطأت؟ " فأجاب الرب " إنك من الزواحف الدنسة وكان يجب أن تتعلم من مصير القمر الذي فقد جزءاً

من ضيائه لغيرته الحمقاء من الشمس التي مُنحت ما فقده^(١٧٠)، وستعاقب وفقاً لنواياك الخبيثة التي أضمرت لها لخصمك فتسائل الفئران "هل ستدمر نوعي؟" فأجاب الرب "سأحرص على وجود بقايا منك". وهاجم الفأر في غضبه القط غير أن القط سرعان ما وجه إليه ضربات متوالية حتى صبرعه، ومنذ ذلك الحين يمتلك الفأر الرعب من القط ، ويهرب منه^(١٧١) .

وجمعت الكلاب والقطط علاقات طيبة في البداية فلم يعاد كل منهما الآخر إلا لاحقاً، فكان كل منهم يشارك الآخر في طعامه غير أنه حدث ذات مرة أنهما لم يجدا طيلة ثلاثة أيام متوالية طعاماً يقيهم على قيد الحياة ، فذهب الكلب إلى أنه من الأفضل أن يحل ارتباطه وأن يذهب القط إلى آدم عساه أن يجد في منزله طعامه على أن يبحث هو في مكان آخر عن طعام، وتعاهدا قبل الفراق على ألا يذهبا إلى نفس من سيطعمهما، وأقام القط لدى آدم ووجد في منزله عدداً كبيراً من الفئران على نحو أَرْضَى شهيته وأحسن آدم معاملته بعد أن تمكن من القضاء على الفئران. أما الكلب فقد واجه ظروفاً بالغة القسوة ففُضِيَ الليلة الأولى بعد افتراقه عن القط في كهف ذئب وافق على استضافته ، وفي تلك الليلة سمع الكلب أصوات أقدام تقترب فأخبر مضيفه الذي أمره بصد المقتحمين غير أن هذه الأصوات كانت لحيوانات مفترسة وتملك الفزع الكلب وخاف على حياته ففر من الكهف وحاول أن يجد ملجأ لدى القرد الذي رفض استضافته حتى ليلة واحدة فاضطر الكلب الهارب الهائم على وجهه أن يطلب من الغنم استضافته وسمع الكلب عند إقامته مع الغنم أصواتاً أثناء الليل فنهض ثلبيّة لأوامر الغنم لمطاردة اللصوص الذين تحولوا فجأة إلى ذئاب، ونبه نباح الكلب الذئاب إلى وجود الغنم ومن هنا فقد تسبب الكلب ببراءته في موت الغنم ، وفقد على هذا النحو آخر أصدقائه ، ويحث الكلب ليلة ثلث الأخرى عن استضيفه دون جدوى وقرر في نهاية الأمر اللجوء إلى منزل آدم الذي وافق على استضافته ليلة واحدة، وحينما اقتربت الحيوانات المفترسة من المنزل في جنح الليل بدأ الكلب في النباح فاستيقظ مضيفه وتمكن من إبعادهم بقوسه وسهامه وأمر المضيف الكلب بالبقاء معه يوماً بعد أن أدرك فائدته، وحينما علمت القطّة بوجود الكلب في المنزل بدأت في العراك معه وذكرته بانتهاكه للعهد، وحاول المضيف قدر استطاعته تهدئة القطّة وأخبرها أنه هو الذي

استضاف الكلب وأن وجوده لن يعرضها إلى أى ضرر غير أنه كان من المستحيل إرضاؤها ووعدها الكلب بالألا يقترب من أى شىء يخصمه لها المضيف لكنها أصرت على استحالة وجودها مع لص كالكلب ، ودامت المشاحنات بين الكلب والقط ، ولم يعد بمقدور الكلب تحمل هذا الوضع فرحل عن منزل آدم وتوجه إلى منزل " شيث " واستمرت جهود المصالحة مع القط من المنزل الجديد غير أنها ذهبت هباءً وانتقل العداء بين الكلب الأول والقط الأول إلى الأجيال اللاحقة حتى يومنا هذا^(١٧٣) .

ولم تكن الخواص المادية لبعض الحيوانات أصيلة بل اكتسبتها بعد مضي فترة على خلقها فالفأر حالياً شديد الاختلاف عن الماضى، وكانت كل الحيوانات قد عاشت فى البدء فى وئام فيما بينها فى تلك نوح للحفاظ على حياتها فعاش الفأر جانب القطعة غير أن القطعة تذكرت على حين غرة أن أباهما كان يأكل الفئران ، ولم تر القطعة أن اتباع عادات والدها قد يتسبب فى أى أذى فقفزت على الفأر الذى بحث عبثاً عن ثغرة يمكنه التخفى بها وحدثت معجزة إذ ظهرت كوة بالفلك لم يكن لها وجود من قبل وجد الفأر بها ملاذاً . وطاردت القطعة الفأر وبالرغم من أنها لم تتمكن من دخول الكوة فقد تمكنت من إدخال كفها إلى هذه الفتحة لجذب الفأر، وفتح الفأر فمه على أمل أن يدخل كف القط إلى فمه ويمنعه بالتالى من غرز مخالبه فى جلده، ومع هذا ونظراً لأن تجويف فم الفأر لم يكن كبيراً فقد تمكنت القطعة من خدش وجه الفأر ، ونجح الفأر فى الهرب من القط^(١٧٤) ، وتوجه الفأر بعد نجاته إلى نوح قائلاً : " أيها الرجل الخير كن خيراً وأصلح وجهى الذى مزق القط جزءاً منه " ، فأمره نوح بإحضار شعر من ذيل الخنزير ، وأصلح نوح بهذا الشعر الأذى الذى كان قد لعق بالفأر ، ومازال أثر الندب باقياً على فم الفأر حتى يومنا هذا^(١٧٥) .

ويعد الغراب من الحيوانات التى تغيرت هيئتها خلال تنقله بالفلك، فحينما ابتغى نوح إرساله للتعرف على حالة المياه اختفى تحت أجنحة النسر ، وعندما وجده نوح قال له : " اذهب لمعرفة ما إذا كانت المياه قد قلت ؟ " فناشده الغراب قائلاً : " أليست لديك طيور أخرى لترسلها لهذه المهمة ؟ " فقال نوح " ليست لدى سلطة إلا عليك والحصام"^(١٧٥) ، ولم ترض هذه الإجابة الغراب فقال متغطرساً : " إنك ترسلنى حتى ألقى حتفى ، وهذا ما تبتغيه حتى تبقى زوجتى تحت طاعتك"^(١٧٦) ، فجن جنون نوح

ولعن الغراب بقوله " فلتحل اللعنة على فمك الذي تفوه بهذه الكلمات وليكن جماعك مع امرأتك من خلال فمك" (١٧٧) وردت كل حيوانات الفلك أمين ، ولهذا السبب فإن كماً هائلاً من لعاب ذكر الغراب يتدفق إلى فم أنثاه خلال الجماع ، وهكذا تحمل الأنثى (١٧٨) .

والغراب ليس بالطائر الجذاب ، ولا يتسم بالحنان مع صغار الغربان حينما لا يغطي الريش الأسود أجسادها (١٧٩) على الرغم من أن الغربان يحب كل منها الآخر (١٨٠) ، ومن هنا فإن الرب يرعى صغار الغربان على نحو خاص، ويخرج من برازها يرقات (١٨١) تصبح فيما بعد طعاماً لها على مدى الأيام الثلاثة الأولى التي تعقب ولادتها حتى يتحول ريشها الأبيض إلى الأسود ، وحتى يعرف أبؤها أن صغار الغربان من نسلهم ويولونها رعايتهم (١٨٢) .

وتعرض الغراب للوم أيضاً بسبب طريقته الغريبة في السير، وكان الغراب قد لاحظ أن الحمامة طريقة أنيقة في السير فغار منها وحاول منافستها وحينما بدأ المنافسة كادت عظامه أن تتحطم ، ولم ينجح في محاكاتها بل جلب عليه ازدراء سائر الطيور ، واستقر رأى الغراب فيما بعد على العودة إلى طريقته الأولى في السير غير أنه كان قد نسيها فلم يتمكن من السير كالغريبان أو الحمام ، وأصبحت مزيجاً بين طريقتي السير. وهكذا نرى أن من لا يرضى بنفسيه القليل يفترقه في سعيه لنيل المزيد والأفضل (١٨٣) .

ويعد الثور أحد الحيوانات التي مرت بتحويلات ضخمة فكان الشعر يغطي في البدء وجهه غير أنه لا توجد شعرة واحدة على أنفه وهذا لأن يوشع قبل أنفه عند حصار أريحا ، وكان يوشع رجلاً ضخماً الجثة ولهذا لم تتمكن الخيول والعمير والبغال من حمله الأمر الذي لم يحم به سوى الثور، وقد امتطاه يوشع في حصاره لأريحا ، ولهذا السبب قبل أنفه (١٨٤) .

وتختلف صورة الثعبان حالياً عن صورته الأولى ، وكان الثعبان قبل خروج آدم من الجنة من أمهر الحيوانات بل كان شبيهاً بالإنسان ، وكان يقف منتصب القامة ، وكان عملاق الحجم (١٨٥) ، وفقد الثعبان فيما بعد مزاياه التي كانت لديه مقارنة بسائر

الحيوانات ووهنت قوته وحرّم من قدميه ، فلم يعد بمقدوره مطاردة سائر الحيوانات وقتلها ، وقد أصبح الجلد غير مؤذ وليس لديه عينان وأصبح من الممكن مقاومته. كما أنه ليس للضفدع أسنان وإلا لكان قد افترس كل حيوانات المياه^(١٨٦) . وإذا كان مكر الثعبان قد جلب الخراب فإن مكر الذئب كان في صالحه في كثير من المواقف المحرجة، وحينما ارتكب آدم خطيئة عدم طاعته للرب وضع الرب كل ما خصه في الحيوان من قوة ويأس في ملاك الموت وكلفه بالقاء زوج من كل نوع في الماء ، وهكذا فإن هذا الملاك وحيوان اللويثان^٢ يسيطران على كل من تدب فيه روح الحياة . وحينما بدأ ملاك الموت في تطبيق الأمر الإلهي على الذئب انهمرت دموعه بشدة وحينما استفسر ملاك الموت عن سبب دموعه أجاب الذئب أنه يبكي ما آل إليه مصير صديقه مشيراً إلى صورة صديقه الذئب في البحر والتي لم تكن سوى انعكاس لصورته ، واقتنع ملاك الموت أن أحد أتباع عائلة الذئب قد لقي حتفه في البحر ، فترك الذئب ، وأخبر الذئب القطة بحيلته التي خدع بها أيضاً ملاك الموت^(١٨٧) ، ولهذا السبب فلم يعد للقطط أو للذئاب وجود بالماء مثلاً حدث مع سائر الحيوانات^(١٨٨) .

وحينما استعرض اللويثان^٢ كل الحيوانات وعند معرفته بالطريقة الماكرة التي اتبعها الذئب والتي تهرب بها من سلطته فقد بحث بسمكة ضخمة في مهمة الغرض منها إغواء الذئب المتهرب في الماء ، وقد شاهد الذئب عند سيره على الشاطئ عدداً كبيراً من الأسماك فقال مندهشاً : " ما أسعد من يطفئ نيران جوعه بتناوله لأسماك بهذا الحجم " فأنخبره السمك : يمكنك نيل مطلبك بيسيرك خلفنا وأنخبروه أنه سينال شرفاً عظيماً لأن اللويثان قاب قوسين أو أدنى من الموت وأنه كلفهم بأن يجعلوا من الذئب خليفة له . وكان السمك مستعداً لحمل الذئب على ظهوره حتى لا يخشى الماء ، ونقله إلى العرش الواقع على صخرة ضخمة ، وتمكن السمك من إقناعه فهبط الذئب مع السمك إلى الماء غير أنه سرعان ما تسلسل إليه إحساس بعدم الطمأنينة وساوره الشك في أن الأمور انقلبت رأساً على عقب وأنه قد تعرض لعملية خداع حقيقية فطلب من السمك معرفة الحقيقة فاعترف السمك أن اللويثان قد كلفه بهذه المهمة^(١٨٩) حتى يصبح عليماً وحكيماً كالذئب الذي يشيد الجميع بحكمته ، فتنبههم الذئب متسائلاً : " ولماذا لم تخبروني بالحقيقة دفعة واحدة حتى كان يمكنني أن أحضر قلبي للملك لويثان الذي

كان سيفرمنى بالمديح ؟ أما الآن فستعرضون للعقاب . إن الذئب لاحتمل قلوبها أينما رحلت وإنما تتركها فى مكان آمن وتحضرها حينما تحتاجها .

وأُسرع السمك فى العودة إلى الساحل حتى يحضر الذئب قلبه غير أنه لم يتوقف عن الصياح مبتهجاً فور إحساسه بوجود أرض صلبة تحت قدميه، وحينما حثه السمك على إحضار قلبه قال أيها الحمقى هل كان يمكننى دخول الماء لو لم يكن قلبى معى؟ وهل يمكن لأى كائن التحرك دون قلب؟ وحينما استنكر السمك ما سمعه قال الذئب لقد خدعت ملاك الموت وما أسهل خداعكم .

وعاد السمك إلى اللويثان دون أن ينجز مهمته ولم يجد اللويثان أمامه سوى أن يعترف بحكمة الذئب^(١٩٠) .

كل المخلوقات تسبح للرب

إن هناك قيمة لكل ما خلق الرب ، فالحيوانات والحشرات التى تبدو عديمة القيمة ومؤذية للوهلة الأولى وبطيئة تذبذبها ، فالقواقع الذى يزحف خلف كل ما هو رطب يُستخدم دواءً للبشرة، كما أن لدغة الدبور تُعالج بوضع عصارة ذباب المنزل على الجرح، كما أن ابتلاع بعوضة شديدة الضعف يعد دواءً شافياً من سم الأفعى ، كما أن هذه الأفعى السامة تعالج حالات التهييج فى حين أن السحلية تعد علاجاً للدغة العقرب^(١٩١) .

ولا تخدم المخلوقات كافة البشر ، وتسهم فى راحتهم فقط بل يعلمنا الرب من خلال سلوكيات حيوانات الأرض ، كما يعلمنا الحكمة من خلال طير السماء ، فوهب الرب كثيراً من الحيوانات خواصاً أخلاقية مميزة حتى تصبح نموذجاً للبشر، ولو لم تكن التوراة قد أوحيت لنا لكننا تعلمنا أصول الحياة من القطة التى تخفى برازها فى الأرض ، واحترام ملكية الآخرين من النمل الذى لا يمتدئ قط على أملاك الآخرين ، ولكننا تعلمنا آداب الاحتشام واللياقة من الديك الذى يعد زوجه حينما يبتغى مضاجعتها بشراء عباءة طويلة تصل حتى الأرض ، وحينما تذكره الفرخة بوعدة يهز جيبه ويقول : " ليتنى أُحرم من هذا الجيب إذا لم أشتري لك العباءة حينما تتوفر لى الوسائل المناسبة " .

وتتعلم الكثير أيضاً من القيد الذي لا يتوقف عن الإنشاد طيلة الصيف حتى يقضى نحبه ، وعلى الرغم من أنه يعرف مصيره إلا أنه لا يتوقف عن الغناء والإنشاد . وهكذا يتمين على الإنسان أن يؤدي واجبه نحو الرب دون النظر إلى العواقب ، ويجب أن نحكي هذا الطائر طويل الساقين والعنق لأنه يغار على الحفاظ على طهارة نسله ، كما أنه شديد الرحمة والتواضع مع رفاقه . ومن الممكن أن يتعلم الإنسان أيضاً من الضفدع فتعيش بجانب المياه أنواع من الحيوانات تعيش على الكائنات المائية فقط ، ونحن نلاحظ الضفدع أن أحد هذه الحيوانات جائع يذهب إليه ويهبه الطعام منفذاً الوصية القائلة : " إذا جاع عدوك هب الطعام وإذا عطش ناوله الماء " (١٩٣) .

وقد خرج كل الخلق إلى الوجود بفضل مجد الرب (١٩٣) ، ويردد كل مخلوق أنشودة مديح لتمجيد الرب ، فتعرب السموات والأرض والجنة والنار والصحراء والمقول والأنهار والبحار كل بطريقته عن شكره للرب ، فتتشد الأرض قائلة : " من أقصى بقاع الأرض سمعنا أغاني تمجيد الصديق " ، ويقول البحر " من فوق أصوات المياه نقول إن الرب في علاه قوى " .

كما أن الأجرام السماوية والعناصر تسبح الرب ، فلا تتوقف عن الثناء على الرب الشمس والقمر والنجوم والسحب والرياح ، والضوء والندى ، فتقول الشمس : " تقف الشمس والقمر في مساكنهما ويستمدان ضوءهما من ضيائك أينما ذهبا ، ويسطعان من رماحك المتلألئة ، " وتشد النجوم " إنك الرب الواحد خالق السموات وجيوشها ، والأرض وما تحتويه ، والبحار بكل ما فيها ، وتحافظ على جميعها ، وتعبدك ملائكة السماء " .

ويردد كل نبات أنشودة مديح ، فتشدهو الشجرة المثمرة قائلة : " تغنى كل الأشجار مبتهجة أمام الرب لأنه يحكم الأرض " . كما أن حبوب القمح تنشده قائلة : " إن المراعى مليئة بالقطعان ، والوديان تملؤها النزة ، وتصرخ من الفرحه وتغنى " .

وتعد الطيور من أبرز المنشدین ، والديك من أبرزها فحينما يخرج الرب في منتصف الليل للقاء الصديقين في الجنة فإن أشجارها تخرج من أماكنها من فرط محبتها للرب ، ويوقظ إنشادها الديك الذي يبدأ بدوره في تسبيح الرب ، ويصبح سبع مرات فيردد في كل مرة من صياحه عبارة واحدة ، والعبارة الأولى هي : " ارتفعى أيتها البوابات فملك المجد أت . من ذا هذا الملك ؟ إنه الرب القوى العظيم في المعارك .

والعبارة الثانية هي : "ارتفعى أيتها البوابات فرب الجيوش أت، إنه ملك المجد" .
والعبارة الثالثة هي " استيقظوا أيها الصديقون واشتغلوا بالتوراة حتى يكون ثوابكم
ضخماً في العالم الآخر " ، وعبارته الرابعة : " انتظر خلاصك يا رب " ، والخامسة :
"حتى متى ستنقام أيها الكسول ؟ ومتى ستتهض من غفوتك ؟" والسادسة : " لا تحبوا
النوم حتى لا يحل عليكم الفقر، افتحوا عيونكم وستشبعون من الخبز " ، أما العبارة
السابعة التي يشدو بها الديك فهي : "حان وقت العمل للرب لأنهم انتهكوا شريعتك" .

أما النسر فيشدو بقوله : "سأجمعهم جميعاً لأنى خلصتهم ، ويتكاثرون كما تكاثروا" ،
وسيردد النسر العبارة ذاتها عند مجيء المسيح المخلص غير أن الفارق الوحيد يتمثل
فى أنه سيجلس على الأرض عند ترحيبه بمجىء المسيح مردداً هذه العبارة فى سائر
الأوقات فى أماكن أخرى .

ولا يقل مديح سائر الطيور وتسبيحها عن النسر ، فالحيوانات المفترسة تسبح
الرب أيضاً ، فيقول الأسد : " إن الرب سيأتى كرجل قوى ، وسيسرع السير كرجل فى
المعركة، وسيصرخ عالياً ، وسيبىد أعداءه . وسيتحدث الثعلب عن العدل قائلاً :
"ويل من يبنى داره وغرفه بالظلم ، والويل لمن يستغل جهد جاره ولا يدفع له أجراً" .

وتسبح الأسماك أيضاً رغم أنها لا تنطق للرب بقولها : " إن صوت الرب
على المياه ، ويزهز صوته المياه. " ويسبح الضفدع للرب بقوله : " تبارك اسم مجد
مملكته إلى الأبد " .

وتسبح الزواحف رغم أنها كائنات وضيعة فيقول الفأر : " رغم أنك عادل فى كل
ما فعلت معى وتصرفت بالحق فإنى تصرفت بخيبت " . وتنشد القطة " فلتدع كل
ما يتنفس يسبح بمجديك " (١٩٤) .

الفصل الثانى

آدم

الإنسان العالم

خلق الله العالم بعشر كلمات رغم أن كلمة واحدة كانت تكفى، وأراد الله عند خلق العالم أن يعرف الجميع مدى شدة العقاب الذى يحل بالأشرار الذين يفلتون الدمار بالعالم الذى خلق بعشر كلمات، وحجم الثواب الذى يتأب به الصديقون لحفاظهم على العالم^(١).

وخلق العالم من أجل الإنسان على الرغم من أنه كان آخر من خلق من بين الكائنات. وكان هذا لغاية. وكان من المقرر أن يجد كل شيء معداً من أجله، فكان الله هو المضيف فأعد للإنسان أطعمة شهية، بل ورتب له المائدة وقاده إلى مقعده، وكان ظهور الإنسان كأخر المخلوقات يهدف إلى تذكيره بأهمية التواضع، وبأنه لا يكون مفترًا بذاته خشية أن يدعى أن البعوضة أقدم منه^(٢).

ويعد تفوق الإنسان على كافة المخلوقات أمراً بديناً فى طريقة خلقه وفى اختلافه كلية عنهم، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذى خلقه الله بيده^(٣)، فى حين أن سائر الكائنات خلقت بموجب كلمة الرب. وجسد الإنسان صورة مصغرة من العالم، كما أن هذا العالم على رحابته واتساعه يعد نسخة طبق الأصل من الإنسان، فيتمثل شعر الإنسان مع أخشاب الأرض، ودموعه مع النهر وفمه مع المحيط^(٤) ويشبه العالم أيضاً حديقة عينية كما أن المحيط الذى يلف الأرض يشبه بياض العين، وتشبه الأرض الجافة الحديقة، وتشبه القدس بؤبؤ العين، ويشبه الهيكل الصورة التى تتعكس فى البؤبؤ^(٥).

غير أن الإنسان ليس مجرد صورة لهذا العالم، فيتضمن الإنسان الخواص السماوية والأرضية فيشبه الملائكة فى أربع خواص، ويشبه الوحوش فى أربع أخرى. ويكمن تشابهه مع الملائكة فى قدرته على الكلام وصواب عقله، وانتصاب قامته فى السير، ويريق عينيه، هذه الصفات التى تجعل منه ملاكاً. ومن جهة أخرى يشبه

الحيوانات فى تناوله وهضمه للأطعمة والمشروبات ، وتتاسله وموته . ومن هنا قال الله قبل خلق الإنسان : " إن الكائنات السماوية لا تتناسل غير أنها خالدة وفى المقابل فإن الكائنات الأرضية تتناسل ولكنها تموت . ولهذا سأنطق الإنسان ليكون خليطاً من الملائكة والحيوانات ، ومن هنا فسيناله الموت عند ارتكابه للخطيئة وعند سلوكه مسلك الحيوانات ، غير أنه سيحيى إلى الأبد إذا تجنب الخطيئة" (٦) .

وأمر الله كل كائنات السموات والأرض بالاشتراك فى خلق الإنسان ، بل وشارك الله فى خلقه ، ومن هنا فإن جميع الكائنات ستحبه ، وستحرص على الحفاظ عليه حتى إذا أُنْذِبَ (٧) .

وخلق العالم محله من أجل الصديقين والأتقياء الذين يتناسلون جميعهم عن شعب إسرائيل المحب للشرعة التى أُوحيَت إليه (٨) ، ولهذا فقد أصبح لشعب إسرائيل مكانة شديدة التميز عند خلق الإنسان . وتم تكليف جميع الكائنات بتغيير طبيعتها فى أية لحظة يكون شعب إسرائيل فى حاجة إليها ، فتم تكليف البحر الأحمر بالانشقاق أمام موسى عند عبوره للبحر ، والسموات بالإنصات إلى كلمات قائد الشعب ، والشمس والقمر بالوقوف أمام يشوع ، والغربان بإطعام النبى إيليا ، والنار بأن تكون برداً على الشبان الثلاثة والأسد بالآى يلحق الأذى بالنبى دانيال ، والسمك بلفظ يونس والسموات بالانفتاح أمام حزقيال (٩) .

واستشار الرب لفرط تواضعه الملائكة قبل خلق العالم بشأن خلق الإنسان فقال "سأنطق العالم من أجل إسرائيل . وكما سأنقوم الآن وعند خلقى للعالم بالفصل بين الظلام والنور فإنى سأنقوم فى وقت لاحق وعند خروج بنى إسرائيل من مصر بفرض الظلام على مصر غير أن منازل بنى إسرائيل سيمعها الضوء، وكما سأنقوم عند خلقى للعالم بفصل المياه الواقعة تحت السموات وما فوقها ، فسأنقوم بشق مياه البحر الأحمر عند عبور شعبي للبحر . وكما سأنطق النباتات فى يوم الخلق الثالث فإنى منزل المن على شعب إسرائيل فى التيه . وكما سأنطق أنوار السموات لفصل الليل عن النهار فإنى سأنسير فى صورة عمود من غمام وعمود من نار أمام شعب إسرائيل فى النهار والليل . وكما سأنطق طيور السماء وأسماك البحر فإنى سأجلب إلى إسرائيل السلوى من البحر . وكما سأنهب روح الحياة إلى البشر سأهب شعب إسرائيل شجرة الحياة أى التوراة .

وابتهجت الملائكة لحصول شعب إسرائيل على هذا القدر الوافر من الحب
فأخبرها الرب : " سأخلق السموات فى اليوم الأول ، وسيقيم إسرائيل فى هذا اليوم
خيمة الاجتماع التى سيحل بها مجدى ، وسيضع شعب إسرائيل فى يوم الخلق الثانى
الذى سافصل فيه بين مياه الأرض والسموات ستارا فى الخيمة للفصل بين المكان
المقدس وقدس الأقداس ، وسيتناول شعب إسرائيل فى يوم الخلق الثالث الذى ستخرج
فيه الأرض ثمارها وفى أولى ليالى عيد الفصح بعض الأعشاب وخبز التقدمة ،
وسأخلق فى اليوم الرابع أنوار السماوات ، وسيشعل شعب إسرائيل فى هذا اليوم
الشموع من أجلى ، وسأخلق فى اليوم الخامس الطيور ، وسيقوم شعب إسرائيل فى
اليوم ذاته بصناعة صور الملائكة المجنحة ، وسأخلق فى اليوم السادس الإنسان ،
وسينصب إسرائيل أحد أبناء هارون كأبنا أكبر لخدمتى ^(١٠) .

وكان تحقق كل عملية الخلق مشروطاً بقبول بنى إسرائيل للتوراة ، فأخبر الله كل
الأشياء التى خلقها فى أول ستة أيام : " إذا قبل شعب إسرائيل التوراة فأبنى سأقدر
لكم البقاء والاستمرار وإلا فأبنى سأعيد كل الأشياء إلى البدايات " . ومن هنا فقد ظل
كل العالم فى حالة من الفزع والخوف حتى تلك اللحظة التى تلقى فيها إسرائيل
على جبل سيناء التوراة ، ومن هنا فقد أوفى الرب بالشرط الذى وضعه عند خلق
العالم ^(١١) .

الملائكة وخلق الإنسان

وهيما قرر الله بحكمته خلق الإنسان استشار كل من أحاط به حتى يقرر الشكل
الذى سيكون عليه الإنسان ، ورأى الله أنه من الأفضل ألا يكون الإنسان ضمن البنية
حتى لا يستخف بنصيحة من حوله من الضعفاء ، واستشار الله فى البدء السموات
والأرض وكل الأشياء التى خلقها ، وكانت الملائكة آخر الكائنات التى استشارها
الرب .

ولم تستقر الملائكة على رأى بعينه ففى الوقت الذى فضل فيه ملاك الحب خلق
الإنسان بدعوى أن الإنسان سيكون محبا للجميع فقد اعترض ملاك الحقيقة على هذا
الرأى لأن الإنسان لن يروج إلا الأكاذيب ، وبينما فضل ملاك الحقيقة خلقه لتصوره أن

الإنسان سيعمل على تحقيق العدل فقد اعترض ملاك السلام بدعوى أن الإنسان سيكون محبا للخصام ومثيراً للمشكلات .

وقد اعترض الرب على موقف ملاك الحقيقة فأرسله إلى الأرض ، وحينما احتجت سائر الملائكة على معاملة الرب السيئة لرفيقها ذكر الرب : " ستصعد الحقيقة من الأرض " .

وكان من الممكن أن تتزايد حدة اعتراضات الملائكة على خلق الإنسان لو وقفت على حقيقة الإنسان ، فلم يطلعها الرب إلا على الصديقين وأخفى عنها حقيقة أن بعض البشر من الأشرار . وعلى الرغم من أن الملائكة لم تقف على كل حقيقة الإنسان فقد انتحبت الملائكة قائلة : " ولماذا تهتم إلى هذا الحد بالإنسان ؟ " فأجاب الرب قائلاً : " ولأن خلقت طير السماء وسماك البحر وما جدوى وجود مكان مليء بأشهى الأطعمة دون وجود نزيل " فقالت الملائكة مندهشة : " ما أروع اسمك فى كل الأرض ، وتنفعل ما يطيب لك " (١٢) .

وكان لمعارضة بعض الملائكة تبعات وخيمة فحينما استدعى الرب جماعة الملائكة التى يرأسها الملاك ميخائيل ليتعرف على رأيها فى خلق الإنسان أجابته على نحو لا يخلو من الاحتقار : " ومن ذا الإنسان الذى تهتم به إلى هذا الحد " فوجه الله إصبعه الصغير نحوها فالتهمتها النيران باستثناء ميخائيل . وتعرضت الملائكة التى يرأسها جبريل إلى المصير ذاته غير أن جبريل أفلت من الدمار .

أما مجموعة الملائكة الثالثة التى يرأسها الملاك " لابينيل " فقد اتعظت من ذاك المصير الذى لقيه سائر الملائكة بعد أن حذرها الملاك " لابينيل " بقوله : " لقد رأيتم ما آل إليه مصير الملائكة التى قالت من ذا الإنسان الذى تهتم به ولنحرم على ألا نلقى العقاب ذاته ، حيث إن الله لن يتراجع عما لبثناه ، ومن الأفضل أن نستجيب إلى رغباته " فقالت الملائكة : " رب العالمين ، حسنا إنك فكرت فى خلق الإنسان واتخلقه بمشيتك . وسنكون خدمه ولتوحى إليه بأسرارنا " . وغير الرب اسم " لابينيل " إلى رفائيل أى المنقذ لأنه أنقذ الملائكة بمشورته الحكيمة . وعينه الرب ملاكا للشفاء وأودع لديه كل طرق العلاج الطبية المستخدمة على الأرض (١٣) .

خلق آدم

وحينما وافقت الملائكة فى نهاية الأمر على خلق الإنسان أمر الرب جبريل قائلاً :
"أحضر لى تراباً من أنحاء الأرض الأربعة لخلق الإنسان " ، وذهب جبريل لتنفيذ أمر
الرب غير أن الأرض أبعدته ، ولم تدعه يجمع التراب منها فاحتج جبريل بقوله : " أيتها
الأرض لماذا لا تستجيبين لصوت الرب الذى جعلك تستوين على الماء دون دعائم
أو أعمدة؟ " فأجابت الأرض : " قدرى أن أكون ملعونة بسبب الإنسان وإذا لم يأخذ
الرب التراب منى فلن يقوم أحد بهذه المهمة " . وحينما سمع الرب هذا الحوار مد يده
وأخذ حفنة من التراب خلق بها الإنسان الأول^(١٤) .

وكانت الغاية من خلق الإنسان من تراب جهات الأرض الأربع هى ألا ترفض أية
بقعة من الأرض احتواءه عند موته بدعوى أن هذا خلق من تراب الشرق وذلك من تراب
الغرب ، وسيعود الإنسان إلى الأرض التى خرج منها أينما يتوفى وأينما يواريه التراب ،
وكانت ألوان هذا التراب شديدة التباين وتلوح بين الأحمر والأسود والأبيض
والأخضر ، فكان الأحمر يرمز إلى الدم والأسود إلى الأمعاء والأبيض إلى العظام
والأوردة ، والأخضر إلى الجلد الشاحب .

وتدخلت التوراة فى هذه اللحظة فى عملية الخلق ، فحدث الرب قائلة : " يا رب
العالمين . إن هذا العالم عالمك ، ويمكنك أن تفعل به ما يحلو لك غير أن الإنسان الذى
تعكف على خلقه حالياً سيكون عمره قصيراً فضلاً عن أن حياته ستكون مليئة بالذنوب ،
ولو لم تكن هذه رغبتك لكان من الأفضل ألا تخلقه " فقال الرب : " ولماذا تظنون إذاً
أنى أعرف باسم الصبور الرحيم؟ " ^(١٥) .

وتجلت رحمة الرب ومحبته فى أخذه لحفنة تراب من المكان الذى أقيم عليه فيما
بعد المذبح ، وقال الرب عندئذ : " سأخلق الإنسان من هذا المكان المخصص للمغفرة
حتى يعيش الإنسان إلى الأبد " ^(١٦) .

روح الإنسان

ويعد الجهد الذى بذله الرب عند خلق كل جزء من جسد الإنسان هزياً وضئياً عند مقارنته بعناء الرب عند خلق الروح، وقد خلقت روح الإنسان فى يوم الخلق الأول ، وخلقت من روح الله التى كانت ترقرف على وجه الماء ، ومن هنا فيعد الإنسان أول ما خلق الرب من بين المخلوقات^(١٧) ، وتملك روح الإنسان خمس قوى مختلفة ، وتفر الروح من الجسد كل مساء مساعدة إلى السماء لتجلب حياة جديدة إلى الإنسان^(١٨) .

وخلقت أرواح البشر جمعاء من روح آدم ، وحفظت فى السماء السابعة ، وتستخدم هذه الأرواح تباعاً عند تكون كل جسد^(١٩) .

وتتعد الروح والجسد على النحو التالى فعينما تحمل المرأة يصعد ملاك الليل "لىلى" حاملاً معه الحيوان المنوى ليعرضه على الرب الذى يحدد عندئذ إذا ما كان هذا المخلوق سيصبح ذكراً أم أنثى غنياً أم فقيراً ، جميلاً أم قبيحاً ، طويلاً أم قصيراً ، سميناً أم هزياً ، وسائر سماته . غير أن صفتى التقوى والفجور تتركان للإنسان ، ويأمر الرب عندئذ الملاك المكلف بالإشراف على الأرواح بقوله : " أحضر لى الروح التى لها سمات بعينها " ، وعند إحضار الملاك الروح المتفق عليها فإن الروح تقف فى خشوع أمام الرب . ويأمرها الرب فى تلك اللحظة بالاتحاد بالسائل المنوى غير أن الروح لا تجد أمامها سوى أن تتسائل بقولها : " يارب العالمين إننى راضية وسعيدة بعالم الأرواح الذى جعلتنى أنتمى إليه منذ خلقى... فلماذا تبغى الآن دخولى إلى السائل المنوى غير الطاهر، ألسنت مقدسة وطاهرة وجزءاً من مجدك ؟ " غير أن الرب يواسيها بقوله " إن العالم الذى ستدخلينه يعد أفضل من العالم الذى تنتمين إليه ، ولقد خلقتك لهذا الغرض " .

وتدخل الروح عندئذ رغماً عنها إلى السائل المنوى ، ويحملها ملاك الليل إلى رحم المرأة ، ويقوم ملاكان فى هذه الفترة بالتأكد من عدم مفارقة الروح للسائل المنوى، ويسلط الرب الضوء على الروح خلال تلك اللحظات حتى يمكنها رؤية العالم من أقصاه إلى أبنائه .

وفى الصباح يقوم ملاك آخر بحمل الروح إلى الجنة ويدعها تشاهد الصديقين والأتقياء الذين تغطى رؤوسهم أكاليل الغار. وحينما يسألها الملاك أتعرفين من هؤلاء ؟ فإنها تحار الجواب فينبئها " إن من تشاهدينهم هنا تشكلوا مثلك فى أرحام أمهاتهم ، وحينما أتوا إلى العالم حافظوا على شريعة الرب وتعاليمه ، ولهذا ينعمون بالمتعة التى تريئها ، ولتعلمى إنك سترحلين ذات حين عن العالم السفلى ، وإذا حافظت على شريعة الرب سيكون لك مقعد مع الصديقين ، أما إذا لم تحترمى الشريعة فإنك ستقيمين فى موضع آخر " .

ويصحب الملاك الروح فى المساء إلى الجحيم ويدعها تشاهد المذنبين الذين تقوم ملائكة الدمار بجلدهم بالسياط ، ولا تأخذهم رحمة بهم رغم تفوهاتهم . وحينما تعار الروح فى التعرف عليهم يخبرها الملاك : " إن هؤلاء الذين تكلمهم النيران خلقوا مثلك غير أنهم لم يحترموا شريعة الرب ووصاياه . ولهذا فإنهم يتعرضون إلى هذه الإهانات التى تشاهدينها ، ولتعلمى بأنك راحلة عن هذا العالم ، ولتتمسكى بالعدل وتجنبى الشر حتى تنعمى بالنعيم .

وفى الفترة الواقعة بين الصباح والمساء يصحب الملاك الروح ، ويدعها تشاهد المواضع التى ستحيا بها والموضع الذى ستموت فيه ، والمكان الذى ستدفن فيه ، ويصحبها عبر كل العالم ويدعها تشاهد الصديقين والمذنبين وكل شيء ، ويضع الملاك الروح مساء فى رحم المرأة حيث تستقر به تسعة شهور ، وحينما يحين موعد خروج الروح من الرحم فإن الملاك ذاته يخاطب الروح قائلا : " حانت لحظة خروجك إلى العالم " ، وتتردد الروح هنيئة فتسأل الملاك : " لماذا ترغب فى خروجى إلى العالم ؟ " ويجيبها الملاك بقوله : " فلتعلمى أنه كما خلقت على خلاف رغبتك فإنك ستولدين على خلاف رغبتك ، وعلى خلاف رغبتك أيضا ستموتين ، وستقفين أمام ملك الملوك المقدس " غير أن الروح تتلصق فى الخروج ، وينقر الملاك فى هذه اللحظة الجنين على أنفه ، ويطلق النور الذى كان على رأسه ، ويخرجه إلى العالم على خلاف رغبته ، وعند خروج الطفل إلى العالم فإنه ينسى كل ما شاهدته وتعلمته روحه ، ويصرخ الطفل عند خروجه من رحم أمه لفقدانه المكان الذى كان يوفر له الإحساس بالأمان والطمأنينة

وحينما تحين لحظة رحيل الإنسان عن العالم فإن الملاك ذاته يعاود الظهور ويسأله هذه المرة : " أتعرفنى " ويجيبه الإنسان قائلاً : " نعم ولكن لماذا تظهر حالياً ولم تظهر فى أى وقت آخر ؟ " ويقول الملاك : " أتيتك الآن لأخذك من العالم بعد أن حان وقت رحيلك " . وتتساقط دموع الإنسان فى هذه اللحظة ، ويتردد صوت بكائه فى كافة أنحاء المعمورة غير أن صوته لا يسمعه من الكائنات سوى الديك ، ويحتج الإنسان على الملاك بقوله : " لقد أخذتني من عالمين ، وجلبتني إلى هذا العالم " ، فيذكره الملاك بقوله : " ألم أخبرك أنك ستشكل وتولد وتموت على خلاف رغبتك ، وأنت ستقف بين يدي المقدس لتحاسب عما فعلت " (٢٠) .

الإنسان الكامل

خلق الإنسان كامل النضج مثل كافة الكائنات التى تشكلت فى أيام الخلق الستة الأولى ، ولم يخلق كطفل وإنما كإنسان بالغ من العمر عشرين عاماً^(٢١) ، وكان جسده ضخماً للغاية فكان يمتد من السماء إلى الأرض ومن الشرق إلى الغرب^(٢٢) ، ولم يشبه آدم سوى عدد محدود من البشر فامتلك شمشون قوته وشاءول عنقه وأبشالوم شعره ، و" أساهيل " تفلطح قدمه ، وعوزيا مقدمة رأسه و" يوزياه " أنفه ، وتسديياه عينيه ، و" زروبابل " صوته . ويتضح مما يتضمنه التاريخ من أحداث وعبر أن هذا الكمال البدنى لم يكن نعمة على من خلقوا بعد آدم بقدر ما كان نقمة عليهم ، فتسببت قوة شمشون الجبارة فى موته ، كما أن شاءول لقي مصرعه بعد أن قطع رقبتة بسيفه ، أما " أساهيل " فبينما كان مندفعاً بخفة ورشاقة فقد لقي طعنة من رمح " أبنيير " ، كما أن شجرة بلوط أمسكت بشعر " أبشالوم " ومن هنا ظل واقفا بجوارها حتى لقي مصرعه ، كما أن الجذام أصاب مقدمة رأس " يوزياه " ، وفيما يتعلق بالسهام التى قتلت يوزياه فإنها دخلت من أنفه ، كما أن تسديياه أصيب بالعمى^(٢٣) .

ولم يحمل البشر سوى جزء ضئيل من الجمال الذى كان عليه الإنسان الأول ، ولا تعدو أجمل النساء حالياً سوى قردة مقارنة بالجمال الذى كانت عليه سارة ، وتعد سارة مقارنة بحواء قردة كما أن حواء لم تكن سوى قردة مقارنة بآدم ، وكان آدم وسيقاً إلى درجة أن قدمه كانت تحجب بهاء الشمس^(٢٤) .

وكانت طباعه النفسية شديدة التوافق مع حسنه البدني خاصة أن الرب كان قد اهتمنى للغاية بروحه عند صنعها ، ولا غرابة فى هذا الأمر خاصة أن الروح تعد على شاكلة الرب ، وكما أن وجود الرب يملأ العالم فإن الروح تشغل كل جسد الإنسان، وكما أن الرب يشاهد كل شيء ، وتعجز كل العيون عن رؤيته فإن الروح أيضا تشاهد ولا تُشاهد . وكما يوجه الرب العالم فإن الروح هى التى ترشد الجسد . وكما أن الله طاهر فإن الروح طاهرة . وكما أن الرب يقيم فى الخفاء فإن الروح تقيم أيضاً فى الخفاء^(٢٥) .

وحينما وضع الرب الروح فى جسد الإنسان الذى كان أشبه بالطين فقال : " أين يمكننى نفخ الروح بداخله؟ ترى هل أنفخها فى قمه ؟ لا إنه سيستخدمه فى حديث السوء أم أضعها فى عينيه ولكنه سيشتتى الآخرين بهما أم أضعها فى أذنيه غير أنهما سينصتان إلى الافتراءات وكلمات التجديف على الرب . سأضعها فى مقدمة أنفه إذ إنه يتعرف من خلال هذا الجزء على الأشياء غير النظيفة ويرفضها ، ويتقبل فى المقابل عبر هذا الجزء أريج العطور ، ومن ثم فإن الشخص التقى سينأى عن الخطيئة وسيشق طريقه إلى التوراة^(٢٦) .

وسرعان ما تجلت أوجه اكتمال الروح فور تلقى الإنسان لها حتى قبل أن تدب فيه روح الحياة . وقد أوحى الله كل تاريخ البشرية للإنسان الأول فى الساعة الفاصلة بين نفخه للروح فى مقدمة أنفه وبين دبيب الحياة فيه، وأطلعه فى الساعة ذاتها على أبناء كل جيل وقادته وأنبيائه ، ومعلميه ، وعلمائه ، وحكامه وقضاة ، وصديقيه ، وعامة البشر، وغير الأتقياء ، وقصص حياتهم ، وأعمارهم ، وعدد خطاهم وعرف الإنسان الأول كل شيء^(٢٧) .

ورفض آدم بمحض إرادته سبعين عاماً من سنوات عمره فقد كان مقدر له أن يعيش ألف عام ، هذه الأعوام التى تعد يوماً واحداً من أيام الرب ، وتخلّى عنها بعد أن رأى أن الرب كرس لحظة من لحظات الحياة لخلق روح داود العظيمة ، ومن هنا فقد وهبها سبعين عاماً من عمره ، ولهذا عاش تسعمائة وثلاثين عاماً^(٢٨) .

وتجلت حكمة آدم فى أقصى صورها حينما أعطى للحيوانات أسماءها . وقد اتضح عندئذ أن الرب أحسن التصرف حينما أصر أمام الملائكة التى اعترضت على خلق الإنسان على أن الإنسان سيكون أكثر حكمة منها . وحينما كان آدم يبلغ من العمر ساعة واحدة فقط جمع الرب أمامه كل عالم الحيوانات والملائكة ، وحينما دعا الرب الملائكة إلى تسمية أنواع الحيوانات المختلفة عجزت عن القيام بهذه المهمة غير أن آدم ذكر بون تردد : " يارب العالمين . إن هذا الحيوان هو الثور وذاك هو الحصان ، وهذا هو الأسد ، وذاك هو الجمل " ثم سعى كل حيوان باسمه الذى يتماشى مع خواصه، وسأله الرب فيما بعد عن الاسم الذى سيعرف به فأجاب : آدم لأنه خلق من أديم الأرض، ثم سأله الرب عن الاسم الذى سيعرف به فأجاب : الرب لأنك رب كل المخلوقات " وعرف الرب بهذا الاسم الخالد الباقي إلى الأبد^(٢٩) . ولم يكن من الممكن أن يجد آدم كل هذه الأسماء لولا تمتعه بالروح القدس . وكان آدم فى الحقيقة نبيا ، ولم تكن حكمته سوى إهدى سمات النبوة^(٣٠) .

ولم تكن أسماء الحيوانات الشئ الوحيد الذى نقله آدم إلى الأجيال اللاحقة فتدين البشرية بكل فنونها ومعارفها وخاصة فن الكتابة إليه ، فكان آدم أول من أوجد اللغات السبعين التى يتحدث بها البشر^(٣١) ، كما أنجز مهمة أخرى لكل اللاحقين فقد أظهر الرب لأدم كل الأرض، وحدد آدم المواضع التى سيقطنها البشر والأخرى التى ستظل خاوية^(٣٢) .

ظهور الشيطان

وقد أثارت الخواص البدنية والروحانية الخارقة التى تمتع بها آدم غيرة الملائكة التى حاولت إضرام النيران به للقضاء عليه ، وكاد آدم يتعرض للفناء لولا أن الرب وضع يده عليه مما حقق الوفاق بينه وبين كائنات السماء^(٣٣) ، وكان الشيطان من أكثر الكائنات إحساساً بالغيرة من آدم ، ولم يقض الشيطان على ذاته إلا بسبب أفكاره الشريرة . ويعد أن وهب الله آدم الروح دعا كل الملائكة إلى المجيء للخضوع أمامه وللإعلاء من قدره غير أن الشيطان الذى كان يعد من أرفع الملائكة فى السماء والذى يتمتع

بأثنى عشر جناحاً بدلاً من ستة مثل سائر الملائكة لم يهتم بالأمر الإلهي قائلاً : " لقد خلقتنا نحن الملائكة من بهاء روحك وتأمرونا الآن بالخضوع أمام مخلوق خلقته من تراب الأرض "فأجاب الرب" : غير أن لتراب الأرض قدراً من الحكمة والفهم يفوق ما لديك " . وطلب الشيطان تحدى آدم فى المعرفة فوافق الرب بقوله : " خلقت الحيوانات والطيور والزواحف ، وسأجعلها تجيء للوقوف أمامك وأمام آدم ، وإذا تمكنت من أن تعطيتها أسماء سائر آدم بتبجيلك ، وستقيم بجانب روحى ، أما إذا عجزت ونجح آدم فى التعرف على الأسماء التى خصصتها لها فإنك ستخضع لآدم وسيكون له موضع فى جنتى وسيزرعها " . وكانت هذه كلمات الرب ، وتوجه إلى الجنة وتبعه الشيطان . وحينما أدرك آدم الرب قال لزوجته : " هيا فلنقدس الرب ولنسجد أمام الرب خالقنا " . وحاول الشيطان فى هذه اللحظة أن يتعرف على أسماء الحيوانات غير أنه فشل فى التعرف على أول حيوانين وكانا الثور والبقرة ، وحينما دفع الرب الكلب والحصان أمام الشيطان فقد عجز عن التعرف أيضاً على أسمائهما ، والتفت الرب فيما بعد إلى آدم وسأله عن أسماء الحيوانات ذاتها فتعرف عليها . وهكذا اضطر الشيطان للاعتراف بتفوق آدم . ومع هذا فقد انفجر الشيطان فى الصراخ حتى وصل صراخه إلى السماوات ورفض الخضوع لآدم كما أمره الرب^(٣٤) . وقد حذت الملائكة حذو الشيطان على الرغم من أن الملاك ميخائيل كان أول الملائكة التى سجدت لآدم حتى يكون قدوة طيبة لسائر الملائكة . وخاطب الملاك ميخائيل الشيطان قائلاً : " يجب أن تحترم صورة الرب ! لأن الرب سيصعب غضبه عليك إذا لم تقم بهذا الأمر " فأجاب الشيطان : " إذا صعب غضبه على فبأنى سأعلى من عرشى ، وسأضعه فوق نجوم الرب ، وسأصبح مثل العلى " . ورمى الرب الشيطان وأتباعه دفعة واحدة من السماء إلى الأرض ، وتمثل هذه اللحظة بدايات العداء بين الشيطان والإنسان^(٣٥) .

المرأة

حينما فتح آدم عينيه للمرة الأولى وأدرك العالم من حوله انخرط فى مديح الرب قائلاً : " ما أعظم صنائعك ربى " . غير أن إعجابه بالعالم المحيط به لم يفيق إعجاب كل الكائنات بآدم إذ تعاملت معه على أنه خالقها فسارعت بتبجيله غير أنه قال :

” لماذا تأتون إلى عبادتي؟ إننا سنعترف معاً بعظمة الرب خالقنا. إن الحكم للرب ، فالمدح يحمله(٣٦) .

ولم تتصور كائنات الأرض فحسب أن آدم هو خالقها إذ شاركتها كائنات السماء التصور ذاته ، ومن هنا فقد كانت على وشك التسبيح له بقولها : ” قدوس قدوس قدوس رب الملائكة ” . ولم تدرك الملائكة أن آدم بشر إلا بعد أن ألقى عليه الرب السبات(٣٧) .

وكان الغرض من السبات الذي حل بآدم إعطاء زوجة حتى يمكن للجنس البشري أن يتطور ، وحتى يمكن لكل الكائنات التعرف على الفرق القائم بين الرب والإنسان . وحينما سمعت الأرض ما قرره الرب بدأت ترتعد قائلة : ” لست قادرة على توفير الطعام لكل نسل آدم ” غير أن الرب هدأ من روعها بقوله : ” سنجد معاً الطعام اللازم للقطيع ” . وتم تقسيم الزمان بين الرب والأرض فنأخذ الرب الليل وأخذت الأرض النهار فالنوم الذي يوفره الرب في المساء يجدد طاقة الإنسان ويقويه ويوفر له الحياة والراحة في حين أن الأرض توفر له ويمساعدة الرب الطاقة التي تساعد الإنسان على رى الأرض . غير أنه من الضروري أن يفلح الإنسان الأرض حتى يكسب طعامه(٣٨) .

وكان قرار الإله بتوفير رفيق للإنسان متماشياً مع رغبات الإنسان الذي كان قد أحس بالوحشة والوحدة بعد أن رأى الحيوانات تأتي إليه أزواجا حتى يسميها(٣٩) . وحتى يتخلص من إحساسه بالوحدة فقد وهبت له ” ليليث ” زوجة - وكانت قد خلقت مثله من تراب الأرض - غير أنها لم تبق معه سوى فترة وجيزة إذ إنها أصرت على أن تكون مساوية لزوجها ، ودافعت عن حقها هذا بأنها خلقت مثله من تراب الأرض. وفرت ” ليليث ” ويمساعدة الرب من آدم واختفت في الهواء ، واشتكى آدم للرب من أن الزوجة التي وهبها له تخلت عنه فأرسل الرب ثلاثة ملائكة لأسرها فعثروا عليها في البحر الأحمر وحاولوا إحضارها إلى آدم مهدين بأنها إذا لم ترجع فإنها ستفقد كل ليلة مائة من أبنائها غير أن ” ليليث ” أثبتت العود مفضلة هذا العقاب على العودة إلى آدم ، وتنتقم ” ليليث ” بالتعرض للذكور عند ولادتهم خلال أول ليلة من عمرهم في حين أنها تتعرض بالآذى للإناث خلال أول عشرين يوماً من ولادتهن ، وليس من الممكن اتقاء شرورها إلا من خلال وضع تعويذة على الأطفال تحمل أسماء الملائكة الثلاثة الذين أوقعوها في الأسر(٤٠) .

وأخذت المرأة التي قدر لها أن تصحب الإنسان من جسد الإنسان * لأنه حينما يتم الدمج بين طرفين متشابهين فليس من الممكن أن يتم الفصل بينهما^(٤١) . وقد تسنى خلق المرأة من الإنسان لأنه كان لأدم وجهان تم الفصل بينهما عند ميلاد حواء^(٤٢) .

وذكر الرب عند خلقه لحواء : * لن أصنعها من رأس آدم خشية أن تكون متكبرة ، أو من عينيه خشية أن تصبح طليقة العنان ، أو من أذنه حتى لا تسترق السمع إليه ، أو من رقبته حتى لا تصبح متفطرسة أو من فمه حتى لا تكون ثرثارة ، أو من قلبه حتى لا تكون حسودة ، أو من يده حتى لا تصبح متطفلة ، أو من قدمه حتى لا يقتصر سعيها على المتعة . سأخلقها من جزء طاهر بالجسد * وحدث الرب كل طرف وكل عضو عند خلقه بقوله : * كن طاهرا . طاهرا * ومع هذا ورغم كل العذر الذي توخاه الرب عند خلقه فتوجد بالمرأة كل الأخطاء التي حاول الرب طمسها . ومن هنا كانت بنات صهيون متفطرسات تملكهن الشهوة ، كما أن سارة حرصت على أن تسترق السمع حينما تحدث الملاك مع إبراهيم ، وكانت مريم لا تتوقف عن تريد أحاديث الإفك وتوجيه الاتهامات والافتراءات إلى موسى ، وكانت راحيل تشعر بالغيرة من ليث ، كما أن حواء مدت يدها لطف الثمرة المحرمة ، فضلاً عن أن دينا كانت تعرض على تلمس المتعة^(٤٣) .

ويعد تكوين المرأة أعقد بكثير من نظيره لدى الرجل إذ من وظائف المرأة الحمل والإنجاب ، والسبب ذاته فإن المرأة تسبق في نضجها الرجل^(٤٤) . وترجع أسباب كثير من الفروق البدنية والنفسية القائمة بين الرجل والمرأة إلى أن الرجل خلق من تراب الأرض في حين أن المرأة خلقت من عظام الرجل . ومن بين هذه الفروق أنه بينما تشعر النساء بأن هناك حاجة لاستخدام العطور فلا يساور الرجال الشعور ذاته ، ويكمن سبب هذا التباين في أنه بينما يحتفظ تراب الأرض بحالته دونما تغيير فإن اللحم يحتاج إلى الملح حتى يمكن الحفاظ على حالته . ومن بين هذه الفروق أيضاً أن صوت النساء يتسم بالحدة الأمر الذي لا يتسم به صوت الرجال وسبب هذا أنه بينما لا نسمع صوتاً للأطعمة عند طهيها فإن وضع العظام بأي إناء كقيل بإحداث جلبة ، وبينما يتسم الرجل بقلته من الممكن تهدئته بسهولة ويسر فليس من الممكن تهدئة المرأة

على النحو نفسه ، والسبب أنه بينما تكفى بضع نقاط من الماء لترطيب التربة فإن العظام تبقى صلبة حتى لو تم غمرها بالماء بضعة أيام . ونذكر من بين الفروق أيضا أنه يتعين على الرجل أن يطلب المرأة زوجة له بينما لا تقوم المرأة في المقابل بهذه المهمة ويمكن سبب هذه الظاهرة في أن الرجل هو الذى فقد ضلعه ومن ثم فإنه يسعى إلى استرداده .

وتعود كل الفروق بين الرجل والمرأة في الملبس وكافة المظاهر الاجتماعية إلى نشأة كل منهما . وتغطي النساء شعورها لأن المرأة هي التي جلبت الخطيئة إلى العالم ، ومن هنا فإنها تحاول على هذا النحو إخفاء العار الذي اقترفته . وتسير النساء أمام الرجال في المواكب الجنائزية لأن المرأة هي التي جلبت الموت للعالم . وترتبط الوصايا الدينية الخاصة بالمرأة فقط بتاريخ حواء . وحقا فقد كان آدم هو الهدية التي قدمت للعالم غير أن حواء بنسبه . ونظراً لأن المرأة أطفأت نور روح الإنسان فقد حرم على المرأة إشعال شموع يوم السبت^(٤٥) .

وألقي الرب السبات على آدم قبل أن يأخذ ضلعاً منه لخلق حواء فلو كان آدم شاهد عملية خلقها لما كانت أيقظت به الحب ، ولا غرابة في هذا لأن الرجال لا يشعرون حتى يومنا هذا بالحب للنساء اللاتي عرفنهن منذ طفولتهم . ورغم أن الرب كان قد خلق زوجاً لآدم قبل خلق حواء إلا أن آدم لم يأخذها زوجة لأنها صنعت أمامه ولأنه كان ملماً بكل تفاصيلها^(٤٦) . وحينما استيقظ آدم من سباته وشاهد حواء بكل ما أوتيت به من جمال فقد ذكر مشيها : " هذه هي التي جعلت قلبي يرتجف كل ليلة " غير أنه سرعان ما عرف طبيعة المرأة فعرف أنها ستسعى لتحقيق مرادها إما بالتضرع أو الدمع أو بالمداينة والملاطفة ، فقال : إنها لن تكون لينة الطرف^(٤٧) .

وتم الاحتفال بزفاف الزوجين في موكب لا مثيل له في التاريخ ، فقام الرب قبل تقديم حواء إلى آدم بإخفاء الزينة على العروس ، وناشد الملائكة قائلاً : " فلنحتفل بأنهم وزوجه لأن كل العالم يعتمد في وجوده عليهما ، وتطيب لى رؤيتهما أكثر من مشاهدة شعب إسرائيل عند تقديمه للقرايين على المنبح " . وأحاطت الملائكة بمكان جلوس العروسين ، وذكر الله بعض الكلمات لباركتهما مثلما يقوم " الحازان " حالياً عند مباركة العروسين . ورقصت الملائكة عندئذ وعزفت على الآلات الموسيقية أمام غرف

العروسين العشر التي كان الرب أعدها والتي كانت مزدانة بالذهب والطلى والأحجار الكريمة .

ودعا آدم زوجته " إيشاه " ودعا نفسه " إيش " متخلياً عن اسم آدم الذي كان يعرف به قبل خلق حواء^(٤٨) .

آدم وحواء في الجنة

وكانت جنة عدن هي المسكن الذي أقام به أول رجل وامرأة ، وتعتبر أرواح البشر كافة هذا الموضع عقب الموت وقبل وصولها إلى مقرها الأخير . ومن الضروري أن تعبر الروح سبعة مداخل قبل أن تصل إلى سماء ARABOT التي تتحول فيها الأرواح إلى ملائكة وتبقى بها إلى الأبد مسبحة بمجد الرب ومشخصة أنظارها على مجد الروح الإلهية . ويقع المدخل الأول في مغارة سارة بالقرب من الجنة ، ويشرف ويسيطر على هذا الجزء آدم ، وحينما يجد آدم أن الروح التي تعبر هذا المدخل أو الممر تتسم بالنقاء فإنه يسمح لها بالدخول ، وتمضي الروح بالدخول حتى تصل إلى بوابة الجنة التي يحرسها " الشروبيم " ولهيب السيف . أما إذا كانت لا تستحق الدخول فإن السيف يجتثها وإلا فإنها تحصل على إذن يتيح لها دخول الجنة الأرضية . ويوجد في ذلك المكان عمود من دخان ونور ممتد من الجنة إلى بوابة السماء . ويتوقف دخول الروح إلى الجنة على إذا ما كان بمقدور الروح تسلق هذا العمود والوصول إلى السماء .

ويقع المدخل الثالث الذي يعرف باسم " زيول " في مدخل السماء . وإذا كانت الروح تستحق الدخول يقوم الحارس بفتح المدخل ويدعها تدخل الهيكل السماوي ، ويقدمها الملاك ميخائيل إلى الرب ويقودها إلى المدخل السابع الذي تتحول فيه أرواح الصديقين إلى ملائكة تسبح للرب وتتغذى على مجد روح القدس^(٤٩) .

وتوجد بالجنة شجرتا الحياة والمعرفة غير أن شجرة المعرفة تطوق شجرة الحياة ، ولا يصل شجرة الحياة إلا من يمكنه الوصول إلى شجرة المعرفة ، وتعد شجرة الحياة ضخمة للغاية فلا يمكن للإنسان أن يلتف حولها إلا في خمسمائة عام ، ولا يقطع الإنسان المساحة التي تغطيها ظلال هذه الشجرة إلا في الفترة الزمنية ذاتها ،

وتندفق من هذه الشجرة مياه تروى كل الأرض^(٥٠) ، وتنقسم هذه المياه فيما بعد إلى أربعة أنهار وهي 'جانجس والنيل ودجلة والفرات'^(٥١) . وقد تطلعت النباتات خلال أيام الخلق إلى مياه الأرض لترتوى منها ، ومن ثم جعل الرب النباتات تعتمد في محياها على مياه السموات، ومن هنا تتصاعد السحب من الأرض إلى السموات ليهطل منها المطر^(٥٢) . ولم تشعر النباتات بقر المياه إلا بعد خلق آدم. وبالرغم من أنها خلقت في يوم الخلق الثالث لم يدعها الرب تظهر على وجه الخليقة إلا بعد أن ابتهل آدم إلى الرب من أجل الطعام، واستجاب الرب إلى دعائه لأنه يحب الاستماع إلى صلوات الأنبياء^(٥٣) .

ولما كانت الجنة تحتوى على كل ما يحتاجه آدم لم تكن هناك حاجة لقيامه بزراعتها. وإذا كان الرب قد دعا آدم لزراعة الجنة والحفاظ عليها فإن هذا الأمر الإلهي لم يعن سوى قيامه بدراسة الشريعة وتنفيذ وصايا الرب^(٥٤) . ويتعين على أى إنسان الالتزام بتنفيذ ست وصايا وهي : ألا يعبد الأصنام أو يجدف على الرب أو يرتكب جريمة القتل أو الزنا أو السرقة ، كما يتعين على كل الأجيال بوضع نظم صارمة لتطبيق الشريعة والنظام. وكانت هناك وصية أخرى غير أنها كانت مؤقتة فقد كان على آدم ألا يتناول سوى نباتات الحقل الخضراء^(٥٥) . أما تحريم تناول لحم الحيوانات فقد نُسخ في عهد نوح بعد الطوفان. ومع هذا لم يُحرم آدم من التمتع بتناول اللحوم فبالرغم من منعه من ذبح الحيوانات كانت الملائكة تحضر له اللحوم والنبيد^(٥٦) . وكما كانت الملائكة تلبى كافة احتياجاته كانت الحيوانات تحت إمرته أيضاً فكانت تتلقى طعامها منه ومن حواء^(٥٧) . وكانت علاقة الحيوانات بآدم شديدة الاختلاف عن علاقتها بالأجيال اللاحقة إذ كانت تعلم لغة البشر^(٥٨) فضلاً عن احترامها للإنسان الذى خُلق على صورة الرب ، ومن ثم كانت تتخوف من أول زوجين. ولم يتغير موقفها من البشر إلا بعد خروج آدم من الجنة^(٥٩) .

خروج آدم من الجنة

وكانت الحية من أبرز الحيوانات ، فكانت لديها خواص شديدة التميز ، بل كانت تشبه البشر في بعضها. وكانت الحية تقف على قدميها مثل بنى البشر ، كما كانت فى طول الجمل. ولولا خروج آدم من الجنة الذى كان له نتائج وخيمة على الحيوانات لكان

بوسع زوج واحد من الحية القيام بكل المهام اللازمة للإنسان وتزويده بالفضة والذهب والمجوهرات. وفي حقيقة الأمر فقد جلبت القدرات التي تمتعت بها الحية الدمار للإنسان ولجنسها. وقد تسببت قدراتها العقلية المميزة في أنها أصبحت ملحدة بل وتغار من الإنسان وبالأخص علاقاته الزوجية. وحينما تملك الغيرة من الأفعى حرصت على اتباع كافة الطرق والوسائل لجلب الموت إلى آدم^(١٠). وكانت الحية ملمة بطبيعة البشر ووسائل إقناعهم والتأثير عليهم، ولهذا اقتربت من المرأة لعلمها أنه من السهل خداعها. وقد خططت الأفعى بمكر لحديثها مع حواء، ومن هنا كان سقوطها في الفخ أمراً مؤكداً. وبدأت الحية حديثها متسائلة: "أحقاً أن الرب قال إنك لن تأكل من أية شجرة بالجنة؟" فاجابتها حواء: "يمكننا تناول ثمار كافة أشجار الجنة إلا تلك التي تقع بوسطها، ولا يحق لنا حتى المساس بها وإلا سنموت". وتحدثت حواء على هذا النحو نظراً لأن آدم كان قد منعها من فرط حرصه على عدم التعدي على الأمر الإلهي من المساس بالشجرة في حين أن الرب حرم عليه تناول ثمارها فقط. ويتضح من هنا أن مغالاة آدم هي التي أتاحت للحية فرصة إقناع حواء بتناول ثمرة الشجرة. وكانت الحية أقنعت حواء بتناول ثمرة الشجرة بقولها: "ألا ترين أن المساس بالشجرة لم يعرضني للموت، وإن يمسك الضرر إذا تناولت ثمرة الشجرة. إن هذا التحريم لم ينبع إلا من حقد الرب خاصة أنه إذا تناولت هذه الثمرة ستصيرين كالرب. وكما أن الرب يخلق ويدمر فإنه سيصير بمقدورك الخلق والتدمير. وكما أن الرب يحيى ويميت سيصير في إمكانك أن تميت وتحيى"^(١١). وقد تناول الرب في البدء ثمرة الشجرة وقام بعدها بخلق العالم، ولهذا حرم عليك تناولها خشية أن تخلقي عوالم أخرى. ومن المعروف أن الصناع يكرهون بعضهم بعضاً. وملاوة على هذا ألم تلاحظي أن كل مخلوق من المخلوقات يملك السطوة والنفوذ على المخلوق السابق له فقد خلقت السموات في يوم الخلق الأول غير أنها لم تبق في مكانها إلا بفضل قبة السماء التي خلقت في يوم الخلق الثاني، كما أن هذه القبة تحكمها النباتات التي خلقت يوم الخلق الثالث إذ تأخذ هذه النباتات كل ما تحتاجه من المياه من هذه القبة، أما الشمس وسائر نجوم السماء والتي خلقت يوم الخلق الرابع فلها السطوة والنفوذ على عالم النباتات التي لا تنمو إلا بفضل ما للشمس من تأثير. أما عالم الحيوان الذي خلق يوم الخلق الخامس فله السطوة على عالم السماء فيمكن لطائر "الزيز" أن يحجب

بجناحيه أشعة الشمس، أما أنت وأدم فماتتما أسياد الخلق لأنكما أخر من خلق. أسرعى الآن يا حواء وتناولى ثمرة الشجرة الواقعة وسط الجنة لتكونى مستقلة عن الرب خشية أن يخلق مخلوقات أخرى يكون لها السطوة عليك^(١٢).

وحتى تثبت الحية صدق ما تقول بدأت فى من الشجرة بعنف مسقطاً ثمارها وأكلت منها قائلة : "طالما أنى لم أمت بعد تناول ثمار الشجرة فإنك لن تموتى أيضاً". وعندئذ حدث حواء نفسها قائلة : "إن سيدى آدم لم يأمرنى إلا بمجموعة من الأكاذيب" وقررت أن تتبع نصيحة الحية^(١٣). ومع هذا لم يمكنها أن تعصى أمر الرب كلية فأكلت فى البدء قشرة الثمرة. وحينما رأت أن الموت لم يحل بها أكلت الثمرة ذاتها^(١٤)، وفور أن فرغت من تناول الثمرة شاهدت ملاك الموت. وحينما أدركت أن نهايتها ستأتى فى التو قررت أن يتناول آدم الثمرة المحرمة خشية أن يتزوج امرأة أخرى بعد وفاتها^(١٥) ومن هنا أخذت فى البكاء والنواح لتقنع آدم بأن يتخذ الخطوة ذاتها. وعلاوة على هذا فقد أعطت الثمرة إلى كل الكائنات الحية حتى تلقى المصير ذاته^(١٦). وتناولت كل الكائنات الثمرة ذاتها وهكذا أصبحت عرضة للموت، ولم يستثن من هذا القدر سوى طائر "ملحم" الذى رفض تناول الثمرة قائلاً : "ألا يكفى أنك عصيت الرب وجلبت الموت للآخرين؟ وهل لزام عليك أن تقنعينى بعصيان الرب؟ ولكنى لن أستجيب لك وعندئذ خرج صوت من السماء منادياً آدم وحواء : "لقد تقيتما الأمر ولم تصفيا إليه بل وعصيتما الأمر وحاولتما إغواء طائر "ملحم" الذى تمسك بالأمر الإلهى واتقانى رغم أنه لم يتلق منى الأمر. ولذلك لن يموت إلى الأبد، وسيظل حياً إلى الأبد بالجنة"^(١٧).

وحدث آدم حواء متسائلاً : "هل أعطيتنى ثمرة الشجرة التى نهاانا الرب عن تناولها؟" فلجابه حواء : "نعم"^(١٨).

وكانت النتيجة الأولى للعصيان أنهما أصبحا عريانين إذ كان جسدهما قبل العصيان تغطيهما جلود شنة ويحيطهما غمام المجد، ومن هنا فقد سقط عنهما هذا المجد فور ارتكابهما للعصية، ووقف عريانين يملؤهما الخزي^(١٩). وقد حاول آدم جمع بعض أوراق الشجر ليغطى جسده غير أنه سمع الشجر يحدث بعضه البعض قائلاً : "ها هو اللص الذى عصى الرب. يجب ألا يمسننا بيده وألا يأخذ أوراقنا. ولم توافق

سوى شجرة التين على منحه أوراقها لأن التين كان هو الثمرة المحرمة . وعاش آدم على هذا النحو تجرية ذلك الأمير الذى أغوى واحدة من الخدم بالقصر . وحينما طرده والده الملك من القصر لم يجد مأوى إلا لدى من كانت ساعته (٧٠) .

العقاب

ولم يترأى الرب لآدم طيلة الوقت الذى كان فيه عارياً والذى كان يبحث فيه عن وسيلة للتخلص من خجله ، ولم يترأى الرب له آنذاك لأنه يتعين على المرء ألا يرى أخاه فى لحظات خزيه ، فانتظر الرب حتى تمكن آدم وهواء من تغطية أنفسهما بأوراق التين^(٧١) ، غير أن آدم كان يعلم قبل أن يحدثه الرب ما ينتظره خاصة بعد أن سمع الملائكة تعلن : " إن الرب سيتوجه إلى من يقيمون بالجنة " . وكان قد سمع الملائكة تحدث بعضها بعضاً عن خروجه من الجنة بل وسمع ما قالته الملائكة للرب . وقد حدثت الملائكة الرب مندهشة : " أما زال آدم يسير فى الجنة ؟ ألم يمض بعد ؟ " فحدث الرب الملائكة : " أخبرت آدم أنك ستموت فى اليوم الذى ستتناول فيه ثمار الشجرة غير أنك لا تعرفون ما أعنيه بلغة يوم فيومى يبلغ ألف عام من أيامكم ، وسأعطيه يوماً من أيامى فيحيا تسعمائة وثلاثين عاماً ، ويترك سبعين عاماً لنسله^(٧٢) .

وحينما شعر آدم وهواء بمجىء الرب اختفيا وسط الأشجار ، الأمر الذى لم يكن ممكناً قبل ارتكابهما للخطيئة . إذ كان طول آدم متدداً من السماء إلى الأرض غير أن طوله أصبح بعد الخطيئة مائة ذراع^(٧٣) . وكان من بين تبعات الخطيئة ذلك الخوف الذى تملك آدم عند سماع صوت الرب فى حين أن صوته لم يريكه قبل ارتكاب الخطيئة^(٧٤) . وحينما قال آدم : " تملكنى الخوف عند سماع صوتك بالجنة " أجاب الرب : " لم تكن خائفاً فيما مضى وأصبحت الآن خائفاً^(٧٥) .

وتجنب الرب فى البدء توبيخ آدم فاكتفى بالوقوف لدى بوابة الجنة سائلاً آدم : " أين أنت ؟ " وابتغى الله أن يعلم الإنسان على هذا النحو أسس السلوك القويم بعدم دخول المرء منزل أخيه دون أن ينبئ بذاته^(٧٦) . ولا يمكننا تجاهل أن الجملة الاستفهامية " أين أنت ؟ " محملة بالمعانى فالغرض منها لفت انتباه آدم إلى الفرق

الشاسع بين حالته الحالية وحالته السابقة أى بين حالته الخارقة السابقة وحالته الهزيلة الأنية وبين الحالة التى كان الرب يربها فيها والحالة التى أصبح فيها خاضعاً للحية^(٧٧) . وأراد الرب فى الحين ذاته أن يهب آدم فرصة التوبة والتمتع بالتالى بالمغفرة غير أن آدم كان بعيداً كل البعد عن المغفرة إذ لم يتوقف عن التجديف على الذات الإلهية^(٧٨) . وحينما سأله الرب : " ألم تكل من الشجرة التى نهيتك عن الأكل منها ؟ " لم يعترف آدم بخطيئته وحاول أن يبرر ما فعله قائلاً : " يارب العالمين حينما كنت بمفردى لم أرتكب المعصية غير أن هذه المرأة أتقتى وأغوتنى " . فأجاب الرب : " وهبتها لك لتساعدك وأست معترفاً بالفضل عند اتهامك لها بأنها أطعمتك من الشجرة ، وكان يجب ألا تطيعها لأنك السيد وليست هى بالسيد^(٧٩) . وكان الرب العليم يعرف ما سيحدث ، ولم يخلق الرب حواء إلا بعد أن طلب منه آدم خلق رفيق له حتى لا يكون لديه ما يدعو لإلقاء اللوم على الرب لخلق حواء^(٨٠) .

وكما حاول آدم تبرئة نفسه مما فعل فقد حاولت حواء تبرئة نفسها فلم تعترف مثل زوجها بالذنب ، ولم تطلب المغفرة رغم أنه كان من الممكن أن تُمنح المغفرة^(٨١) . ولرحمة الرب لم يكتب الهلاك على نسل آدم وحواء . أما الحية فقد أهل الرب عليها اللعنة دون أن يسمع دفاعها لأن الحية بطبيعتها شريرة فضلاً عن أن الأشرار يجيبون الجدل . ولو كان الرب سألها لقلت : " لقد أعطيتهم الأمر ولم أنقضه . ولماذا أطماعونى ولم يطيعوك^(٨٢) ؟ " ولم يدخل الرب من هنا فى أى جدل مع الأفعى وحكم عليها بالعقوبات العشر التالية وهى : إغلاق فمها ، وسلبها القدرة على الكلام ، وتقطع يديها وقدميها ، وإطعامها من تراب الأرض ، وتعرضها للعناء عند انسلاخ جلدها ، وتكريس العداء بينها وبين البشر ، وتحول كل الأطعمة والسوائل إلى تراب فى فمها ، واستفراق فترة حملها إلى سبع سنوات ، وسعى الإنسان إلى قتلها أينما لمصها حتى لو كانت فى العالم الآخر الذى ستتعلم فيه كل الكائنات بالاستقرار وتعرضها للعقاب ، واختفاؤها من الأرض المقدسة فى حالة إذا ما اتبع شعب إسرائيل وصايا الرب^(٨٣) .

وعلاوة على هذا ، فقد حدث الرب الأفعى قائلاً : " خلقتك لتكونى سيدة كل الحيوانات والمواشى والبهائم غير أنك لم تشعري بالرضا وإذا فإن اللعنة التى ستحل عليك تفوق معاناة كل الحيوانات . ولقد خلقتك منتصبة القامة ولم تشعري بالرضا ،

ولذا فإنك ستسيرين على بطنك ، وخلقك لتتلكى الأطعمة نفسها التي يتناولها البشر ، ولكنك لم تشعرى بالرضا ولذلك فإنك ستأكلين طيلة حياتك التراب. لقد سعت لجلب الموت لأدم لتقترنى بزوجه ، وإذا سألتم العدا بينك وبين المرأة " . وحقا إن من يشتهي ما لا يستحق لا يحقق رغبته بل يفقد ما لديه .

وكانت الملائكة حاضرة عند إصدار الرب لحكمه على الأفعى خاصة أن الرب كان قد دعا مجتمع الملائكة المكون من واحد وسبعين ملاكاً ليشهدوا القرار الذي تم تكليف الملائكة بتنفيذه، وهبطت الملائكة من السماء وقطعت أيدي وأرجل الأفعى وكان عذابها شديداً وارتفع صراخها في كل أرجاء المعمورة^(٨٤) .

وتكون الحكم الصادر على حواء من عشر لعنات لا زلنا نتلمس صداها حتى يومنا هذا في حالتها البدنية والنفسية والاجتماعية^(٨٥) . ولم يخبر الرب حواء بهذا الحكم إذ إنه لجأ في حوارها معها إلى مفسر ومترجم^(٨٦) خاصة أن الرب لم يحدث امرأة على هذا النحو إلا سارة .

أما العقاب الذي حل بأدم فقد كان عشرة أضعاف العقاب الذي حل بحواء، ففقد آدم ملابسه السماوية بعد أن خلعه الرب عنه ، وقدر عليه أن يكد ليجد طعامه يومياً ، وأن يتحول الطعام الذي يتناوله من جيد إلى سيئ ، وأن يرتحل أبناؤه من أرض إلى أرض ، وأن يتصبب جسده عرقاً ، وأن تمتلكه الميل الشريرة ، وأن يصبح جسده عند الموت فريسة للحشرات، وأن تكون الحيوانات أكثر قوة ونسأ مقارنة به ، وأن تكون أيامه قصيرة ومليئة بالمشكلات ، وأن يقدم في النهاية حساباً عما قام به على وجه الأرض^(٨٧) .

ولم يقتصر العقاب على هؤلاء المذنبين الثلاثة فلم تكن الأرض أفضل حالاً فقد ارتكبت العديد من الشرور والمعاصي كان أولها أنها لم تصنع للأمر الإلهي الذي تلقت ثالت أيام الخلق بشأن إخراج " شجرة الفاكهة " . كان الرب يبتغي وجود شجرة يكون مذاق أعوادها كمذاق الفاكهة غير أن الأرض أنبتت شجرة تحمل فاكهة ليست للكل^(٨٨) .

كما أن الأرض لم تقم بما كان يتعين عليها القيام به تجاه خطيئة آدم . وكان الرب قد كلف الشمس والأرض بأن يشهدا ضد آدم عند ارتكابه لأية معصية ، ومن ثم فقد أضحت الشمس كتلة من الظلام فور ارتكاب آدم للمعصية غير أن الأرض غضت الطرف رغم علمها بعصيان آدم^(٨٩) . وقدرت على الأرض عقوبات عشرة فبعد أن كانت الأرض مستقلة أصبحت تُروى بالأمطار ، كما أن الحبوب التي تخرجها تتعرض للمواصف والعفن ، ويتعين عليها أن تخرج كافة أنواع الحشرات المؤذية . وقدر عليها منذ ذلك الحين فصاعداً أن تنقسم إلى وديان وجبال وأن تخرج شجراً أجذب لا يخرج منه سوى الشوك الذي ينتشر في الأرض ولا فائدة منه . وستكشف الأرض عن دمارها وإن يداوئها أحد ، وستأخذ ذات يوم من الشمع ثوباً^(٩٠) .

وحيثما سمع آدم كلمات الرب " إن الأرض لن تجلب سوى الشوك " تفصّد وجهه عرقاً وصاح قائلاً : " هل ساكل أنا والقطيع الطعام نفسه ؟ " غير أن الرب قال : " ستاكل الخبز بعرق وجهك "^(٩١) .

ولم تكن الأرض فقط هي التي عانت ما ارتكبه آدم من معصية إذ قدر على القمر أيضاً العناء ، فحينما أفضت الأقمى آدم وهواء وشاهدتهما عريانين فقد انفجر في البكاء وشاركتهما في النحيب السموات والشمس والنجوم وكل المخلوقات الواقعة تحت العرش . وتأملت الملائكة وكل كائنات السماء للمعصية بينما ضحك القمر مما أغضب الرب وجعله يحجب ضوءه . وبعد أن كان القمر مضيئاً طيلة الوقت مثل الشمس فقد شاخ سريعاً وأصبح عليه أن يواد مراراً وتكراراً^(٩٢) .

وقد أغضب موقف القمر القاسي الرب ليس فقط لغلظته في مقابل الرحمة التي اتصفت بها كافة المخلوقات ولكن لأن الرب أحس بالشفقة والثناء على آدم وزوجه ، فالتبسهما الرب من الجلد الذي نزعهما عن الأقمى^(٩٣) . وكان يمكنه القيام بأكثر من هذا ، فكان يمكنه السماح لهما بالبقاء في الجنة لو تابا عما فعلاه ولكنهما رفضا التوبة ؛ ومن ثم فقد كان عليهما الخروج من الجنة حتى لا يستغلا فهمهما وحكمتهما شبه الإلهية في نهب شجرة الحياة وأن يحيا إلى الأبد . وحينما طردهما الرب من الجنة لم يطبق عليهما معيار الحكم الإلهي كلية إذ دمج هذا الحكم برحمته ، وعند خروجهما ذكر الرب : " من المؤسف أن آدم لم يتمكن من احترام الأمر الذي كلف به حتى لفترة وجيزة " .

وكلف الرب الملائكة بالوقوف على أبواب الجنة لحراستها ، ودعا أيضاً سيف
اللهيب لحراستها خاصة أنه من الممكن أن تغير الملائكة ميبتها من حالة إلى أخرى^(٩٤) .
وبدلاً من شجرة الحياة فقد وهب الرب آدم التوراة التى تعد شبيهة بشجرة الحياة ،
ودعاه إلى الإمساك بها ، وسُمح لها بالاستقرار بجوار شرق الجنة^(٩٥) ، ويعد أن صدر
الحكم الإلهي على آدم وحواء والأفعى أمر الرب الملائكة بإخراج آدم وحواء من الجنة
فانتابتهما موجة من البكاء والدعاء فأنشفت عليهما الملائكة ولم تنفذ الأمر الإلهي فى
انتظار مطالبة الرب بالتخفيف من سطوة حكمه . وقد كان من المتعذر إقناعه إذ قال :
"هل أنا الذى أخطأت وأصدرت حكماً خاطئاً ؟" ولم يستجب الرب أيضاً لصلاة آدم
التي طلب خلالها الحصول على ثمرة شجرة الحياة غير أن الرب وعده بالحصول عليها
يوم البعث وأنه سيعيش إلى الأبد شريطة أن يسلك مسالك الصديقين .

وعاود آدم البكاء بعد أن شعر أن الرب اتخذ قراراً لا رجعة فيه ، فتوسل
إلى الملائكة لتمنحه فرصة أخذ بعض التوابل طيبة الطعم من الجنة عساه أن يقدمها
إلى الرب عند خروجه من الجنة وحتى يستجيب الرب إلى صلواته ، وتوجهت الملائكة
إلى الرب قائلة : " يا من لك الملك يوماً كلفنا بإعطاء آدم التوابل طيبة الطعم التى يبتغى
جمعها من الجنة " فاستجاب الرب إلى دعائها . ومن هنا جمع آدم الزعفران ونبات
الطيب ، والأقويون والقرفة ، وكافة أنواع المبوب اللازمة لمعيشته . وترك آدم وحواء
الجنة محملين بكل هذه الأشياء ، وهبطا إلى الأرض^(٩٦) .

وكان آدم وحواء قد نعما بيهاء الجنة لفترة وجيزة لا تتعدى بضعة ساعات.
وقد هسم الرب فى الساعة الأولى من يوم الخلق السادس فكرة خلق الإنسان ،
واستشار خلال الساعة الثانية الملائكة فى خلقه ، وجمع فى الثالثة التراب لخلقه ،
وشكل آدم فى الرابعة ، وكساه بالحم فى الخامسة ، واكتمل فى الساعة السادسة
شكل الإنسان الذى لم تكن دبت فيه الروح بعد ، وكان بمقدور الإنسان عندئذ الوقوف
منتصب القامة ، ونفخ الرب فيه فى الساعة السابعة الروح . وفى الثامنة تم وضع
الإنسان فى الجنة ، وصدر فى التاسعة الأمر الإلهي الذى حرم تناول آدم لثمرة
الشجرة الواقعة وسط الجنة . وتجاوز آدم فى العاشرة الأمر الإلهي وعوقب فى الحادية
عشرة ، وطُرد من الجنة فى الساعة الثانية عشرة تكفيراً لما اقترفه من ذنب .

ووافق اليوم الأخير لأدم في الجنة أول أيام شهر تشرين ، ومن هنا قال الرب لأدم :
” ستكون النموذج الأعلى لنسلك . وكما حكمت عليك وغفرت لك فسأحكم أبناء
إسرائيل وأغفر لهم في يوم رأس السنة الذي يحل في بدايات شهر تشرين “ (٩٧) .

وأُسفر كل يوم من أيام الخلق السبعة عن ثلاثة أشياء ، فأسفر اليوم الأول عن
خلق السموات والأرض والنور ، والثاني عن جلد السماء وجهنم والملائكة ، والثالث عن
الأشجار والعشب والجنة ، والرابع عن الشمس والقمر والنجوم ، والخامس عن
الأسماك والطيور و” اللويثان ” . وحينما اعتزم الرب أن يخلد إلى الراحة في اليوم
السابع - أي يوم السبت - فقد كان يتعين عليه أن يعمل على نحو مضاعف لخلق في
اليوم السادس آدم وحواء وقطعان الماشية والزواحف ووحوش الحقل والعماريات ،
وكانت العماريات قد خلقت قبل مجيء يوم السبت ، ومن ثم فإن وجودها غير مادي إذ
لم يكن لدى الرب وقت لخلق أجساد لها (٩٨) .

ومع غروب شمس اليوم السادس وشمروق اليوم السابع خلقت عشرة أشياء
وهي : قوس قزح الذي لم يكن يرى حتى مجيء نوح والمن ونباتات الماء التي شرب منها
بنو إسرائيل فيما بعد في الصحراء ليطفئوا ظمأهم ، والكتابة على لوحى الشريعة
الذين تلقاها موسى على الجبل ، والقلم الذي كتبت به الألواح ، وفم حمارة بلعم ،
وقبر موسى ، والكهف الذي أنوى إليه موسى وإلياهو ، وعصا هارون بكل ما حملته من
الزهور واللوز الناضج (٩٩) .

السبت في السماء

ولم يعرف أو يسبح أحد للرب قبل خلق العالم ، ولذلك خلق الرب الملائكة
والحيوانات المقدسة والسموات وما بها من جيوش ، وأدم. وخلقت جميعها لتسبح
وتمجد خالقها. ولم يكن هناك وقت مناسب خلال أسبوع الخلق لإعلان مجد الرب
وبهائه والتسبيح بحمده. وفي يوم السبت وحينما تم الانتهاء من خلق كل كائنات
السموات والأرض بدأت كل المخلوقات في الإنشاد والعبادة عند اعتلاء الرب لعرشه
والجلوس عليه (١٠٠) . وكان العرش الذي جلس عليه هو عرش السعادة. واستعرض عند

جلوسه على العرش كافة الملائكة مثل ملاك المياه وملاك النهار ، وملاك الجبال ، وملاك المرتفعات ، وملاك الجحيم ، وملاك الصحارى ، وملاك الشمس ، وملاك القمر ، وملاك الثريا ، وملاك الجوزاء وملاك الأعشاب ، وملاك الجنة ، وملاك جهنم ، وملاك الأشجار وملاك الزواحف ، وملاك الوحوش الكاسرة ، وملاك الحيوانات المستأنسة ، وملاك الأسماك ، وملاك الجراد ، وملاك الطيور ، ورئيس الملائكة ، وملاك كل سماء ، ورئيس ملائكة كل قسم من ملائكة السموات ، وكبير ملائكة الحيوانات المقدسة ، وكل الملائكة العظام. ووقفت كل الملائكة مبتهجة تغمرها السعادة وابتهجت ورقصت وغنت ومدت الرب بالمديح والثناء . وبدأت كبار الملائكة فى الإنشاد : " ليوم مجد الرب إلى الأبد " . ورددت باقى الملائكة الإنشاد بقولها : " ليبتهج الرب بصنائمه " . وامتلأت السماء السابعة بالسعادة والعظمة والبهاء والقوة والفخر وأناشيد السعادة .

وأمر الرب ملاك السبت بالجلوس على عرش المجد وأحضر له رؤساء ملائكة السموات وما تحت الأرض ، وأمرهم بالرقص والإنشاد قائلاً : " إن السبت للرب " . وتم السماح لأدم بالصعود إلى السماء العليا للمشاركة فى الابتهاج بالسبت .

وحينما وهب الرب بهجة مجىء يوم السبت لكافة المخلوقات ، ولم يستثن أدم منها فقد أنهى على هذا النحو خلقه. وحينما شاهد أدم عظمة يوم السبت وروعته ومجده والبهجة التى يهبها للجميع والتى تعد مصدر كل السعادة فقد ترنم بأنشودة مدح فيها يوم السبت فسأله الرب : " أتترنم بأنشودة ليوم السبت ولا تترنم لرب السبت ؟ " فنهض السبت من مقعده وسجد أمام الرب قائلاً : " ما أروع رفع التسابيح إلى الرب " ، وأضاف كل الوجود : " وما أروع الإنشاد لاسمك العالى " (١٠١) .

وكان هذا أول سبت ، وأول احتفال به فى السماء من قبل الرب والملائكة ، وقد علمت الملائكة فى الحين ذاته أن شعب إسرائيل سيحتفل فى المستقبل بيوم السبت على النحو ذاته . وأخبرهم الرب بقوله : " ستفخر شعباً من بين كل الشعوب ، وسيحترم هذا الشعب يوم السبت ، وستجعل هذا الشعب مقدساً ، واختارت إسرائيل من بين كل الشعوب التى شاهدها ، وسيعرف باسم ابنى البكر ، وقدست هذا الشعب للأبد ، وسيحافظ على السبت ويقدس " (١٠٢) .

وكان ليوم السبت مغزى بالغ الخصوصية لأدم فحينما تقرر عشية السبت خروج آدم من الجنة طالبتة الملائكة بالتهمل في الخروج ، ووقف يوم السبت أمام الرب مدافعاً عن آدم بقوله : " رب العالمين لم يُقتل أحد خلال أيام الخلق الست ، وإذا بدأت الآن بنهب آدم فلن يكون هناك مغزى لقداسة ومباركة السبت " ؟

وتم إنقاذ آدم على هذا النحو من نيران الجحيم لعقابه على خطاياه ، ومن هنا نظم عرفاناً للسبت مزموراً شكله داود فيما بعد في مزاميره^(١٠٣) .

ومنح آدم فرصة أخرى ليتعلم ويقدر من خلالها قيمة يوم السبت ، فقد كان من المفترض أن يختفى الضوء السماوي الذي أبصر آدم من خلاله العالم من أقصاه إلى أدناه فور ارتكابه للمعصية ، غير أن الرب إجلالاً منه ليوم السبت جعل الضوء يستمر وأنشدت الملائكة مع غروب شمس اليوم السادس أنشودة للمديح والثناء على الرب لسماعه للضوء بأن يسطع طيلة المساء ، ومع مضي يوم السبت توقف الضوء السماوي عن الإشعاع مما ألقى الرعب في نفس آدم الذي تخوف من أن تهاجمه الأنقى في الظلام غير أن الرب أضاء بصيرته فتعلم أن حك حجرين أحدهما في الآخر يوفر من الضوء ما يحتاج^(١٠٤) .

ولم يكن الضوء السماوي سوى هبة من الهبات السبع التي نعم بها آدم قبل خروجه من الجنة ، وإن ينعم الإنسان بهذا الضوء مرة أخرى إلا عند مجيء المسيح المخلص . أما باقي الهبات فهي رزاق عقله وحياته الأبدية ، وطول قامته ، وثمار التربة وثمار الشجرة ، وأضواء السماء والشمس والقمر . وسيكون ضوء القمر في الأخرة شبيهاً بالشمس ، ويكون ضوء الشمس سبعة أضعاف ضوءها العالي^(١٠٥) .

توبة آدم

وشيد آدم وحواء عقب طردهما من الجنة كوخاً أقاما به سبعة أيام في حالة من الألم والنواح والرتاء . ومع نهاية الأيام السبعة وبعد أن مزقهما الجوع بدأ في البحث عن الطعام ، وهام آدم لسبعة أيام في الأرض شمالها وجنوبها بحثاً عن أطعمة يكون

مذاقها شبيهاً بما تتناوله فى الجنة غير أن جهوده ذهبت أدراج الرياح ولم يجد شيئاً .
وحدثت حواء زوجها بقولها : " سيدى إذا كان يرضيك أذبحنى فريماً يعيدك الرب إلى الجنة لأن الرب غضب منك من جراء ما فعلت . " غير أن آدم رفض خطتها باشمئزاز ومضيا فى البحث عن طعام ، ومضت تسعة أيام دون أن يجدا طعاما يشبه مذاقه ما كانا يتناولانه فى الجنة ، ولم يشاهدا سوى الطعام الصالح للماشية والحيوانات .
واقترح آدم : " فلنكفر عن الذنب فريماً يغفر الله لنا ويشفق علينا ويوفر لنا ما يبقينا على قيد الحياة " . وكان آدم يعلم أن حواء ليست قوية على النحو الذى يمكنها من تحمل شهوات ورغبات الجسد التى كان يمكنه هو مقاومتها فقرر أن يكون شكل توبتها مختلفاً ، فاقترح عليها قائلاً : " انهضى وتوجهى إلى نهر دجلة وقفى على حجر بأعمق نقطة بالنهر حتى تغطى المياه جسدك حتى عنقك ، ولا تتفوهى بأية كلمة فليس باستطاعتنا سوى التضرع إلى الله ففمنا غير طاهر لتناولنا ثمرة الشجرة المحرمة . فلتبقى فى الماء سبعة وثلاثين يوماً " .

أما آدم فقد حكم على نفسه بالصوم لأربعين يوماً ووقف فى نهر الأردن بالطريقة نفسها التى وقفت بها حواء فى نهر دجلة ، وبعد أن وقف على الحجر الذى وضعه فى أعمق نقطة بماء النهر وغطته المياه قال : " أستحلفك يا مياه الأردن عذبنى واجمعى لدى كل الكائنات السابحة بك ، واتجملهم يحيطوننى ويشعرون بما ألم بى من أسى ، لا تدعيمهم يلطمون صدورهم أسى على ما ألم بى بل دعيمهم يلطموننى ، إنها لم تخطئ . ولى إنى المخطئ " . وسرعان ما أتت كل الكائنات المقيمة بالنهر ، وأحاطت به . وتوقفت مياه الأردن منذ هذه اللحظة عن التدفق .

وأثارت توبة آدم وحواء هواجس الشيطان الذى تخوف من أن يغفر الرب خطيئتهما ، فحاول عرقلة حواء عما نوت القيام به ، فتراسى لها فى صورة ملاك بعد أن اختفى ثمانية عشر يوماً ، وظهر أمامها فى صورة من يعتمره الألم لما ألم بها وبدأ فى النحيب قائلاً : " أخرجى من النهر وتوقفى عن البكاء ، لقد سمع الرب نحيبك وقبل توبتك بعد أن توسلت كل الملائكة إليه من أجلك ، وأرسلنى إليك لأخرجك من الماء وأعطيك الطعام الذى نعمت به فى الجنة والذى من أجله تنتحيين " . ونظراً لأن حواء

كانت منهكة من الكفارة التي كانت تقدمها للرب فقد استجابت لتوسلات الشيطان الذي قادها إلى زوجها، وحينما شاهده آدم أدرك في الحال أنه الشيطان فصرخ باكياً : "حواء كيف تدعى خصمك يغويك مرة أخرى ؟ إنه الذي حرمانا من السير بالجنة ومن كل بهجتها الروحية" ، فعولدها الصراخ قائلة : "الويل لك أيها الشيطان لماذا تعاديني دون سبب؟ ماذا جنيته حتى تطاردنا على هذا النحو الماكر؟ فتنهّد الشيطان عميقاً وقال إنه يفر من آدم لأنه سبب خروجه من الجنة وفقدان مجده وأنه صمم على إخراجه منذ هذه اللحظة .

وحينما سمع آدم اعتراف الشيطان صلى إلى الرب قائلاً : " يارب العالمين إن حياتي بيدك . أبعد عني هذا العدو الذي يحاول أن يعرض روحي إلى الهلاك، وهبني المجد الذي سلبه " . وقد اختفى الشيطان في التوغيّر أن آدم واصل تكفيره عن ذنبه فظل واقفاً بمياه نهر الأردن أربعين يوماً^(١٠٦) .

وقد لاحظ آدم خلال وقوفه بالمياه أن الأيام قد أصبحت أقصر فتخوف من أن يظلم العالم لما اقترب من خطيئة وأن يتعرض للهلاك ، وقضى آدم ثمانية أيام بين الصلاة والصوم ليتجنب الهلاك ، ومع هذا فحينما لاحظ بعد انقضاء فصل الشتاء أن اليوم أصبح أطول قضى ثمانية أيام مبتهجاً . واحتفل في العام التالي بمجيء فصل الشتاء والصيف ؛ ولهذا السبب يحتفل الوثنيون بعيد الإله " ساتورن " تمجيداً لآلهتهم . هذا بالرغم من أن آدم كرس تلك الأيام احتفالاً بصنائع الرب^(١٠٧) .

وحينما لاحظ آدم غروب الشمس للمرة الأولى تملكه خوف عظيم ، وحدث أن قال آدم مساء السبت : " الويل لي لقد أظلم العالم لما اقتربت من ذنب ، وسيصبح العالم خاوياً وبلا شكل، وستحل على عقوبة الموت التي أنبئني بها الرب " . وقضى ليلة الليل يبكي ، وبدايته حواء التي جلست أمامه أيضاً الدمع، وحينما حل الفجر أدرك آدم أن ما بث الرعب في نفسه لم يكن سوى ظاهرة من ظواهر الطبيعة فقدم حيوان أحادي القرن الذي خلق قرنه قبل حوافره^(١٠٨) قريانا إلى الرب في المنطقة التي شيد عليها فيما بعد المذبح في القدس^(١٠٩) .

سفر رازيئيل

وأقام آدم بعد طرده من الجنة صلاة للرب قال فيها : " يارب العالمين خلقت كل العالم بمجد وشرف الواحد العظيم ، وفعلت ما طاب لك ، إن مملكتك قائمة إلى الأبد وحكمك وسلطانك على كل الأجيال. لا يخفى عنك شيء ولا يتخفى شيء عن عيني ، خلقتني بيدك وجعلتني سيد كل الكائنات وعلى رأسي كل صنائعك غير أن الأفعى المتآمرة الملعونة أغوتني بشجرة الرغبة والشهوات وأغوت زوجتي. ولكنك لم تطلعني على مصير أبنائي ونسلي من بعدى . وأعلم علم اليقين أنه ليس هناك تقى أمامك ، ومن أنا حتى أقف أمامك بوجه وقح ، فثمن فمي لأحدثك به ؟ وأى عين تجرؤ على المشاهدة. وقد طردت من الجنة لمعصيتي وخطيئتي ؟ ويجب أن أهرث الأرض التى أخذت إليها ، هذه الأرض التى يشعر من بها من سكان وحيوانات وكل من بها بالظوف منى. وقد غابت عنى الحكمة وارتحلت منذ اللحظة التى أكلت فيها من شجرة معرفة الخير والشر ، والآن فإنى أحرق وأصبحت لا أعرف شيئاً وجاهلاً لا أدرك شيئاً. والآن يارب يارحيم أدعوك أن تشمل برحمتك من وضعته على رأس مخلوقاتك ، والروح التى وضعتها به ، والروح التى نفختها به ، وارحمنى فانت الرحيم واجعل غضبك بطيئاً لأنك محب ، وترتفع صلواتى إلى عرش مجدك ، وليصل تضرعى إلى عرش رحمتك ، ولتنظر إلى بمحبتك ، ولتكن كلمات فمي مقبولة لديك ولا تصرف نظرك عن تضرعى، إنك أنزلى أبدى ، إنك الملك منذ قديم الزمان وإلى الأبد ، وتشمل رحمتك صنع يدك ، هبنى المعرفة والفهم حتى أعرف ما يعترينى كل يوم وشهر ، ولا تهرمنى من عون عبيدك وملائكتك .

وفى اليوم الثالث وبعد أن قدم صلاته وبينما كان جالساً على ضفاف النهر الذى يتدفق من الجنة ظهر له فى منتصف النهار الملك " رازيئيل " حاملاً كتاباً بيده ، وخاطب الملك آدم بقوله : آدم لماذا تجلس وجلأً ومهموماً وحزيناً؟ لقد ترددت كلماتك فى السماء فى تو اللحظة التى تضرعت فيها إلى الله. وأخذت مهمة تعليمك كلمات ظاهرة وفهما عميقاً ، وأن أجعلك حكيماً من خلال هذا الكتاب المقدس الذى أحمله وأن تعلم بالتالى ما يعتريك بالحياة حتى موتك . وسيصبح كل نسلك والأجيال اللاحقة مثلك

إذا قرأت هذا الكتاب بإخلاص وتواضع واتبعت تعاليمه، وستعلم هذه الأجيال أيضاً ما سيحل عليها كل شهر ويوم وكل ليلة ، وستجلى لها كل الأشياء وستعلم وتفهم الكوارث التي ستحل عليها ، والمجاعات والوحوش الضارية التي تتعرض لها، وستعرف إذا ما كانت ستعرض إلى فيضانات أم إلى مواسم جفاف ، وإذا ما كانت ستعمر بالوفرة في الحبوب أم تتعرض للقط وإذا ما كان الشر سيعم العالم ، والجراد سيبيد الأرض ، وإذا ما كانت الثمار ستساقط من الأشجار قبل أن يكتمل نضجها وإذا ما كانت الحروب ستعم الأرض وإذا ما كانت الأمراض والأوبئة ستنتشر بين البشر والماشية وإذا ما كان الخير أو الشر مقدراً بالسماء ، وإذا ما كان الدم سيعم الأرض وإذا ما كان أنين الموتى سيعم المدن . والآن تقدم يا آدم وأنصت إلى ما أخبرك به عن هذا الكتاب وقداسته .

وقرأ الملاك عندئذ من الكتاب ، وحل الرعب بأدم فور استماعه إلى كلمات الكتاب المقدس فور خروجها من فم الملاك غير أن الملاك شجعه قائلاً : انهض يا آدم . تشجع ولا تخف . خذ الكتاب مني واحفظه لأنك ستستمد المعرفة منه وستصبح حكيماً ، وستعلم محتوياته لكل من يستحق معرفتها .

وفي اللحظة التي تناول فيها آدم الكتاب اشتملت النيران بموقع قريب من النهر ، وصعد الملاك صوب السماء ، فعلم آدم أن من حدثه كان ملاك الرب وأن الكتاب الذي أتاه كان من الملك المقدس . واستخدم آدم هذا الكتاب لمعرفة أسرار القداسة والطهارة ، ويتضمن هذا الكتاب كل المعارف الواجب تعلمها والغيب ، ويعلم هذا الكتاب المرء كيف يمكن للبشر استدعاء الملائكة وإجابة كل التساؤلات ، ولكن لا يمكن أن يستخدم هذا الكتاب إلا الحكماء والأتقياء الذين لا خوف عليهم من خطط الأشرار والذين تتسم حياتهم بالصفاء، وحينما يرحلون عن العالم يجنون راحتهم الأبدية في مكان لا تتواجد به الشياطين والأرواح الشريرة ، ويتم إنقاذهم من أيدي الأشرار^(١١٠) .

مرض آدم

وحينما بلغ آدم من العمر تسعمائة وثلاثين عاماً ألم به المرض وأحس أن عمره يدنو من النهاية فاستدعى كل نسله وجمعهم أمام بوابة دار العبادة التي كان يصلي فيها للرب - وكان جمعهم ليباركهم - وأحست عائلته بالدهشة حينما وجدته ممدداً على فراشه لعدم معرفتها بمصدر ألمه ومعاناته^(١١١) ، وتصور أفراد عائلته أنه قد سقط أسير حنيئه لثمار الجنة وأنه يشعر بالإحباط لعدم وجودها، وأعلن ابنه " شيث " استعداداه للذهاب إلى بوابات الجنة ليمطلب من الرب تكليف أحد ملائكته بإعطائه ثمار الجنة غير أن آدم أوضح لهم أن سر عذابه يكمن في أن عقاب الرب سيحل عليهم نتيجة لمعصيته^(١١٢) . وكانت بموع آدم غزيرة وأنيته يفوق الاحتمال فقالت حواء والدمع يعترضها : آدم أعطنى نصف ألك وسيسعذننى احتماله. إنك تتحمل هذا العذاب من جراء ما ارتكبت .

وكلف آدم حواء وشيث بالتوجه إلى بوابات الجنة والتوسل إلى الرب ليرحمه ، وأن يطلبوا منه أن يرسل ملاكاً ليحضّر بعضاً من زيت الحياة الذي يتدفق من شجرة الرحمة ، وأن يعطيه إلى رسله ليرحمه ويخلصه من عذابه . وبينما كان " شيث " يسير نحو الجنة هاجمه وحش ضار فصرخت حواء قائلة للوحش : " كيف تجرؤ على وضع يدك على صور الرب؟ " فأجاب الوحش : " إنه خطوك . لو لم تفتحي فمك لتناول الثمرة المحرمة لما كان فيمى فُتِح لتدمير إنسان . واحتج " شيث " قائلاً : " كف عن الحديث والمساس بصورة الرب حتى يوم الحساب . فابتعد الوحش وقال : سأجتنب صورة الرب ، ثم انسل في الخفاء^(١١٣) .

وعند وصولهما إلى بوابات الجنة بدأت حواء وشيث في النحيب ، وتوسلا إلى الرب أن يهبهما الزيت المتدفق من شجرة رحمته ، وتضرعا له لساعات طوال، وظهر كبير الملائكة ميخائيل في النهاية وأخبرهما أن الرب بعثه ليخبرهما أنه لن يمنحهما ما يتضرعان من أجله ، وأن آدم سيموت في غضون بضعة أيام لأن الموت كُتب عليه هو ونسله وأن زيت الحياة سيمنح يوم البعث فقط للأتقياء الذين سينعمون بكل نعم ومشتبهات الجنة^(١١٤) .

وعادت حواء وشيث وأخبرا آدم بقدره المحتوم فقال آدم لحواء : " أية نكبة أنزلتها بنا حينما فجرت الغضب العظيم . انظري : لقد أصبح الموت قدرنا . ادعى أبناءنا وأحفادنا وأخبروهم بخطيئتنا . وبينما تمدد آدم على فراش الألم قصت حواء قصة خروجهما من الجنة " (١١٥) .

قصة حواء عن الخروج من الجنة

بعد أن خلقت قسم الرب الجنة وكل المخلوقات بين آدم وبينى ، فقد خصص لأدم شرقي وشمالى الجنة كما خصص له ذكور الحيوانات . أما أنا فقد كنت سيدة الغرب والجنوب وإناث الحيوانات . وقرر الشيطان الذى كان يشعر بالخزي والعار لفصله من عالم ملائكة السماء (١١٦) أن يجلب الدمار وأن ينتقم لفصله فتمكن من أن يستميل الأنقى إلى جانبه وأوعز إليها أن الحيوانات نعت قبل خلق آدم بكل ما كان ينمو فى الجنة غير أن طعامها أصبح بعد خلقه قاصراً على الأعشاب ، ومن هنا فإن إخراج آدم من الجنة سيصبح فى صالح الجميع . وانتابت الأنقى حالة من التردد لفشيتها من غضب الرب غير أن الشيطان هدا مخاوفها قائلاً : لقد أصبحت أداة فى يدي (١١٧) وسأتحدث على لسانك ، وهكذا ستنجحين فى إغواء الإنسان .

ولذلك خرجت الأنقى من الجدار المحيط بالجنة لتكمل حديثها معى من خارج الجنة . وقد حدث هذا فى اللحظة نفسها التى لجأ فيها الملاكان اللذان كانا يوفران الحماية لى إلى السموات لعبادة الرب : ولذا كنت وحيدة . وحينما تراسى الشيطان فى صورة ملاك واقترب من جدار الجنة مرتلاً بعض التسابيح خُذعت إذ تصورت أنه ملاك حقاً . ودار حوار بينى وبين الشيطان عبر الأنقى كان نصه كالتالى :

- هل أنت حواء ؟

- نعم .

- ماذا تفعلين بالجنة ؟

- وضعنا الرب بها لزراعتها وأكل ثمارها .

- حسنًا. غير أنك لا تأكلي من كل الأشجار .

- إننا نتناول ثمار كل الأشجار باستثناء تلك الشجرة الواقعة وسط الجنة ،
ولقد حرم الله تناول ثمارها وإلا ستعرض الموت .

وبذلت الأفعى كل الجهود الممكنة لإقناعي أنه ليس هناك ما يدعو للخوف وأن الله علم أنني وأدم سنصبح مثله عند تناول ثمار الشجرة ، ومن ثم فإن الحقد هو الذي دفعه لقول : لا تأكلا من هذه الشجرة^(١١٨) . ورغم كل الجهود التي بذلتها الأفعى ظلت صامدة رافضة المساس بالشجرة. وتمكنت الأفعى من أن تقطف ثمرة لي ، ولذا فتحت بوابة الجنة وتسلك الأفعى إليها. وفور دخولها قالت : أعتر عما قلت وإن أعطيك ثمرة الشجرة المحرمة . ولم تكن هذه سوى وسيلة دنيئة لإغوائي ، ووافقت الأفعى على أن تعطيني ثمرة الشجرة بعد أن أدعو زوجي أدم ليتناولها، وجعلتني الأفعى أردد القسم التالي : أقسم بعرش الرب والملائكة وشجرة الحياة أن أعطى زوجي هذه الثمرة وأجعله يتناولها ، وصعدت الأفعى - فيما بعد - الشجرة وبتت فيها سمها فبتت سم النزعات الشريرة بداخل الثمرة^(١١٩) ، وأنزلت الغصن الذي تنمو عليه إلى الأرض، وحينما أمسكت الغصن علمت في التو أن الطهارة التي كنت أفتدثر بها^(١٢٠) رحلت عني فبدأت في النواح لما حل بي والقسم الذي أجبرتني الأفعى على تأنيته .

واختفت الأفعى عن الشجرة في الوقت الذي كنت أفتش فيه عن أوراق شجر لتفطية عريي غير أن الأشجار التي كانت في متناول يدي أسقطت أوراقها في اللحظة نفسها التي أكلت فيها من الثمرة المحرمة^(١٢١) ، ولم تحافظ سوى شجرة التين على أوراقها ، وكانت هذه هي الشجرة التي حرمت من تناول ثمارها^(١٢٢) . ودعوت أدم بعد أن نطقت بالكثير من كلمات الكفر لتناول الثمرة ، وأدرك أدم فور تناول الثمرة حقيقة ما آل إليه حاله فاتهمني قائلًا : أيتها المرأة الشريرة ماذا أنزلت بي ؟ لقد أبعدتني عن بهاء الرب .

وسمعت أنا وأدم في الصين ذاته كبير الملائكة ميخائيل^(١٢٣) ينفخ في البوق ، وكانت كل الملائكة تصرخ . قال الرب : هلموا إلى الجنة وأصفوا إلى الحكم الذي سأصدره على أدم^(١٢٤) . وتخفينا لخوفنا من حكم الرب. وظهر الرب في الجنة

جالساً فى مركبته التى كانت تجرها الملائكة ، وكانت الملائكة تحيط به وتسبح له ، ومع دخوله الجنة أينعت الأشجار بعد أن كانت قد أسقطت أوراقها^(١٢٥) ، وكان عرشه مشيداً على شجرة الحياة. وخاطب الرب آدم قائلاً : آدم أين تتخفى ؟ هل تعتقد أنه لا يمكننى العثور عليك ؟ وهل يمكن أن يتخفى المنزل عن صانعه^(١٢٦) ؟

وحاول آدم إلقاء اللوم على خاصة أنى كنت وعدته بأن أحمله أمام الرب ، واتهمت بىوى الأفعى غير أن الرب أصدر حكمه العادل على ثلاثتنا فقال لآدم : طالما أنك لم تطع أوامرى وأنصت إلى صوت زوجك فملعونة الأرض رغم كل ما تفعله بها . وعند زراعتك الأرض إن تهيك غلتها ، وإن تمنحك سوى الشوك، وستتناول خبزك بعرق وجهك . وستواجه الصعاب وستكبر ضجراً وإن تجد راحة ، وإن تنفق الطيب ، وسيضربك الحر ، وستذبل من البرد، وستكدح كثيراً وإن تجنى شيئاً. وستتورد عليك الحيوانات التى تفرض سيطرتك عليها لأنك لم تعفظ أوامرى^(١٢٧) .

وكان الحكم الذى أصدره الرب على كالتالى : " ستتعرضين إلى ألم وعذاب شديدين فى الولادة، وسيمتصرك الألم عند الولادة ، وحينما ستكونين قباب قوسين أو أدنى من الموت ستعمرخين قائلة : ربى أنقذنى وإن أشتهى المتع الحسية ، ولن تتحقق متعتك إلا بزواجك^(١٢٨) .

وتضمن الحكم الإلهى إنزال كافة الأمراض علينا فقال الرب لآدم : سأنزل عليك سبعين وباء لتخليك عن عهدى، وسيحل الوباء الأول على عينيك والثانى على سمعك ، وستحل عليك الأوبئة الواحد تلو الآخر^(١٢٩) .

أما الأفعى فخطبها الرب قائلاً : لأنك أصبحت وعاء للشر^(١٣٠) وتخاذعين الأبرياء فإنك ملعونة أكثر من كل حيوانات الأرض وستحرمين من الأطعمة التى كنت تأكلينها ، وستأكلين طيلة أيام حياتك التراب ، وستسيرين على صدرك ويطلقك ، وستحرمين من يدك وقدميك وأذنك وجناحك وأطرافك التى أغويت بها حواء وزوجها ودفعتهما إلى المعصية والخروج من الجنة، وسيدوم العداء بينك وبين نسل البشر، ولن يتوقف البشر عن ضرب رأسك حتى يوم الحساب^(١٣١) .

موت آدم

وقالت حواء لآدم فى يومه الأخير على وجه الأرض : ولماذا أحيأ بعد رحيلك؟ وكم ساقضى من الوقت بعد موتك ؟ أخبرنى . وطمئنتها آدم بأنّها لن تعيش طويلاً وأنهما سيموتان ويُدفنان معاً فى المكان ذاته، وأمرها ألا تلمس جسده حتى يقوم ملاك الرب باتخاذ التدابير اللازمة ، وأن تبدأ فى الصلاة إلى الرب فى الحال حتى تخرج الروح من جسده .

وبينما جلست حواء على ركبتها أثناء تأدية الصلاة^(١٢٢) أتاه ملاك الرب وأمرها بالنهوض قائلاً : انهضى وتوقفى عن الكفارة ، تنتهى لقد خرج زوجك من حالة الاضطراب الميت ، انهضى وشاهدى روحه وهى تصعد إلى خالقها للوقوف أمامه . انظرى إلى هذه المركبة التى يغمرها الضوء والتى تجذبها أربعة نسور مشعة وتسبقها الملائكة ، إن روح آدم ترقد بهذه المركبة التى تصحبها الملائكة إلى السماء ، ومع وصولها فإن الملائكة تحرق البخور حتى تغلف سحب الدخان السماء ، وتصلى الملائكة إلى الرب طلباً للمغفرة على صورته وصنع يديه .

وحينما سيطر الرعب والخوف على حواء دعت ولدها " شيث " وأمرته بمشاهدة ما رأت وأن يفسر لها المشاهد السماوية التى تعجز عن فهمها فسأته : من هذان الزنبيان اللذان يصليان لوالدك ؟ فنُخبرها أنّهما الشمس والقمر وأنهما عجزاً عن الإضاءة أمام خالق الضوء^(١٢٣) . وبمجرد أن أنهى شيث حديثه نفخ أحد الملائكة البوق وصرخت كل الملائكة قائلة : تبارك مجد الرب الذى رحم آدم صنع يديه . وأحاط ملاك ممن ينتمون إلى طبقة " الساروفيم " من الملائكة بآدم ونقله إلى نهر " أشيرون " وغسله ثلاث مرات وأحضره إلى الرب الذى مد يده بعد أن جلس إلى عرشه ورفع آدم إلى كبير الملائكة ميخائيل قائلاً : ارفعه إلى جنة السماء الثالثة واتركه هناك حتى يوم المساب . ونفذ الملاك ميخائيل الأمر الإلهى وأنشدت كل الملائكة أنشودة أثنت فيها على الرب لمغفرته لآدم .

وتوسل ميخائيل للرب ليسمح له بحضور إعداد جسد آدم للقبر ، وبعد أن وافق الرب توجه ميخائيل بصحبة كل الملائكة إلى الأرض، وعند دخولهم إلى الفردوس

الأرضى أينعت كل الأشجار وفاحت عطورها الزكية مما أدخل البشرية جمعاء فى حالة من الهدوء والسكينة . وحينما كان جسد آدم مسجى على الأرض حدثه الرب : فلتعلم أنى سأنحول بهجة الشيطان ورفاقه إلى أسى ، وسيتحول أساك إلى متعة وسأعيد إليك مجدك فستجلس فوق عرش من أغواك . وستكون الأقعى ملعونة وكل من يصغى إليها^(١٣٤) .

وبناء على أمر الرب غطت كبار الملائكة فيما بعد جسد آدم بالكتان^(١٣٥)، وسكبت عليه زيتاً طيب الرائحة ، ودفنت على النحو ذاته جسد هابيل الذى لم يُدفن منذ أن قتله قابيل إذ إن كل الجهود التى بذلها القطة لإخفائه ذهبت هباء ، فكانت جثته تخرج مراراً وتكراراً من الأرض لتصرخ قائلة : لن ينعم مخلوق بالهدوء فى الأرض حتى يعيد أول من خلق إلى جسدى التراب الذى تشكل منه^(١٣٦) .

وحملت الملائكة جسدى آدم وهابيل إلى الجنة ، وكان جسد هابيل طيلة هذا الوقت قابعاً على حجر كانت الملائكة قد وضعت ، ودفنتهما الملائكة فى البقعة التى أخذ الرب منها التراب لصنع آدم^(١٣٧) .

ونادى الرب جسد آدم قائلاً : آدم آدم " ، وأجاب الجسد قائلاً : ربي إني هنا " ، فقال الرب : قلت لك مرة إنك من تراب وستعود إلى التراب وأعدك الآن بالبعث ، وسأوقفك يوم الحساب الذى ستنهض فيه كل الأجيال التى ستخرج من صلبك ، وغلق الرب القبر حتى لا يمسه أحد بسوء خلال الأيام الستة التالية وحتى يسترد ضلعه بعد موت حواء^(١٣٨) .

موت حواء

وقضت حواء المدة الواقعة بين رحيل آدم ورحيلها فى النحيب ، وكان ما يؤلمها على وجه الخصوص أنها لم تعرف ما صار إليه جسد آدم خاصة أن " شيث " هو الوحيد الذى كان مستيقظاً عند دفن الملاك لآدم . وحينما دنت ساعتها دعت الرب أن تُدفن فى البقعة ذاتها التى يوجد بها زوجها . وصلت إلى الله قائلة : رب كل القدرات

لا تبعد خادمك عن جسد آدم الذى أخذتني منه والذى شكلتني من أطرافه .
دعنى أسكن بمسكنه رغم أنى امرأة مذنبه . وكما كنا معاً فى الجنة غير منفصلين ،
وكما تعرضنا إلى الغواية للتمرد على شريعتك لا تفصلنا الآن عن بعضنا . وفى نهاية
صلاتها رفعت عينها إلى السماء وطلبت من الرب : رب العالمين اقبض روحى .
وأسلمت روحها إلى الرب .

وأتى كبير الملائكة ميخائيل وعلم " شيث " كيف يعد حواء للدفن ، وهبطت ثلاثة
ملائكة ودفنت جسدها فى قبر آدم وهابيل ، وحدث ميخائيل شيث بقوله : هكذا سيُدفن
كل البشر حتى يوم البعث . وذكر بعد أن أعطاه هذه الوصية " لا تنوح أكثر من ستة
أيام^(١٣٩) لأن الراحة فى اليوم السابع هى الدليل على البعث فى اليوم التالى فالرب
استراح فى اليوم السابع من كل الأعمال التى خلقها وصنعها^(١٤٠) .

وبالرغم من أن الموت جُلب إلى العالم عبر آدم إلا أنه لا يتحمل مسئولية موت
البشر . وكان آدم قد ذكر ذات مرة " لست معنياً بموت الأشرار غير أنى لا أحب أن
يؤيخنى الانتقاء وأن يحملونى مسئولية موتهم ، وأتوسل إليك ألا تذكر خطيئتي ،
ووعده الرب بتنفيذ رغبته . ومن هنا فحينما يدنو الموت من الإنسان فإن الرب يظهر
أمامه ويأمره بكتابة كل ما فعله فى حياته ويخبره " إنك تموت لما ارتكبت من أعمال
شريرة " . وحينما ينهى الإنسان ما كتبه فى سجل أعماله يأمره الرب بإغلاقه ، ويحضر
الرب هذا السجل يوم البعث ، وسيعلم كل إنسان حقيقة ما فعل^(١٤١) ، ويعرض
الإنسان فور موته على آدم الذى يُتهم بأنه تسبب فى موته غير أن آدم ينفى الاتهام
بقوله " لم أرتكب سوى معصية واحدة . من منكم حتى وإن كان أكثركم تقوى
لم يرتكب أكثر من معصية^(١٤٢) ؟ " .

الفصل الثالث

الأجيال العشرة

مولد قابيل

كانت هناك عشرة أجيال بين آدم ونوح مما يظهر مدى صبر الرب على كل الأجيال التي أثارت غضبه حتى جلب الطوفان^(١) ، وقد غير الرب - لعقوبهم - خطته الخاصة بخلق ألف جيل خلال الفترة الممتدة من خلق العالم حتى تلقى موسى الشريعة على جبل سيناء ، ومن هنا فقد رجع عن خلق تسعمائة وأربعة وسبعين جيلاً قبل الطوفان^(٢) .

وأتى الشر إلى العالم مع قابيل ، ابن آدم الأكبر الذي كان أول من أنجبته امرأة. وحينما وهب الرب الجنة إلى أول زوجين من البشر حذرهما من الجماع غير أن حواء جامعته بعد خطيئتها الشيطان الذي كان في صورة أفعى ، وأثمر جماعهما عن قابيل الأب الأول لكل الأجيال العاقبة التي تمردت واحتجت على الرب. ولأن قابيل من نسل الشيطان الذي هو الملاك سمائيل فقد أصبح شكله يحمل الكثير من مظاهر ملائكة "الساووفيم". ومع مولد قابيل صرخت حواء بقولها : رُزقت برجل من خلال ملاك الرب^(٣) .

ولم يكن آدم في صحبة حواء خلال حملها في قابيل . ويعد أن استسلمت لإغواء الشيطان مرة أخرى وسمعت له بأن يخرجها مما كانت تقوم به للتكفير عن ذنوبها^(٤) رحلت عن زوجها متجهة صوب الغرب لتخوفها من أن يؤدي بقاءها إلى تعرض آدم للأسى . وبقي آدم في الشرق. وحينما اكتملت فترة حملها وناوليتها آلام المخاض تضرعت إلى الرب ليساعدها غير أنه لم ينصت لتضرعها فتساءلت " ترى من سيخبر آدم بما أنا فيه ؟ أناشذك يا أنوار السموات عند عودتك إلى الشرق أن تخبري زوجي بما أنه فيه " وصرخ آدم في اللحظة ذاتها قائلاً : " إن شكوى حواء اخترقت أذني ،

تُرى هل انقضت عليها الأفعى ثانية؟ وأسرع آدم بالتوجه إليها ، وعند وصوله وجدها والألم يعصرها فابتهل إلى الرب ليخفف عنها آلامها فظهرت ملائكة الرب الاثنى عشر ، ومعها الشمس والقمر^(٥) ووقفوا جميعهم بجانبها لمساعدتها ، ووقف الملاك ميخائيل على يمينها وريت على وجهها وصدرها قائلاً : لتحل عليك يا حواء ومن أجل آدم البركة . إن الرب لم يرسلني لمساعدتك إلا بفضل ابتهالات آدم . استعدي لإنجاب طفلك . وفور انتهاء الملاك ميخائيل من عبارته خرج الطفل وكان الضياء ينبعث منه^(٦) ، وسرعان ما وقف الطفل على قدميه وأسرع في العدو ثم عاد ممسكاً ببعضاً من القش وأعطاهما لأمه . ولهذا السبب يُعرف باسم قايين . هذا الاسم الذي يعنى فى العبرية "ساق القش" .

واصطحب آدم حواء والصبى إلى منزله بالشرق ، وأرسل الرب إليه عن طريق الملاك ميخائيل أنواعاً مختلفة من الحبوب ، وعلمه زراعة الأرض لنتج الحبوب حتى يمكنه الحفاظ على عائلته ونسله^(٧) ، وحملت حواء مرة ثانية وأنجبت طفلاً دعتة هابيل لأنها قالت إنه ولد ليמות .

قاتل أخيه

ولم يكن مقتل هابيل على يد قابيل بالحدث غير المتوقع كلية لوالديه إذ كانت حواء قد رأت فى حلم دم هابيل يتدفق إلى فم قابيل الذى كان يشربه بنهم رغم توصل أخيه هابيل ألا يشربه^(٨) . وحينما قصت حواء حلمها على آدم قال لها راثياً حاله : ألا ينذر هذا بموت هابيل على يد قابيل ؟ ، ففصل بين الصبيين وخصص لكل منهما مسكناً مستقلاً ، وعلم كلاهما مهنة خاصة به ، فاشتغل قابيل بحراثة الأرض فى حين عمل هابيل راعياً للغنم غير أن كل هذه الجهود ذهبت هباءً إذ قتل هابيل رغم كل هذه الاحتياطات على يد أخيه^(٩) .

وكان هناك أكثر من سبب للإحساس بالعداء الذى أضمره قابيل لهابيل ، وبدأت هذه العداوة حينما قبل الرب القربان الذى قدمه هابيل بإرساله ناراً من السماء لحرقه بينما رفض القربان المقدم من قابيل^(١٠) وكانا قد قدما القربانين فى الرابع عشر من

شهر نيسان بناءً على أمر أبيهما الذي كان قد حدث أبناءه قائلاً : " هذا هو اليوم الذي سيقدم فيه شعب إسرائيل فيما بعد الأضاحى . ولذلك فليقدما الأضاحى إلى خالككم فى هذا اليوم حتى يرضى عنكم " . وكان المكان الذى اختاراه لتقديم القرابين هو الذى أقيم عليه فيما بعد الهيكل فى القدس^(١١) . وقد اختار هابيل أفضل ما فى قطيعه لتقديمه كقربان غير أن قابيل تناول فى البدء وجبته وقدم للرب ما تبقى من طعامه فقدم له بضع حبوب من بنور الكتان . ولا غرابة فى أن الأضحية التى قدمها لم تحظ برضا الرب خاصة أن الحبوب التى قدمها كان الرب قد لعنها من قبل^(١٢) . وبالإضافة إلى العقاب الذى حل عليه فقد أضحى وجهه أسود كالدخان^(١٣) . ومع هذا لم يطرأ أى تحول على سلوكه حتى بعد أن حدثه الرب قائلاً : إذا أصلحت سلوكك سأغفر خطيئتك ، وإذا لم تفعل سألقى بك إلى عالم النزعات الشريرة التى ستتحكم فى قلبك ، وسيصبح أمامك إما أن تخضع لهذه النزعات وإما أن تسيطر عليها^(١٤) .

وأحس قابيل أنه مخطئ ، وأعقب هذا الإحساس تفجر خلاف بينه وبين هابيل فقال : اعتقدت أن العالم خلق من خلال الخير^(١٥) غير أنى أرى أن عمل الخير لا يثمر . إن الرب يحكم العالم بقسوة ولا فلماذا قبل قربانك ورفض قربانى؟ واعترض هابيل عليه فذهب إلى أن الرب يكافئ الأعمال الخيرة دون النظر إلى الأشخاص ، وإذا كان الرب قد قبل أضحيته ورفض ما قدمه قابيل فإن السبب يتمثل فى أن أعماله كانت خيرة وأعمال أخيه شريرة^(١٦) .

ولم يكن هذا هو السبب الوحيد الذى جعل قابيل يضر الكراهية لهابيل إذ كان حب المرأة أحد الأسباب التى أدت إلى وقوع الجريمة . وحتى يتم ضمان تناسل الجنس البشرى فقد خلقت بنت لتكون زوجة لقابيل ، وكانت الشقيقة التوأم لهابيل على قدر كبير من الفتنة والجمال ، وابتغاها قابيل^(١٧) ، ولذلك فقد كان يطيل التفكير دائماً فى طرق التخلص من أخيه .

ولم تتأخر الفرصة فى المجئ ، فدخلت إحدى أغنام هابيل ذات يوم إلى حقل كان قابيل قد زرعه ، فصرخ : أى حق يدعك تقيم على أرضى وتدع غنمك ترعى فيها ؟ فأجاب هابيل : أى حق يدعك تستخدم منتجات أغنامى ، وصنع الملابس من صوفها ؟ وإذا تركت صوف غنمى الذى ترتديه ويدفع فى مقابل لحم القطيع سأرحل عن أرضك

كما تبتغى بل وسطير في الهواء إذا أمكنتي ، وقال قابيل عندئذ : وإذا قتلتك من سيطلب الثأر لدمك ؟ فاجاب هابيل : إن الرب الذي جلبنا إلى العالم سيثأر لى ، وسيطالب بدمى إذا ذبحتنى . إن الرب هو الحكم الذى يمكر بالماكرين ، وينزل الأعمال الشريرة بالأشرار ، وإذا قتلتنى سيكون الرب مطلعاً على سرى ، وسينزل العقاب بك .

ولم تثر هذه الكلمات سوى غضب قابيل الذى انقض على أخيه^(١٨) غير أن هابيل كان أكثر قوة منه ، وكان يمكنه التغلب عليه ولكنه صفع عنه وأطلق سراحه ، وانقض قابيل فور أن أطلق سراحه على هابيل وقتله ، وما أصدق مقولة : " لا تحسن إلى الشرير خشية أن ينقض عليك^(١٩) .

عقاب قابيل

كانت الطريقة التى لقي بها هابيل مصرعه من أبشع الطرق التى يمكن تصورها . ولم يكن قابيل يعلم الإصابة التى يمكنها أن تمت هابيل فرجم قابيل كل جسد هابيل بالحجارة حتى أصابته إحدى الأحجار فى عنقه فلقى حتفه ، وقرر قابيل بعد أن ارتكب جريمته الفرار قائلاً : سيطلب أبواى منى معرفة ما ألم بهابيل لأنه لا وجود لأى إنسان آخر على الأرض . وعبرت هذه الفكرة بذهنه حينما ظهر الرب أمامه وحديثه قائلاً : يمكنك أن تهرب من والدك ولكن أيمكنك الهروب من وجودى أيضاً ومن ذا الذى يمكنه التخفى فى أماكن لا أراها ؟ وا حسرتاه على هابيل الذى رحمك وتجنب قتلك حينما كان هذا بوسعك . ومن المؤسف أنه منحك فرصة قتله .

وحينما سأل الرب : أين أخوك هابيل ؟ أجاب قابيل : هل أنا حارس أخى ؟ إنك أنت الذى تراقب كل الكائنات وتطلب تقريراً منى ؟ لقد قتلتك لأنك أنت الذى زرعت بى كل النزعات الشريرة ، وطالما أنك تحمى كل الأشياء فلماذا سمحت لى بقتله ؟ يارب أنت الذى قتلتك فلو كنت قبلت قربانى كما فعلت معى لما كنت حققت عليه وقتلته . غير أن الرب قال : إن صوت دم أخيك الصاعد من جراحه الكثيرة يحتج عليك^(٢٠) وكذلك دم كل الأنبياء المتفجر من خصرتى هابيل .

وأدانت روح هابيل أيضاً القاتل لأنها لم تجد راحتها في أى مكان فلم تتمكن من التحليق في السماء أو الاتحاد مع جسدها في القبر خاصة أنه لم يكن لأى روح من قبل القيام بهذا الأمر^(٢١) . أما قابيل فقد أصر على عدم الاعتراف بخطيئته وقال مصرأ إنه كيف كان يمكنه تصور أن الحجارة التى رجم بها هابيل ستقضى عليه ؟ وقد لعن الرب الأرض بسبب ما فعله قابيل ، ولعنها بالآل تثمر شيئاً له^(٢٢) . وعاقب الرب الأرض لاحتفاظها بجثة هابيل وعدم إخراجها^(٢٣) .

وواصل قابيل عناده قائلاً : يارب العالمين أنفك من يعاونون في جمع المعلومات ويدينون البشر؟ إن والدى فقط يعيشان على وجه الأرض ولا يعلمان شيئاً عما فعلت . إنك تقيم في السماء فكيف تعلم ما يحدث في الأرض؟ فأجاب الرب : إنك أحمق . إنى أقود العالم بأسره . لقد صنعتته وسأقوده . وأعطت هذه الإجابة لقابيل فرصة التظاهر بالتوبة فقال : أنتحمل كل العالم وتعجز عن تحمل خطيئتي^(٢٤) ؟ أم أن خطيئتي بلغت من الكبر حدا لا يُحتمل ، لقد طردت والدى من أمامك البارحة ، وتطردنى اليوم من أمامك ، وسيقال على هذا النحو إنك لا تتوقف عن الطرد^(٢٥) .

وبالرغم من أن كل ما قاله هابيل كان ضرباً من المخادعة وبعيداً عن التوبة الصادقة فقد صفع الرب عن قابيل ، وأزاح عنه نصف العقاب فبينما حكم الرب على قابيل في البدء بأن يهيم على وجهه في الأرض إلى الأبد فقد اقتصرت عقوبته على التجوال فقط ، وكانت معاناة قابيل فوق الاحتمال إذ ارتعدت الأرض تحت قدميه واجتمعت كل الحيوانات المتوحشة والأليفة والتي كان من بينها الحية الملعونة محاولة الفتك به انتقاماً لدم هابيل ، ولم يعد بمقدور قابيل في نهاية الأمر تحمل هذا الوضع فصرخ باكياً : أين يمكننى الذهاب من روحك أو الفرار من وجودك^(٢٦) وحتى يحميه الرب من هجوم الوحوش كتب الرب أحد حروف اسمه المقدس على جبين قابيل^(٢٧) . وخاطب الرب الحيوانات قائلاً : لن يكون العقاب الذى سيحل بقابيل مثل ذلك الذى سيحل بالقتلة في المستقبل . لقد سفك الدم حقاً غير أنه لم يكن هناك أحد ليعلمه . وعلى أية حال فإن من يقتل سيقتل . وأعطى الرب قابيل الكلب لحمايته من الوحوش الضارية ، وأنزل عليه مرض الجذام ليكون علامة على كونه مذنباً .

وأُسفرت توبة قابيل رغم أنها لم تكن صادقة عن نتيجة طيبة فحينما رآه آدم واستفسر منه عن العقوبة التي حلت به أخبره قابيل أن توبته نالت رضا الرب فقال آدم مندهشاً : لم أعرف أن التوبة قوية إلى هذا الحد ، ومن هنا نظم ترنيمة للثناء على الرب بدأها بالكلمات التالية : " ما أروع أن تعترف للرب بأخطائك (٢٨) .

وكان للجريمة التي ارتكبها قابيل نتائج وخيمة ليس فقط عليه وإنما على كل الطبيعة فقد كان مذاق ثمار الأرض شبيهاً بمذاق ثمار الجنة غير أن جهوده في الزراعة أصبحت تذهب درج الرياح ، ولم تعد تثمر سوى الأشواك (٢٩) . وتغيرت الأرض وتدهورت طبيعتها في اللحظة التي لقي فيها هابيل حتفه فرفضت الأشجار والنباتات الواقعة في المنطقة التي عاش فيها هابيل أن تثمر لإحساسها بالحزن عليه غير أن الأشجار الواقعة في المنطقة التي كانت تخص هابيل علوت مع ميلاد "شيث" الإثمار ، ومع هذا لم تكن قدرتها على الإثمار كما كانت عليه فبينما كانت كرمة العنب تحمل تسعمائة ستة وعشرين نوعاً من الثمار أصبحت تحمل نوعاً واحداً فقط ، وكان هذا ما حدث أيضاً مع سائر الأنواع غير أنها ستسترد قدراتها الأصلية في العالم الآخر (٣٠) .

وكانت جثة هابيل قد بقيت لفترة طويلة على وجه الأرض خاصة أن آدم وهواء كانا قد احتارا فيما يفعلان بها ، وقد اكتفيا بالجلوس منتحبين جوارها في حين تكفل كلب هابيل بحماية الجثة من الطيور والوحوش ، ولاحظ الوالدان خلال نحيبهما - وعلى حين غرة - أن غراباً أزاح التراب عن بقعة ما بالأرض وأخفى بها طائراً ميتاً من نوعه بالأرض ، وأتبع آدم ما فعله الغراب مع هابيل فدفنه بالأرض ، وكافأ الرب الغراب لما فعله أمام آدم. وعند ولادة الغريبان فإن ريشها يكون أبيض ولذلك تهجرها كبار الطيور لعدم معرفتها بها . ويطلعها الرب حتى يصبح ريشها أسود وعندئذ تعود إليها كبار الطيور. ويكافئها الرب أيضاً بالاستجابة إلى مطلبها حينما تصلى الغريبان إليه طلباً للمطر (٣١) .

سكان الأراضى السبعة

وحيثما طرد آدم من الجنة وصل فى البدء إلى أدنى أرض من الأراضى السبع ، التى تعرف باسم " إيرتس " (أرض) ، وهذه الأرض مظلمة لا يتسلل إليها الضوء وخالية بالكامل. وعند مجئ آدم إلى هذه الأرض تملكه الرعب وتخوف خاصة من لهيب السيف المسلط عليها، وبعد أن كفر آدم عن خطيئته قاده الرب إلى الأرض الثانية التى تعرف باسم " أداماه " التى يعد الضوء بها انعكاساً للسماء والنجوم والكواكب. وتسكن فى هذه الأرض كائنات شبيهة بالأشباح تعد نتاجاً لاتحاد الإنسان بالارواح^(٣٢) . وتعيش هذه الأشباح فى حالة دائمة من الحزن ولا معرفة لها بالسعادة. وعند خروج هذه الأشباح من أرضها إلى تلك التى يسكنها البشر تتحول إلى أرواح شريرة ، وترجع الأشباح مرة أخرى إلى مستقرها وتتوب عن أفعالها الشريرة وتحث الأرض وتفلحها غير أنها لا تثمر شيئاً^(٣٣) . وقد ولد على هذه الأرض " أداماه " قابيل وهابيل وشيث غير أن قابيل أرسل بعد مقتل هابيل إلى طبقة " إيرتس " التى أكره فيها على التوبة لفرط خوفه من ظلام هذه الطبقة ، ولهيب السيف المسلط عليها. وحيثما قبل الرب توبته سمح له بالصعود إلى الطبقة الثالثة التى تعرف باسم " أرخا " التى تتلقى بعضاً من ضوء الشمس. وقد وهبت هذه الأرض لأبناء قابيل لتصبح لهم إلى الأبد ، ويفلحون الأرض فى هذه الطبقة وينزعون فيها الأشجار غير أنها لا تثمر شيئاً من الحبوب .

وبعض أبناء قابيل من العمالقة وبعضهم الآخر من الأقزام ، ولكل منهم رأسان ومن هنا لا يمكنهم أن يصلوا أبداً إلى أى قرار، ويعيشون دائماً فى حالة من الخلاف^(٣٤) . وقد يحدث أن يتسموا فى لحظة بالتقوى غير أنهم سرعان ما ينزعون إلى الشر فى اللحظة التالية .

ويعيش فى الأرض الرابعة التى تعرف باسم "جىء" جيل برج بابل ونسله ، وقد أباد الرب هذا الجيل لا سيما أن هذه الأرض الرابعة ليست بعيدة عن جهنم وقريبة من لهيب نيرانها^(٣٥) . ويتسم سكان هذه الأرض بالمهارة فى كل الفنون والتفوق فى كل العلوم والمعارف ، ومسكنهم يفيض بالثراء. وحيثما يقوم أحد سكان أرضنا بزيارتهم

يهبونه أغلى ما لديهم غير أنهم يقوونونه فيما يعد إلى الأرض الخامسة التي تعرف باسم "نشياه" إذ يصبح فيها غير واع بأصله وموطنه. ويسكن هذه الأرض أقزام لا أنوف لهم ، ويتنفسون بالتالي من فتحتين بدلاً من الأنف ، وليست لديهم ذاكرة .
وحينما يحدث شيء يسوه كلية ، ولهذا فإن هذه الأرض تعرف باسم "نشياه" أي النسيان.
وتشبه الأرض الرابعة والخامسة أرض أرخا فأنشجارها لا تثمر شيئاً أبنة .

ويسكن الأرض السادسة التي تعرف باسم "تسياه" (الجفاف) رجال يتسمون بالوسامة، ويمتلكون ثروة وفيرة ، ويعيشون في قصور غير أنهم يفتقرون إلى المياه ، ولا غرابة في هذا الأمر خاصة أن مسمى هذه الأرض يعنى الجفاف، ومن هنا فنادر ما تثبت ، كما أن زراعة الأشجار لا تنجح في هذه الأرض. ويسرع سكان هذه الأرض إلى أى نبع ماء يتم اكتشافه ، وينجحون في بعض الأحيان في التسلل عبر هذه المياه إلى أراضيها التي يشبهون فيها من الطعام الذي نتناوله. ويتسم هؤلاء السكان بأنهم شديدي الإيمان على نحو يفوق سائر البشر^(٣٦) .

وقد ظل آدم بطبقة "أداماه" حتى بعد مولد "شيث" ، ثم مضى عبر الطبقة الثالثة "أرخا" التي يسكنها نسل قابيل ، والطبقات الثلاث الأخرى هي : "جى" و "نشياه" و "تسياه" ، ثم نقله الرب إلى الأرض السابعة التي نسكنها والتي تعرف باسم "تيفيل" .

نسل قابيل

وقد علم قابيل أن خليطة سفك الدم التي ارتكبها سيُعاقب عليها في الجيل السابع، وكان هذا ما أمر الرب به عليه^(٣٧)، ومن هنا سعى إلى تخليد اسمه من خلال الآثار^(٣٨) فأصبح مشيداً للمدن. وقد دعا أول مدينة "إينوخ" نسبة إلى ابنه لأنه بدأ ينعم عند ميلاد إينوخ بقدر من الراحة والسلام^(٣٩) . وعلاوة على هذا فقد شيد ست مدن أخرى^(٤٠) ، وكان تشييد هذه المدن عملاً بعيداً عن روح الشريعة إذ أحاط هذه المدن بسور وأجبر عائلته على الإقامة بداخله . ولم يتسم سائر أعماله بالتقوى . ولم يكن للعقاب الذي أنزله الرب به أى تأثير إيجابي عليه إذ واصل ارتكاب الخطايا ليضمن المتعة بالرغم من أن جيرانه كانوا يتعرضون للأذى حيث كان يزيد من ثروات أهل بيته

من خلال أعمال العنف والاغتصاب ، وكان يحصل على المتع والملاذات من خلال السرقة بل وأصبح زعيماً لمن يسيرون في طرق الشر. وقد أحدث تغييراً في حياة البساطة التي كان البشر يحيونها قبله إذ كان أول من أدخل المقاييس والأوزان. وبينما عاش البشر على نحو بسيط وكريم قبله إذ لم يعرفوا في حينهم شيئاً عن هذه الصنائع فقد جعل حياتهم تعتمد على الخداع^(٤١) .

وكان كل نسله شبيهاً بقايل إذ لم يلتزم بالتقوى وأصول معرفة الرب ، ولهذا قرر الرب أن يبيدهم^(٤٢) .

وقد أدرك الموت قبايل خلال الجيل السابع من البشرية ، وحل الموت عليه على أيدي حفيده الأكبر لاميع، وكان لاميع هذا كفيلاً ، وكان حينما يتوجه للقنص يقوده ابنه الصغير الذي كان يخبر أباه بظهور أية حيوانات صغيرة أمامه يمكن صيدها ، وكان لاميع يقتنصها برمحه، وتوجه لاميع مع ابنه ذات مرة في مهمة للقنص، ولاحظ الصبى شيئاً ذا قرن على بعد فظن في الحال أنه وحش فأنبلغ الكفيف لاميع بالاستعداد لتوجيه سهمه إليه، وسقطت الفريسة بالفعل على الأرض ، وحينما اقتربا من الضحية هتف الصبى قائلاً : "والذى لقد قتلت شيئاً يشبه الإنسان في كل شيء، إلا أنه ذو قرن على ناصية رأسه " . وعلم لاميع في الحال أنه قتل سلفه قبايل الذي كان الرب وضع قرناً على رأسه كعلامة مميزة له^(٤٣) .

وقد توالى النكبات إذ فتحت الأرض فمها وابتلمت الأجيال الأربعة التي خرجت من صلب قبايل وهي : " اينوخ " و " إيراد " و " محوجانيل " و " ميتوشانيل " . ولما كان لاميع كفيلاً لم يمكنه الذهاب إلى منزله ، وكان عليه أن يجلس بجوار جثة قبايل وابنه. ومع حلول المساء عثرت عليه زوجاته اللاتي كن يبحثن عنه ، وحينما علمن ما حدث أردن الانفصال منه خاصة بعد أن علمن أن من أنجبه قبايل قُدر عليه الفناء . غير أن لاميع ذكر : أنه إذا كان قبايل الذي تعمد القتل عوقب في الجيل السابع فأتا لم أعترزم قتل أحد ولذا أمل أن يحل العقاب في الجيل السابعين . وتوجه لاميع مع زوجاته إلى آدم الذي استمع إلى الطرفين وحكم في صالح لاميع^(٤٤) .

وتجلى فساد الأزمنة ، والفساد الذى حل بقطيع قابيل خاصة فى حقيقة أن لاميح وكل أبناء جيل الطوفان تزوجوا زوجتين حتى تتولى الأولى مهمة إنجاب ورعاية الأطفال على أن تكون الأخرى مخصصة للمتعة الحسية ، وكانت هذه الأخرى تتحول إلى عقيمة عبر بعض الوسائل الاصطناعية. ولما كان أهل هذا العصر شديدي الاهتمام بالمتعة أكثر من اهتمامهم بالقيام بواجبهم تجاه الجنس البشرى فقد وهبوا كل حبهم للنساء العاقرات فى حين أن زوجاتهم كانت تقضى أيامهن مثل الأرامل فى حالة من الحزن .

وقد أنجبت " عيدا " و " تسيل " زوجتا لاميح طفلين ، فأنجبت عيدا " يا بال " و " يويال " ، أما تسيل فأنجبت ولداً دعت " تويال قابيل " وبناتاً دعتها " نعمة " ، وكان يا بال أول رجل يشيد معبداً للأوثان. أما يويال فقد كان أول من ابتدع الموسيقى التى تُعزف فى المعابد. وكان " تويال قابيل " اسماً على مسمى إذ أكمل عمل سلفه قابيل فبينما كان قابيل أول من ارتكب جريمة القتل فإن " تويال قابيل " كان أول من عرف كيفية سن الحديد والنحاس ، كما عمل على تزيين الأدوات المستخدمة فى الحروب والصراعات المختلفة . واكتسبت " نعمة " اسمها من الأصوات الجميلة التى كانت تعزفها حينما كانت تدعو المصلين لعبادة أوثانهم^(٤٥) .

نسل آدم وليليث

وحينما سمعت زوجتا لاميح قرار آدم وأرادتا الاستمرار فى العيش مع زوجها توجهتا إليه قائلتين : أيها الطبيب اشفنا . وكانتا تشيران على هذا النحو إلى حقيقة أنه كان يعيش منعزلاً عن زوجته منذ وفاة هابيل لأنه قال : ولماذا أنجب أطفالاً إذا كان الموت مقدراً عليهم^(٤٦) ؟

وبالرغم من أن آدم تجنب الجماع مع حواء فقد زارته خلال نومه أرواح إناث، وأسفر اتحاده معها عن إنجاب أرواح وعفاريث من أنواع مختلفة^(٤٧) ومبت جميعها خواص فريدة .

وكان قد عاش فى فلسطين ذات حين رجل بالغ الثراء شديد التقوى، وكان ابنه يدعى الحاخام " حانينا " الذى حفظ التوراة عن ظهر قلب، وحينما أدرك هذا الرجل أنه

على شفا الموت استدعى ابنه " حانينا " وأمره بدراسة التوراة صباحاً وعشياً ، وأن ينفذ وصايا الشريعة وأن يكون صديقاً وفيّاً للفقراء ، وأخبره أيضاً أنه هو وزوجه (أى والدته الحاخام حانينا) سيموتان فى اللحظة نفسها ، وأن أيام الحداد السبعة يجب أن تنتهى عشية عيد الفصح، وأوصاه ألا يفرط فى حزنه وأن يتوجه إلى السوق فى اليوم نفسه ، وأن يشتري أول ما يعرض عليه دون النظر إلى ثمنه. وإذا كان هذا الشيء صالحاً للأكل فليعده ويتناوله ببهجة ، وأنه سيُجازى خيراً عن كل التكاليف والمشقة . وقد حدثت كل الأمور على النحو التالى إذ توفى الرجل وزوجه فى اليوم نفسه ، وقد وافقت نهاية أسبوع الحداد عشية عيد الفصح. ونفذ الابن مخطط والده إذ توجه إلى السوق والتقى فيه برجل عجوز أعطاه طبقاً من الفضة ليبيعه. وبالرغم من أن سعر هذا الطبق كان باهظاً فقد اشتراه كما أمره والده. وتم وضع الطبق على الطاولة التى يجلس أفراد الأسرة عليها لقراءة صلاة عيد الفصح . وحينما فتح الحاخام حانينا العلبة التى يوجد بها الطبق وجد طبقاً آخر يوجد به الضفدع حى يقفز بسعادة. وقد أعطى هذا الحاخام الضفدع طعاماً وشراباً، فكبر حجمه مع الانتهاء من حفل عيد الفصح ، فأقام الحاخام " حانينا " له مكاناً تتناول فيه الضفدع طعامه وشرابه. ومع مضى الوقت ضاق هذا المكان على الضفدع فأقام الحاخام مكاناً آخر له وأعطاه الكثير من الطعام والشراب ، وقام الحاخام بكل هذه المهام حتى لا ينتهك وصية والده غير أن الضفدع تمدد حجمه واستهلك كل ما لدى صاحبه حتى جرد الحاخام من كل ما يملك. وفتح الضفدع فمه وتحدث قائلاً : عزيزى الحاخام حانينا لا تقلق وأرى أنك ربيتنى واعتنت بى ويمكنك أن تسألنى عما تبتغى وستنفذ ما تبتغيه . فأجاب الحاخام : لا أبتغى شيئاً سوى أن تعلمنى كل التوراة اللغات السبعين التى يتحدثها البشر^(١٨) ، واستجاب الضفدع فأخذ يكتب بضع كلمات على الورق وكان الحاخام يبتلعها، ولم يتلق الحاخام على هذا النحو التوراة والسبعين لغة فحسب وإنما تعلم أيضاً لغة الوحوش والطيور، وحدث الضفدع زوجة الحاخام حانينا " لقد أحسنت الاعتناء بى ولم أعوضك غير أنى سائيبك قبل الرحيل عنك ولكن عليك أن ترافقينى إلى الأيك ، وستشاهدين ما سافعله معك " . وبالتالى فقد ذهبا معه إلى الأيك ، وعند الوصول إلى هناك بدأ الضفدع فى الصراخ ، وتجمعت كل الوحوش والطيور على صراخه ، وأمرهم بأن يجمعوا أكبر قدر ممكن من الأحجار الكريمة ، وكان عليهم أيضاً إحضار الأعشاب

والجنود إلى زوجة الحاخام حانينا، وعلمها الضفدع كيف يمكنها استخدام كافة هذه الأشياء في علاج الأمراض المختلفة ، وأمرهما الضفدع بأخذ كافة هذه الأشياء إلى منزلها، وحينما كانا في طريق العودة خاطبهما الضفدع قائلاً : ليت الرب الرحيم يرحمكما ويعوضكما عن كل المشاق التي قد تقابلونها . والآن سأجعلكم تعرفون من أنا ، فتأ ابن آدم الذي رُزق به خلال الأعوام المائة والثلاثين التي انفصل خلالها عن حواء ، وقد وهبني الرب قدرة التجلي في أي شكل أبتغيه . وارتحل الحاخام حانينا وزوجه إلى منزلها ، وأصبعا بالفي الثراء ونعما بالاحترام وثقة الملك^(٤٩) .

شيث ونسله

وكان لنصائح زوجتي لاسيح أثرها الفعال في آدم ، فبعد أن قضى مائة وثلاثين عاماً منفصلاً عن حواء فقد عاد إليها ، وقد أصبح حبه لها أعظم بكثير من حبه السابق، فقد أصبحت تجول بخاطره حتى في الوقت الذي لم تكن متواجدة فيه بجسدها معه، وأسفرت عودتهما إلى بعضهما البعض عن إنجاب " شيث " الذي قُدر له أن يكون جداً للمسيح المنتظر^(٥٠) .

وقد تشكل " شيث " كاملاً منذ مولده على نحو جعله معفياً من طقس الغتان، فقد كان واحداً من بين ثلاثة عشر فرداً ولدوا كامليين على هذا النحو^(٥١) . وحينما رُزق آدم به فقد كان يشبهه للغاية وعلى خلاف قابيل الذي لم يكن شبيهاً بأبيه، وقد أصبح " شيث " وبالمعنى الحقيقي للكلمة أباً للجنس البشري وخاصة للأتقياء في حين أن الفاسقين والملحدين كانوا من نسل قابيل^(٥٢) .

وقد أصبح نسل قابيل حتى خلال حياة آدم من الأشرار ؛ ومن ثم كانوا يموتون واحداً تلو الآخر ، وكان كل من يولد منهم أكثر فسقاً من سابقه، وكانوا يتسمون بالقسوة في الحروب ، والإفراط في اللجوء للسرقة . وحينما كان أحدهم يكلف بالقتل فقد كان يتسم بالإفراط في القتل .

أما شيث فحينما نضج ووصل إلى المرحلة التي يمكنه أن يميز فيها الخير أصبح تقياً فضلاً عن شخصيته المميزة ، بل وهجر الأطفال الذين كانوا يحرسون على محاكاته،

وأثبتت سماته جدارتها فكانت تسكن وتتمثل إلى الجميع دون أية مشقة ودون أن يتعرضوا إلى أية محنة طيلة حياتهم وحتى موتهم، وخلقت هذه الخواص أيضاً ذلك النوع الفريد من الحكمة المعنية بمعرفة الأجرام السماوية ونظامها. ولم تكن هذه المعرفة تضيع قبل أن تُعرف على نحو جيد، وقد دعمت هذه المعرفة تنبؤ آدم بثن العالم سيُدمر مرة بقوة النيران ومرة أخرى بسبب عنف المياه. وقد نقشوا اكتشافاتهم على القرميد والحجارة حتى يبقى ما كُتب على الحجارة في حالة إذا ما أفنى الطوفان عمود القرميد^(٥٢).

إينوخ

وحيثما سئل إينوخ عن يكون والده أجاب شيث . ولما واصل أهل عصره سؤاله عن والد شيث فأجاب آدم . وحيثما عاينوا سؤاله " ومن يكون والد آدم ؟ " أجابهم : لم يكن له أب أو أم ، وخلق الله الرب من تراب الأرض . وجادلوه قائلين : ولكن ليس للإنسان شكل التراب . فلجأهم : يعود الإنسان بعد الموت إلى التراب إذ قال الرب سيعود الإنسان للتراب غير أن الإنسان خلق في يوم الخلق على صورة الرب . وحيثما سأله : وكيف خلقت المرأة ؟ أجابهم : خلق الرب الذكر والأنثى . فسأله : كيف ؟ أجابهم : أخذ الرب المياه والتراب وشكل منهما الإنسان. فعاينوا سؤاله : ولكن كيف ؟

وأخذ إينوخ ست كتل من تراب الأرض ومزجها مع بعضها البعض مشكلاً صورة من التراب والطين، فاحتج من يستمعون إليه قائلين : غير أن هذا الشكل الذي صنعه لا يسير ولا تدب فيه روح الحياة . وحاول فيما بعد أن يظهر لهم كيف نفخ الرب روح الحياة في آدم غير أنه حينما بدأ ينفخ في الصورة التي صنعها دخل الشيطان إلى الصورة وسار ومن هنا فقد ضل القوم الذين كانوا يتساءلون عن هذه الأمور إذ ساروا خلف الصورة قائلين : ما الفرق بين السجود أمام هذه الصورة وبين إجلال مجرد رجل^(٥٣) ؟

تضمن جيل إينوخ على هذا النحو أول من عبدوا الأصنام ، ولم يتأخر عقابهم لحماقتهم إذ جعل الرب البحر يتجاوز حدوده وغمر على هذا النحو الأرض، وأضحت فيه الجبال صخوراً وتحلت فيها أيضاً جثث الموتى. وكان من بين تبعات الوثنية أيضاً

أن ملامح الأجيال اللاحقة لم تعد شبيهة بصورة الرب أو بملامح آدم وشيث وإينوخ، وأصبحوا يشبهون القردة و" القنطورس " هذا الكائن الخرافي الذي نصفه رجل ونصفه فرس، وكان من بين تبعات الوثنية أيضاً أن الأشباح لم تعد تخاف البشر^(٥٥) .

وكان من بين التبعات الخطيرة التي تولدت عن الممارسات الوثنية التي ظهرت في عهد إينوخ ، أنه حينما طرد الرب آدم من الجنة ظلت الحضرة الإلهية متوجة فوق أحد الملائكة الجالسة تحت شجرة الحياة . وقد هبطت الملائكة من السماء ودخلت مساكنها لتلقى تعاليمها . أما آدم ونسله فجلسوا بالقرب من مدخل هذه المساكن لينعموا ببهاء الحضرة الإلهية التي تعد أشعتها أكبر من أشعة الشمس خمسة وستين ألف مرة . وحينما يحل ضياء الحضرة الإلهية على المرء فإن المرض لا يحل به ، ولا تجرؤ الحشرات أو العفاريث على الاقتراب منه أو المساس به .

وفي عهد إينوخ بدأ البشر في جمع الذهب والفضة والجواهر والأحجار الكريمة من كافة أنحاء الأرض ، وصنعوا منها لوثاناً كان يبلغ ارتفاع الواحد منها ألف فرسخ .

أما الأسوأ من هذا وذاك فقد تعلموا من خلال الملائكين " عوزا " و " عزائيل " فنون السحر ، فقد نصبوا أنفسهم سادة للكائنات السماوية وأجبروا الشمس والقمر والنجوم للخضوع لهم بدلاً من الخضوع للرب. وأجبر هذا الوضع الملائكة على سؤال الرب : " ما الإنسان الذي تهتم به ؟ ولماذا لا تتخلى عن علاك بالسموات ومجدك وعرشك العالي وتنزل للبشر الذين يعبدون الأوثان الذين يضمعونك في مقام الأوثان ؟ " وتم تكليف الحضرة الإلهية بالمعبود إلى السماء في حالة من الضوء ، وقد رافقها في معبودها عشرات الآلاف من الملائكة^(٥٦) .

سقوط الملائكة

وتزايد فساد الجنس البشري ، الذي تجلى في البدء في عهد إينوخ ، على نحو ضخم في عهد حفيده " ياريد " ، وكانت هذه الزيادة نتيجة لسقوط الملائكة ، فحينما شاهدت الملائكة جمال وجاذبية بنات البشر اشتتهتها بقولها : سنختار لأنفسنا زوجات

من بنات البشر، وستنجب منهن . وقال كبير الملائكة شيمحازاي : أشعر بالخوف
فلن تتمكنوا من وضع خطتكم موضع التنفيذ غير أنى ستتحمل تبعات خطيئتكم .
فأجابته الملائكة : نقسم جميعاً بعدم التخلي عما نعتزم القيام به ، وأنتا سننفذ
ما نعتزمه حتى النهاية .

وهبط مائتا ملاك إلى قمة جبل " حيرمون " ، واكتسب الجبل هذا الاسم لارتباط
اسمه بمعنى الحرام ، وبقيت الملائكة على هذا الجبل لتنفيذ غرضها، ودنسّت الملائكة
تحت قيادة كبار الملائكة نفسها مع بنات البشر فعلمتها السحر ، وكيفية اقتلاع
الجنود ومعرفة أسرار فعالية النباتات، وأسفر زواج الملائكة ببنات البشر عن ميلاد
جنس من العمالقة يبلغ طول الواحد منهم ثلاثة آلاف ذراع ، وكان هؤلاء يستهلكون
ممتلكات البشر . وحينما فنبت كل الأشياء ولم يعد يمكنهم الحصول على شيء ألبتة
انصرفوا إلى البشر واتّهموا كثيراً منهم ، وبدأ من تبقى من البشر في الاعتداء على
الطيور والحيوانات والزواحف والأسماك فاكلوا لحومها وشرّبوا دماءها .

واشتكت الأرض فيما بعد من الأعمال الشريرة لغير المتقين غير أن الملائكة
التي سقطت واصلت إفساد البشر، فعلم عزازيل البشر كيفية صنع سكاكين الذهب ،
والأسلحة والدروع ، وأظهر لهم المعادن وكيفية صنع كافة أنواع العلى والأساور منها
وكيفية طلاء جفون العيون باللون الأحمر وكيفية تزيين الرموش ، وكيف يزينون أنفسهم
بالمجوهرات الثمينة النادرة وبكل ألوان الطلاء. وقد علم كبير الملائكة شيمحازاي البشر
إعداد التعاويذ ، أما الملاك " أرماروس " فعلمهم السحر ، وعلمهم " باراخيل " التمييز
بين النجوم ، وعلمهم " كوكابيل " علم التنجيم ، وعلمهم " حزقيال " علم العرافة من
السحب ، وعلمهم " أراخيل " علامات الأرض ، وعلمهم " سمساويل " علامات الشمس ،
وعلمهم " سيرينيل " علامات القمر^(٥٧) .

وفي الوقت الذي دنست فيه كل هذه الأعمال البغيضة الأرض فقد عاش " إينوخ"
في مكان سرى ، فلم يعرف أحد من البشر مسكنه أو ما حدث له لأنه كان يرتحل
مع الملائكة الساهرة والمقدسة. وحينما سمع إينوخ صوتاً يناديه : إينوخ يا كاتب
العدالة اذهب إلى حمة السماء الذين تركوا السموات مكانها الأبدى المقدس والذين
دنسوا أنفسهم مع النساء ، وأصبحوا يتصرفون مثل البشر إذ يتزوجون النساء

ويعرضون أنفسهم إلى الهلاك على الأرض، اذهب وأخبرهم أنهم لن يجدوا سلاماً أو غفراناً ، فكلما أفرطت الملائكة في الاستمتاع بنسلها فإنها لن تلقى سوى موت أبنائها والحسرة عليهم . أخبرها أن هذه الملائكة ستصلى وستبتهل إلى الأبد غير أنها لن تجد رحمة أو سلاماً .

وتوجه إينوخ إلى " عزازئيل " وسائر الملائكة الساقطة ليخبرها بقدرها المحتوم الذي قُدر عليها فامتلات الملائكة بالخوف وارتعدت فرائصها ورجت إينوخ أن يتقدم بالتماس نيابة عنها وأن يقرأه على رب السموات لأنه لم يعد يمكنها أن تحدث الرب مثلما كانت تحدثه من قبل ، وأنها لا تجرؤ على رفع عينها إلى السماء لإحساسها بالخزي من ذنوبها. واستجاب " إينوخ " لطلبها فُمنح في إحدى رؤاه الإجابة التي كان عليه أن ينقلها إلى الملائكة. وقد تراسى إينوخ أنه نُقل إلى السموات عبر السحب ، وأنه أجلس أمام عرش الرب ، فذكر الرب " اذهب وقل إلى حماة السموات الذين أرسلوك إلى للتوسط من أجلهم : حقا أنتم الذين يجب أن تبتهلوا من أجل البشر وليس العكس ولماذا تخليتم عن العلى والسموات الأبدية لتدنسوا أنفسكم مع بنات البشر وتزوجوهن وأن تتصرفوا مثل سائر أعراق الأرض وأن تتجلبوا أبناء عمالقة ؟ إن العمالقة الذين سيكونون من أجساد وأرواح سيدعون أرواحاً شريرة على الأرض ، وستكون الأرض سكناهم، وستخرج الأرواح الشريرة من أجسادهم لأن هذه الأرواح خلقت في العلا ، وستكون هذه الأرواح أرواحاً شريرة على الأرض ، وستدعى أرواحاً شريرة. أما أرواح السموات فستكون السماء سكنها غير أن أرواح الأرض التي ولدت على الأرض فستسكن الأرض، أما أرواح العمالقة فستلتهم وتحطم وتضطهد وتهاجم وتشن الحروب وتسبب الدمار للأرض. ولن تتناول هذه الملائكة شيئاً من الطعام ولن تعطش ، وستكون غير مريئة، وستهاجم هذه الأرواح أطفال البشر والنساء لأنها خرجت وانطلقت منهم. ولما كانت الأرواح خرجت من أجسادهم لتدمر دون أن تتعرض إلى عقاب فإنها ستواصل الدمار حتى اليوم الذي ينتهي فيه العالم. والآن وفيما يتعلق بحماة السموات الذين أرسلوك لتبتهل من أجلهم والذين كانوا فيما مضى في السماء أخبرهم : لقد كتمت في السماء وبالرغم من أنه لم يتم كشف الأشياء الخفية لكم فإنكم تعرفون أشياء غامضة غير مهمة ، وأفصحتم عن هذه الأمور بقصوة قلوبكم إلى النساء ، وسيرتكب الرجال والنساء من خلال هذه المعارف الشر على الأرض. أخبرهم أنهم لن ينعموا بالسلام^(٥٨) .

إينوخ حاكماً ومعلماً

وبعد أن قضى " إينوخ " فترة طويلة منعزلاً عن البشر سمع ذات مرة صوت ملاك يناديه : إينوخ إينوخ استعد لمغادرة منزلك والمكان السرى الذى تخفيت به ، واستعد للسيطرة على البشر لتعلمهم الطرق التى سيسلكونها ، والأعمال التى سيفعلونها حتى يسيروا فى طرق الرب .

وتخلى إينوخ عن عزائه وتوجه إلى منازل البشر حيث جمعهم حوله وعلمهم على نحو يرضى الرب، وأرسل رسلاً إلى كافة الأماكن معلنين : يا من تبتغون معرفة طرق الرب والسلوك القويم تعالوا إلى إينوخ . ومن هنا احتشد عدد كبير من القوم حوله لسماع الحكمة التى سيعلمها ويتعلموا منه الخير والصواب، وتجمع حوله ما لا يقل عن مائة وثلاثين ملكاً وأميراً وأسلموا لحكمه ليتعلموا منه مثلاً علم وأرشد الآخرين. وعم العالم على هذا النحو السلام خلال مائتين وثلاثة وأربعين عاماً أى خلال الفترة التى كان فيها لاينوخ نفوذ وتأثير .

ومع انتهاء هذه الفترة وفى العام الذى توفى فيه آدم الذى دفنه " شيث " و " إينوش " و " إينوخ " و " ميتوشيلاح " قرر إينوخ أن يعتزل البشر مرة أخرى وأن يتفرغ لعبادة الرب ، غير أنه تراجع تدريجياً فقد كان يقضى فى البدء ثلاثة أيام فى الصلاة والتسبيح للرب ثم كان يعود فى الرابع إلى حواريه ويعلمهم. ومضت سنوات طوال على هذا النحو ثم عاود الظهور بين قومه مرة فى الأسبوع أو فى الشهر أو فى العام ، ولم يجرؤ الملوك والأمراء وكل من كانوا يبتغون مشاهدة إينوخ للاستماع إلى كلماته الاقتراب منه خلال فترات اعتزاله. ولما كانت الروح القدس تطفى على ملامحه فقد كانوا يتخوفون على أرواحهم إذا ما نظروا إليه؛ ولهذا قرروا أن يطرحوا مطالبهم أمامه فى اليوم الذى يظهر فيه أمامهم .

وكان لتعاليم إينوخ أضخم الأثر فى المستمعين إليه ، إذ سجدوا أمامه ورددوا قائلين : عاش الملك. وبينما كان إينوخ يلقى أحد دروسه على أتباعه ظهر ملاك وأبلغه أن الرب قرر تنصيبه ملكاً على ملائكة السموات وكان يحكم حتى هذا الحين البشر. ودعا إينوخ بالتالى كل سكان الأرض وخاطبهم بقوله : دعيت للصعود إلى السماء ،

ولا أعلم فى أى يوم سأصعد إليها ، ولذلك سأعلمكم الحكمة والصدق قبل الصعود إلى السماء . ولم يقض إينوخ فيما بعد سوى بضعة أيام بين البشر ، علم خلالها البشر معرفة الرب والتقوى ووضع أسس الشريعة والنظام لتدبير أمور البشر . وشاهد من اجتمعوا حوله جواداً ضخماً يهبط من السموات ، فحدثوا إينوخ عنه فقال : إن هذا الجواد لى إذ حان وقت الرحيل عنكم ولن أشاهد مرة أخرى . وكان هذا ما حدث بالفعل ، ودنا الجواد من إينوخ فامتطاه ودعاهم من عليه لعبادة الرب والسير فى طريقه . وقد سار خلفه ثمانمائة ألف من أتباعه غير أن إينوخ دعا أتباعه فى اليوم التالى للعودة قائلاً : اذهبوا إلى منازلكم خشية أن يلم الموت بكم إذا واصلتم السير معى ، واستجاب معظم من كان معه إلى دعوته وعاد إلى منزله غير أن نفرًا قليلاً بقى معه لسته أيام هذا بالرغم من أنه كان يدعوهم يوماً للعودة حتى لا يتمرضوا للموت . وفى اليوم السادس من الرحلة قال لمن كانوا يرافقونه : اذهبوا إلى منازلكم لأنى سأصعد فى الغد إلى السماء ، وسيتوفى كل من يقترب منى ، ومع هذا بقى بعض رفاقه معه قائلين : سنذهب معك أينما ذهبت ، ولن يفرقنا عنك سوى الموت .

وحمل إينوخ فى اليوم السابع إلى السماء فحملته مركبة كانت تجرها عدة خيول من النار ، وفى اليوم التالى بعث الملوك الذين كانوا قد عادوا إلى ديارهم فى الوقت المناسب عدداً من الرسل للاستفسار عن مصير من كانوا مع إينوخ والذين كانوا قد رفضوا مفارقتة ، ولم يجد الرسل فى البقعة التى صعد منها إينوخ سوى كم ضخم من الثلج والبرد ، وحينما بدأوا فى التفتيش تحته وجبوا جثث كل من كانوا مع إينوخ الذى كان فى العلى بالسماء^(٥٩) .

صعود إينوخ

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى صعد فيها إينوخ إلى السماء إذ كان قد سبق له الصعود حين كان يرتحل بين البشر فقد سمح له مشاهدة كل ما بالأرض والسماء . وبينما كان نائماً ذات مرة حل بقلبه حزن عظيم فبكى بالحلم لعدم معرفته بمغزى الحزن أو ما سيلم به ، وتراعى له فى الحلم رجلان كانت وجوههما تسطع كالشمس ، وكانت عيونهما كالشموع فى احتراقهما ، وكانت النار تخرج من شفاهما ،

وكانت أجنحتهما تلمع أكثر من الذهب ، وكانت أيديهما ناصعة أكثر من الثلج .
وقفنا على رأس سرير إينوخ وثأبياه باسمه فنهض من نومه وسارع بالانحناء أمامهما ،
وكان الرعب يملكه ، وقال له الرجال : كن مبتهجاً يا إينوخ ولا تخف فقد بعثنا الرب
الأبدى إليك ، وستصعد هذا اليوم معنا إلى السموات . فأنخبر بهذا بنيك وخدمك
ولا تدع أحداً يبحث عنك حتى يعيدك الرب إليهم .

وفعل إينوخ ما أمر به . وبعد أن فرغ من الحديث إلى بنيه وعلمهم ألا يحييوا عن
الرب والحفاظ على أحكامه فقد استدعاه هذان الرجلان وحمله على أجنحتهما
ووضعه على الغمام الذي أخذ في الارتفاع حتى وضعاه تحت أول سماء ، وجعله
يشاهد الملائكة المائتيه الذين يحكمون النجوم ، وعبادتهم للسماء ، وشاهد من موضعه
هذا أيضاً خزائن الذهب التي تحتويها السحب .

وأخذه فيما بعد إلى السماء الثانية حيث شاهد بها سجن الملائكة التي سقطت
لعدم طاعتها لأوامر الرب فقالت هذه الملائكة لإينوخ : يا رجل الرب ابتهل إلى الرب من
أجلنا ، فأجابهم : لست سوى إنسان فان ، ومن أنا حتى أبتهل إلى الملائكة ؟ ومن ذا
يعلم أين تقودني خطواتي أو ما ينتظرنني ؟

وأخذه الرجلان فيما بعد إلى السماء الثالثة حيث أظهرها له الجنة وما تتضمنه من
أشجار ذات ألوان زاهية ، وثمارها الناضجة اللذيذة ، وكل أنواع الأطعمة التي
تنتجها ، وشاهد في وسط الجنة شجرة الحياة التي يرتاح الرب عندها عند مجيئه إلى
الجنة . ولا يمكن وصف هذه الشجرة لفرط جمالها ولشدها الجميل ، وهذه الشجرة
أجمل من كل الأشياء المخلوقة ، ويشبه لونها اللون الذهبي والقرمزي من كل جوانبها ،
كما أنها بالغة الشفافية كالنار ، وتتدفق من جذورها في الجنة أريمة أنهار تصب عسلاً
ولبناً وزيتاً ونبيذاً ثم تتجه إلى جنة عدن التي تقع على الحدود بين المنطقة الأرضية من
القاسد وبين الحدود السماوية التي لا تعرف الفساد ثم تذهب هذه الأنهار إلى الأرض .
وشاهد أيضاً ثلاثمائة ملاك يحرسون الجنة ، ولا يتوقفون عن عبادة الرب كل يوم .
وقد شرحت الملائكة لإينوخ خلال قيادتها له أن هذا المكان معد للصديقين في حين أن
المكان المخيف الواقع في المناطق الشمالية من السماء الثالثة معد للمذنبين ، وشاهد في
هذه المناطق كل صنوف العذاب والظلام الدامس الذي لا يخترقه الضوء ، وناراً سوداء

مشتعلة يوماً ، وتحيط النيران هذا المكان من كافة جوانبه ، كما يحيطه الثلج من كل جوانبه ، وهكذا فإن من يدخل هذا المكان يحترق ويجمد ، ولا تأخذ الملائكة شفقة أو رحمة بالمذنبين ، وتحمل أسلحة متوحشة ، كما أن تعذيبها شديد الهوان .

وأخذته الملائكة فيما بعد إلى السماء الرابعة وأظهرت له كل ما يتحرك بها وكل أشعة الشمس والقمر ، فشاهد الخمسة عشر ألف ملك الذين يخرجون مع الشمس كل صباح ويبقون معها طيلة النهار ، الملائكة الألف الذين يبقون معه في المساء ، وتسير هذه الملائكة ذات الأجنحة الستة أمام عربة الشمس في حين يتولى مائة ملك مهمة الحفاظ على دفء الشمس وإضاءتها ، وشاهد أيضاً المخلوقات العجيبة والغريبة وهي العنقاء التي تجلس في العربة مع الشمس والتي تذهب معها لإحضار الحرارة والندى ، وأظهرت له هذه الملائكة أيضاً البوابات الست التي تقع شرق السماء الرابعة التي تتقدم منها الشمس ، والبوابات الست في الغرب والتي تجلس الشمس بجانبها ، والبوابات الست التي يفرج منها القمر ، وتلك التي يدخل منها ، وشاهد في وسط السماء الرابعة جيشاً مسلحاً يخدم الرب ولا يتوقف عن استخدام آلات العزف والإنشاد .

وشاهد إينوخ في السماء الخامسة حشداً ضخماً من الملائكة اسمه "جريجورى" ، وكان مظهرها شبيهاً بالبشر ، غير أن حجمها كان أضخم من العملاقة ، وكانت ملامحها شاحبة وشفاهها صامتة. وعند تساؤل إينوخ عنها أجابته الملائكة التي كانت تقودها قائلة : إن هذه الملائكة رفضت مع قائدها سالاميل حكم الرب ، فقال إينوخ للملائكة : لماذا تنقمسون أيها الإخوة عن خدمة الرب وتأتية واجباتكم للرب وتغضبونه ؟ واستمعت هذه الملائكة إلى إينوخ ، وحينما بدأت أصوات الأبواق تتردد بدأت هذه الملائكة في الإنشاد معاً بصوت رخم حزين .

وشاهد في السماء السابعة المجموعات السبع العظام لكبار الملائكة التي ترتب وتدرس انقلابات النجوم وتغيرات القمر وانقلاب الشمس وتشرف على الظروف الطبية والسينة للعالم. وترتب هذه الملائكة أيضاً التعاليم والتوجيهات وكل الاناشيد والابتهالات ، وتخضع هذه الملائكة كل الأشياء الحية في السموات والأرض. وتوجد بين هذه الملائكة سبعة من طيور العنقاء وسبعة من ملائكة الشيرويم ، وسبعة كائنات لكل منها ستة أجنحة ، وتنشد جميعها في الحين ذاته .

وحينما وصل إينوخ إلى السماء وشاهد الحشود النارية لكبار الملائكة وقواها غير المادية وسيادتها وإمارتها وطاقاتها فقد تخوف وسرى الرعب في نفسه. وأمسكت به الملائكة التي كانت تقوده وأخذته إليها قائلة : ابتهج يا إينوخ ولا تخف ، وأظهرت إليه الرب عن بعد جالساً على عرشه العالي في الوقت الذي اقتربت فيه ملائكة السماء المقسمة إلى عشر مراتب وانحنى احتراماً للرب ، وبدأت الملائكة وهي سعيدة ومبتهجة في الإنشاد بأصوات منخفضة، وتقف هذه الملائكة يوماً أمام وجه الرب ولا تبرح مكانها صباحاً أو مساءً وتعمل دائماً على تنفيذ مشيئته . أما الملائكة التي تعرف باسم "تشيروبيم" و "سيرافيم" فإنها تحيط بعرشه. وتلقى الكائنات ذات الأجنحة الستة ظلالها على العرش الإلهي ، وتغنى بصوت رقيق أمام وجه الرب بقولها : قدوس قدوس رب الجيوش، إن السموات والأرض تمتلئ بمجده . وحينما شاهد إينوخ كل هذا ، قالت الملائكة التي كانت تقوده : إينوخ كنا مكلفين حتى هذه اللحظة بمصاحبتك : وارتحلت الملائكة عنه ولم يعد يراها. وبقي إينوخ في السماء السابعة بمفرده فتملكه الرعب فحدثه نفسه بقولها : ويلي ماذا ألم بي ؟ غير أن جبريل أتى في هذه اللحظة وقال: إينوخ لاتخف وانهض وهلم معي وقف أمام وجه الرب إلى الأبد ، فأجاب إينوخ : سيدي لقد رحلت روحي عني من فرط الخوف. ادع القوم الذين جلبوني إلى هنا والذين اعتمدت عليهم . وأسرع جبريل كورقة الشجر التي تحملها الريح ووضع إينوخ أمام الرب. وسجد إينوخ أمام الرب الذي قال له " لا تخف إينوخ ، انهض وقف أمامي إلى الأبد . ورفع ميخائيل إينوخ ونزع عنه بأمر من الرب ملابسه الأرضية ومسحه بالزيت المقدس وألبسه ملابس جديدة . وحينما أمعن إينوخ النظر في ذاته فقد أحس أنه أصبح شبيهاً بملائكة الرب ، ورحل عنه الخوف والرعب، ودعا الرب واحداً من كبار ملائكته الذين يتسمون بقدر أكبر من الحكمة مقارنة بالآخرين والذي كان يكتب كل أفعال الرب، وأمره الرب قائلاً : احضر الكتب من مخزني وأعط ورقة لإينوخ وفسر له كل الكتب. وفعل الملاك ما أمر به وعلم إينوخ طيلة ثلاثين يوماً وإيلة قلم يتوقف شفاهه عن الحديث ، كما أن إينوخ لم يتوقف عن كتابة كل شيء عن السموات والأرض والملائكة والبشر ، وكل ما يستحق أن يتعلمه. وكتب أيضاً كل شيء عن أرواح البشر وتلك التي لم تولد والأماكن المعدة لها إلى الأبد. ونسخ إينوخ كل شيء بدقة فكتب ثلاثمائة وستة وستين كتاباً. وبعد أن تلقى كل التعاليم من رئيس الملائكة كشف له الرب

عن الأسرار العظيمة التي لا يعرفها حتى الملائكة ، فحدثه الرب عن كيف قام بخلق السموات والضوء والمياه والأرض . كما حدثه عن سقوط الشيطان والخلق وخطيئة آدم ، وكشف الرب أيضاً له أن العالم سيدوم لسبعة آلاف عام ، وأن الألفية الثامنة لن تعرف الحساب قلن تكون فيها حاجة لمعرفة السنوات والشهور والأسابيع والأيام والساعات .

وختم الرب وحيه لإينوخ بالكلمات التالية : والآن سأعطيك سمويل * و * راجويل * اللذين جلباك إلي. اذهب معهما إلى الأرض وحدث أبناءك عن الأشياء التي أخبرتك بها ، وما رأيت بالسماء بدءاً من أدنى سماء حتى عرشي وأعطيهم الأعمال التي دونتها وسيقرءونها ، وسينقلونها إلى الأحفاد ومن جيل إلى جيل ومن أمة إلى أمة ، وسأعطيك رسولي ميخائيل ليحفظ كتابتك وكتابة أبائك آدم وشميث وإينوش وكينان وميهايل والدك يارد ، وإن أكون في حاجة إليهم حتى نهاية العالم إذ علمت الملاكين * أريوك * و * ماريوك * اللذين بالأرض حمايتهما ، وسأجلب بسبب شرور البشر طوفاناً على الأرض وسأدمر الأشياء جميعها غير أنني سأترك الصديق من نسلكم مع كل آل بيتكم إذ سيعمل بموجب مشيئتي ، وسيخرج من نسله جيل عظيم .

وأرسل إينوخ فيما بعد إلى الأرض ليبقى بها ثلاثين يوماً ليعلم أبناءه وصايا الإله غير أن الرب بعث إليه قبل مغادرته للسموات ملاكاً كان مظهره كالثلج وكانت يداه كالجليد ، وحينما أبصره إينوخ سررت قشعريرة بوجهه وتخوف من أن يهتمل البشر النظر إليه ، وقد وضعت الملائكة التي كانت أخذته إلى السماء في سريره وفي المكان الذي كان ميتوشيلاح ينتظره فيه سباحاً ومساءً . وقد جمع إينوخ أبناءه وأهل بيته وعلمهم كافة الأشياء التي شاهدها وسمعتها وبونها وأعطى كتبه إلى أبنائه للحفاظ عليها ومطالعتها ونهاهم عن إخفاء ما بها وأن يخبروا كل من يبتغي المعرفة ما جاء بين دفتيها ، وحينما اكتملت الأيام الثلاثون أرسل الرب الظلام على الأرض ، هذا الظلام الذي أخفى البشر الواقفين مع إينوخ ، وسارعت الملائكة بأخذ إينوخ وحملته معها إلى السماء العليا حيث استقبله الرب ووضع أمام وجهه ، وعندئذ تلاشى الظلام عن الأرض وعم الضياء ، وفي اللحظة ذاتها تمكن البشر من مشاهدة كافة الأشياء غير أنهم لم يفهموا كيف أخذ إينوخ ، وأخذوا في تمجيد الرب .

وكان إينوخ قد وُلد في اليوم السادس من شهر سيفان ، وأُخذ إلى السماء في الشهر ذاته وفي اليوم نفسه والساعة ذاتها . وقد سارع ميتوشيلاح وإخوانه ، وأبناء إينوخ ببناء مذبح في مكان يُدعى " أخوذان " ، هذا المكان الذي لم يُعرف بهذا الاسم إلا لأنه كان المكان نفسه الذي أخذ منه ، وقد أتى الشيوخ وكافة القوم إلى الاحتفال المقام بمناسبة تشييد هذا المذبح وجليوا الهدايا إلى أبناء إينوخ ، ودام هذا الاحتفال ثلاثة أيام سبحوا فيها الرب لأنه جعل إينوخ يقيم فيما بينهم^(١٠) .

تحويل إينوخ

وكانت خطيئة البشر هي السبب الذي جعل إينوخ يصعد إلى السماء ، وهذا ما كان قد قاله إينوخ نفسه إلى الحاخام يشماعيل. وحينما أفرط جيل الطوفان في خطاياهم وحدث الرب قائلاً : ارحل عنا فنحن لانبقي معرفة طرقتكم . فقد حُمِلَ إينوخ إلى السماء ليكون شاهداً على أن الرب لم يكن قاسياً رغم أنه حكم بدمار كل الكائنات الحية على الأرض .

وحينما حُمِلَ إينوخ من الأرض إلى السماء تحت إشراف الملاك عنيئيل لاحظت الكائنات المقدسة مثل ملائكة " أوفانيم " و " سيرافيم " و " تشيرويم " التي تحرك عرش الرب والأرواح الرئيسية التي جوهرها من النار المحرقة والتي تبعد عن العرش مسافة ستمائة وخمسين مليون وثلاثمائة برزخ وجود كائن بشري فصرخت متسائلة : " من أين أتى شذا عطر من وُلد من رحم امرأة ، وأتى إلى السماء العليا التي تغطيها ملائكة النار المتلألئة ؟ " غير أن الرب أجابها قائلاً : " خدمي ومضيفي من " الشيرويم " و " الأوفانيم " و " سيرافيم " لا تشعروا بالإهانة لوجود إينوخ ها هنا . وقد نقلت الحضرة الإلهية من الأرض إلى السماء بعد أن أنكر وجودي وسلطاني بنو البشر وذهبوا لعبادة الأوثان غير أن هذا الإنسان إينوخ من أصفى البشر فإنه أكثر البشر إيماناً وصديقاً وعدلاً من الجميع وهو الوحيد الذي استحق الرفع من العالم الأرضي .

وقبل أن يتم السماح لإينوخ بالدخول للخدمة بالقرب من العرش الإلهي فقد فتحت بوابات الحكمة أمامه ، كما فتحت أيضاً بوابات الفهم والإدراك والحياة والسلام والقوة ،

والمحبة والتواضع ، والخافة من الذنب ، كما فُتحت أيضاً أمامه بوابات الحضرة الإلهية ، ويعد أن زوده الرب بالحكمة والذكاء والعدل والمعرفة والفهم ، والرحمة والتواضع ، والقوة والبهاء والجمال وكل الخواص التي لم تحصل عليها الكائنات السماوية وهبه الرب آلاف البركات ، كما أن طوله وعرضه أصبح في طول وعرض العالم ، ولحق به من يمتناه ويمسراه ستة وثلاثون جناحاً كان كل منها في حجم كل العالم ، وهبه الرب أيضاً ثلاثمائة وخمسة وستين عيناً كان كل منها مشعاً كالشمس . وقد خُصص له عرش رائع بجوار بوابات السماء السابعة وأعلن رسول في كل السموات من ذا الذي سيُدعى سيد المناطق السماوية ؟ لقد عينت خادمي "ميتاترون" أى أميراً وسيداً على كل الأمراء في مملكتي باستثناء الأمراء الذين يحملون اسمي . وعلى كل من له طلب من الملائكة أن يتوجه إلى هذا السيد وطيعكم إطاعة وتنفيذ ما يأمر به بناء على طلبى لأن أميرى الحكمة والفهم يعملان لديه ويكشفان له علوم السماء والأرض ومعارف ما هو جاضر وأت ، وعلاوة على هذا جطلته حارساً على خزائن قصور سماء " عرافوت " ، وخزائن الحياة التي في أعلى سماء .

ومن فرط المحبة حمل الرب إينوخ وألبسه ثياباً فاخرة لحقت بها كل أنواع الضياء ، ووضع على رأسه تاجاً كانت تزينه تسع وأربعون جوهرة ، وكان يحمل بهاء كل أجزاء السماوات وأنهاء الأرض الأربعة ، وقد وضع الرب التاج على رأس إينوخ في حضور كل كائنات السماء ودعاه " الرب الصغير " ، ويحمل هذا التاج أيضاً الحروف التي خلقت بها السموات والأرض والبحار والأنهار والجبال والوديان ، والكواكب والمجرات ، والرعد والبرق والتلج والبرد والعواصف وكل الأشياء التي يحتاجها العالم وغيبيات الخلق ، ويرتعد أمراء السماوات عند مشاهدة الميتاترون أمامهم بل ويسجدون أمامه ، ويطفي بهاؤه وجلاله وجماله على كافة الملائكة مثل الملك الشرير سمائيل أعظمهم ، وجبريل ملاك النار ، ويردنييل ملاك البرد ، وروهيئيل ملاك الرياح ، وبركيئيل ملاك البرق ، وزعميئيل ملاك الأعاصير ، وقساكيئيل ملاك العواصف ، وشوعينييل ملاك الزلازل ، وزعفيئيل ملاك الأمطار والبرد ، ورعميئيل ملاك الرعد ، ورعشيئيل ملاك الدوامات ، وشلجيئيل ملاك الثلج ، ومترنييل ملاك المطر ، وشمشيئيل ملاك النهار ، وليليئيل ملاك الليل ، وجلجيئيل الملك المتحكم في نظام الشمس ، وأوفانيئيل ملاك القمر ، وكوكابيئيل ملاك النجوم ، وراحتيئيل ملاك المجرات .

وحيثما تحول إينوخ إلى ميتاترون أضحى جسده ناراً سماوية فانضحى جسده لهيباً وعروقه ناراً ، وعظامه فحماً مشتعلأً ، وأضحى نور عينيه بريقاً سماوياً وحدقتا عينيه مشعلأً من النار وشعره لهباً متوهجاً ، كما أصبحت أطرافه وأعضاؤه شراراً محترقاً وهيكله ناراً حارقة ، وكان على يمينه لهيب مضيء من النار ، وعلى يساره مشعل من النار ، وكانت تحيطه من كل الجوانب الزوايا والعواصف والأعاصير والبرق^(١١) .

ميتوشيلاح

وبعد أن صعد إينوخ إلى السماء نصب كل الملوك ميتوشيلاح حاكماً للأرض ، فسار على نهج والده إذ عمل على تعليم أبناء البشر طيلة حياته الحق والمعرفة والتقوى وعدم الانحراف البتة عن طريق الحق^(١٢) . وقد خلص العالم من آلاف الشياطين والعفاريت الذين من نسل آدم والذين أنجبهم من ليليث التي كانت شيطانة شريرة للغاية . وكانت هذه الشياطين والعفاريت تسعى عند التقائها بنى إنسان إلى إصابته وقتله حتى ظهر ميتوشيلاح وتضرع إلى الرب حتى يرحم البشر . وبعد أن قضى ميتوشيلاح ثلاثة أيام صائماً فقد سمح الرب له بكتابة اسمه المقدس على سيفه الذى قتل به أربعة وتسعين ألفاً من العفاريت فى دقيقة واحدة حتى أتاه " أجريموس " الذى كان أول من وأد من نسل العفاريت وطلب منه التوقف عن القتل بل وأبلغه فى ذات الميعن بأسماء العفاريت ، وتمكن ميتوشيلاح على هذا النحو من وضع ملوكهم فى خزائن حديدية فى حين أن الآخرين فروا وتخفوا فى غياهب البحار والمحيطات . وقد عُرف بهذا الاسم لأنه يعنى قاتل العفاريت^(١٣) .

وكان إنساناً شديد التقوى فنظم مائة وثلاثين مثلاً فى مدح الرب ، وحيثما توفى ميتوشيلاح سمع البشر وشاهدوا احتياجاً بالسماء وشاهدوا تسعمائة صف من المعزین تماثل أحكام " المشنا " التسعمائة التى درسها ، وكانت الدموع تفيض من عيون الكائنات المقدسة على البقعة التى توفى فيها . وحيثما شاهد الرب مدى حزن السموات والبشر على ميتوشيلاح فقد أثابهم جميعاً ، وأضاف سبعة أيام إلى فترة رحمته قبل إرسال الطوفان لتدمير الأرض^(١٤) .

الفصل الرابع

نوح

ميلاد نوح

أخذ "ميتوشيلاح" زوجة لابنه "لاميح" وأنجبت له ولداً ، وكان جسم الطفل عند ولادته أبيض في لون الثلج وفي حمرة الورد عند تفتحها ، وكان شعر رأسه وخصلاته الطويلة في بياض الصوف ، وكانت عيناه كئشعة الشمس . وحينما فتح عينيه أضاء كالشمس كل المنزل ، وغمره بالضوء^(١) . وحينما أخذ من القابلة فتح فمه مسبحاً رب الخير^(٢) غير أن أباه "لاميح" تملكه الخوف منه ففر إلى أبيه "ميتوشيلاح" وبث إليه خوفه قائلاً : رُزقت بمولود غريب ، إنه ليس كالبشر ، إنه يشبه أطفال ملائكة السموات كما أن طبيعته مختلفة ولا يشبهنا ففسوه عينيه كئشعة الشمس ولامحه رائعة^(٣) ، ويتراءى لى أنه ليس من صلبى وإنما هو من نسل الملائكة وأخشى أن تعم الحيرة الأرض خلال فترة حياته. أتيت إليك والذى لأرجوك الذهاب إلى أبينا إينوخ فى مستقره بين الملائكة لتعرف الحقيقة .

وحينما سمع "ميتوشيلاح" كلمات ولده توجه إلى إينوخ فى أقاصى الأرض ، وسيطر عليه البكاء هناك فسمع إينوخ نصيبه فتراءى له مستفسراً عما دعاه للعجىء فحدثه "ميتوشيلاح" عن سبب القلق الذى اعتراه ورجاه أن يضبره بالحقيقة فأجاب إينوخ : سيصنع الرب شيئاً جديداً بالأرض التى سيعمها الدمار وسيغمرها الفيضان لعام بأكمله . أما هذا الولد الذى رُزقت به فلن يمسه سوء ، وسيتم إنقاذ أبنائه الثلاثة غير أن الموت سيحل على كل البشر ، وسيحل عقاب شديد على الأرض التى ستظهر من كل الدنس ، ولتخبر ولدك لاميح : "إن من أنجبه هو ابنه حقاً ولتسميه نوحاً

لأنه سيتبقى لك ، وسيتم إنقاذ أبنائه من الدمار الذى سيحل على الأرض .
وحيثما سمع "ميتوشيلاح" كلمات أبيه الذى أطلعه على أسرار الأشياء عاد إلى منزله ،
وسمى الطفل "نوحاً" لأنه جعل الأرض تعيش فى طمأنينة بعد الدمار الذى حل بها⁽⁴⁾ .

ولم يسمه نوحاً سوى جده "ميتوشيلاح" فى حين أن والده والآخرين كانوا
يدعونه "مناحيم" . ولما كان جيله قد احترق الاشتغال بفن السحر والشعوذة ، تخوف
"ميتوشيلاح" من أن يتعرض ابنه إلى خطر السحر فى حالة إذا ما عُرف اسمه، ومن
هنا فقد حافظ على اسمه سرا . وكان اسم مناخيم الذى يعنى فى العبرية المواسى
متناغماً مع اسم "نوح" خاصة أنه كان يعنى أنه سيصبح مواسياً فى حالة إذا
ما توقف صانعو الشر عن صنائعهم الشريرة⁽⁵⁾ .

ومع ميلاده عم الإحساس بأنه سيجلب الراحة والصلاح ، وحيثما أخبر الرب آدم
"لمعونة الأرض بسببك" تسأل : "حتى متى ؟" وأجابه الرب : حتى يُنجب ولد
يجلب راحة لا يتعين معها خضوعه لطقس الختان ، وتحقيق هذا الأمر مع نوح إذ تم
ختانه وهو فى رحم والدته .

ومع ظهور نوح فى العالم حدث تحول ملموس فى مجريات العالم إذ توقفت اللعنة
التي كانت حلت على الأرض بسبب خطيئة آدم والتي جعلت الشوك ينبت ويكثر بدلا من
القمح الذى كانت تتم زراعته ، وتوقفت هذه اللعنة مع ظهور نوح إذ أصبحت الأرض
تنبت ما يزرع فيها ، وحيثما وصل نوح إلى مرحلة الرجولة ابتكر المحراث والمنجل والمغزقة
والأدوات الأخرى اللازمة للزراعة . وكان البشر يستخدمون قبل أيديهم فقط فى الزراعة⁽⁶⁾ .

وكان هناك دليل آخر يفيد أن هذا الطفل الذى ولد للاميع قدر عليه قدرٌ خارق
فحيثما خلق الله آدم سخر له كل الأشياء فجعل البقر يطيع من يعملون بالحرثة ،
وجعل الحقول قابلة للحرث غير أن كل الأشياء تمردت عليه بعد عصيانه فرفض البقر
الانصياع للمشتغلين بحرث الأرض ، كما أن الحقول أصبحت عنيدة ومستعصية على الزراعة ،
وحيثما ولد نوح عادت كل الأشياء إلى طبيعتها التي كانت عليها قبل عصيان آدم .

وكان البحر قبل ميلاد نوح دائم التمرد فكان يتجاوز حدوده مرتين فى اليوم
إحداهما فى الصباح والأخرى فى المساء ، فكان يغرق الأراضى حتى الأعماق غير أن
البحار التزمت حدودها بعد مولده ، كما أن المجاعة التي كانت تصيب العالم فى زمن

لاميح والتي كانت ثانی مجاعة تصيب الأرض من بین المجاعات العشر المقدرة علیها توقفت عن المجيء مع میلاد نوح^(٧) .

عقاب الملائكة

وحنینا بلغ نوح مرحلة الرجولة سار علی هدی جده " میتوشیلاح " غیر أن سائر البشر فی عصره ترمدوا علی هذا الرجل النقی متبعین أهواهم الشريرة مرتکبین أهمالهم المقيمة^(٨) . ولم یکن فسوق البشر سوى نتیجة للأعمال الشريرة التي قامت بها الملائكة التي سبق أن طردت من الجنة هی ونسلها من العمالقة . وحنینا صرخ الدم الذی سفكه الجبابرة علی الأرض إلی السماء كلف الرب کل ملاک من كبار الملائكة الأربعة بمهمة بعینها ، فكلف الملائک " أورینیل " بالتوجه إلی نوح وإخباره بأن فیضان سیدمر الأرض وتعلیمه طرق إنقاذ حیاته . كما كلف الملائک رفائیل بإلقاء القبض علی الملائک المطرود " عزازیل " ووضعہ فی الأحجار العادة والمدببة فی صحراء " دودائیل " ، وتغطيته بالظلام ، وأن یبقى علی هذا الحال حتی یوم البعث الذی سیلقی فیہ فی نار الجحیم ، وستشفى الأرض من الفساد الذی سعی إلی إنزاله بها . كما تم تکلیف جبریل بالعمل ضد الأشرار ، وأبناء الملائكة الذین تزوجوا من بنات البشر ، وإذبالهم فی صراعات ممیة کلا ضد الآخر ، أما نسل الملائک المطرود " شیمحازای " فقد تم تسلیمه إلی میخائیل الذی جعلهم یشاهنون موت أبنائهم فی صراعاتهم الدموية ثم جمعهم وثبتهم تحت الأرض حیث سیظلون تحتها سبعمین جیلاً حتی مجيء یوم البعث الذی سیحملون فیہ إلی النار^(٩) .

وهكذا كانت نهاية الملائکین " عزازیل " و " شیمحازای " ، وحنینا بدأ جیل الطوفان فی عبادة الأوثان تألم الرب کثیراً لما فعلوه ، وعندئذ نهض الملائکان " عزازیل " و " شیمحازای " قائلین : رب العالمین لقد حدث ما ذکرناه عند خلق الإنسان ، لقد ذکرنا من ذا الإنسان الذی تهتم به إلی هذا الحد فقال الرب : وما سیضحي علیه العالم بون الإنسان ؟ فقالت الملائكة : سنهتم به . فقال الرب : إنی علیم به وأعلم أنکم إذا قطنتم الأرض فإن النزعات الشريرة ستسيطر علیکم ، وستكونون أكثر قسوة وظلماً من البشر ،

فتوسلت الملائكة إلى الرب قائلة " قلتمنحنا الحق فقط فى الإقامة بين البشر ، وسترى كيف سنقدس اسمك " فاستجاب الرب إلى رغبتهم بقوله : اهبطوا وأقيموا معهم .

وحينما حلت الملائكة بالأرض ولاحظت مدى جمال بنات البشر لم تتمكن من كبح جماح عواطفها ، فحينما رأى الملاك " شيمحازاى " الفتاة الغائنة "إيستيجار" مال قلبه إليها وفُتِنَ بها فوعده بأن تسلم نفسها إليه إذا ما أنبأها يادى ذى بدء باسم الذات الإلهية الذى يتمكن من خلاله من الصعود إلى السماء ، واستجاب إلى مطلبها غير أنها نطقت هذا الاسم فور معرفتها به وصعدت للسماء دون أن تفى بوعدها للملاك . وعندئذ قال الرب : إنها عصمت نفسها من الخطيئة ولهذا سنضعها بين النجوم السبعة حتى لا ينساها البشر إلى الأبد . ومن هنا فقد تم وضعها فى برج الثور الذى يضم ستة نجوم ساطعة وواحدة لا ترى بالعين المجردة .

ومع هذا لم يرتدع " شيمحازاى " و " عزازيل " عن الاقتران ببينات البشر بل وأنجب " شيمحازاى " ولدين ، وبدأ " عزازيل " فى ابتكار الملابس والحلى التى تفرى بها النساء الرجال . ومن هنا فقد أرسل الرب الملاك " ميتاترون " ليخبر شيمحازاى " أن الرب قرر تدمير العالم وجلب الفيضان . وبدأ هذا الملاك المطرود فى رثاء حال العالم ومصير ولديه قائلاً : إذا هلك العالم فماذا سيأكل من يحتاجون يومياً إلى ألف جمل ، وألف حصان ، وألف ثور ؟

وقد راودت " حيوا " و " حيا " وادى شيمحازاى الكثير من الأحلام فرأى أحدهما فى الحلم حجراً كبيراً يغطى الأرض ، كما رأى الأرض تغطىها خطوط مختلفة ومتباينة . وأتى فى هذه اللحظة ملاك حاملاً سكيناً قام بطمس كل الخطوط تاركاً منها أربعة حروف على الحجر . أما الابن الآخر فقد رأى بستان البهجة مليئاً بكافة أنواع الأشجار ، ورأى الملائكة تقترب من الأشجار وهى تحمل فى يدها الفئوس . وقامت الملائكة بقطع الأشجار كافة ، ولم تترك سوى شجرة واحدة كانت تحمل ثلاثة أغصان .

وحينما استيقظ " حيوا " و " حيا " من حلمهما ذهبا إلى أبيهما الذى فسر لهما الحلم قائلاً : سي جلب الرب الطوفان ، وإن ينجو أحد منه سوى نوح وأبنائه . وحينما سمع الولدان هذه الكلمات انفجرا فى البكاء والنحيب غير أن الأب هدأ من روعهما

قائلاً : "مهلاً .. مهلاً . لا تبتئس ، فطالما أن البشر سيواصلون تقطيع الأحجار واستخدام الآواني فإنهم سيذكرونكم يوماً " . وقد هدأت هذه النبوة من روعهما .

وفرض " شيمحازاي " عقوبة على ذاته كنوع من التكفير عن الذنب فأوقف نفسه بين السموات والأرض ، وظل على هذه الحال حتى يومنا هذا غير أن "عزازيل" ظل على عناده متمسكاً بخطيئة تضليل البشر عبر وسائل الإغراء ، ولهذا السبب يتم التضحية بخروفين في المعبد في يوم الغفران ، فيُقدم أحدهما للرب لغفرانه لذنوب إسرائيل ، أما الآخر فيُقدم لعزازيل لتحمله لذنوب إسرائيل^(١٠) .

وعلى خلاف السيدة التقية " إيستيحار " فقد أغوت " نعمة " الأخت المحبوبة " تويال قابيل " بجمالها الملائكة ، بل وتنج عن جماعها مع الملاك " شامدون" إنجاب الشيطان " أسموهوس"^(١١) ، وكانت نعمة في وقاحة كافة نسل قابيل ، وكان ملؤها النزوع إلى الانغماس في اللذات فكان الرجال والنساء الذين من نسل قابيل يسبغون عرايا ، ويسلمون أنفسهم لكل ممارسات العهر ، وكان من بينهم هؤلاء النسوة اللاتي أغوى جمالهن وسحرهن الحسى الملائكة الذين حادوا عن درب الفضيلة . ومن جهة أخرى فحينما تمردت الملائكة على الرب وهبطت إلى الأرض فسرعان ما فقدت خواصها السماوية ، واتحدت بالأجساد الأرضية ، وهكذا فقد تسنى لها ممارسة الجماع مع بنات البشر ، وأثمر جماع الملائكة مع نساء قابيل عن مولد العماليق^(١٢) الذين عرفوا بقوتهم وخطيئتهم ، ومن هنا عُرفوا باسم " إيميم " لأنهم اعتادوا بث الرعب في نفوس الجميع . غير أنه كانت لهم أسماء أخرى مثل " رفانيم " الذي عرفوا به لأنه حينما كان يتجاسر المرء على النظر إليهم فقد كان قلبه يضعف . كما عرفوا باسم " جيبوريم " أي العمالقة خاصة أن أحجامهم كانت ضخمة للغاية فكان طول الواحد منهم ثمانية عشر ذراعاً . وعرفوا أيضاً باسم " زمزوميم " لأنهم كانوا شديدي التميز في فنون القتال ، وكان من بين أسمائهم أيضاً " عناقيم " لأن أعناقهم كانت تلامس الشمس ، وكان من بين أسمائهم أيضاً " عيفيم " لأنه كان بمقدورهم - مثل الثعابين - التعرف على خواص التربة ، وعرفوا أيضاً باسم " نفيليم " لأنهم وضعوا نهاية للعالم^(١٣) .

جيل الطوفان

وبينما كان نسل قابيل يشبه أباءه في الخطيئة والفسوق فقد اتسمت حياة نسل "شيث" بالتقوى والفضيلة ، وتجلت الفروق بين الجماعتين في مقر إقامة كل جماعة . فبينما أقامت عائلة "شيث" على الجبال الواقعة على أطراف الفردوس فقد أقامت عائلة قابيل في منطقة دمشق وفي البقعة التي لقي فيها هابيل مصرعه على أيدي قابيل .

ومن المؤسف أن عائلة "شيث" أصبحت - في عهد "ميتوشيلاح" وعقب وفاة آدم - عائلة فاسدة لتكرها بنسل قابيل ، واندمجت العائلتان مع بعضهما البعض وارتكبتا كل الخطايا . وقد أثمر التزاوج بينهم عن ولادة "نفليم" الذي جلبت خطايا الطوفان إلى العالم . وادعوا من فرط الغطرسة أن نسلهم مثل نسل "شيث" بل وقارنوا أنفسهم بالأمراء الذين من نسل عريق^(١٤) .

وعاش هذا الجيل في حالة من الترف بسبب الظروف المثالية التي عاشها البشر قبل مجيء الطوفان فلم يعرفوا العناء أو التعب . ونتيجة لتناسلهم الضخم نشأوا متفطرسين بل وتفطرسوا على الرب فكان نشر البنور كفيلاً بإنتاج محصول يكفي احتياجاتهم لأربعين عاماً ، وقد تمكنوا بوسائل السحر من إجبار الشمس والقمر على خدمتهم^(١٥) . ولم ترقهم عملية تنشئة الأطفال الذين كانوا يولدون بعد مضي بضعة أيام من الحمل ، وكانوا يتمكنون من السير والتحدث بعد مضي بضعة أيام على ولادتهم ، وكانوا يساعدون أمهاتهم في شد أحبال السفن . ولم يكن بمقدور العفاريت والشياطين المساس بهم . ويحكى أن مفعلاً رضيعاً توجه ذات مرة لإحضار مصباح كهربائي في الوقت الذي كانت أمه منشغلة بقطع أحد أشعة السفن ، والتقى في طريقه برئيس العفاريت ونشأ عراك بينهما ، وتردد على حين غرة صوت الديك ، فتوقف رئيس العفاريت عن المصراخ وأخبر الطفل "توجه إلى والدك . ولولا صياح الديك لكنت قتلتك" فأجاب الطفل "أخبر والدك لولا انشغال أمي بشراخ السفينة لكنت قتلتك"^(١٦) .

وكان لحياتهم الخالية من الهموم أثر ضخم في خلق حياتهم من العمل ، وسلوكهم مسالك الأشرار . وقد تجاوز الرب برحمته وصبره ظلم البشر غير أن صبره نفذ حينما بدأت حياتهم تنقسم بغير العفة فالرب يغفر كل الخطايا باستثناء العيش على نحو تعوزه الأخلاق^(١٧) .

وكانت رنية الجشع هي التي سارعت بوضع حد لهذا الجيل الظالم ، فكان أبناء هذا الجيل يتآمرون على نحو يجعلهم يمارسون أعمال النهب دون أن يقعوا تحت طائلة القانون ، فحينما كان أحد رجال القرية يجلب سلة مليئة بالخضراوات إلى السوق كان كل واحد من أبناء هذا الجيل يقترب منه ويسلب أحد الخضراوات. وبالرغم من قلة قيمة ما كانوا يأخذونه فلم يكن التاجر يجد ما يبيعه^(١٨) .

وبعد أن قرر الرب إبادة المخطئين سمح لرحمته أن تسود فأرسل إليهم نوحا معظمهم مائة وعشرين عاماً محاولاً تعديل سلوكهم وأخذ يتوعدهم بخطر الطوفان الذي سيبيدهم فما كان منهم إلا أن ازدروه . وحينما رأوه منشغلاً ببناء الفلك سألوه إلى أين يتجه الفلك؟ فأنجاب نوح سيبيث الرب إليكم بطوفان فقال المذنبون : أى طوفان تحدث عنه ؟ إذا أرسل الرب طوفاناً من نار فسيمكننا حماية أنفسنا. وإذا أرسل طوفاناً من الماء فسيمكننا تغطية الأرض بالوواح من الحديد . أما إذا أتى الفيضان من عل سيمكننا أيضاً مواجهته ، فقال نوح : ستتسرب المياه من تحت أقدامكم ، ولن تتمكنوا من صدها .

وقد أخذتهم العزة بالإثم بعض الشيء لأن نوحا كان قد أخبرهم أن الطوفان لن يهبط عليهم طالما أن شخصاً تقياً مثل " ميتوشيلاح " لا زال يقيم بينهم ، وقد انقضت فترة الأعوام المائة والعشرين التي وضعها الرب كمهلة لاختبارهم عسى أن يرجعوا عن خطيئتهم ، ومع نهاية هذه المدة توفى " ميتوشيلاح " ، وأرجأ الرب تنفيذ حكمه عليهم أسبوعاً حداً على " ميتوشيلاح " ، وتغيرت خلال هذه الفترة التي غلبت عليها الرحمة قوانين الطبيعة فأصبحت الشمس تشرق من الغرب ، وتقرب في الشرق ، ومنح الرب المخطئين خلال هذه الفترة كل الأطعمة اللذيذة التي سينالها الصديقون في العالم الآخر حتى يثبت لهم حجم الفسادة التي تعرضوا إليها^(١٩) . غير أن كل هذه التنبيهات لم تعد مجدبة بعد وفاة " ميتوشيلاح " وكافة الصديقين والأتقياء ، ومن ثم فقد أرسل الرب الطوفان على الأرض^(٢٠) .

الكتاب المقدس

وكان بناء الفلك يحتاج إلى قدر كبير من الحكمة خاصة أنه كان لا بد أن يكون به مساحة كافية لكل كائنات الأرض بل والأرواح، غير أن الفلك لم يصمم لحمل الأسماك^(٢١) . وقد اكتسب نوح الحكمة اللازمة من الكتاب الذي كان الملك " رازينيل " منحه لأدم هذا الكتاب الذي يعد سجلا لكل المعارف الأرضية والسماوية .

وبينما كان أول زوج من البشر يعيش في الجنة اقترب " سامينيل " الذي كان يصحبه غلام من حواء ، وطلب منها الحفاظ على ابنه الصغير حتى يعود . ووعده حواء بالحفاظ عليه ومع عودة أدم من تنزهه بالجنة وجد مع حواء طفلاً يصرخ ، وأخبرته حواء أن هذا الطفل هو ابن " سامئيل " . وأثار هذا الأمر غضب أدم الذي أخذ يتزايد مع اشتداد صراخ الطفل ، ولهذا وجه صفعة إلى الطفل وقتله غير أن جثته لم تتوقف عن الصراخ والنحيب ، ولم تتوقف الجثة عن صراخها حتى بعد أن مزقها أدم إرباً . وحتى يتخلص من هذه الكارثة فقد جعل مما تبقى من جثة الطفل طعاماً له ، وتناولها هو وزوجته حواء ، ومع انتهائهما من الطعام ظهر أمامهما " سامئيل " وطلب منهما استرداد ولده ، وحاول المجرمان الإنكار مدعين أنه ليست لديهما أية معرفة بالولد ، غير أن " سامئيل " نهرهما قائلاً : كيف يمكنكما ترويج مثل هذه الأكاذيب ؟ ألا تعلمان أن الرب سيهب إسرائيل التوراة التي جاء بها : ابتعد عن الكذب .

وبينما كانا يتحدثان على هذا النحو تردد فجأة صوت القتل ، هذا الصوت الذي أخذ يتصاعد من قلبي أدم وحواء ، خاطب الصوت " سامينيل " قائلاً : تقدم . لقد تسلكت إلى قلبي أدم وحواء وإن أدعهما ، وإن أدع قلوب أبنائهم وأحفادهم ، وسأعيش في قلوبهم إلى الأبد .

وغادرهما " سامينيل " وترك أدم يعتصره الألم ، وارتدى أدم الخيش ، ووضع على رأسه التراب ، وصام أياماً طويلاً حتى ظهر الرب أمامه قائلاً : " يا بني لا تخف من " سامئيل " ، سأعطيك علاجاً يساعدك على قهر خوفك خاصة أنه توجه إليك بناءً على اقتراحي ، فتسأل أدم وما العلاج؟ فتجيب الرب : " التوراة " فتسأل أدم ثانية : وأين هي ؟ فمنحه الرب كتاب الملك " رازينيل " الذي تدارسه أدم بكرة وعشياً ،

وبعد مضي فترة على حصوله على هذا الكتاب زارته الملائكة التي غارت من حصوله على الحكمة من هذا الكتاب فسعت بمكر ودهاء إلى تدميرها إذ دعت ملائكة الرب وسجدت أمامه دون أن تبالى باعتراضه إذ كان يصرخ قائلاً : لا تسجدوا أمامي ولكن سبحوا الرب معي ودعونا نمجده في علاه . غير أن قنوط الملائكة كان عظيماً للدرجة التي جعلتهم يسرقون منه الكتاب الذي منحه الرب لأنهم ، وألقوه في البحر . وقد بحث آدم عن الكتاب في كل الأمكنة دون طائل مما تركه نهياً للقلق والحيرة ، وصام مرة أخرى أياماً طويلاً حتى تراءى الرب أمامه قائلاً : لا تخف يا آدم . سأبكي الكتاب ثانية ، فننادى الرب رحاب ملاك البحر وأمره باسترداد الكتاب من البحر وإعطائه لأدم . وفعل رحاب ما تلقاه من أمر^(٣٣) .

ومع موت آدم اختفى الكتاب المقدس ، غير أن الكهف الذي أخفى به تكشف لإينوخ في الحلم . واستمد إينوخ من هذا الكتاب معارفه عن الطبيعة والأرض والسموات ، وأصبح حكيماً من خلال هذا الكتاب ، ومن هنا فاقته حكمته حكمة آدم ، وقد أخفى " إينوخ " فيما بعد هذا الكتاب .

وحيثما قرر الرب جلب الطوفان على الأرض أرسل إلى نوح رئيس الملائكة رفائيل " حاملاً معه الرسالة التالية : أعطيك حالياً الكتاب المقدس حتى تتكشف لك من خلاله كل الأسرار والغيوب ، وسيمكنك تنفيذ وصاياهم بقداسة وبطهارة ويتواضع ، وستتعلم منه كيف يمكنك بناء فلك الخشب من شجر الغوفر ، هذا الفلك الذي ستجد فيه أنت وأبناؤك وزوجك الحماية .

وأخذ نوح الكتاب وحلت عليه الروح القدس حينما كان يتدارسه فعلم كل الأشياء المطلوب معرفتها لبناء الفلك ، والمجموع الكلي للحيوانات التي سيأخذها . وأخذ معه إلى الفلك الكتاب المصنوع من الياقوت، ووضع هذا الكتاب في البدء في سلة من الذهب، وساعده هذا الكتاب طيلة الوقت الذي قضاه في الفلك في التمييز بين الليل والنهار، وقد أعطى هذا الكتاب قبل وفاته إلى " سام " الذي قام فيما بعد بإعطائه إلى إبراهيم، وتسلسل هذا الكتاب من إبراهيم إلى يعقوب ولوى، وموسى ، ويوشع ، وسليمان ، واكتسب كل منهم حكمته من هذا الكتاب ، كما اكتسب كل منهم مهارته في تعلم الفنون والسيطرة على العقاريت والأرواح الشريرة من هذا الكتاب^(٣٤) .

نزل الفلك

وتم الانتهاء من الفلك وفقاً للتعاليم الواردة في كتاب "رازينيل"، وكانت مهمة "نوح" التالية جمع الحيوانات التي سيتم وضعها بالفلك، فكان عليه جمع ما لا يقل عن اثنين وثلاثين نوعاً من الطيور، وثلاثمائة وخمسة وستين نوعاً من الزواحف. وقد أمر الرب الحيوانات بالتوجه إلى الفلك وقامت بالتجمع هناك، ولم يبذل نوح جهداً كبيراً سوى الإشارة إليها لتجميعها^(٢٤). وفي الحقيقة كان عدد الطيور والحيوانات التي قدمت إلى الفلك أكبر مما كان مطلوباً فأمر الرب نوح بالجلوس بجوار باب الفلك وكلفه بملاحظة أي الحيوانات تجلس عند وصولها إلى مدخل الفلك وأي منها يكتفى بالوقوف، وأمره بإدخال من جلسوا فقط. ويقبوله هذه المهمة التي كلف بها لاحظ نوح وجود لبؤة وشبليها وجثوما جميعهم عند مدخل الفلك غير أن الشبلين صارعا اللبؤة التي نهضت ووقفت بجوارهما، وقام نوح عندئذ بإدخال الشبلين فقط. أما الحيوانات المفترسة والماشية والطيور التي لم يقبل دخولها، فقد ظلت واقفة بجوار الفلك لسبعة أيام خاصة أن عملية تجميع الحيوانات حدثت قبل مجيء الطوفان بأسبوع.

وكانت الشمس قد أظلمت يوم مجيء الحيوانات إلى الفلك، كما أن أسس الأرض قعقت، وأثار البرق، وتردد صوت الرعد على نحو لا مثيل له. أما المذنبون فقد ظلوا على معصيتهم، ولم يغيروا مسلحهم الشرير طيلة الأيام السبعة.

وحينما بدأ الطوفان في نهاية الأمر يتدفق فقد تجمع سبعمئة ألف من أطفال البشر حول الفلك مناشدين نوحاً أن يوفر لهم الحماية، فصرخ فيهم قائلاً: "أستم من تمرد على الرب قائلين ليس هناك رب؟ ولذلك جلب الدمار عليكم لإبادتكم ومحوكم من على وجه الأرض. ألم أخبركم بهذه النبوة طيلة الأعوام المائة والعشرين الأخيرة؟ ألم تصفوا إلى كلمات الرب غير أنكم تبتغون حالياً العيش. فصرخ المذنبون قائلين: سمعاً وطاعة، إننا مستعدون جميعاً للعودة إلى الرب إذا فتحت بوابة الفلك لاستقبالنا به حتى نحيا ولا نموت". وأجاب نوح قائلاً: "إن ما تقومون به حالياً ناجم عن حاجتكم وإلحاحها عليكم. ولذا لم ترجعوا إلى الله خلال الأعوام المائة والعشرين التي منحها الله لكم للتوبة؟ إنكم تآبون حالياً وتتحدثون على هذا النحو لأن محنتكم تؤرق حياتكم، ولذلك لن يستجيب الرب لكم وإن يصغى إليكم، وإن يتحقق شيء مما تدعون".

وقد حاول المذنبون اقتحام مدخل الفلك بالقوة غير أن الحيوانات المفترسة التي كانت تجلس بجوار الفلك انقضت عليهم فقتل الكثير منهم فيما هرب آخرون فلقوا حتفهم على أيدي مياه الفيضان^(٢٥) . ولم يكن بوسع المياه فقط القضاء عليهم إذ كانوا عمالقة فحينما مهدهم نوح ببلاء الرب أجابوا : إذا أتت مياه الفيضان من عل فإنها لن تصل إلى أعناقنا ، أما إذا أتت من تحت فإن أقدامنا ضخمة على نحو يمكننا من تغطية منابع الماء . ومن هنا فقد أمر الرب كل قطرة ماء بالمرور عبر جهنم قبل سقوطها على الأرض ، ومن ثم فقد حرق المطر الساخن جلد المذنبين . وكان العقاب الذي حل بهم متماشياً مع جريمتهم فقد عوقبوا بالمياه الساخنة لأن رغباتهم الحسية كانت تجعلهم يشعرون بالسخونة ، وكانت تدفعهم للتجاوزات الأخلاقية^(٢٦) .

وحينما حل الموت لم ينجح المذنبون في كبح رغباتهم في ممارسة الرذيلة فحينما بدأت المياه تتفجر وتخرج من ينابيعها ألقى المذنبون أطفالهم في المياه لوقف الفيضان^(٢٧) .

وبفضل رحمة الرب وجد نوح مأوى في الفلك قبل بدء المياه في تدمير كل شيء^(٢٨) ، وبالرغم من أنه كان أفضل من أقرانه فلم يكن جديراً بأن يقوم الرب بمعجزات من أجله فقد كان إيمانه ضعيفاً ولذلك لم يدخل الفلك إلا بعد أن وصلت المياه إلى ركبتيه ، وقد دخل الفلك معه زوجته نعمة بنت إينوش Enosh التي هربت من الخطر ، وأبناؤه الثلاثة وزوجاتهم^(٢٩) .

ولم يتزوج نوح إلا بعد أن بلغ من العمر أربعمائة وثمانية وتسعين عاماً ، وأمره الرب عندئذ بالزواج ، ولم يكن نوح يبتغي جلب أطفال إلى العالم لإحساسه أنهم سيلقون حتفهم في الطوفان ، ولم ينجب أبناء الثلاثة إلا قبيل مجيء الطوفان بقليل^(٣٠) ووجهه الرب عدواً قليلاً من الأبناء لا سيما أنه كان من الوارد أن يعفى من مهمة بناء فلك ضخم في حالة إعلان المخطنين التوبة ، أما إذا لم يعلنوا التوبة وتعرض الأبناء إلى الفساد مثل جيلهم فإن الإحساس بالأسى على فقدانهم سيكون متماشياً مع عددهم القليل^(٣١) .

وفى الوقت الذى ابتعد فيه نوح وأبناء عائلته فقط مقارنة بكل أبناء جيله عن الفساد كانت الحيوانات التى سخلت فى الفلك بعيدة كل البعد عن الخطيئة خاصة أن الحيوانات فى ذلك الوقت اتسمت بالفسق مثل سائر البشر فكان الكلب يضاجع الذئب ، ولم يبال كثير من الحيوانات والبشر بالنقاء الجسدى ، أما الحيوانات التى تم الحفاظ عليها فقد كانت تلك الحيوانات التى ابتعدت عن الخطيئة^(٣٣) .

وقبل مجيء الطوفان كان عدد الحيوانات الدنسة أكبر من عدد الحيوانات الطاهرة غير أن هذا الوضع تغير فيما بعد إذ تم الاحتفاظ فى الفلك بسبعة أزواج من الحيوانات الطاهرة فى حين أن عدد الحيوانات غير الطاهرة بالفلك لم يتعد زوجين^(٣٤) .

ولم يتمكن نوح من أخذ أحد الحيوانات إلى الفلك وهو حيوان " الريم " الذى تعذر إدخاله إلى الفلك بسبب ضخامة حجمه ، ومن ثم ربطه نوح إلى الفلك ، وجرى هذا الحيوان خلف الفلك^(٣٥) . ولم يتمكن نوح أيضاً من أن يجد مكاناً للعظيم " أوج " الذى كان ملكاً لمنطقة " باشان " ، ومن هنا فقد جلس آمناً على قمة الفلك ، وهرب على هذا النحو من مياه الفيضان ، وقد تصدق نوح عليه بالطعام يومياً عبر إحدى فتحات الفلك ، وقد أحسن نوح إليه لأن " أوج " كان قد وعده بأن يعمل فى خدمته هو ونسله إلى الأبد^(٣٦) .

وقد وُجد كائنان من أغرب الأنواع ملاذاً فى الفلك ، فكان من بين الموجودات التى أتت إلى نوح الكذب الذى أتى بحثاً عن ملوى . وقد رفض نوح السماح للكذب بالدخول خاصة أنه لم يكن لديه أى رفيق فضلاً عن أنه كان يأخذ من كل الحيوانات زوجين فقط ، فذهب الكذب بحثاً عن شريك له فالتقى بسوء الطالع واتفقا فيما بينهما على الارتباط ببعضهما البعض شريطة أن يتكفل سوء الطالع بما يحرزه الكذب من نجاحات . وتم على هذا الأساس قبولهما فى الفلك . وحينما غادرا الفلك لاحظ الكذب أن كل ما يدركه سرعان ما يتبدد ، ومن ثم فقد سارع بالاستفسار عن هذه الظاهرة من سوء الطالع الذى أخبره : ألم نتفق على شرط حصولي على ما تحرزه من نجاح ؟ ومن هنا فقد اضطر الكذب للرجيل خاوى الوفاض^(٣٧) .

الطوفان

وكانت مهمة تجميع الحيوانات في الفلك من أبسط المهام التي أُلقيت على عاتق نوح ، وفي المقابل فقد تمثلت أشق المهام التي واجهته في توفير الطعام والسكن لكل هذه الحيوانات لمدة عام . وفي مرحلة لاحقة قص " سام " بن نوح على إيعاز خادم إبراهيم قصة تجاربهم مع الحيوانات في الفلك ، فقال : لقد واجهنا مشكلات جمة في الفلك فكانت بعض الحيوانات تطعم في الصباح ، كما كانت بعض الحيوانات الأخرى تطعم في المساء ، ولم يكن لوالدي علم بالطعام الذي يتعين عليه تقديمه إلى حيوان الزكزا ، وحينما شق التفاحة نصفين خرجت حشرة من الثمرة التي سرعان ما التهمتها ، وقام والدي فيما بعد بعجن النخالة وجعل منه طعاماً للحشرة . وقد عانى الأسد طيلة الوقت من ارتفاع في درجة حرارته ، ومن هنا لم يسبب إزعاجاً للآخرين خاصة أنه لم يتلذذ بأى طعام جاف. وقد وجد والدي حيوان " الأورشاننا " نائماً في إحدى زوايا الفلك فسأله ما إذا كان يحتاج شيئاً ليأكله فأجابه قائلاً : رأيك منشغلاً فلم أحب أن أضيف عبئاً إلى مشاغلك" فنجاب والدي : ولتكن مشيئة الرب في الحفاظ عليك إلى الأبد ، وتحققت بالفعل هذه الدعوة^(٣٧) .

وتزايدت هذه الصعاب حينما بدأ الطوفان في هز الفلك والإطاحة به ، واهتز كل من كان بالفلك إلى الدرجة التي كانوا أشبه فيها بحبات العدس في الإناء فبدأت الأسود في الزئير ، والثيران في الخوار والذئاب في العواء ، وعسبرت كل الحيوانات - وكل بصوته - عن ألقها .

وانهمرت دموع نوح وأبنائه حينما أحسوا أنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الموت فابتهل نوح إلى الرب قائلاً : "رب أغثنا لأنه ليس بمقدورنا تحمل الشر المحيط بنا فالموج يمور كما أن تيارات الدمار تثب الرعب في نفوسنا ، كما أن الموت محيق بنا ، اسمع صلاتنا وخلصنا ، كن معنا ، كن بنا رحيماً وخلصنا وأنقذنا"^(٣٨) .

وكان الطوفان نتيجة لزواج العنصر الذكري من المياه الواقع فوق جلد السماء والعنصر الأنثوي من المياه المتدفق من الأرض^(٣٩) . وقد اندفعت المياه العليا عبر المساحة الخالية حينما أخرج الرب نجمين من مجموعة كوكب الثور . وحتى يتم

وقف الطوفان كان لزاماً على الرب أن ينقل نجمين من برج الدب إلى برج الأطلس ، ولهذا السبب يعدو برج الدب خلف برج الأطلس إذ إن برج الدب يبتغي استرداد ولديه غير أنهما لن يعودا إليه إلا في العالم القادم^(٤٠) .

وطرأت خلال عام الطوفان تحولات أخرى على عالم الأجرام السماوية فقد حُجب خلال هذا العام ضوء كل من الشمس والقمر . وكان الفلك مزداناً بمجر كريم كان ضوؤه في الليل أكثر قوة من ضوئه بالنهار مما أتاح لنوح التمييز بين النهار والليل^(٤١) .

ودام الطوفان عاماً كاملاً فبدأ في السابع عشر من شهر " حيشفان " ، كما أن المطر لم يتوقف عن الهطول أربعين يوماً حتى السابع والعشرين من شهر كيسلو . وكان العقاب الذي حل بالبشر على ذات قدر جريمة الجيل المخطئ . وكان جيل الطوفان قد عاش على نحو غير أخلاقي وأنجب أطفالاً لم يعيشوا في أرحام أمهاتهم سوى أربعين يوماً . ودام الطوفان من السابع والعشرين من شهر نوفمبر حتى الأول من شهر مايو ، وغطت المياه خلال هذه الفترة الأرض وبلغ ارتفاعها خمسة عشر ذراعاً . وأبيد خلال هذه الفترة كافة الأشرار ولقى كل منهم العقاب الذي يستحقه^(٤٢) . وكان قابيل من بين هؤلاء الذين هلكوا ، وهكذا تم النثر لهابيل^(٤٣) . وكانت قدرة المياه على التدمير بالغة القوة ، ومن هنا لم تبق جثة آدم في قبرها^(٤٤) .

وفي الأول من شهر مايو بدأت المياه في النقصان بمقدار ربع ذراع في اليوم ، ومع مضي ستين يوماً وفي العاشر من شهر أب ظهرت قمم الجبال . وكان نوح قد أرسل في العاشر من شهر تموز الغراب ، وأرسل في الأسبوع اللاحق الحمامة في أول رحلة من رحلاتها الثلاث . ولم تختف المياه كلية عن الأرض إلا بعد أن انقضت فترة طويلة من الأول من شهر أب حتى الأول من شهر تشرين . وكانت الأرض أشبه بالوحد حتى بعد انتهاء الطوفان مما ألزم المقيمين في الفلك بالبقاء داخله حتى السابع والعشرين من شهر " حيشفان " ، وهكذا قضوا بالفلك سنة كاملة^(٤٥) .

وكان نوح قد واجه صعوبة بالغة في التعرف على حالة المياه ، وحينما ابتغى إرسال الغراب حدثه الطائر قائلاً : إن الرب إلهك يكرهني ، وتكرهني أنت أيضاً .

إن الرب يكرهني لأنه أمرك بأخذ سبعة أزواج من الحيوانات الطاهرة إلى الفلك وزوجين فقط من الحيوانات غير الطاهرة التي أنتمى إليها . إنك تكرهني لأنك لم تختار رسولاً من بين الأزواج السبعة بالفلك وفضلت اختياري وهكذا إن يتبقى سوى زوج واحد فقط . ولتفترض أنني هلكت بسبب الحرارة أو البرد فعندئذ سيفقد العالم الكثير . وربما تشتت زوجي ولهذا تريد القضاء على . وأجابه نوح بقوله : أيها الوقح إنه لزام على أن أعيش منفصلاً عن زوجي بالفلك ولهذا فإن مثل هذه الخواطر لا تطرأ على ذهني^(٤٦) .

ولم يقدر النجاح للفراب في مهمته فحينما شاهد جثة أحد الأموات تفرغ لالتهامها ولم ينفذ بالتالي المهام التي أوكلها إليه نوح . ومن هنا تم إرسال الحمامة التي عادت قبيل حلول الظلام حاملة غصن زيتون في منقارها كانت قد أخذته من جبل الزيتون بالقدس خاصة أن الأرض المقدسة لم يغمرها الطوفان . وحينما اقتلعت الحمامة هذا الغصن ذكرت للرب : رب العالمين اجعل طعامي مرا كالزيتون ولكن أعطه لي من يدك ولا تعطني طعاماً حلو المذاق من أيدي البشر^(٤٧) .

نوح يغادر الفلك

وبالرغم من أن الأرض أخذت شكلها القديم الذي كانت عليه في نهاية العام الذي حل به العقاب فلم يغادر نوح الفلك إلا بعد أن تلقى أمراً من الرب بمغادرته وحدث نفسه قائلاً : كما دخلت الفلك بأمر من الرب سنغادره بناء على أمره غير أنه حينما أمره الرب بمغادرة الفلك رفض الانصياع للأمر لتخوفه من أن يجلب الرب طوفاناً آخر بعد أن كان قد اعتاد العيش على أرض صلبة ويعد أن يرزقه الرب بنعمة الأبناء ، ولذلك لم يغادر الفلك إلا بعد أن أقسم الرب أنه لن يجلب طوفاناً آخر^(٤٨) .

وحينما خطا خارج الفلك إلى الخواء أخذ ينتحب لرؤية الدمار الذي جلبه الطوفان فقال للرب : رب العالمين إنك تعرف بالرحيم فكان يجب أن تظهر رحمتك نجاة مخلوقاتك . فأجاب الرب قائلاً : أيها الراعي الأحقق تحدثني الآن هكذا ، ولم تفعل هذا حينما خاطبتك برقة قائلاً : أراك إنساناً تقياً ورائعاً في جيلك وسأجلب الطوفان

على الأرض لتدمير الخلق . اصنع فلماً لنفسك من الخشب ، وهكذا حدثك وأخبرتك بكل الظروف حتى تطلب الرحمة للأرض ولكذك لم تعتن بالدمار الذى سيحل بالأرض فور علمك أن الفلك سينقذك ، ولم تقم إلا ببناء فلك لذاتك حتى تنقذ نفسك . لقد فנית الأرض. افتتح فمك وأقم الصلاة للرب .

وأدرك نوح عندئذ حماقته ، وحتى يسترضى الرب ويعترف بحماقته قدم أضحية للرب^(٤٩) الذى قبلها بنداؤه له باسمه نوح^(٥٠) . ولم يقدم نوح الأضحية بنفسه إذ قام ابنه سام بكل المهام الخاصة بالكهنة ، وكان سبب هذا الأمر أن نوحاً غفل ذات يوم فى الفلك عن تقديم وجبة الطعام المخصصة للأسد الذى استبد به الجوع فوجه ضربة إليه جعلته أعرج إلى الأبد ، ومن ثم أصبح يعانى عيباً خلقياً حرمة من فرصة تأدية مهام الكاهن^(٥١) .

وتكونت الأضاحى من ثور وخروف وماعز ويمامتين وحمامتين صغيرتين. ووقع اختيار نوح على هذه الأنواع مفترضاً أنها مخصصة للأضاحى لا سيما أنه رأى أن الرب أمره بأخذ سبعة أزواج منهم إلى الفلك، وتأسس الذبح فى المكان نفسه الذى قدم عليه آدم وقابيل وهابيل أصحابهم ، والذى أقيم فيما بعد فى القدس^(٥٢) .

وبعد أن تم الانتهاء من تقديم الأضاحى بارك الرب نوحاً وأبناءه، وجعلهم سادة الأرض كما كان آدم^(٥٣) وأوصاهم قائلاً : أنثروا وتكاثروا على الأرض خاصة أن جنسى البشر والحيوانات كانا منفصلين عن بعضهما البعض خلال الفترة التى قضياها فى الفلك لأن النفس تمازج الشهوات حينما تهل المصائب والكوارث . ولم ينتهك أحد بالفلك هذا النظام سوى حام والكلب والغراب الذين تلقوا جميعاً عقابهم ، فكان عقاب حام أن نسله أصبح جلد نسله ضارباً إلى السمرة^(٥٤) .

وكدليل على أن الرب لن يبديد الأرض مرة أخرى وضع قوسه فى السحب، ومن هنا فحينما يغرط البشر فى الرذيلة فإن القوس يخبرهم أن خطاياهم تلحق ضرراً بالعالم . وقد حدث فى بعض العصور أن البشر عاشوا فى تقوى وورع ومن ثم لم يتخوفوا من العقاب . وفى هذه الأوقات لم يكن من الوارد مشاهدة قوس الرب الذى يتبدى فى شكل عصا الكمنجة^(٥٥) .

وسمح الرب لنوح ونسله أن يأخذوا من لحوم الحيوانات طعاماً لهم والذي كان محرماً تناولها منذ وقت آدم وحتى عهد نوح ، غير أنه كان لازماً عليهم تجنب الدم . وقد أصدر نوح سبع وصايا عرفت باسم وصايا نوح ، وتعد هذه الوصايا مفروضة على جميع البشر وليس على إسرائيل فقط غير أن الرب هو الذي أمر بعدم سفك دماء البشر ، ومن هنا فإن من يسفك دم الإنسان يسفك دمه . وحتى لو حكم البشر بإطلاق سراح المذنب فإن العقاب سيحل به إذ سيموت على نحو غير طبيعى مثلما فعل بأخيه الإنسان ، وكما أن الحيوانات تقتل البشر فإن القصاص من حياتهم مطلوب^(٥٦) .

لعنة السكر

وفقد نوح صفة " التقي " حينما بدأ فى الانتشغال بزراعة العنب إذ أصبح بعد زراعته إنساناً عادياً ، وأسفرت المحاولة الأولى لإنتاج النبيذ عن ظهور أول من أفرط فى احتساء الخمر ، وأول من صب الشنائم واللعنات على رفاقه ، وأول من أدخل نظام العبودية. وكان هذا هو الطريق الذى نجمت عنه كل الأشياء ، وكان نوح قد وجد العنب الذى أخذه آدم من الجنة عند خروجه منها مطروداً ، وحينما تذوق هذا العنب وجدته شهياً فقرر زراعة العنب والاهتمام به^(٥٧) ، وقد أثمرت شجرة العنب فى يوم زراعتها نفسه ، واستخرج النبيذ من عصير العنب واحتساء فسكر ، وفقد كرامته ، ووقعت كل هذه الأحداث فى يوم واحد، وكان الشيطان هو الذى ساعده فى زراعة هذا الكرم ، فكان الشيطان متواجداً فى اللحظة التى انتشل فيها نوح بزراعة فسيطة العنب التى وجدها، وسأله الشيطان : ماذا تزرع ؟ فاجاب نوح : أزرع عنباً . فعلاود الشيطان سؤاله : وما خواص ما سينتجه ؟

نوح : إن ثمرة هذه الشجرة حلوة المذاق سواء كانت جافة أو رطبة ، كما أنه يستخرج منها نبيذاً يسعد قلب الإنسان .

الشيطان : فلنتشارك فى نشاط زراعة العنب .

نوح : موافق .

وقام الشيطان اذك ببيع حمل أعقبه بذبح أسد فخنزير فقرد ، وجعل دم كل ذبيح يتدفق تحت شجرة الكرم ، ونقل على هذا النحو إلى نوح صفات وخواص النبيذ بقوله : يكون الإنسان قبل تناول النبيذ بريئاً كالحمل وإذا شرب منه باعتدال يشعر أنه كالأسد قوة ، غير أنه يشبه الخنزير إذا تناول منه ما يفوق طاقته ، وإذا شرب منه إلى درجة السكر يتصرف كالقرد فيرقص ويفنى ويتحدث بالفحش دون أن يعلم ما يصنع^(٥٨) ، ولم يرتدع نوح مثله مثل آدم الذي كان خروجه من الجنة بسبب النبيذ إذ إن حبة العنب كانت هي الثمرة المحرمة التي أسكرته^(٥٩) .

ويعد أن غلب السكر نوحاً توجه إلى خيمة زوجته ، وشاهده ابنه هام هناك فأخبر إخوانه بما لاحظته وقال: كان للإنسان الأول ولدان قتل أحدهما الآخر، أما هذا الإنسان فله من الأبناء ثلاثة ويبتغي إنجاب ابن رابع . ولم تشف هذه الكلمات غير المهدبة غليل هام من والده فأضاف إلى خطيئة عدم الاحترام فاحشة محاولة القيام بعملية لوالده لمنعه من الإنجاب .

وحيثما أفاق نوح من سكرته وأصبح رزيناً راجح العقل صب لعنته على هام في شخص كنعان أصغر أبنائه ، ولم يتمكن من إلحاق أي أذى بحام خاصة أن الرب كان قد وهب رضاه وبركته على نوح وأبنائه الثلاثة عند خروجهم من الفلك ، ولذلك صب لعنته على آخر أبناء الابن الذي منعه من إنجاب ابن آخر^(٦٠) .

وتتسم عيون أبناء هام الذين من نسل كنعان بالاحمرار ، فحام أبصر أباه عارياً ، كما أن شفاهم مشوهة الشكل لأنه تحدث بشفتيه عن حالة أبيه المشينة ، كما أن شعرهم أجعد لأنه كان قد لوى عنقه لمشاهدة عرى أبيه ، ويسبرون عرايا لأنه لم يحرص على تغطية عرى أبيه ، وقد عوقب على النحو نفسه الذي ارتكب به خطيئته لأن طريقة الرب في العقاب هي معاقبة المزمع بما يقتضيه من ذنب .

وكان على كنعان أن يعاني عوضاً عن أبيه ، غير أن بعضاً من العقاب حل عليه لما اقترفه من إثم إذ إن كنعان هو الذي جنب انتباه هام إلى حالة أبيه المقززة^(٦١) وكانت وصية كنعان الأخيرة إلى أبنائه كالتالي : لا تذكر الحقيقة ، لا تتجنب السرقة ، ولتحى حياة خليعة ، واتكركه سيدك بكل ما في قلبك من حقد وضغينة ، وإيحب كل منكم الآخر^(٦٢) .

وكما قدر على حام أن يعاني سلوكه المشين فقد كوفى " سام " و " يافث " اللبر والتبجيل اللذين أبياهما "تجاه والدهما إذ حملاً ثوباً ووضعاه على كتفيهما سائرين بظهريهما متجنبين النظر إلى عرى والدهما مغطين على هذا النحو عرى والدهما . أما المصريون وأهل الحيشة الذين من نسل حام فقد قادهم ملك آشور عرايا إلى الأسر في حين أنه حينما حرق ملك الرب الآشوريين الذين من نسل سام في المعسكر لم يتعرضوا للعرى إذ قاومت ثيابهم الحريق ، وحينما عانى " جوج " فيما بعد من الهزيمة فقد أمدّه الرب هو ونسله ونسل يافث بالاكفان ويمكن للدفن .

وبالرغم من ظهور " سام " و " يافث " في صورة الأبناء الأبرار بالدهما فقد استحق سام النصيب الأكبر من الثناء إذ كان سام أول من بادر بستر عرى أبيه في حين أن " يافث " لحق به بعد أن تم البدء في ستر الوالد ، ولذلك كوفى أبناء سام بثواب خاص تمثل في وضع " الطاليت " الذي يرتدونه في حين أن نسل يافث يرتدون التوجا^(٦٣) . وكان من السمات المميزة لسام أن اسمه ورد في سياق مباركة الرب لنوح فجاء بالعهد القديم " تبارك الإله رب سام " . ويكمن وجه التفرد والتميز في أن اسم الرب لا يكون مضافاً لاسم أى كائن حي إذ إنه لا يضاف إلا إلى من رحلوا عن الحياة^(٦٤) .

وقد تجلت علاقة سام بياث في مباركة الرب لهما بقوله : سيهب الرب يافث أرضاً شديدة الجمال ، كما أن أبنائه سيكونون من المرتدين وسيتلقون دراستهم في مدارس سام^(٦٥) وعلم نوح أيضاً أن روح الإله ستستقر في أول هيكل يؤسسه سليمان ابن سام ، وليس في الهيكل الثانى الذى سيؤسسه قورش^(٦٦) من نسل يافث .

نسل نوح ينتشرون

وحينما أصبح معروفاً لحام أن والده لعنه فر خجلاً وأقام مع عائلته في المدينة التى شيدها لزوجته والتي أطلق عليها اسم " نيلاموك " ، وقد حذا " يافث " الذى أحس بالفيرة من أخيه حذو حام ، كما أنه شيد مدينة لزوجته باسم " أداتانيس " . أما سام فقد كان الوحيد من أبناء نوح الذى لم يترك أباه ، وقد شيد على الجبل

وعلى مقربة من منزل والده منزلاً أسماه باسم زوجته "تسيديكتيلباب" ، وتقع المدن الثلاث بالقرب من جبل "لويار" الذى يستقر عنده الفلك ، وتقع المدينة الأولى بجنوبه فى حين تقع المدينة الثانية غربه ، أما المدينة الثالثة فتقع شرقه .

وحاول نوح غرس التعلاليم والوصايا التى تلقاها فى نفوس أبنائه وأحفاده فنهاهم خاصة عن الزنا والنجاسة وكل أنواع الظلم التى جلبت الطوفان على الأرض وحذرهم من مغبة الفرقة والحقد لخوفه من قيامهم بعد وفاته بسفك الدماء . وحذرهم من هذا الأمر على وجه الخصوص حتى لا يتعرضوا للفناء الذى تعرض له من سبقوهم . وكان من بين الشرائع التى كلفهم باحترامها تلك الشريعة التى تنص على عدم تناول ثمار أية شجرة خلال السنوات الثلاث الأولى من طرحها وأن يخصص نتائجها خلال السنة الرابعة للكهنة وأن يقدم على مذبح الرب . ويعد أن فرغ نوح من تقديم تعاليمه ووصاياه قال : هكذا فعل جدكم الأعلى إينوخ فقد وعظ على هذا النحو ولده "ميتوشيلاح" ونقل ابنه هذه الوصية إلى ولده "لاميع" الذى نقلها لى ، ولا يمكننى سوى نقل هذه الوصية إلى أبنائى مثلما فعل "إينوخ" مع ولده . وحينما عاش نوح حتى الجيل السابع من حياة البشر فقد أشهد أبناءه وأحفاده على تنفيذ الوصايا ، وأشهدهم عليها حتى يوم وفاته^(٣٧) .

وقسم نوح فى عام ١٥٦٩ بعد خلق العالم الأرض على أبنائه الثلاثة بالتساوى وفى حضور ملاك الرب . وأخذ كل ولد من أولاده نصيبه فأخذ سام الجزء الأوسط من الأرض ، وأصبح هذا الجزء خاصاً بنسله إلى الأبد ، وابتهج نوح بحصول سام على هذا الجزء فباركه بقوله : وليكن مستقر الرب فى أرض سام خاصة أنه توجد ثلاثة أماكن مقدسة فى المنطقة الخاصة بسام وهى قدس الأقداس بالهيكل ، وجبل سيناء الذى يقع وسط الصحراء ، وجبل صهيون الذى يقع وسط الأرض .

وكان الجزء الجنوبي من الأرض من نصيب حام ، أما الجزء الشمالى فكان من نصيب يافث ، وتتسم أرض حام بارتفاع درجة حرارتها فى حين أن أرض يافث تتسم بالبرودة غير أن أرض سام لا تتسم بالحرارة أو البرودة ويتسم جوها بالاعتدال^(٣٨) .

وتم تقسيم الأرض قبيل وفاة " بيليج " الذى أطلق عليه والده " إبير " هذا الاسم ، وكان نبيا عالماً بالغيب فعرف أن الأرض سيتم تقسيمها فى عهد ابنه^(٦٩) ، وكان لبيليج أخ يعرف باسم " يوقتان " ، وقد عرف بهذا الاسم لأن حياته كانت قصيرة على الأرض^(٧٠) .

وفى المقابل وبينما كان أبناء نوح الثلاثة يقفون فى حضرة أبيهم الذى كان يقسم الأرض عليهم هددهم نوح باللعنة فى حالة إذا أقدم أى منهم على أخذ أى جزء غير مخصص له فأجابوا جميعهم : موافقون . موافقون^(٧١) . وهكذا فقد تم توزيع مائة وأربع بقع من الأرض وتسع وتسعين جزيرة على اثنين وسبعين أمة كانت لكل منها لغتها المستقلة مستخدمين ستة عشر شكلاً مختلفاً من الكتابة . وقد خصصت لياثث أربع وأربعون قطعة من الأرض وثلاث وثلاثون جزيرة واثنان وعشرون لغة وخمسة أنواع من الكتابة ، أما حام فقد حصل على أربعة وثلاثين أرضاً وأربع وعشرين لغة وخمسة أنواع من الكتابة ، وحصل سام على ستة وعشرين أرضاً وثلاث وثلاثين جزيرة وست وعشرين لغة وستة وعشرين نوعاً من الكتابة . وحصل سام هكذا على قدر أكبر من حروف الكتابة مقارنة بأخويه . وكانت حروف اللغة العبرية التى حصل عليها هى الحروف التى لم يحصل عليها أحد غيره^(٧٢) .

أما الأرض المخصصة لأبناء يعقوب الاثنى عشر فتم منحها على نحو مؤقت لكنعان وصيدون وحيث واليبوسيين والأموريين والجرجاشيين والحيثيين والأركيين والسينيين والإرفاديين والسامريين والهاميين ، وكان على هذه الأمم الحفاظ على الأرض حتى يأتى ملاكها الصالحون^(٧٣) .

وفور حصول أبناء نوح وأحفادهم على الأراضى المخصصة لهم بدأت الأرواح الشريرة فى إغواء البشر وتعذيبهم منزلة بهم كافة صنوف العذاب والآلام فقادتهم على هذا النحو إلى الموت الروحى والمادى ، وحينما توسل نوح إلى الرب ليرحم البشر فقد أرسل الملاك " رفائيل " الذى أباد تسعة أعشار الأرواح الدنسة على الأرض غير أنه ترك العشر المتبقى من هذه الأرواح لروح " ماشيتما " الشريرة حتى يعاقب بها المذنبين ، وقد أوحى رفائيل بمساعدة من رئيس الأرواح الشريرة إلى نوح أسماء كافة صنوف العلاج الموجودة فى النباتات التى قد يحتاج إليها ، وسجل نوح أسماء هذه الصنوف

من العلاج فى كتاب ونقله إلى ابنه " سام " (٧٤) ، ويعد هذا الكتاب مصدر كل الكتب الطبية التى يستمد منها الحكماء الهند وأرام ومقونييا ومصر معارفهم، وقد كرس حكماء الهند أنفسهم لدراسة الأشجار والأعشاب التى تنطوى على الأدوية، وكان الأرمن بارعين فى معرفة خواص الحبوب والبذور وترجموا كتب الطب القديمة إلى لغتهم ، وكان حكماء مقونييا أول من عمل على تطبيق المعارف الطبية على نحو عملى ، أما المصريون فقد سعوا إلى الارتقاء بمفعول الأدوية من خلال فنون السحر والتنجيم ، وعملوا على تدريس حكم وأمثال الكلدانيين التى وضعها " كانجار " الذى كان سليل أور بن كيسد ، وانتشرت المهارات الطبية حتى وصلت إلى عهد إيسكولابيوس ، وتنقل هذا الحكيم المقدونى فى رفقة أربعين ساهراً من بلد إلى بلد فيما وراء الهند متجهين جميعهم صوب الفردوس ساعين للحصول على أخشاب من شجر الجنة حتى يذاع صيتهم فى كافة أنحاء المعمورة ، غير أن آمالهم تبددت وتعطلت ، فحينما وصلوا إلى المنطقة المراد الوصول إليها ووجدوا أخشاب شجرة الحياة ومدوا أياديهم للحصول على ما يبتغون انبعث من سيف الرب ضوء شديد القوة حرقهم وأبادهم ، واختفت مع رحيلهم المعارف الطبية التى لم تنهض ثانية إلا فى عهد " أحشويرش " وفى عهد الحكيم المقدونى " أبقرات وفى عهد الحكيم العبرانى أساف (٧٥) .

فساد البشر

ومع انتشار البشر زاد الفساد. وحينما كان نوح على قيد الحياة قام نسل سام وحام ويافث بتعيين أمراء يتولون الإشراف على شئونهم فتولى نمرود إمارة نسل حام ، ويقطان إمارة نسل سام ، وفينيك إمارة نسل يافث . وبلغ عدد رعايا الأمراء الثلاثة قبل وفاة نوح بمئتين سنة مائة مائة ، وحينما وصل هذا العشد من البشر إلى بابل أخبر كل منهم الآخر : أصغ .. إن الوقت ماض بنا ، وسيفر الجار من جاره والأخ عن أخيه وسيشن كل فرد الحرب ضد الآخر ، هيا بنا ولنشيد مدينة وبرجاً تصل قمته إلى السماء ولنترك اسماً عظيماً على الأرض ، وليقم كل منا بصناعة حجر ينقش عليه اسمه " . ووافق الجميع على هذا الاقتراح باستثناء اثنى عشر شخصاً تقيا كان إبراهيم من بينهم ، ورفض هؤلاء الأتقياء الانصياع للآخرين ، وألقى البشر القبض

عليهم وأحضرهم أمام الأمراء الثلاثة ، وبرزوا رفضهم بقولهم : ان نصنع حجارة ولن نبقي معكم لأننا لا نعرف ولا نعبد سوى إله واحد ، وحتى لو أحرقتُمونا مع الحجارة قلن نتراجع عن دربنا . وواصل نمرود وفينيك حديثهما الحاد ضد الاثنى عشر شخصاً مقررين إلقاءهم فى النار ، وكان يقطان التقى على صلة وثيقة بهؤلاء الأفراد الذين قدموا إلى المحاكمة فحاول إنقاذهم ومن هنا فقد عرض على اثنين من رفاقه منحهم مهلة سبعة أيام . وتم قبول خطته لأنه كان الأرفع مقاماً ، وتم حجز الاثنى عشر شخصاً فى منزل يقطان ، وقد كلف يقطان خمسين من خدمه بوضع السجناء على البغال وأخذهم إلى الجبال حتى يمكنهم الفرار من العقاب المصدق بهم ، وكان يقطان قد أمدهم بغذاء يكفيهم لمدة شهر ، وكان يقطان واثقاً من أن فترة فرارهم إما ستشهد تقلب المشاعر وانصراف الناس عن غرضهم أو أن الله سيحمي الهاربين ، وفى الوقت الذى قبل فيه أحد عشر سجيناً خطة الهروب بامتنان كان إبراهيم هو الوحيد الذى رفضها قائلاً : تنبهوا من الاندفاع إلى الجبال للفرار من النار ، وما حسانا أن نفعل إذا خرجت الوحوش الكاسرة من الجبال والتهمتنا أو إذا عازتنا الطعام ، وعندئذ سنموت من الجوع ، وسيعثرون علينا كفارين من شعب هذه الأرض ، وسنموت بخطيئتنا . ولأن الرب خالد ولأنى أثق به لن أرحل عن هذا المكان الذى اعتقلونى فيه . وإذا قُدر على الموت بخطيئتى ساموت بناءً على رغبته ومشيتته .

وسعى يقطان عبثاً ثنى إبراهيم عن قراره وإقناعه بالفرار غير أن هذه المحاولات لم تزده إلا رفضاً فبقى متفرداً فى أسره فى الوقت الذى فر فيه الأحد عشر الآخرون . ومع انتهاء المهلة ومع عودة الجماعة التى كان أفرادها يبتغون قتل الاثنى عشر أسيراً فلم يتمكن " يقطان " من تقديم سوى إبراهيم ، وبرز موقفه قائلاً إن باقى الأسرى تمكنوا من الفرار فى غضون الليل . وقد كان أفراد الجماعة على وشك الانقضاض على إبراهيم وإلقائه فى الآتون غير أن إحساساً بالزوال خيم على الجميع بل وخرجت النيران من الآتون فالتهمت كل الحاضرين والذين بلغ عددهم أربعة وثمانين ألفاً ، غير أن النيران لم تمس إبراهيم . ولذلك توجه إلى أصدقائه الأحد عشر وأبلغهم بالمعجزة التى حدثت له . وعانوا جميعاً معه رافعين تساييحهم إلى الرب دون أن يتحرش بهم أحد (٧٦) .

نمرود

وكان نمرود^(٧٧) أول زعماء البشر الفاسدين ، وكان والده " كوش " قد تزوج والدته وهو طاعن في السن ، وكانت لنمرود مكانة عزيزة في نفوس طرفي هذه الزيجة المتأخرة . ووهبه الأب الملابس المصنوعة من الجلود والتي كان الرب كسا بها آدم وحواء عند خروجهما من الجنة . وكان كوش قد حصل على هذه الملابس من حام . وكانت هذه الملابس انتقلت من آدم وحواء إلى " إينوخ " ومنه إلى " ميتوشيلاح " ومنه إلى نوح الذي كان آخر من دخل الفلك . حينما كان نزلاء الفلك على وشك الخروج من مأواهم سرق حام الملابس وأخفاها ونقلها فيما بعد إلى ابنه البكر " كوش " ^(٧٨) . وكانت لهذه الملابس خواص فريدة فلم يكن من الممكن قهر كل من يرتديها . وقد تساقطت وحوش وطيور الغابات أمام نمرود حينما وقع بصرها عليه وهو يرتدي هذه الملابس^(٧٩) كما أن النصر كان حليفه في كل منازلاته مع البشر^(٨٠) . ولم يكن للجميع دراية بمصدر قوته التي لا تقهر غير أنهم نسبوها إلى شجاعته المتفردة ، ومن ثم نصبوه ملكاً عليهم^(٨١) . وقد نصبوه ملكاً بعد ذلك الصراع الذي تفجر بين نسل " كوش " ونسل " يافث " الذي انتهى بانتصار نمرود إذ ألحق هزيمة نكراء بعدوه مستعيناً بعدد محدود من الجنود . واتخذ " كوش " شينار " عاصمة له ثم امتدت سيطرته لتشمل المناطق المجاورة حتى تمكن عبر حيله المتنوعة من أن يصبح حاكماً لكل العالم ، وكان " كوش " أول كائن حي يتمكن من بسط نفوذه على كل العالم ، هذا الأمر الذي لن يتحقق إلا للمسيح المخلص^(٨٢) .

وكما كانت قوته تتزايد كان يفرط في الرذيلة ، ولم يعرف البشر منذ مجيء الطوفان مذنباً مثل " نمرود " إذ صنع منذ ذلك الحين أثاثاً من الخشب والحجارة بل وعبيداً ، غير أنه لم يشعر بالارتياح من العيش على نحو متحدر من عبادة الإله ومن ثم بذل كل ما في وسعه لإغواء رعاياه للسير على دروب الفجائية ، وقد استعان في مهمته هذه بابنه " ماردون " ، وقد نشأ خلال عصرهما وحياتهما ذلك المثل القاتل " لا يخرج من صلب الشرير سوى شرير " ^(٨٣) .

وكان للنجاح الذى حالف نمرود فى كل مهامه أعظم الأثر فى شيوع الشر فلم يعد البشر يثقون فى الرب وإنما أصبحوا لا يثقون إلا فى قواهم وقدراتهم^(٨٤) هذا الموقف الذى سعى نمرود إلى إشاعته فى كل العالم^(٨٥) ، وإذ لك يقول البشر : لم يظهر منذ خلق العالم شخص مثل نمرود ماهر فى اقتناص البشر والحيوانات ، ولم يظهر مخطئ مثله أمام الرب^(٨٦) .

ولم تشبع كل هذه الخطايا رغبات نمرود الشريرة ، فلم يكتف بإبعاد البشر عن الإله إذ سعى إلى دفعهم لعبادته فنصب نفسه ربا ، وصنع لنفسه عرشاً مثل عرش الرب ، وكان هذا العرش هو البرج الذى شيد من صخرة مستديرة ، ووضع على قمته عرشاً من خشب الأرز ، وأقام على هذا العرش أربعة عروش من الحديد والنحاس والفضة والذهب ، وكان يوجد فوق العرش الذهبى حجر كريم بفضاوى الشكل ، كما كان حجمه شديد الضخامة ، واتخذ من هذا الحجر مقعداً وكان يجلس عليه بل وكانت الشعوب المختلفة تأتى إليه لتقدسه^(٨٧) .

برج بابل

ووصل ظلم وإلحاد نمرود إلى الذروة عند بنائه لبرج بابل، وكان رفاهه قد عرضوا عليه خطة تشييد مثل هذا البرج ، ووافق نمرود على ما عرضوه عليه . وقد شيده فى "شينار" ستمائة ألف خادم . ولم يكن هذا المشروع سوى محاولة لعصيان الرب ، وقد سادت فى أوساط من أقدموا على تشييد البرج ثلاثة اتجاهات للتمرد فدعى الاتجاه الأول إلى صعود السماء ومحاربة الرب ، أما الاتجاه الثانى فدعى إلى صعود السماء ووضع الأوثان بها وعبادتها هناك . أما أصحاب الاتجاه الثالث فدعوا إلى صعود السماء وتدميرها بالآقواس والرماح .

واستغرق تشييد البرج سنوات طويلة ، ووصل إلى ارتفاع شاهق إلى الدرجة التى لم يمكن فيها للمرء أن يصعده إلا فى عام كامل ، وكان العاملون فى بناء البرج يهتمون بالأحجار أكثر من اهتمامهم بالبشر من هنا فبينما لم يذرفوا الدمع على سقوط أى عامل من البرج عند بنائه فقد كانوا ييكون بكاءً مريعاً عند سقوط أى حجر من البرج

لا سيما أن إعادة أى حجر إلى موضعه كان يستغرق عاماً بأكمله . وقد انكبوا على أداء عملهم لإنجاز مهمتهم ، ومن ثم لم يسمحوا للمرأة حتى وهى فى حالة المخاض بالتوقف عن تقطيع الحجارة .

ولم يتوانوا قط عن تنفيذ أعمالهم ، وكانوا يطلقون من قمة البرج سهامهم صوب السماء ، وحينما كانت السهام تعود إليهم فقد كانت تتراعى لهم وكنها ملطخة بالدماء ، ومن ثم كانوا يفرطون فى أوهامهم ويصرخون : " قتلنا كل ما بالسماء . ولذلك التفت الرب إلى الملائكة السبعين المحيطين بعرشه وحدثهم قائلاً : لنذهب إليهم ونبليل أسنتهم حتى لا يفهم أحدهم الآخر . وكان هذا ما حدث ومن ثم لم يفهم أحد الآخر فحينما كان المرء يطلب من رفيقه آلة لتثبيت الصجر فقد كان يعطيه حجراً ومن ثم كان المرء يقذف رفيقه بالحجر ويقتله ، وقد قتل كثيرون على هذا النحو ، أما الآخرون فقد لقوا حتفهم وفقاً للطريقة التى عصوا بها الرب فقد حول الرب من قالوا : نصعد إلى السماء ونقيم بها أوثاناً ونعبدها " إلى قرود وأشباح ، أما من قالوا : لنصعد إلى السماء ونهاجمها بأيدينا . فقد زرع الرب روح الفرقة فيما بينهم وجعلهم يقاتلون بعضهم البعض . وفيما يتعلق بمن قرروا منازل الرب فقد شتتهم الرب فى كل أرجاء الأرض .

وبخصوص البرج الذى لم يكن قد تم الانتهاء من بنائه فقد هبط جزء منه فى داخل الأرض وحرقت النيران جزءاً منه ولم يتبق سوى ثلثه^(٨٨) ولم يفقد البرج سماته الخاصة فلازال كل من يمضى جواره يشسى كل ما يعرفه^(٨٩) .

أما العقاب الذى حل بالأجيال المذنبة فقد كان هيناً فقد تم إبادة جيل الطوفان كلية بسبب ما شاع فى وسط أبنائه من سرقة ونهب فى حين أنه تم الحفاظ على جيل برج بابل رغم تجديفهم على الرب ، ويمكن سبب هذا الأمر فى أن الرب يعلى من شأن السلام والاستقرار ، ولذلك فقد أباد الرب كلية جيل الطوفان الذى شاعت فيه أعمال السلب والنهب والذى أضمر فيه الجميع الكراهية لبعضهم البعض . أما جيل برج بابل فقد عاش أبنائه فى حالة من السلم والمحبة ومن ثم فقد اكتفى الرب بتشتيت من تبقى منهم حياً^(٩٠) .

علوّة على العقاب الذي أنزله الرب بالمخطئين والذي تمثل في بليلة الألسنة فقد وقع حادث فريد تمثل في هبوط الرب على الأرض ، هذا الحادث الذي يحدث عشر مرات خلال الفترة الواقعة بين لحظة خلق العالم ويوم الحساب ، وحينما هبط الرب وملأته السبعون المحيطون بالعرش على الأرض حدد نصيب كل أمة من الأمم فخصص الرب لغة كل أمة ، وقد أصبحت العبرية لغة إسرائيل لأنها كانت اللغة التي استخدمها الرب عند خلق العالم^(١١) .

الفصل الخامس

إبراهيم

الأجيال العشرية

كانت هناك عشرة أجيال بين نوح وإبراهيم الأمر الذي يظهر مدى رحمة الرب خاصة أن كل هذه الأجيال أثارت غضبه حتى مجيء أبينا إبراهيم الذي حصل على ثواب كل هذه الأجيال^(١) . ومن أجل إبراهيم أظهر الرب مدى حبه خلال حياة هذه الأجيال العشرة . بل لقد خلق العالم لما تمتع به من خصال وصفات حميدة^(٢) . وكان مجيئه إلى العالم معروفاً لجده الأعلى " رثو " الذي تنبأ عند ميلاد ابنه " سيروج " بقوله : سيخرج من صلب هذا الطفل في الجيل الرابع من سيقم في الأعالي وسيعرف باسم الكامل والطاهر وسيكون أباً للأمم وإن يحل عهده ، وسيكثر نسله إلى الأبد^(٣) .

وكانت هذه هي اللحظة المناسبة التي كان يجب فيها أن يظهر خليل الرب^(٤) على الأرض ، فقد كان نسل نوح غارقين في كافة أنواع الرذيلة وبدأوا في الشقاق والقتل وسفك الدم ، كما كانوا قد بدأوا في تشييد المدن المحصنة والجدران والأبراج وفي تنصيب فرد واحد على مصائر كل الأمة ، وشن الحروب ضد بعضهم البعض فحاربت الشعوب والأمم والمدن بعضها الآخر . كما بدأوا في ارتكاب كافة أنواع الرذيلة والحصول على الأسلحة وتعليم أبنائهم فنون الحرب ، وبدأوا في أخذ الأسرى وبيعهم كعبيد ، وصنعوا لأنفسهم تماثيل من السبائك ، هذه التماثيل التي عُدت خاصة أن الأرواح الشريرة أضلت كل الذين كانوا تحت قيادة " ماستيما " ودفعتهم إلى الرذيلة والنجاسة ، ولهذا السبب نبه " رثو " ابنه " سيروج " وحذره من اتباع طرق الآخرين الذين ساروا على درب الخطيئة والإثم ، وحينما كبر وصار رجلاً أصبح من

الواضح أنه قد تم اختيار اسمه على نحو جيد لأنه عبد الأصنام أيضاً وعلم ابنه "ناحور" فنون الكلدانيين المتعلقة بالتنبؤ بالغيب وممارسة السحر وفقاً للعلامات التي تتراءى في السماء وحينما أنجب "ناحور" ابناً أرسل "ماسيتما" الغريبان وأنواعاً مختلفة من الطيور لسلب الأرض وسلب البشر من حصيلة أعمالهم إذ كانت هذه الطيور تستولى على البذور فور قيام البشر بنشرها وقبل تغطيتها ، وقد سمي "ناحور" ابنه "تيراج" لأن الغريبان ومائر الطيور أصابت البشر بالطاعون ، والتهمت ما نشره من بذور ، وعرضتهم للفقر والعوز^(٥) .

ميلاد إبراهيم

وكان تيراج قد تزوج "إيميتالي" بنت "كارنابو"^(٦) وأنجبا إبراهيم ، وكان الملك "نمرود" قد أخبرته النجوم^(٧) بميلاد إبراهيم خاصة أن هذا الملك الشرير كان منجماً شريراً ، ومن هنا فقد عرف أنه سيولد في عصره رجل يتمرّد عليه ويكذب دينه ، وفي إطار حالة الخوف على مصيره التي سيطرت عليه بعد ما أخبرته به النجوم أرسل إلى أمرائه والحكام العاملين تحت إمرته يسألهم المشورة فيما أرقه فقالوا : إن المشورة التي أجمعنا عليها هي أن تشيد منزلاً عظيماً وتضع حراساً عليه ، وأن تنشر في كافة أنحاء مملكتك أنه يتعين على كل النساء الحوامل التوجه إلى هذا المنزل مع القابلات اللاتي يتعين عليهن البقاء معهن حتى لحظة ولادتهن ، وأشاروا عليه أنه حينما تحين هذه اللحظة فعلى القابلات قتل المولود إذا كان ذكراً ، أما إذا كان المولود طفلة فيتم الإبقاء عليها على قيد الحياة .

وفرّح الملك بهذه المشورة وأعلن في كافة أرجاء مملكته داعياً كل المشتغلين بالبناء إلى تشييد منزل عظيم له يبلغ ارتفاعه ستين ذراعاً وعرضه ثمانين ذراعاً ، وأصدر بعد الانتهاء من تشييد هذا المبنى قراراً ثانياً دماً فيه كل النساء الحوامل إلى التجمع والبقاء فيه حتى تحين لحظة الوضع ، وتم تعيين حرس وتكليفه بنقل النساء إلى المنزل ، وتم وضع بعض الحراس بالمنزل وقام بعضهم الآخر بالالتفاف حول المنزل لمنع النساء من الهرب ، ولم يكتف الملك بهذا إذ أرسل قابلات إلى المنزل وأمرهن بقتل كل الذكور

فود خروجهم إلى الحياة غير أنه أمرهن باللباس الإناث عند ولادتهن قماشا ناعماً من الألياف الحريرية وشياً مطرزة وأن يتم تكريمهن عند خروجهن من مقر احتجازهن ، وقد تم قتل ما لا يقل عن سبعين ألف طفل .

وعندئذ ظهرت الملائكة أمام الرب قائلة : ألا ترى ما يقطعه نمرود بن كنعان المذنب الذي يجدف على الرب والذي يذبح أطفالاً أبرياء لم يرتكبوا أية جريمة ؟ فأجاب الرب قائلاً : أيتها الملائكة إنى عليم وشهيد ولا تأخذنى سنة ولا نوم ، إنى أرى وأعلم ما يخفى وما يعلن وسترون ما أنا فاعل بهذا المذنب الذي يجدف على الرب ، فسأرسل عليه ذراعى لتأنيبه ^(٨) .

وكان " تيراج " قد تزوج فى هذا الحين والدة إبراهيم ، وحينما كبر جسدها فى نهاية شهر الحمل الثلاثة الأولى ^(٩) ، وتسلسل الشحوب إلى محياها سألها تيراج ما يؤلك زوجتى لقد أصبحت شاحبة وجسدك منتفخاً ؟ فأجابت قائلة أعانى كل عام من هذا المرض ^(١٠) غير أن هذه الإجابة لم تشف غليل تيراج فازداد تمسكاً بموقفه قائلاً : أرنى جسده . يبذولى أنك حامل ، وإذا كان الأمر على هذا النحو فينبغى ألا تنتهك تعاليم ربنا نمرود ^(١١) . وحينما تحسس بيده جسدها حدثت المعجزة إذ سعد الجنين من أحشائها يتخفى تحت صدرها ، ومن هنا لم يتمكن تيراج من إدراك أنها حامل ، فذكر لزوجته : لقد ذكرت الحقيقة ، ولم يتضح شىء حتى وضعت وليدها .

وحينما جاءها المخاض فرت خائفة من المدينة وارتحلت هوب الصحراء ، وسلكت فى طريقها درباً محاذياً للوادي ^(١٢) حتى وجدت كهفاً فدخلته لتحتمى به ، وفى اليوم التالى اعتصمها المخاض حتى أنجبت وليدها فعم ضياؤه الكهف ، وكان ضياؤه لا يقل بهاءً عن ضياء الشمس ، وابتهجت الأم ، وكان هذا الوليد هو إبراهيم .

ورثت الأم حالها لوليدها قائلة : وا أسفاه : أنجبتك فى الوقت الذى يتولى فيه نمرود العرش ، ولأجلك قتل سبعين ألف رضيع ، ولأجلك أخاف عليك وأخشى أن ينتبه الملك إليك ويقتلك ، ومن الأفضل أن تلقى حتفك هنا فى هذا الكهف عن رؤيتك قتيلاً على صدرى يا ولدى ، وخلعت الثياب التى كانت تتدثر بها ولقت بها الطفل ثم تركته فى الكهف قائلة : " ليكن الرب معك ، وإن يتخلى الرب عنك " ^(١٣) .

الطفل يعلن عن وجود الرب

وترك الطفل فى الكهف وحيداً بدون رعاية فبدأ فى التحبيب، وأرسل الرب إليه الملاك جبريل ليناوله لبناً ليتغذى به ، وجعل الملاك اللبن يتدفق من إصبع يد الرضيع اليمنى ، وظل الطفل يرضع من إصبعه لعشرة أيام^(١٤)، ووقف الطفل فيما بعد ومضى تاركاً الكهف^(١٥) وسار بمحاذاة الوادى، وحينما غربت الشمس وسطعت النجوم قال : أهذه هى الآلهة . وحينما لاح الفجر واختفت النجوم قال : لن أعبد النجوم لأنها ليست آلهة . وحينما سطعت الشمس قال : إنها ربي وسأعبد . غير أن الشمس غربت فقال " إنها ليست إلهاً " فنظر إلى القمر عسى أن يتخذه إلهاً . غير أنه سرعان ما اختفى فصرخ : إنه ليس ربا ، إن هناك إلهاً يحرك كل شئ^(١٦) .

وظل يناجى نفسه حتى لاقاه الملاك جبريل محبياً بقوله : السلام عليك . فقال إبراهيم : وعليك السلام . وسأله من أنت ؟ فأجاب جبريل قائلاً : إني الملاك جبريل رسول الرب . وقاد إبراهيم إلى نبع ماء قريب فغسل إبراهيم وجهه ويديه وقدميه وصلى إلى الرب وسجد أمامه .

وفى غضون هذه الأحداث فكرت أم إبراهيم بينما كان يغمرها الدمع والعزن فى وليدها ، فارتحلت عن المدينة متجهة إلى الكهف الذى تركته به ، وحينما لم تجده حاولها البكاء وقالت : ولى أوضعك هنا لتصيح فريسة للوحوش الضارية من دياب وأسود وذئاب ؟ وسارت إلى حافة الوادى حيث وجدت وليدها غير أنها لم تعرفه لأنه كان قد كبر فضاطبت الفتى قائلة : السلام عليك " فأجابها : وعليك السلام . وسألها : عم تبحثين فى الصحراء ؟ " فأجابت : ارتحلت عن المدينة بهما عن ولى . فسألها إبراهيم : ومن جلب ابنك هنا ؟ : فأجابت الأم : لقد حملت من زوجى تيراج ، وحينما تمت أيام الحمل اعتصرنى القلق على الجنين الذى برحمى خشية أن يأتى الملك ابن كنعان ويقتله كما قتل سبعين ألف طفل قبله ، وقد وصلت إلى الكهف الواقع بهذا الوادى يشق الأنفس إذ كانت تعتصرنى آنذاك آلام المخاض ، وقد أنجبت ولدى بهذا الكهف وتركته به وأتيت بحثاً عنه غير أنى لم أجده .

وتحدث إبراهيم عندئذ قائلاً : كم كان يبلغ من العمر هذا الطفل الذى نتحدثين عنه ؟

الأم : كان يبلغ حوالى عشرين يوماً .

إبراهيم : وهل يعقل أن تترك أم وليدها فى الصحراء عشرين يوماً ثم تأتى للبحث عنه ؟

الأم : لا شك أن الرب سيظهر أنه رحيم .

إبراهيم : إننى الابن الذى أتيت للبحث عنه فى هذا الوادى .

الأم : ولدى وكيف كبرت على هذا النحو ؟ حينما تركتك كنت تبلغ من العمر عشرين يوماً ، وأراك تسير حالياً وتحدث^(١٧) .

إبراهيم : أمى . هذا ماحدث عليك أن تعرفى أنه يوجد بالعالم إله حى مهيب إلى الأبد وأنه يرانا ولكنه لا يرى ، إنه فى السموات العلى ، وتمتلئ الأرض بمجده " .

الأم : ولدى هل يوجد إله آخر غير نمرود ؟

إبراهيم : نعم يا أمى إنه رب السموات والأرض، إنه أيضاً رب نمرود بن كنعان . ولهذا اذهبنى ويلفى هذه الرسالة إلى نمرود .

وعادت والدة إبراهيم إلى المدينة وأخبرت زوجها تيراج أنها عثرت على ولدها ، وتوجه تيراج الذى كان أميراً على قدر كبير من النفوذ فى منزل الملك إلى البلاط الملكى وسجد أمام الملك . وقد كان من عادات هذه الأيام أنه لم يكن يحق لمن يقف أمام الملك رفع رأسه حتى يأمره الملك برفع رأسه ، وسمح نمرود لتيراج بالنهوض والتقدم بطلبه ، ومن هنا قص تيراج كل ما حدث مع زوجته وابنه ، وحينما سمع نمرود هذه القصة سيطر عليه خوف واستشار كل العاملين لديه من مستشارين وأمراء عما يمكن أن يفعل مع هذا الفتى فأجابوه قائلين : ملكنا إلهنا كيف تخاف من طفل صغير؟ فضلاً عن أنه يوجد عشرات الآلاف من الأمراء فى مملكتك^(١٨) وآلاف الحكام ومئات المشرفين وعشرات النظار وعدد كبير لا حصر له من القادة ، ومن ثم يمكنك إرسال أصغر أمير لإحضار هذا الولد والزج به فى السجن ، غير أن الملك قاطعهم قائلاً : هل رأيتم قط

طفلاً يبلغ من العمر عشرين يوماً يسير على قدميه ويتحدث بلسانه معلناً وجود إله لا شريك له يرى ولا يُرى ؟ وعقدت كلمات الملك ألسنة الأمراء المجتمعين الذين أصابهم الفزع^(١٩) .

وقد ظهر آنذاك الشيطان في صورة إنسان يرتدى ثوباً من الحرير الأسود ، وخر ساجداً أمام الملك ، فقال نمروذ : ارفع رأسك وقدم طلبك . فسأل الشيطان الملك : لماذا تعيش في هذا الرعب والخوف من هذا الفتى الصغير ؟ وستنصك بما أنت فاعل : افتح خزائن أسلحتك وهب السلاح إلى كل الأمراء والرؤساء والحكام وكافة الجنود وأرسلهم لإحضاره لخدمتك والعمل تحت إمرتك .

وقبل الملك النصيحة المقدمة من الشيطان وأخذ بها فأرسل جيشاً مسلحاً لإحضار إبراهيم ، وحينما رأى الفتى الجيش يقترب منه سيطر عليه الخوف فانهمرت دموعه التي توسل من خلالها إلى الرب لمساعدته ، واستجاب الرب إلى دعائه فأرسل الملك جبريل إليه وقال له : لا تخف ولا تبتئس لأن الرب معك وسيخلصك من أيدي أعدائك . وأمر الرب جبريل بوضع سحب كثيفة شديدة السواد بين إبراهيم والمغيرين عليه ، وفر الجنود خائفين من هذه السحب الكثيفة عائدين إلى ملكهم نمروذ قائلين له : دعنا نغادر هذه المملكة . وهب الملك المال إلى أمرائه وخدمه الذين هربوا مع الملك إلى بابل^(٢٠) .

ظهور إبراهيم العلني

وقد أمر الرب إبراهيم من خلال الملك جبريل بقتيغ نمروذ إلى بابل فاعترض لأنه لم يكن مسلحاً على نحو جيد يمكنه من منازلة الملك غير أن الملك جبريل هداً من روعه بقوله : لست في حاجة إلى أية تدابير أو مؤن في الطريق فلن تمتطي جواداً ولست في حاجة إلى جنود لشن الحرب ضد نمروذ ، كما أنك لست في حاجة إلى عربات للقتال أو فرسان ، اجلس فقط على كتفي وسأحمك إلى بابل .

وفعل إبراهيم ما أمر به ، ووجد نفسه في طرفة عين أمام بوابات مدينة بابل^(٢١) ، وقد دخل المدينة بناءً على أمر الملك ودعا المقيمين بداخلها بصوت عال قائلاً :

إن الأبدى هو الرب الذى لا إله غيره ، إنه رب السموات ورب الأرباب ورب نمرود ،
واتعترفوا جميعاً أيها الرجال والنساء والأطفال بهذه الحقيقة . اعترفوا أيضاً بأننى
إبراهيم خادم الرب والخادم الأمين لبيته .

والتقى إبراهيم بوالديه فى بابل ، وشاهد أيضاً الملاك جبريل الذى أمره بإعلان
إيمانه الحقيقى أمام والده ووالدته ، ومن هنا حدثهم إبراهيم قائلًا : إنكما تعبدان
إنسانًا مثلكم وتعبدان صورة نمرود ، ألا تعلمان أن الفم الذى بهذه الصورة لا يتحدث
وأن عيونه لا ترى ، وأن أذانه لا تسمع . إن هذه الصورة لا تسير على قدمين ، وليست
هناك جنوى منها سواء لكما أو للآخرين ؟

وحينما سمع تيراج هذه الكلمات أقنع إبراهيم بأن يتبعه إلى البيت الذى أخبره به
ولده بكل ما حدث ، وكيف أمكنه قطع رحلة تستغرق أربعين يومًا فى يوم واحد . ومن
هنا توجه تيراج إلى نمرود وأخبره أن ولده إبراهيم ظهر فجأة فى بابل^(٢٢) ،
فاستدعى الملك إبراهيم الذى توجه إليه مع والده ، وقد مضى إبراهيم خلال طريقه إلى
القصر بالأمراء ونوى التفوذ حتى وصل إلى العرش الملكى فأمسك به وهزه صارخًا
بقوله : يا نمرود إنك حقير وقذر فإنك تنكر جوهر الإيمان والرب المتين العى إلى الأبد ،
وخادمه إبراهيم ؛ فأتى ورائى الكلمات التالية : إن الأبدى هو الرب الواحد الأحد الذى
لا شريك له ، إنه ليس بجسد ، ويمشى إلى الأبد ولا تأخذه سنة ولا نوم ، لقد خلق
العالم عسى البشر أن يؤمنوا به ، اعترف أيضاً بى وبتنى خادم الرب والخادم الأمين
لبيته^(٢٣) .

وبينما كان إبراهيم يردد دموته هذه بصوت عال سقطت الأصنام على وجوهها
وسقط معها أيضاً الملك نمرود^(٢٤) ، وقد سقط الملك جثة هامدة لساعتين ونصف حينما
دبت فيه الروح ثانية ذكر قائلًا : أكان هذا صوتك يا إبراهيم أم صوت الرب ؟ فأنجابه
إبراهيم بقوله: هذا الصوت هو صوت أقل الكائنات التى استدعاهما الرب . فقال نمرود :
حقا إن رب إبراهيم عظيم وقوى وهو ملك الملوك ، وأمر الملك نمرود تيراج بأخذ ابنه
والعودة إلى مدينته ، وفعل الأب والابن ما أمرهما الملك به^(٢٥) .

الداعى للإيمان الحق

وحيثما بلغ إبراهيم من العمر عشرين عاماً حل المرض بأنبيه تيراح الذى حدث ولديه " حاران " و" إبراهيم " قائلاً : أستطفلكما بحياتكما ولدى بيع هذين الصنمين لى فليس بمقدورى إنفاق المال اللازم للتوقية باحتياجاتنا . وقد نفذ حاران رغبة والده غير أنه حينما كان يدنو أى فرد من إبراهيم للتعرف منه على سعر الصنم كان يجيب : ثلاث عملات وكان إبراهيم يستفسر منه فى المقابل عن عمره وحينما كان الفرد يجيب أنه يبلغ من العمر ثلاثين عاماً فكان إبراهيم يجيبه : إنك تبلغ من العمر ثلاثين عاماً غير أنك ستعبد صنماً صنعته فقط اليوم . وكانت هذه الاجابة تدفع المشتري للرحيل ، وحينما كان يقترب من إبراهيم شخص آخر لشراء الصنم مستفسراً عن سعره كان إبراهيم يجيب : خمس عملات ويستفسر منه عن عمره فكان الشخص يجيب خمسين عاماً ومن هنا كان إبراهيم يجيبه وكيف تشتري هذا الصنم ؟

وأخذ إبراهيم فيما بعد الصنمين ووضع رباطاً حول عنقيهما وسحبهما على الطريق صارخاً بصوت جهورى : من ذا الذى سيشتري صنماً ليعبده وليست له جدوى سواء للمشتري أو للصنم ذاته . إن للصنم فماً غير أنه لا ينفطق ، وعيوناً غير أنها لا ترى ، وقدماً غير أنها لا تسير ، وأذاناً غير أنها لا تسمع .

وشعر كل من سمع كلمات إبراهيم بالدهشة من كلماته ، وبينما كان يقطع الشوارع التقى بامرأة عجوز اقتربت منه بفرض شراء صنم كبير وجميل ومحبوب فقال إبراهيم مندهشاً : امرأة عجوز تشتري صنماً ! إنى لا أرى فائدة من أية أهنام كبيرة أو صغيرة ، وأية جدوى عادت عليك من عبادة الصنم الكبير الذى اشتريته من أخى حاران ؟ فأجابته العجوز : اقتحم اللصوص منزلى فى المساء وسرقوه بينما كنت فى الحمام . فسألها إبراهيم : وإذا كان الوضع على هذا النحو فكيف تأمنين إلى صنم لا يمكنه حماية نفسه ؟ وكيف يمكنك القول بأن الصورة التى تعبدينها إله ؟ ولو كانت هذه الصورة إلهاً فلماذا لم يحم نفسه من أيدي اللصوص ؟ ليست هناك أية جدوى من الصنم سواء لنفسه أو لمن يخال به (٣٦) .

وواصلت العجوز حديثها قائلة : إذا كنت تنطق بالحقيقة فمن أعبد ؟ فأجابها إبراهيم : رب العالمين الذى خلق السموات والأرض والسماء وكل ما فيها ، اعبدى الرب الذى هو رب أرباب نمرود وتيراج ورب المشرق والمغرب والجنوب والشمال ، ومن هو نمرود ؟ إنه كلب يدعى أنه إله يستحق العبادة ؟

ونجح إبراهيم فى إيقاظ وعى المرأة العجوز التى أصبحت من أكثر الدعاة حماسة لعبادة الرب الحق ، ومن هنا أبادت الصنم الذى أرجعه اللصوص إليها وحطمته قطعاً صغيرة وانطلقت فى الطرقات صارخة : ليعبد رب إبراهيم كل من يبتغى إنقاذ روحه من الفناء ومن يبتغى أن تثمر أفعاله . وهكذا فقد أمن عدد كبير من الرجال والنساء بدعوتها .

ووصلت شائعات إلى الملك عن أقوال وأعمال المرأة العجوز فأرسل يستدعيها ، وحينما مثلت أمامه ويخها بشدة وسألها : كيف جرؤت على عبادة إله غيبي ؟ فأجابت العجوز : إنك تتنكر لصقيقة الإيمان فليس هناك إله سوى الرب الحق ، إنك مدين بحياتك له غير أنك تعبد غيره وتكره وتنكر تعاليمه وتجد عبده إبراهيم .

وكانت المرأة العجوز على وشك التضحية بحياتها من أجل دعوتها غير أن الخوف والرعب تمكنا من نمرود بعد أن تزايدت أعداد المرتبطين بتعاليم إبراهيم ، ولم يعرف الملك كيف يمكنه التعامل مع الشخص الذى كان يعمل على تقويض أسس المعتقد القديم ، فرتب بناءً على نصيحة الأمراء التابعين له حفلاً لسبعة أيام أمر خلاله الحضور بثيابهم الرسمية وحلبهم سواء من الفضة أو الذهب ، وتوقع الملك أنه يمكنه عبر هذه الحيلة إظهار مظاهر الثروة والقوة ويث الرب فى نفس إبراهيم وإعادته إلى حظيرة إيمان آبائه ، وكان نمرود قد وجه الدعوة إلى إبراهيم عبر أبيه " تيراج " فدعاه للحضور حتى تتسنى له فرصة مشاهدة عظمته وثرائه ومجده وأمرائه غير أن إبراهيم رفض الجلوس إلى الملك ، ومن جهة أخرى استجاب إبراهيم إلى رغبة والده الخاصة برعاية أصنامهم وأصنام الملك فى غيابه .

وبينما كان يجلس وحيداً بجوار الأصنام أخذ يردد : الأبدى هو الرب ، الأبدى هو الرب " فقام بإنزال الأصنام من عروشها واستهل تدميرها بقائمه ، وبدأ مهمة تحطيم

الأصنام بالكبر فأس وانتهى منها بأصغر فأس ، وقد بتر رجل أحد الأصنام وأطاح برأس صنم آخر وفقاً عين آخر^(٢٧) ، ويعد أن شوه الأصنام كافة وضع فأسه في أيدي أكبر الأصنام .

وحينما عاد الملك بعد انتهاء الحفل وجد أصدانه محطمة ومبعثرة فلما استفسر عن ارتكب هذا الأمر المشين أشارت أصابع الاتهام إلى إبراهيم فاستدعاه الملك وسأله عن دوافع ارتكاب هذا العمل فأجاب إبراهيم : لم أرتكب هذا الفعل ، وقد قام كبير الأصنام بتدمير باقي الأصنام ، ألا ترى أن الفأس لا يزال بيده ؟ وإذا لم تصدقني سله وسيجيبك .

في المحرقة

ووصل غضب الملك من إبراهيم إلى الذروة فأسر بالزج به في السجن وأمر الحراس بعدم مناقلته الخبز والماء^(٢٨) ، غير أن الرب سمع صلاة إبراهيم فأرسل جبريل إليه في زنزانته ، وأقام جبريل معه على مدى عام كامل أمده خلالها بكافة أنواع الأطعمة وينبع من الماء الصافي كان قد حفره أمامه ، وفي نهاية العام وقف مسئولو المملكة أمام الملك ونصحوه بإلقاء إبراهيم في النار حتى يؤمن البشر بنمروذ إلى الأبد . ومن هنا أصدر الملك مرسوما لكل رعاياه في كل أقاليمه من رجال ونساء وشباب وشيوخ كلفهم فيه بإحضار الخشب لمدة أربعين يوماً ووضعهم في محرقة عظيمة وإضرام النيران فيه^(٢٩) ، ووصلت ألسنة اللهب إلى السموات مما بث الرعب في نفوس الجميع ، وأمر الملك حارس السجن بإحضار إبراهيم وإلقائه في اللهب غير أن الحارس حرص على تذكير الملك أن إبراهيم لم يتناول طيلة عام كامل طعاماً أو شرباً ومن ثم فإن المنية وافته بالتأكيد غير أن نمروذ كلفه بالتوجه إلى السجن وإحضاره لإلقائه في المحرقة إذا كان حياً وحرقت جثته إذا كان قد توفي حتى يتم القضاء على نكراه إلى الأبد .

وحينما وصل الحارس إلى السجن ووجد إبراهيم حياً تملكته الدهشة فسأله : من كان يجلب إليك الطعام والشراب طيلة الأيام الماضية ؟ فجابته إبراهيم : وهبني الطعام

والشراب الرب الذى هو رب كل شىء وإله الالهة كافة ورب الأرباب الذى يقوم بالمعجزات
والذى هو رب نمرود وتيراج والعالم بأسره ، إنه يرتق الموجودات كافة بالطعام
والشراب ، إنه يرى غير أنه لا يرى ، إنه فى السموات ولكنه يوجد فى كل مكان فيراقب
ويرى كل شىء " .

وحيثما نجا إبراهيم من الجوع والعطش كان لهذه المعجزة أعظم الأثر فى إقناع
الحارس بحقيقة الرب ونبية إبراهيم ومن ثم أعلن إيمانه على الملأ ، ولم يكن لتهديد
الملك له بالموت إذا لم يتراجع عن معتقده الجديد والحقيقى أى جدوى ، وحيثما رفع
السياف سيفه ووضعه على رقبة لقتله هتف الحارس : إن الأبدى هو الرب رب العالم
بأسره ، ورب المجدف عليه نمرود . ولم يجد السياف فى قتله ، إذ كلما وُضع السياف
عليه كان يسقط متحطماً^(٣٠) .

ولم يحل كل ما حدث دون تراجع الملك عن غرضه ورغبته فى قتل إبراهيم حرماً
فأرسل أحد أمرائه لجلب إبراهيم ولكن عند قيام الأمير بمهمة إلقاء إبراهيم فى النيران
خرج اللهب من المحرقة واتهمه . وتم القيام بأكثر من محاولة لإلقاء إبراهيم فى
المحرقة وفشلت جميعها إذ كانت النيران تحرق كل من كان يقدم على إلقاء إبراهيم فى
المحرقة ، فلقى عدد كبير من أمراء نمرود حتفه ، وظهر الشيطان فى صورة آدمية
ونصح الملك بوضع إبراهيم فى منجنيق وإلقائه فى النيران ، مما يضمن عدم اقتراب
أحد من النار ، بل وصمم الشيطان بنفسه المنجنيق ، ويعد أن تأكد الجميع من كفاءة
المنجنيق وصلابته كبلوا أيدي إبراهيم وقدميه وكانوا على وشك وضعه فى النيران ،
وفى اللحظة ذاتها اقترب الشيطان الذى اتخذ صورة البشر من إبراهيم وقال : إذا كنت
تبتغى الخلاص من نيران نمرود اسجد أمام الملك وأمن به . غير أن إبراهيم رفض كل
محاولات الإغواء قائلاً : فليوبخك الرب أيها الدنس الحقيق الذى تجدف على الرب فتركه
الشيطان .

ثم أتت والدته إبراهيم وتوسلت إلى ابنها لعبادة نمرود لينجو من الخطر الوشيك
غير أنه قال : أمتى يمكن للماء إطفاء نيران نمرود غير أن نار الرب لن تухد إلى الأبد
فلا يستطيع الماء إطفاءها^(٣١) . وحيثما سمعت الأم هذه الكلمات قالت : لينقذك الرب
الذى تعبد من نيران نمرود " .

وتم وضع إبراهيم في نهاية الأمر في المنجنيق ، ورام ببصره صوب السموات قائلاً : ربى إلهى إنك ترى ما يعتزم هذا المذنب القيام به ضدى^(٣٣) . وكانت ثقة إبراهيم في الرب غير قابلة للاهتزاز . وحينما تلقت الملائكة الإذن الإلهى بإنقاذه ظهر الملاك جبريل أمامه وسأله : إبراهيم هل أنتذك من النيران ؟ فأجاب إبراهيم الرب الذى أثق به رب السموات والأرض سينقذنى . ولما رأى الرب مدى تسليم روح إبراهيم له أمر النار " كونى برداً واجلبى السلام لعبدى إبراهيم "^(٣٤) .

ولم تكن هناك حاجة للمياه لإطفاء النيران إذ أخرجت أخشاب الأشجار التى تم وضعها في المحرقة براعم ، وأثمرت كل منها حسب نوعها ، وتحولت المحرقة إلى حديقة ملكية جلست بها الملائكة بجوار إبراهيم ، وحينما شاهد الملك هذه المعجزة قال : إنه سحر عظيم . لقد عرفت أنه ليس للنار سلطان عليك ، كما أظهرت في الحين ذاته أنك تجلس في حديقة ملكية . غير أن أمراء نمرود تدخلوا جميعاً قائلين : لا ياسيدى . إن ما نراه ليس سحراً ، إننا نرى سلطة الإله العظيم، إله إبراهيم الذى ليس هناك إله غيره، ونعترف أنه هو الرب وأن إبراهيم عبده . وفي هذه اللحظة أمن كل الأمراء وكل البشر بالحق رب إبراهيم ، وصرخوا جميعاً : إن الرب هو إله السموات في العلا ، ورب الأرض ، وليس هناك إله غيره "^(٣٥) .

وكانت يد إبراهيم هي العليا ليس فقط على الملك الشرير نمرود وإنما على كل أتقيا عصره بمن فيهم نوح وسام وأبير وأشور^(٣٥) ، فلم يبد نوح على سبيل المثال أى اهتمام بنشر دعوة الإيمان بالإله واهتم في المقابل بزراعة حديقته وكان منغمساً في الملذات الحسية ، أما سام وأبير فقد عملا في الخفاء . وفيما يتعلق بأشور فقد قال : كيف يمكننى العيش بين هؤلاء المخطئين ؟ وهجر الأرض^(٣٦) . أما الوحيد الذى ظل ثابتاً على موقفه فكان إبراهيم الذى قال : إن أتخلى عن الرب ، ومن ثم لم يتخل الرب عنه خاصة بعد أن لم يستجب لدعوات أبيه أو أمه .

وكان هذا الخلاص المعجز لإبراهيم من نيران المحرقة فضلاً عن حظوظه اللاحقة تحقيقاً وتفسيراً لما كانت النجوم قد أخبرت به والده تيراج الذى رأى نجم " حاران " يحترق ويسيطر في الحين ذاته على العالم بأسره . وقد أصبحت دلالة هذه الرؤية شديدة الوضوح بعد توالى هذه المعجزات إذ كان " حاران " متردداً ومتذبذباً في إيمانه فلم يدر ما إذا كان عليه مناصرة إبراهيم أم عبدة الأصنام . وحينما كان يتم

إلقاء من يرفضون عبادة الأصنام في المحرقة كان حاران يحدث نفسه قائلاً : سيتم إلقاء إبراهيم قبلى في المحرقة وإذا نجا من هذه المحاكمة سننضم إلى ركبته. أما إذا حدث العكس فسأقف ضده . ويعد أن أنقذ الرب إبراهيم من الموت وحل الدور على "حاران" ليعلن حقيقة إيمانه أعلن تضامنه مع عقيدة إبراهيم غير أنه حينما دنا من المحرقة^(٣٧) أحاطت به النيران والتهمة لأنه كان مزعزع الإيمان بالرب ، وقد أحسن تيراج قراءة النجوم ومعرفة أسرارها إذ إن سارة^(٣٨) بنت حاران أصبحت زوجة إبراهيم وملا نسلها الأرض^(٣٩) ، وحقا فقد كان موت حاران مستحقا^(٤٠) .

وبعد أن وقعت كل هذه المعجزات من أجل إبراهيم والتي شهدها الملك والأمراء والعاملون لديه أتى الجميع إليه وسجدوا أمامه غير أن إبراهيم أمرهم " لا تسجدوا أمامي بل اسجدوا للرب سيد الكون الذي خلقكم . اعبدوه واسلكوا مسالكه لأنه هو الذي أنقذني من النيران وهو الذي خلق نفس وروح البشر وشكل الإنسان في رحم أمه وجلبه إلى العالم ، ويشفى من المرضى كل من يضعون ثقتهم به" .

وأذن الملك لإبراهيم بالانصراف ومنحه عند خروجه عدداً كبيراً من الهدايا القيمة اشتملت على عبيدين نشأ في القصر الملكي ، وكان أحدهما يدعى "أوجي" أما الآخر فكان يدعى إيلعازر ، وقد حذا الأمراء حذو الملك فوهبوا إبراهيم الفضة والذهب والأحجار الكريمة ، ولم يفرح إبراهيم بهذه الهدايا بقدر فرحته بمن اتبعوه وأمنوا بديانته والذين بلغ عددهم ثلاثمائة فرد .

هجرة إبراهيم إلى حاران

وتفرغ إبراهيم على مدى عامين لمهمته المختارة والمتمثلة في نشر الدعوة إلى الإيمان بالرب وتعاليمه في أوساط البشر^(٤١) ، ونعم في مهمته الخيرة بمساعدة زوجته سارة التي تزوجها في غضون هذه الفترة ، فبينما كان يعظ الرجال ويسعى إلى تشجيعهم على اعتناق دعوته تفرغت زوجته لمحابة النساء عن دعوة إبراهيم^(٤٢) ، وقد كانت خير رفيق لإبراهيم ، وحقا كانت قدراتها النبوية تفوق قدرة زوجها^(٤٣) ، ومن ثم كانت تدعى في بعض الأحيان باسم "الرائية"^(٤٤) .

ومع انتهاء العامين حدث أن حلم نمرود حلماً وجد فيه نفسه مع جنده على مقربة من محرقة اللهيب في الوادي الذي كان إبراهيم قد ألقى به ، وخرج رجل شبيه بإبراهيم من المحرقة واندفع صوب الملك شاهراً سيفه فجرى الملك خائفاً منه ، وألقى هذا الشخص صوب رأس نمرود بيضة خرج منها تيار ضخم أغرق كل جند نمرود ، ولم ينج سوى الملك وثلاثة من رجاله . وحينما فحص نمرود رفاقه لاحظ أنهم يرتدون ثياباً ملكية وأنهم يشبهونه في الشكل والمظهر . ورجع هذا السائل مرة أخرى ليأخذ شكل البيضة وخرجت منها فرخة طارت واستقرت على رأس الملك ونقرت إحدى عينيه .

وكان الملك مضطرباً في منامه فقام فرعاً وقلبه يخفق بشدة وكان صوته صوت الطبول ، وكان خوفه عظيماً . وحينما نهض من نومه في الصباح أرسل يستدعي حكماؤه والسحرة وقص عليهم حلمه ، فوقف الحكيم " أنوكو " وقال : اعلم أيها الملك أن الحلم يشير إلى المصيبة التي سيجلبها إبراهيم ونسله عليك ، وستحين اللحظة التي سيقوم فيها مع أتباعه بشن العرب على جندك وسيبيدونهم . وإن يهرب من الموت سواك وحلفائك الملوك الثلاثة غير أنك ستلقى لاحقاً مصرعك على يد واحد من نسل إبراهيم . اعلم أيها الملك أن مصيرك هذا قد تنبأ به حكماؤك عند مطالعتهم النجوم منذ اثنين وخمسين عاماً وعند ميلاد إبراهيم ، وطالما أن إبراهيم يعيش على هذه الأرض فلن تنعم أنت أو مملكتك بالاستقرار .

واقتنع نمرود كلية بكلمات الحكيم " أنوكو " وأرسل بعضاً من خدمه لمهاصرة إبراهيم وقتله . وقد حدث أن إليمازr العبد الذي كان إبراهيم قد حصل عليه كهدية من نمرود كان متواجداً في البلاط الملكي فأسرع إلى إبراهيم لإقناعه بالفرار قبل مجيء شرفاء الملك ، وقبل سيده نصيحته واحتمى بمنزل نوح وسام الذي تخفى به طيلة شهر ، وأخبر الضباط الملك أنه بالرغم من جهودهم الحثيثة فقد عجزوا عن العثور على إبراهيم ، ومن ثم لم يهتم الملك بالبحث عن إبراهيم .

وحينما زار " تيراج " ولده إبراهيم في مخبئه عرض إبراهيم عليه الرحيل عن الأرض والإقامة في كنعان للفرار من ملاحقات نمرود ، فقال : فلتفكر في أن نمرود لم يصدق عليك بالألقاب من أجلك وإنما لصالحه ، وإذا استمر في منحك أعضام الامتيازات

فإنها لا تعدو جميعها عن أشياء زائلة خاصة أن الثروات والممتلكات لا تجدى يوم الحكم الإلهي . والدي : أنصت إلى صوتي ، وانرحل عن أرض كنعان ونعبد الرب الذي خلقك حتى يكون لك حيث تكون .

وعمل نوح وسام على دعم مساعي إبراهيم في إقناع والده تيراج بالرحيل حتى استجاب لهما فارتحل مع إبراهيم وأوط بن حاران إلى بلدة حاران بكل ممتلكاتهم ، ووجدوا الأرض طيبة مثل أهلها الذين سرعان ما قبلوا نفوذ إبراهيم ، وأطاع عدد كبير منهم تعاليمه وأصبحوا أتقياء^(٤٥) .

وكان لقرار تيراج بالرحيل عن موطنه من أجل إبراهيم وإقامته في أراض غريبة وقيامه بهذا الأمر حتى قبل تلقى إبراهيم الأمر الإلهي أعظم الأثر في سماح الرب له برؤية ولده حاكماً لكل العالم ، وحينما حدثت المعجزة وأنجب الوالدان إسحاق وهما طاعنان في السن - توجه كل العالم إلى إبراهيم وسارة لمعرفة ما قاما به حتى تحققت لهما هذه المعجزة فقص إبراهيم على الجميع ما حدث بينه وبين نمرود ، وكيف كان مستعداً لأن يضحي بنفسه من أجل مجد الرب وكيف أن الرب أنقذه من نيران المحرقة . وقبل الجميع - إعجاباً وتقديراً لشخص إبراهيم وتعاليمه - تنصيبه ملكاً عليهم ، وحتى يتم تخليد مولد إسحاق المعجز فإن العملات التي سكها إبراهيم حملت على إحدى وجهيها صورة زوجين عجوزين وحملت على وجهها الآخر صورة زوجين صغيرين إذ إن إبراهيم وسارة عادا إلى شبابهما عند ميلاد إسحاق فقد أضفى شعر إبراهيم الأبيض أسود كما تلاشت التجاعيد التي كانت تعترى وجه سارة .

وماصر تيراج مجد ابنه سنوات طويلة إذ إن المنية وافته بعد أن بلغ إسحاق من العمر خمسة وثلاثين عاماً^(٤٦) وكان ثوابه عظيماً لما قام به من أعمال خيرة إذ قبل الرب توبته ، كما أنه دخل الجنة بعد وفاته ، ولم يدخل النار رغم أنه قضى الجزء الأكبر من حياته في الخطيئة ، وحقا فقد كان إبراهيم على وشك فقدان حياته على أيدي نمرود بسبب خطأ والده تيراج^(٤٧) .

النجم فى الشرق

وكان تيراج مستولاً ينعم بمكانة مرموقة فى بلاط نمرود ، فكان الملك وحاشيته يتعاملان معه بقدر كبير من الاهتمام ، وحينما أنجب طفلاً دعاه " أبرام " لأن الملك كان قد نصبه مكانة أكثر سمو . وفى ليلة ميلاد إبراهيم أتى منجمو وحكماء نمرود إلى منزل تيراج وتناولوا معه الطعام والشراب وابتهجوا معه تلك الليلة ، وحينما غادروا المنزل رنوا بأبصارهم صوب السماء لرؤية النجوم فشاهدوا نجماً عظيماً قادماً من الشرق عابراً السماء ، وقد ابتلع هذا النجم النجوم الواقعة فى الزوايا الأربع من السماء. وتملكتهم الدهشة جميعاً لما شاهدوه غير أنهم أدركوا ما حدث وعرفوا أهمية ما يشهدون فحدثوا بعضهم البعض قائلين : يدل ما شهدناه على أن الطفل الذى ولد لتيراج هذه الليلة سيكون عظيماً ومثمراً وسيملك كل الأرض هو وأبنائه إلى الأبد ، وسيقتل هو وأبنائه الملوك العظام وسيروثون أراضيتهم .

وذهبوا إلى منازلهم فى المساء ، واستيقظوا مبكرين واجتمعوا فى دار الاجتماع وتشاوروا قائلين : عجباً من ذاك المشهد الذى رأيناه البارحة والذى لازال خفياً على الملك ولم يطلع عليه ، والذى سيعرفه فى الأيام اللاحقة وسيسألنا لماذا أخفيتم هذا الأمر عني ؟ وعندئذ سنلقى حتفنا ، والآن فلنذهب لنخبر الملك بما شاهدناه ، وتفسيرنا لما رأينا. وتوجهوا إلى الملك وأخبروه بما شاهدوه وتفسيرهم له ونصحوه بالاهتمام بابن تيراج وقتل الرضيع .

فأرسل الملك يستدعى تيراج ، وحينما أتى حدثه قائلاً : جاءنى أنك رزقت بطفل ليلة أمس، وقد تراءت فى السماء عند مولده علامات معجزة ، أعطنى الطفل حتى نقتله قبل أن يمسه الشر ، وسأعطيكم بمنحك منزلاً مليئاً بالفضة والمجوهرات . وأجابه تيراج : إن الأمور التى تعدنى بها تشبه من وعد بطلاً بكم من الشعير شريطة أن يتم بتر رأسه فأجابه البطل : وأى نفع سيعود على من الشعير ومن سيتناوله بعد قتلى ؟ وعلى هذا النحو فما أنا فاعل بالفضة والذهب بعد وفاة ابنى ومن سيرثنى ؟ غير أنه حينما رأى تيراج مدى غضب الملك من كلماته أضاف : وإيفعل الملك ما يشاء مع عبده ، كما أن ابنى ملكه ، وإن أقايسه هو أو أخويه الأكبر منه .

ومع هذا فقد تحدث الملك قائلاً : سأشتري ابنك بثمن " فأجاب تيراج : مولاي
امنحنى ثلاثة أيام لتدبر الأمر والتشاور فيه مع عائلتي. ووافق الملك على هذا الشرط ،
وفى اليوم الثالث أبلغ الملك تيراج : أعطنى ابنك بثمن كما حدثك وإذا لم تستجب لأمرى
سأقتل كل من فى منزلك ، وسأمزقك .

وأخذ تيراج الولد الذى كانت قد ولدته القابلة ذلك اليوم وأحضره إلى الملك وأخذ
ما كان يستحقه منه ، وأخذ الملك الطفل وقذفه بعنف إلى الأرض متصوراً أن هذا الطفل
هو إبراهيم غير أن تيراج كان قد أخذ ابنه إبراهيم مع والدته ومرضعته وأخفاهما فى
كهف، وكان يوفر احتياجاتهم جميعها هناك مرة كل شهر كما كان الرب مع إبراهيم
فى الكهف الذى شب فيه إبراهيم غير أن الملك وخدمه تصوروا أن إبراهيم قد قتل .

وحينما بلغ إبراهيم من العمر عشرة أعوام ترك هو ووالدته وخدامته الكهف
خاصة أن الملك وخدمه كانوا قد نسوا جميعاً موضوع إبراهيم .

وفى ذلك الحين كان كافة قاطنى الأرض باستثناء نوح وآله لا يتوقفون عن معصية
الرب وأخذ كل فرد منهم ربه أو أربابه من الأخشاب أو الأحجار التى لا تتلف أو تسمع
أو تنفذ من الأسى ، وكان الملك وخدمه وتيراج وآل بيته أول من عبدوا أصناماً من
الأخشاب أو الحجارة ، فصنع تيراج اثنى عشر إلهاً ضخماً حتى يتواءم عددها مع
عدد شهور السنة ، وكان يعلى من شأن كل منها مرة كل شهر على التوالى^(٤٨) .

المؤمن الحق

وقد توجه إبراهيم ذات مرة إلى معبد الأصنام فى منزل والده لتقديم الأضاحى
لهم غير أنه وجد الصنم " ماروماث " الذى كان منحوتاً من الحجارة ساجداً على وجهه
أمام الإله " ناحور " المصنوع من الحديد ، وقد ثقل عليه حمل الصنم " ماروماث "
بمفرده فاستدعى والده لوضع الصنم فى مكانه ، وبينما كانا منشغلين بمهمتهما
سقطت رأس الصنم من مكانها فأخذ تيراج حجراً ونحت صنماً آخر ، واضعاً رأس
الصنم القديم على جسد الصنم الجديد الذى نحت ، واستمر تيراج فى مهمته وصنع
خمسة آلهة وسلمها جميعاً إلى إبراهيم وأمره ببيعها فى شوارع المدينة .

وامتطى إبراهيم حماره وتوجه إلى النزل الذى يتوقف فيه بعض التجار القادمين من مدينة " فاندانا " فى سوريا وهم فى طريقهم إلى مصر آملاً أن يضع بالنزل ما يحمله من أصنام ، وحينما وصل إلى النزل تجشأت إحدى جمال التجار مما أخاف حماره الذى فر خائفاً فكسر ثلاثة أصنام ، ولم يكتف التجار باقتناء صنمين من إبراهيم وإنما سدّدوا ثمن الأصنام المحطمة بعد أن أخبرهم أنه لا يمكنه العودة إلى والده بأموال أقل مما توقع أن يناله فى مقابل ما صنعه .

وجعل هذا الحادث إبراهيم يشعر بأنه ليست لهذه الأصنام قيمة فحدث نفسه قائلاً : ما هذه الشرور التى يرتكبها والدى ؟ ألا يعد والدى صانع هذه الآلهة فلا يمكن لهذه الآلهة الوجود دون نحتة وعناقه ؟ ألم يكن من الأحرى أن يعبدوه دون الأصنام وأن يدركوا أنها من صنع يديه ؟ وبينما كان مستغرقاً فى تأملاته وصل إلى المنزل وناول والده عند دخوله المبلغ الذى أخذه فى مقابل بيع الأصنام الخمسة ، فابتهج تيراج قائلاً فلتبارك ألهتى لأنك أحضرت لى ثمن الآلهة الخمسة وأن جهدى لم يذهب هباءً . غير أن إبراهيم أجابه : " انصت يا والدى .. إن ألهتك تتبارك من خلالك لأنك سيدها منذ أن شكلتها فبركتها هى الدمار كما أن عونها هو الفناء ، إنها لاتساعد نواتها فكيف يمكنها مساعدتك أو مباركتى ؟ " .

وانفجر تيراج غضباً من إبراهيم لتحديثه على هذا النحو ضد ألهته ، وأخذ إبراهيم يفكر فى غضب والده منه ، فتركه وغادر منزله غير أن تيراج رجاء أن يعود وحديثه قائلاً : اجمع رقائى خشب من أشجار البلوط التى كنت أصنع منها صوراً قبل عودتك وأعد لى طعام العشاء . واستعد إبراهيم لتنفيذ أمر والده وحينما أخذ رقائى الخشب وجد صنماً صغيراً نقش على جبهته اسم " الإله باريسات " ، وقد ألقى رقائى الخشب فى النيران ووضع " باريسات " بجوارها قائلاً : أصغ إلى واهتم يا باريسات بالآ تنطفئ النار حتى عودتى ، وإذا خفتت النار زدها اشتعالاً . وبعد أن أنهى حديثه غادر المكان ، وعند عودته وجد باريسات مستلقياً على ظهره ومحترقاً بشدة ، وضحك إبراهيم قائلاً : حقاً يا باريسات إنه بوسعك الإبقاء على النار مضمرة وإعداد الطعام . وبينما كان إبراهيم يهمس بهذا الحديث تحول الصنم إلى رماد .

وأخذ إبراهيم صحنين الطعام إلى والده ، فتناول والده الطعام واحتسى ما شرب وسعد وبارك إلهه "مارومات" غير أن إبراهيم قال لوالده : لا تبارك إلهك مارومات وبارك إلهك "باريسات" لأنه من فرط حبه لك ألقى نفسه فى النار حتى يتم إعداد وجبتك فصرخ "تيراج" متسائلاً : وأين هو الآن ؟ فنجابه إبراهيم : لقد أضحى رماداً فى لهيب النار : فنذكر "تيراج" "ما أعظم قدرة باريسات . سأصنع إلهاً آخر وسيصنع غداً الطعام لى" .

وبينما أثارت هذه الكلمات ضحك إبراهيم فقد أثارت فى نفسه إحساساً بالشجن لقسوة فؤاد أبيه فواصل حديثه موضعاً رأيته فى الأصنام فقال : والذى لا يهم أى صنم من الصنمين تبارك . إن سلوكك مشين لأن الأصنام الواقعة فى المعبد المقدس تستحق العبادة أكثر من صنمك فالصنم "زوكوس" الذى يعبدته أخى ناهور أكثر جلالاً من "مارومات" لأنه صنم من الذهب فضلاً عن أنه سيصبح من الممكن إعادة تشكيل هذا الصنم حينما يشيخ . غير أنه حينما يضعف إلهك "مارومات" ظن يصبح من الممكن تجديده لأنه صنم من الحجارة . كما أن الإله "يوؤف" الذى يسمو على سائر الآلهة مصنوع من الفضة كما أن البشر يدهنونونه بالزيت لإظهار عظمتهم . غير أن إلهك "باريسات" كان مدفوناً فى الأرض قبل أن تجعل منه إلهاً . والآن فإنه جاف وعمه الوهن . وقد وقع من عل إلى الأرض وانتقل من حالة الجلال إلى حالة يرثى لها ، كما أن وجهه أضفى شاحباً ناهيك بأن النار أحرقتة ولم يبق منه سوى الرماد ولم يعد له وجود . ومع هذا فتقول : سأصنع الآن إلهاً آخر وسيمد غداً أفضل الطعام لى . وواصل إبراهيم حديثه قائلاً : أبتاه إن النار تستحق أن تعبد أكثر من إلهتك المصنوعة من الذهب والفضة والخشب والحجارة لأن النار تحرقها جميعاً ، غير أن النار لا أدعوها رباً فبمقدور الماء إخمادها ، ولا أدعو الماء رباً لأن الأرض تمتصها ، والأرض أكثر جلالاً فبمقدورها قهر الماء غير أنى لا أدعو الأرض إلهاً لأن الشمس تصيبها بالجفاف . وأرى أن الشمس أكثر جلالاً من الأرض لأنها تضيء كل العالم بأشعتها . ولكننى لا أدعو الشمس رباً لأن ضوءها يختفى عند حلول الظلام ، ولا أدعو القمر والنجوم آلهة لأن ضوءها يختفى حينما يمضى الوقت المخصص لضوئها . والذى انصت إلى ما سأخبرك به .. إن الرب الذى خلق كل الأشياء هو الرب الحق ، فهو الذى

أضفى لون الحمرة على السموات وذلك اللون الذهبي الذي يكسو الشمس وهذا الضياء النابع من القمر والنجوم ، وهو الذي يجعل الأرض جافة في الوقت الذي تقع فيه وسط الماء ، كما أنه وضعت على الأرض ، وقد سعى الرب إلى حينما كانت هذه الأفكار تراوكني^(٤٩) .

محطم الأصنام

ومع هذا لم يقتنع تيراج بحديث إبراهيم ، وعند إجابته على سؤال إبراهيم بشأن خالق السموات والأرض وبني البشر فقد اصطحب تيراج ابنه إبراهيم إلى ساحة يوجد بها اثنا عشر صنماً وعدد كبير من الأصنام الصغيرة . وأشار تيراج إليها قائلاً : هذه هي الآلهة التي صنعت كل ما تراه على الأرض ، وخلقنتي وخلقتك وكل البشر . وسجد تيراج أمام آلهته وترك الساحة مع ولده .

وتوجه إبراهيم فيما بعد إلى والدته وحدثها قائلاً : انظري ! لقد أظهر والدي لي من صنعوا السموات والأرض وكافة بني البشر ولذلك أسرعى وأحضرتي جدياً من القطيع وأعدى لهماً لذيق المذاق حتى أقدمه إلى آلهة والدي عساي أن أنال رضاهم . ونفذت الأم رغبة ابنها ومع هذا فعينما قدم إبراهيم قريانه إلى الآلهة رأى أنها لا تتحدث ولا تسمع ولا تتحرك وأن أيا منها لم يعد يده لتناول الطعام ، وسخر إبراهيم منها قائلاً : " من المؤكد أن اللحم الذي أعددت لا يروق لكم أو أنه لا يكفيكم ، ولذلك سأعد لهماً طازجاً غداً ، وسيكون أفضل وأضخم مما أقدمه الآن حتى أرى ما يصدر عنكم " . غير أن الآلهة ظلت صامتة ولم تتحرك بعد حصولها على القران الثاني مثلما لم تتحرك بعد حصولها على القران الأول .

وحلت روح الرب على إبراهيم فهتف قائلاً : ويلى من والدي وجيله الفاسد الذي تصبوا قلوب أبنائه إلى الخيلاء والذي يعبد أبنائه أصناماً من الخشب والحجارة ، هذه الأصنام التي لا تاكل ولا تشرب ولا تشم ولا تسمع ولا تتحدث . إن أفواهها لا تتحدث وعيونها لا ترى وأذانها لا تسمع وأيديها لا تحس وأقدامها لا تتحرك .

وأخذ إبراهيم فيما بعد بلطة فى يده وحطم كل آلهة والده. وحينما انتهى من تحطيمها وضع البلطة فى يد أكبر الآلهة ومضى فى طريقه ، وحينما تنامى إلى سمع تيراج صوت تحطم البلطة على الحجر اندفع إلى ساحة الأصنام ، وقد وصلها فى اللحظة ذاتها التى كان إبراهيم يغادرها وحينما شاهد تيراج ما حدث اندفع فى أثر إبراهيم وقال : أى أذى ألحقت بآلهتى ؟ فتجابه إبراهيم : وضعت أمامهم لحماً طيب الطعم ، وحينما اقتربت منهم عسى أن يتناولوا الطعام مدوا أيديهم جميعاً لتناول اللحم قبل أن يمد كبيرهم يده لتناول اللحم ، وغضب هذا الإله الكبير منهم لسلوكهم المشين فأخذ البلطة وحطمهم ، انظر إن البلطة لا زالت فى يديه كما ترى .

واشتد غضب تيراج من إبراهيم فقال : إنك لا تحدثنى إلا بالكذب فهل توجد روح أو نفس أو طاقة فى هذه الآلهة للقيام بما تقول ؟ أليسوا مصنوعين من الخشب والحجارة ؟ ألم أصنعهم بيدي ؟ إنك الذى وضعت البلطة فى أيدي كبير الآلهة وتقول إنه هو الذى حطم سائر الأصنام . وأجاب إبراهيم والده قائلاً : وكيف إذا تعبد هذه الأصنام التى لا تملك أية طاقة للقيام بأى شئ ؟ هل يمكن لهذه الأصنام التى تثق فيها أن تخلصك ؟ وهل يمكنها سماع صلواتك التى ترفعها إليها ؟ ويعد أن تحدث إبراهيم على هذا النحو داعياً والده لإصلاح نهجه وتجنب عبادة الأصنام ففز أمام تيراج وأخذ البلطة من أيدي الصنم الكبير وحطمها وفر من أمام أبيه .

وتوجه تيراج إلى نمرود وسجد أمامه وتوسل إليه حتى يسمع قصته الخاصة بآبائه الذى أنجبه منذ خمسين عاماً وما فعله مع آلهتهم وكيف تحدث عنهم ، وقال تيراج للملك : سيدى وملكى استدعه ليمثل أمامك وأحكم عليه بما يقضى الشرع حتى نتخلص من شره . وحينما تم إحضار إبراهيم ليقف أمام الملك قص إبراهيم عليه القصة نفسها كما رواها لتيراج عن الإله الكبير الذى حطم الآلهة الأصغر غير أن الملك قال : إن الأصنام لا تتحدث ولا تأكل ولا تتحرك . وعندئذ وبخه إبراهيم لعبادة آلهة تعجز عن القيام بأى شئ وطالبه بعبادة إله الكون . وكانت أخر كلماته " إذا لم ينصت قلبك العاصى إلى كلماتى ولم تتخل عن السير على دروك الشريرة وتعبد الرب الأبدى فإنك ستموت فى نهاية أيامك وملوك الخزى ، وسيحل الخزى بشعبك وكل من معك الذين يستمعون إلى كلماتك ويسيروا على دروك الشريرة .

وأصدر الملك أمراً بالزج بإبراهيم في السجن ، وبعد مضي عشرة أيام على اعتقاله دعا كل الأمراء وعلية القوم بمملكته للمثول أمامه وعرض عليهم قضية إبراهيم ، فحكموا عليه بالإعدام حرقاً وبالتالي أوقد الملك ناراً لثلاثة أيام وليال بالحرقة في "كسديم" ، وتقرر حمل إبراهيم من سجنه إلى المحرقة .

وأتى كل سكان الأرض الذين كان عددهم تسعمائة ألف رجل وامرأة وطفل لمشاهدة ما سيحدث لإبراهيم ، وحينما جلب من سجنه تعرف عليه المنجمون في التو فقالوا للملك : إن هذا الرجل بالتأكيد هو من عرفناه صبياً والذي ابتلع النجم الكبير عند مولده النجوم الأربعة ، وتنبه إلى أن والده عصى أمرك وسخر منك لأنه جلب لك طفلاً أخر وقتلته . وكان تيراج شديد الخوف لأنه كان متخوفاً من غضب الملك فاعترف بأنه قد خدمه . وحينما حدثه الملك قائلاً : أخبرني من حثك على فعل ما قمت به ولا تخف شيئاً ، وعندئذ لن تموت ، فاتهم تيراج كذباً حاران الذي كان يبلغ من العمر عند ميلاد إبراهيم اثنين وثلاثين عاماً ، واتهمه بأنه هو الذي حثه على خداع الملك، وبموجب أمر الملك خلع إبراهيم وحاران ثيابهما باستثناء ملابسهما الداخلية وتم تكييل أيديهما وأقدامهما بقيود حديدية وتم إلحاقهما في المحرقة ، ونظراً لأن قلب حاران لم يكن يسلم كلية بمشيئة الرب فقد التهمته النيران، كما التهمت العرس الذين ألحقهما في المحرقة ، أما إبراهيم فقد أنقذه الرب ولم يحترق هذا بالرغم من احتراق القيود التي كان مكبلاً بها ، وقد سار إبراهيم طيلة ثلاثة أيام وليال في خضم النيران فتأذى الخدم إلى الملك قائلين له : لقد شاهدنا إبراهيم يسير بين النيران^(٥٠) .

ولم يصدقهم الملك للوهلة الأولى ومع هذا فلم يتوجه لمشاهدة ما يقصونه إلا بعد أن أكد عدد من أمرائه المخلصين ما ذكره الخدم فأمر الملك خدمه بأخذ إبراهيم من النيران غير أنهم عجزوا عن تنفيذ المهمة لأن نيران المحرقة اندفعت نحوهم ، وحينما حاولوا الاقتراب ثانية من المحرقة اندفعت نيرانها لتحرق وجوههم فلقى ثمانية منهم مصرعهم واستدعى الملك فيما بعد إبراهيم وقال له : يا عبد رب السموات اخرج من النيران وقف أمامي . فخرج إبراهيم من النيران ومثل أمام الملك ، وتحدث الملك قائلاً : كيف لم تحرقك النيران ؟ فلجأ إبراهيم : إن رب السموات والأرض الذي أثق به والذي يمسك كل الأشياء أنقذني من النيران التي ألقيتني فيها^(٥١) .

إبراهيم في كنعان

وتعرض إبراهيم إلى عشرة إغواءات غير أنه صمد في مواجهتها مظهرًا مدى حبه^(٥٢) وتمثل الاختبار الأول في رحيله عن وطنه . وكانت الصعوبات التي واجهها كثيرة وشديدة وعلاوة على هذا كان كارهاً للرحيل عن وطنه فتحدث إلى الرب قائلاً : ألن يتحدث البشر عنى بقولهم إنه يسعى إلى جلب كل الأمم تحت أجنحة الرب غير أنه تخلى عن والده العجوز في حاران وارتحل ؟ غير أن الرب أجابه : ذلك من التفكير في والدك وعشائرك ورغم أن أفواههم تتحدث بالود إلا أنهم لا يجتمعون إلا على تدميرك^(٥٣) .

وترك إبراهيم والده في حاران وارتحل إلى كنعان واصطحبته خلال رحلته بركة الرب الذي قال له : سأجعل منك أمة عظيمة وسأباركك وسأجعل اسمك عظيماً . وقد قدر لهذه المباركات الثلاث مواجهة الشرور التي تخوف إبراهيم من أن يتعرض لها عقب هجرته خاصة أن ترحاله من مكان إلى آخر كان يعنى وقف نمو عائلته والتقليل من كينونة المرء واعتباره^(٥٤) . وكانت أهم بركة تمتع بها إبراهيم هي كلمة الرب " ستكون مباركاً " ، وكانت هذه العبارة تعنى أن كل من سيكون على صلة بإبراهيم سيصبح مباركاً ، بل إن البحارة أصبحوا مدينين له برحلاتهم المثمرة^(٥٥) . وعلاوة على هذا صان الرب وعده بأن اسم إبراهيم سيذكر في حينه في الابتهالات وأن الرب سيتم تمجيده بوصفه درة إبراهيم ، هذا التمييز الذي لم يمنح لأى كائن فان إلا لداود^(٥٦) غير أن كلمات " ستكون مباركاً " مستتحقق في الآخرة فقط أى حينما يعرف نسل إبراهيم من بين الأمم باسم النسل الذي باركه الرب^(٥٧) .

وحينما تلقى إبراهيم فى البداية الأمر الإلهى بالرحيل من وطنه لم يخبر إلى أى أرض سيرتحل غير أن أعظم ما تاق إليه كان تنفيذ أمر الرب^(٥٨) وأظهر إبراهيم ثقته فى الرب عند قوله : إبنى مستعد للذهاب أينما ترسلنى . وأمره الرب عندئذ بالذهاب إلى الأرض التى سيتجلى فيها له ، وحينما ذهب إلى كنعان التى تجلى فيها الرب له علم لحظتها أنها أرض المعاد^(٥٩) .

وعند دخوله كنعان لم يعلم أنها الأرض المخصصة لنسله ومع هذا فقد ابتهج عند وصوله إليها ، وحينما كان إبراهيم يشاهد قومه في أرض الرافدين وأرام يأكلون ويشربون ويعملون على تلبية شهواتهم فقط كان يقول : ليت قومي لا ينشئون في هذه الأرض . غير أنه لاحظ عند دخوله كنعان أن سكانها يعملون جادين في زراعة أراضيهم فقال : ليت نسلي يكون من سكان هذه الأرض . وحدثه الرب عندئذ قائلاً : سأهب نسلك هذه الأرض^(٦٠) . وسعد إبراهيم بهذه العهود المبهجة فأقام مذبحاً للرب ليشكره على هذا الوعد وارتحل فيما بعد جنوباً صوب البقعة التي تأسس فيما بعد عليها الهيكل ، وأسس في الخليل ثانياً مذبحاً وفرض سيطرته على هذه المنطقة ، كما أسس مذبحاً في منطقة " عاي " لأنه تنبأ أن كارثة ستحل بنسله في هذه المنطقة عند غزو يشوع لها . وكان يأمل أن يصرف المذبح النتائج الوخيمة التي قد تحل .

وكان كل مذبح يقيمه يتحول إلى مركز لأنشطته كداعية ، وحينما يصل إلى أي مكان يبتغي الرحيل إليه كان ينصب خيمة لاسارة أولاً وانفسه فيما بعد ثم يهدي قوم المكان لعبادة الرب ، وهكذا أنجز مهمة اعتراف كل البشر بالرب^(٦١) .

وكان إبراهيم في هذا العمر لا يعدو كونه غريباً في أرض المعاد ، وبعد أن تم تقسيم الأرض على أبناء نوح وبعد أن أخذ كل منهم نصيبه فقد حدث أن كنعان بن حام ارتأب في المنطقة الممتدة من لبنان حتى نهر مصر رافضاً الإقامة في المنطقة المخصصة له غربي البحر وأقام في المنطقة المطلة على لبنان وشرقي وغربي حدود الأردن وحدود البحر ، أما حام وأبوه وإخوته " كوش " و " ميتسريم " فقد حدثوه قائلين : إنك تعيش في أرض ليست لك لأنه تم تخصيصها لنا بعد أن تم توزيعها ، أما إذا تمسكت فستكون أنت ونسلك ملعونين في أرض العصيان ، لقد أقمت هنا على نحو عاموس وستعرض أبنائك للعصيان وستعرض نسلك للإبادة ، ولا ترتحل إلى أرض سام لأن هذه الأرض مخصصة لسام ونسله ، و ملعون أنت وستكون ملعوناً أمام كل أبناء نوح بسبب اللعنة التي حلت عليك لأننا أقمنا على هذا التقسيم أمام القاضي المقدس وأمام أبنينا نوح .

غير أن نوحاً لم يستمع إلى كلمات أبيه وإخوانه فأقام هو وأبنائه^(٦٢) في أرض لبنان من حمص حتى مدخل مصر . وبالرغم من أن الكنعانيين استولوا - على نحو غير شرعي - على الأرض فقد احترم إبراهيم حقوقهم فزود جمالهم بالكمامات حتى يمنعهم من الرعي في أراضي الآخرين^(٦٣) .

ترحاله فى مصر

ويمكن إبراهيم بصعوبة بالغة من الإقامة فى كنعان التى تعرضت آنذاك لمجاعة بالغة القسوة ، وكانت واحدة من المجاعات العشر المخصصة لعقاب البشر ، وقد حلت المجاعة الأولى فى عهد آدم أى حينما لعن الرب الأرض بسببه ، وحلت المجاعة الثانية فى عهد إبراهيم ، وأجبرت المجاعة الثالثة إسحاق على الإقامة بين الفلسطينيين ، وقد أجبر دمار المجاعة الرابعة بنى يعقوب على النزول إلى مصر لشراء الحبوب ، وحلت المجاعة الخامسة فى عهد القضاة مما اضطر إيليميلخ وعشيرته للإقامة فى أرض موآب ، وحدثت المجاعة السادسة خلال عهد الملك داود ودامت ثلاث سنوات . وحدثت المجاعة السابعة فى عهد إيليا الذى أقسم بعدم هبوط المطر أو الطل على الأرض ، ووقعت المجاعة الثامنة فى عهد إليشع حينما تم بيع رأس حمار لاقتناء ثمانين قطعة من الفضة ، وتحل المجاعة التاسعة على البشر على نحو تدريجى من عصر إلى عصر ، أما العاشرة فستكون بلاءً على البشر وستحل قبل مجئ المسيح المخلص ، ولن يجوع البشر خلالها إلى الخبز أو الماء وإنما لكلمات الرب^(٦٤) .

وسادت المجاعة التى وقعت فى عهد إبراهيم فى كنعان فقط ، ونزلت بالأرض لتختبر إيمانه ، وصمد فى مواجهة هذا الإغواء مثملاً صمد فى مواجهة الإغواء الأول فلم يُظهر أية علامة من علامات نقاد الصبر تجاه الرب الذى كان قد أمره بالرحيل إلى أرض المجاعة^(٦٥) وأجبرته المجاعة على مغادرة كنعان لفترة والتوجه إلى مصر التى تعرف فيها على حكمة الكهان والتى عمل فيها على تعليمهم الحقيقة عند الضرورة^(٦٦) .

ولاحظ إبراهيم خلال رحلته من كنعان إلى مصر مدى جمال سارة فلم يكن - ولفرط طهارته - قد مل النظر إليها غير أنهما بينما كانا يفوضان غمار الماء خلال رحلتها شاهد جمال قسمات وجهها فى الماء فقد كان جمالها مشعاً كالشمس^(٦٧) ، ولذلك حدثها قائلاً : إن المصريين حسيون للغاية ولهذا سأضعك فى تابوت حتى لا أتعرض بسببك إلى أى ضرر . وعند تخوم مصر سأله جامع الضرائب عما يحتويه التابوت فأخبره إبراهيم إنه يحتوى على شعير فاحتج الحرس بقولهم : إنه يحتوى على قمح .

فأنجاب إبراهيم : حسناً إنى مستعد لنفخ الضريبة على القمح . فقال الحرس : إنه يحتوى بلا شك على كمون . فوافق إبراهيم على دفع الضريبة المقررة . وحينما اتهموه بإخفاء ذهب فى التابوت وافق إبراهيم على تسديد الضريبة المفروضة على الذهب والأحجار الكريمة .

وحينما رأى الحرس أنه لا يعترض على أى اتهام رغم ارتفاع تكلفته سرت روح الشك فى نفوسهم فأصروا على فحص محتويات التابوت ، وعند فتحهم للصندوق عنوة ازدانت كل مصر بجمال سارة فأصبحت كل جميلات مصر أشبه بالقردة مقارنة بها ، وفاق جمالها جمال حواء^(٦٨) . ودخل خدم فرعون فى مزاد فى مواجهة بعضهم البعض للفوز بجمال سارة هذا بالرغم من اتفاقهم على أنه ليس من الممكن أن يكون مثل هذا الجمال المشع حكراً على فرد ، وأخبروا الملك بهذا الموضوع^(٦٩) فأرسل الفرعون قوة مسلحة لإحضار سارة إلى القصر^(٧٠) . وقد فتن فرعون بجمالها فأمر خدمه بحمل الهدايا إليها^(٧١) ، وفاضت دموع إبراهيم ورفع صلواته إلى الرب متوسلاً بقوله : هل هذا ما أثاب به لثقتى فيك ؟ ومن أجل كرمك وحبك لا تجعل من أمالى وبإلى^(٧٢) . وتوسلت سارة إلى الرب أيضاً بقولها : ربى أمرت زوجى بالرحيل عن وطنه وأرض آبائه والتوجه إلى كنعان كما وعدته بأن تجزله له العطاء إذا نفذ وصاياك ، وقد فعلنا الآن ما أمرتنا به ، وتركنا وطننا وأبناءنا وارتحلنا إلى أرض غريبة ، ونزلنا بين قوم ليس لنا عهد بهم ، أتينا إلى هنا لإنقاذ قومنا من المجاعة غير أن الكارثة تحل الآن بنا . رب أغثنى وأنقذنى من أيدي هذا العدو وأظهر لى بفضل رحمتك الخير .

وظهر الملاك لسارة بينما كانت تقف بين يدي الملك الذى لم يره ، وأمرها الملاك بالتحلى بالشجاعة بقوله : لا تخافى ياسارة فقد سمع الرب صلواتك . واستفسر الملك من سارة عن أنت فى صحبته إلى مصر فنكرت سارة أنه إبراهيم أخوها . وتعهد الملك بأن يجعل إبراهيم عظيماً وقوياً وأن يصنع له كل ما تبتغيه سارة . فأرسل إليه قدراً كبيراً من الذهب والفضة ووهبه ماساً ولؤلؤاً وأغناماً وثيراناً وعبيداً وإماءً وخصص له مكاناً للإقامة داخل القصر الملكى^(٧٣) . ومن فرط محبته تزوج سارة وكتب عقد زواج لها ووهبها الذهب والفضة والعبيد والإماء فضلاً عن مقاطعة " جوشين " التى احتلها نسل سارة فيما بعد . وكان من أبرز ما قدمه لها ابنته هاجر التى قدمها لها كأمة إذ فضل أن تكون ابنته أمة لسارة عن أن تكون أمة فى أى مكان آخر^(٧٤) .

ولم يجد كل هذا الكرم فحينما اقترب فى المساء من سارة ظهر ملاك الرب وفى يده عصا ، وحينما كان الفرعون يلمس حذاء سارة لمساعدتها فى خلعها كان الملك يعصف بالفرعون ، وحينما اقترب من ثوبها عصف به ثانية وكان الملك يسأل سارة كل مرة عما إذا كان من الممكن أن تدعه يسدد ضرباته إلى الفرعون وكان يفعل كل ما كانت تأمره به .

أما المعجزة الثانية التى حدثت فكانت أن داء الجزام أصاب الفرعون ونبلاءه وخدمه وجدران منزله ومضجعه فلم يمكنه تحقيق رغباته الشهوانية^(٧٥) ، وكانت الليلة التى عانى فيها فرعون وحاشيته من العقاب الذى يستحقونه هى ليلة الخامس عشر من شهر نيسان أى الليلة نفسها التى عاقب فيها الرب فيما بعد المصريين لتخليص بنى إسرائيل نسل سارة^(٧٦) .

وأحس فرعون بالرعب من الوياء الذى حل به فاستفسر من الكهنة عن كيفية التخلص من هذا الداء فاطلعهوه أن سارة هى العلة الحقيقية لهذا الداء الذى حل به فاستدعى إبراهيم وأعاد إليه زوجته طاهرة دون أن يمسه أحد واعتذر له عما حدث قائلاً : إنه كان ينوى الارتباط بها متصوراً أنه شقيق سارة^(٧٧) بل وهب هدايا قيمة للزوج وزوجته اللذين ارتحلا إلى كنعان بعد أن قضيا ثلاثة شهور فى مصر^(٧٨) . وعند وصولهما كنعان توجهوا إلى المؤبى نفسه الذى أقام فيه من قبل حتى يقدم مثلاً مفاده أنه ليس من المناسب أن يبحث المرء عن مقر جديد لإقامته إلا إذا اضطر إلى هذا^(٧٩) .

وكانت إقامة إبراهيم المؤقتة فى مصر على قدر كبير من الأهمية لقاطنى هذا البلد لأنها أظهرت لحكام هذه الأرض تفاهة وعبث رؤاهم ، كما أن إبراهيم علمهم على الفلك والتنجيم اللذين لم يكونا معروفين لهم قبل عصره^(٨٠) .

الفرعون الأول

وكان الحاكم المصرى - الذى كان لقاؤه مع إبراهيم عليم الجبوى - أول من حمل اسم فرعون ، وعرف الملوك اللاحقون بهذا الاسم . وترتبط نشأة هذا الاسم بحياة

ومغامرات " راكيون " المعدم الذي كان على قدر كبير من الحكمة ، وعاش " راكيون " في " شنعار " وحينما وجد أنه ليس بمقدوره الإقامة في شنعار قرر الرحيل إلى مصر حيث توقع أن يظهر فيها حكمته أمام الملك " أشويروش بن عنام " ، وتوجه إلى مصر عسى أن يحظى بإعجاب الملك وأن يوفر له فرصة العيش وأن يكون عظيماً . وحينما دخل مصر أدرك أنه من عادات سكان هذا البلد بقاء الملك في قصره بعيداً عن أعين الشعب ، وكان يظهر مرة واحدة في السنة يتلقى خلالها الشكاوى ، ولم يعرف " راكيون " الذي كان قد ملأه الإحساس بخيبة الأمل كيف يمكنه توفير قوته في البلد الغريب مما اضطره لقضاء الليل في الخرائب متحملاً قسوة الجوع . وقرر في اليوم التالي الاشتغال في بيع الخضراوات فالتقى بالصدفة ببعض المشتغلين بالخضراوات غير أنه - ولعدم معرفته بعادات البلد - لم يكن حظه وقيراً في مهمته بل وهاجمه بعض الأفراد المتوحشين وسرقوا منه أنواته وجعلوه أضحوكة للجميع ، وفي الليلة التالية - التي اضطر لقضاؤها في الخرائب - اختمرت خطة حكيمة في ذهنه فنهض وجمع ثلاثين فرداً لا يجمعهم سوى حب الشهوات وأخذهم إلى منطقة الجبانات وكلفهم باسم الملك بجمع مائتي قطعة من الفضة عند دفن أى فرد وإلا فلن يتم الدفن ، ونجح على هذا النحو في تحقيق قدر كبير من الثروة في ثمانية شهور ، ولم يجمع خلال هذه المدة الفضة والذهب والأحجار الكريمة فحسب وإنما حصل على قدر كبير من القوة والنفوذ .

وحينما ظهر الملك في اليوم المخصص لظهوره أمام الشعب قدموا له شكاوهم من الضريبة التي فرضت على دفن الموتى فقالوا : ماذا تنزل بمبيدك ؟ إنك لا تسمح لأحد بدفن موتاه إلا بعد أن يسدد لك ما تطلبه من فضة وذهب . أحدث مثل هذا الأمر في العالم منذ عهد آدم ؟ أحدث أنه لم يتم دفن الموتى إلا بعد تسديد المال ؟ إننا نعلم أنه يحق للملك جباية الضريبة من الأحياء غير أنك تتخذ الجزية من الموتى أيضاً وتتخذ هذا الأمر يومياً ، أيها الملك لم يعد بمقدورنا تحمل هذا الأمر لأن المدينة ستعرض على هذا النحو للدمار .

وثار الملك ثورة عارمة بعد أن أطلعه الشعب على حقيقة أعمال راكيون فأمر الملك بإحضاره وقوته المسلحة للمثول أمامه ، ولم يأت " راكيون " خاوي الوفاض إذ سبقه

فى السىر آلاف الشىباب والعذارى الذين كانوا يمتطون الجىاد ويسىرون على نحو منظم، وكان كل هؤلاء هدية إلى الملك . وحينما مثل " راكيون " أمام الملك سلمه كميات كبيرة من الذهب والفضة والمجوهرات وزاد عليها بأن أعطاه فرسا عظيما . وكان لهذه العطايا ومظهرها الفخيم أكبر الأثر فى نفس الملك ، وحينما وصف راكيون بكلمات منتقاة ولسان معسول ما فعله لم ينجح فى استمالة الملك فحسب وإنما نجح فى استمالة كل الحاشية فحدثه الملك قائلا : لن تسمى فيما بعد راكيون المعدم وإنما ستسمى فرعون لأنك تحصل الضرائب من الموتى .

وكان تأثير راكيون ضخما للغاية ومن هنا قرر الملك والنبلاء والشعب مجتمعين وضع شئون المملكة فى أيدي فرعون . وعمل فرعون تحت إشراف " أشويروش " على تطبيق القانون والعدالة طيلة العام ، وكان الملك يصدر أحكامه فى اليوم الذى كان يظهر فيه ، وتمكن فرعون من خلال السلطة التى وهبت له وبعض الممارسات التأمرية من اغتصاب السلطة الملكية وجمع الضرائب من كل سكان مصر ومع هذا أحبه الشعب وتقرر أن يحمل كل حاكم لمصر لقب فرعون^(٨١) .

حرب الملوك

وعند عودة إبراهيم من مصر تعرضت علاقاته مع عائلته لبعض الظروف المزعجة فتطور النزاع بين رعاة قطيعه وبين رعاة قطيع لوط ، وكان إبراهيم قد زود قطيعه بكمامات غير أن لوطاً لم يتخذ هذه الخطوة ، وحينما قام الرعاة الذين تولوا قيادة قطيع إبراهيم بأخذ رعاة قطيع لوط فى إحدى المهام فقد أجابوا : من المعروف بالتأكيد أن الرب أخبر إبراهيم : لنسلك سأعطى الأرض ، غير أن إبراهيم عقيم وإن يكون له نسل ، وسيموت غداً وسيخلفه لوط ، ومن هنا فإن قطيع لوط يستهلك ما يخصه لا ما يخص سيدهم . فذكر الرب : حقا لقد أخبرت إبراهيم " سأعطى الأرض لنسلك ولكن بعد أن تتم إبادة سبعة الأمم من على وجه الأرض . ويقطنها حالياً الكنعانيون والبيريزيون . ولهم حق الإقامة فيها " .

ويعد أن امتد النزاع من الخدم إلى السادة ويعد أن قشل إبراهيم في دعوة ابن أخيه لوط لتقويم سلوكه فقد قرر إبراهيم الرحيل عن قومه رغم أنه كان يتعين عليه إجبار لوط على الإذعان إليه بالقوة ، ومن هنا فلم ينفصل لوط عن إبراهيم فحسب وإنما عن إله إبراهيم أيضاً ، وذهب لوط إلى منطقة كان فيها للانحلال والرذيلة السطوة ، هذه المنطقة التي حل فيها عليه العقاب بعد أن ملغت عليه رغباته ودفعت له للرذيلة .

ولم يطمئن الرب لعدم عيش إبراهيم في وثام مع أهله واعتزاله العالم ، ومن جهة أخرى فقد استاء الرب من قبول إبراهيم ضمناً للوط كوريثه ، هذا بالرغم من أنه قد وعده بكلمات بينات : لنسلك سأعطى هذه الأرض . ويعد أن انفصل إبراهيم عن لوط تلقى ثانياً وعداً بأن كنعان ستصبح لنسله الذي سيكثره الرب كرمل الشيطان - وكما يملأ الرمل الأرض فإن نسل إبراهيم سينتشر في الأرض من أقصاها إلى أبنائها ، وكما أن الأرض تها حينما تحل عليها المياه فإن نسله سيحيا بالتوراة التي تشبه الماء ، وكما أن الأرض تحتل أكثر مما تحتل المعادن فإن نسله سيحيا إلى الأبد في حين أن عبدة الأصنام سيتمرضون للفناء ، وكما أن الأرض ممهدة فإن نسله سيعيشون في ظل الممالك الأربعة^(٨٣) .

وكان لرحيل لوط تبعات وخيمة إذ إن الحرب التي شنها إبراهيم ضد الملوك الأربعة كانت شديدة الارتباط برحيل لوط ، وكان لوط يبتغي الإقامة في المنطقة وفيرة المياه بالأردن غير أن المدينة الوحيدة بالنسبة التي قبلته كانت سدوم التي قبل ملكها ابن أخ إبراهيم دون النظر إلى موقف إبراهيم^(٨٣) . وكان الملوك الخمسة الأشرار قد خططوا لشن الحرب على سدوم بسبب لوط ومهاجمة إبراهيم فيما بعد^(٨٤) . وكان نمرود العدو اللدود لإبراهيم أحد هؤلاء الملوك ، وكان السبب المباشر للحرب أن تشيدورلاومير^(٨٥) الذي كان أحد قادة جيش نمرود تمرد على الملك بعد أن تشنت بناء البرج ونصب نفسه حاكماً على " عيلام " ثم استعبد القبائل الحامية المقيمة في المدن الخمسة بسهل الأردن وأجبرها على دفع الجزية ، وقد ظلت هذه القبائل على وفائها لحاكم " عيلام " طيلة اثني عشر عاماً غير أنها رفضت - فيما بعد - تسديد الجزية ودام تمردا ثلاثة عشر عاماً ، ويعد أن أصيب هذا الحاكم بالخرى تزعم نمرود

سبعة آلاف جندي ضد قائده السابق ، وقد لقي نمرود في المعركة التي نشبت بين " عيلام " و " شنعار " هزيمة ساحقة إذ فقد ستمائة جندي من قواته ، وكان من بين قتلاه " ماربون " ابن الملك . وقد عاد ذليلاً ومهاناً إلى بلده مما اضطره إلى الاعتراف بسيادة " شيدورلاومير " الذي شكل تحالفاً مع " أريوخ " ملك " اليسار " و " تيدال " الذي كان ملكاً لعدة أمم ، هذا التحالف الذي كان الغرض منه سحق مدن الأردن . وتقدمت القوات الموحدة لهؤلاء الملوك والبالغ قوامها ثمانمائة ألف صوب المدن الخمسة مخضعة كل ما كانت تواجه في طريقها^(٨٥) ومدمرة نسل العماليق ، وسقطت في أيدي هذه القوات الأماكن المحصنة وكافة المدن^(٨٦) . وواصلت هذه القوات المسير عبر الصحراء حتى وصلت إلى نبع الماء المتدفق من الصخرة الواقعة في " كاديش " أي البقعة التي خصصها الرب ليعلم فيها حكمه ضد موسى وهارون لما نشب بينهما من خلاف على المياه ، وتقدمت هذه القوات فيما بعد إلى المنطقة المركزية في فلسطين التي تكثر بها أشجار التمر ولاقت هذه القوات هناك جيوش الملوك الخمسة الكفرة وهم : الفذل بيررا ملك سدوم ، والمذنب بيرشا ملك جومورا ، والحاقد شيناب ملك أدماه ، والشهواني " شيمبر " ملك زيبونيم ، وملاك بيللا - المدينة التي تاكل أبناءها - ولقي الملوك الخمسة هزيمة نكراء في وادي " سيديم " المثمر ، وفي تلك القنوات التي شكلت فيما بعد البحر الميت ، وقد فرت فلول القوات المنهزمة إلى الجبال ، أما الملوك فقد جمدوا في أماكنهم ، ولم ينج سوى ملك سدوم الذي بقي حتى يهدى من لم يؤمنوا إلى الإيمان بالرب ، هؤلاء الذين لم يؤمنوا بقدرة الرب على إنقاذ إبراهيم من المحرقة^(٨٧) .

وقد سلب الغزاة سدوم من كل البضائع والمؤن وأخذوا لوطاً متباهين بقولهم : لقد أخذنا ابن أخ إبراهيم أسيراً بغرض إخفاء الهدف الحقيقي لأنشطته المتمثلة في إلحاق الأذى بإبراهيم^(٨٨) .

وفي الليلة الأولى من مساء عيد الفصح وبينما كان إبراهيم يتناول فطيرة العيد اللدنة^(٨٩) أتاه كبير الملائكة ميخائيل وحنن عن أسر لوط ، ويعرف هذا الملاك باسم " باليت " أي الفأر ، وعُرف بهذا الاسم لأنه حينما طرد الرب " سامائيل " وجنده من مكانهم المقدس بالسماء أمسك الزعيم المتمرد بميخائيل محاولاً جذبته إلى أسفل غير أن ميخائيل لم ينج من السقوط إلا بفضل مساعدة الرب^(٩٠) .

وحيثما أتت إبراهيم أخبار سوء أحوال ابن أخيه نبذ في الحال شقيقه مع لوط ولم يفكر إلا في طرق ووسائل الخلاص^(٩١) . وجمع في هذا الحين أتباعه الذين علمهم الإيمان الحق والذين عرفوا جميعهم باسم إبراهيم^(٩٢) . وأعطاهم إبراهيم ذهباً وفضة قائلًا لهم : لتعلموا أننا ذاهبون إلى حرب لإنقاذ أرواح بشرية . ولذلك لا تصرفوا أنظاركم إلى الغنائم إذ يوجد أمامكم الذهب والفضة . وعلاوة على هذا حثهم قائلًا : إننا نعد العدة للذهاب إلى الحرب وإن يلحق بركبتنا من ارتكب إثماً ومن يخشى حلول العقاب الإلهي عليه . ولم يتبق مع إبراهيم سوى إيلعازر فقال الرب : لقد تخلى الجميع عنك سوى إيلعازر وسيكون في قوة هؤلاء الذين سعيت للحصول على دعمهم عبثاً والذين كان يبلغ عددهم ثلاثمائة وثمانية عشر فرداً^(٩٣) .

وقد دارت رحى هذه الحرب مع جيوش الملوك القوية والتي خرج منها إبراهيم منتصراً في الخامس عشر من شهر نيسان ، أي في الليلة التي تحدث فيها المعجزات^(٩٤) ، وكان من بين هذه المعجزات أن السهام والحجارة التي صُوِّت نحوه لم يكن لها أي تأثير^(٩٥) في حين أن الرمال وعصف وجذام الأرض التي ألحها إبراهيم على العدو تحولت إلى سهام مميتة^(٩٦) ، وفي نهاية المعركة جلس إبراهيم الذي كان طوله يفوق طول سبعين فرداً مجتمعين وطلب طعاماً وشراباً يكفي سبعين فرداً ثم تقدم بخطوات واسعة فكان يقطع في كل خطوة أربعة أميال حتى استولى على الملوك وأباد قواتهم ، ولم يتمكن إبراهيم من مواصلة السير إذ كان قد وصل إلى منطقة دان التي عظم فيها "يرويعام" من مكانة المجول الذهبية ، وقد وهنت في هذا المكان المشنوم قوة إبراهيم^(٩٧) .

ولم يكن هذا الانتصار الذي تحقق ممكناً إلا بفضل القوى السماوية التي وقفت بجانبه إذ جعل كوكب المشتري الليل أكثر سطوعاً لإبراهيم ، كما أن الملك " لايل " قاتل من أجله^(٩٨) وحققا فقد كان هذا النصر نصراً للإله ، واعترفت كل الأمم أن هذا النصر ليس نصراً بشرياً فأسست عرشاً لإبراهيم وأقامته في قلب ساحة المعركة . وحيثما قام الجميع بتتصيب إبراهيم على العرش هتفوا قائلين : إنك ملكنا ، وأميرنا وإلهنا . غير أن إبراهيم نهرهم بقوله : إن الكون ملكاً وإلهاً ، ورفض كل الألقاب التي حصل عليها ، وأعاد للجميع كل ما وهبوه باستثناء صغار الأطفال الذين احتفظ بهم ليعلمهم معرفة الرب ، وغفروا فيما بعد معصية آبائهم .

وقرر ملك سدوم فيما بعد وعلى نحو متفطرس الالتقاء بإبراهيم ، وكان فخوراً بأنه أنقذ على نحو معجز من السقوط في الوحل بل واقترح على إبراهيم بالاحتفاظ بالفنائم لنفسه^(٩٩) غير أن إبراهيم رفضها بقوله : رفعت يدي إلى الرب الإله في علاه الذي خلق العالم من أجل الأتقياء وإن أخذ شيئاً ألبتة يخصك مهما صغر منك ، وليس لي حق أيا كان في البضائع التي أخذت كفنائم^(١٠٠) باستثناء ما أكله الصغار ، وما أخذه بعض الرجال الذين بقوا بجوار معدات القتال هذا بالرغم من أنهم لم يشاركوا في القتال . وكان النموذج الذي أقره إبراهيم بإعطاء نصيب في الفنائم لمن لم يشاركوا في القتال هو الذي اتبعه داود الذي لم يبال باحتجاج الأشرار والضعفاء الذين ذهبوا إلى أنه لا يحق لمن لم يشاركوا في القتال أن ينعموا بالفنائم مثل الجنود الذين شاركوا في القتال^(١٠١) .

وبالرغم من النجاح العظيم فلم يكن إبراهيم معنيا بموضوع الحرب إذ كان متخوفاً من التعدي على الوصية التي تحرم سفك الدماء ، كما كان منزعاً من انزعاج سام الذي قضى نسله نحيبهم في المواجهة غير أن الرب طمأنه بقوله : لا تخف لقد اقلعت الأشواك فقط ، أما سام فسيباركك وإن يلعنك . وهذا ما حدث بالفعل ، فحينما عاد إبراهيم من الحرب فقد قابله سام بالخبز والنبذ^(١٠٢) . ويُعرف سام أيضاً باسم " ملكي صيدق " أي ملك التقوى ، وكاهن الرب العلى ، وملك القدس . وقد علم هذا الكاهن الأعلى إبراهيم شرائع الكهانة ، والتوراة ، بل وباركه حتى يثبت له مدى صداقته ودعاه خليل الرب في امتلاك العالم خاصة أنه رأى أن اسم الرب لم يُعرف بين البشر إلا من خلاله^(١٠٣) . غير أن " ملكي صيدق " نظم الكلمات التي بارك بها إبراهيم على نحو غير مناسب إذ ذكر اسم إبراهيم قبل ذكر الرب ، ومن هنا عاقبه الرب بسلب شرف الكهانة منه ، ونقله إلى إبراهيم الذي ستبقى الكهانة مع نسله إلى الأبد^(١٠٤) .

ونظراً لتقديس إبراهيم للاسم المقدس برفضه أخذ شيء من غنائم الحرب^(١٠٥) فقد أثابه الرب بأن منح نسله وصيتين : وكانت الوصية الأولى تدعو إلى وجود خيوط طويلة متهدلة على ملابسهم ، أما الوصية الثانية بوضع عصاية على جبينهم . وتهدف الوصيتان إلى تخليد ذكرى أسلافهم الذين رفضوا أخذ أي شيء مهما صغر من ساحة القتال^(١٠٦) .

العهد

وتجلى الرب بعد انتهاء الحرب بفترة وجيزة لإبراهيم ليخفف من وخز ضميره بشأن سفك دماء بعض الأبرياء، ولم يعتصر نفسه الأكم إلا بسبب شيء ضئيل الأهمية، وقد طمأنه الرب في الحين ذاته بأنه سيجعل أتقياء مثله يخرجون من نسله، وأنهم سيكونون درعاً لأجيالهم^(١٠٧). وقد منحه الرب الحق في أن يسأل فيما يشاء، ولم يحظ أحد غيره بهذا الحق باستثناء يعقوب، وسليمان، وأحاز، والمسيح المخلص. فتحدث إبراهيم مستفسراً: رب العالمين إذا أثار نسلي في أى وقت غضبك فمن الأفضل أن أبقي بلا نسل، وسيسعد لوط الذى ارتحلت من أجله حتى دمشق التى كان الرب يحمينى فيها بأن يرثنى، وعلاوة على هذا فقد طالعته النجوم بأنى إن أنجب . وعندئذ أهدده الرب إلى ما بعد جلد السموات وقال: إنك نبى ولست منجماً^(١٠٨). وعندئذ لم يطلب إبراهيم أية علامة بأنه سيُبارك بنسله، وقد آمن - دون أن ينطق بأية كلمة - بالرب، وهكذا أثيب لإيمانه بنصيبه في هذا العالم والعالم الآخر، وأن إسرائيل سيجقق الخلاص لتقته الشديدة في الرب^(١٠٩).

وبالرغم من إيمانه العميق فقد ابتغى معرفة السمات والخصال التى ستجعل نسله يبقى، ولذلك أمره الرب بأن يقدم له أضحية من ثلاثة عجول، وثلاثة أغنام، وثلاث قمريات، وحمامة صغيرة. وقد أخبر الرب إبراهيم على هذا النحو بالأضاحى المختلفة التى يجب أن تُقدم فى الهيكل للتكفير عن ذنوب إسرائيل ولتحقيق رفايته^(١١٠). واستفسر إبراهيم مرة أخرى من الرب عما سيحدث لنسله بعد دمار الهيكل فأجابه الرب: إذا قرءوا باب الأضاحى كما هو مذكور فى الشريعة سأتى أن هذه القراءة وكأنها بديل للأضاحى وسأغفر كل ذنوبهم^(١١١). وكشف الرب لإبراهيم خلال حديثه مسار كل التاريخ اليهودى وتاريخ كل العالم فتخبره أن العجل البالغ من العمر ثلاثة أعوام يرمز إلى سيطرة بابل، والماعز ترمز إلى إمبراطورية اليونان، والكبش يرمز إلى سلطة الفرس، وبنى إسماعيل، والحمامة ترمز إلى إسرائيل.

وأخذ إبراهيم هذه الحيوانات وقسمها على نحو متواز، ولو لم يفعل هذا لما كان بوسع إسرائيل التصدى لحكم الممالك الأربعة غير أنه لم يقسم الطيور مشيراً إلى أن

إسرائيل ستصبح وحدة واحدة ، أما الأضاحى من الطيور فقد أصبحت جثثاً وأخرجها إبراهيم من صفوف سائر الحيوانات معلناً على هذا النحو مجيء المسيح المخلص الذى سيقطع عبدة الأوثان إرباً غير أن إبراهيم أمره بالانتظار حتى مجيء الوقت المخصص لظهوره^(١١٣) . وقد أطلع إبراهيم على زمن مجيء المسيح المخلص ، وموعده بعث الأموات . وحينما وضع إبراهيم أنصاف الأضاحى الحيوانات فى مواجهة بعضها البعض دبّت روح الحياة فى الحيوانات ، كما حلقت الطيور^(١١٤) .

وبينما كان إبراهيم يعد هذه الأضاحى وهب الرب رؤيا بالغة الأهمية فبعد أن غريت الشمس ، وحل السبات بإبراهيم شاهد فى نومه محرقة مليئة بالدخان ، وجهنم ، والمحرقة التى يعدها الرب للمخطئين ، بل وشاهد الوحي فى سينا ، والأضاحى التى سيقدمها إسرائيل ، وملك الممالك الأربعة . وتملك إبراهيم رعب عظيم فحدثه الرب بقوله : إبراهيم طالما أن أبنائك سينفذون وصيتى بدراسة التوراة والعبادة فى الهيكل سينقذون من النزول بجهنم ، وإن أدعهم يعيشون تحت حكم ممالك غريبة غير أنهم إذا أهملوا تنفيذ هذين الواجبين سيتعرضوا لهاتين العقوبتين . ولا يمكن لأحد سواك الاختيار بين عقوبة جهنم وعقوبة العيش تحت حكم ممالك أجنبية . وقضى إبراهيم طيلة اليوم فى حالة من التردد حتى دعاه الرب قائلاً : حتى متى ستظل متردداً بين هذين الخيارين؟ اختر أحدهما وليكن العيش تحت حكم الأجانب . وأطلع الرب على الأعوام الأربعمئة من العبودية التى سيقضيها إسرائيل فى مصر منذ ميلاد إسحاق . وعلم إبراهيم فى الحين ذاته أيضاً أنه سيكون لوالده تيراح نصيب فى العالم الآخر خاصة أنه كان قد كفر عن أعماله الشريرة ، وعلاوة على هذا فقد أوحى لإبراهيم أن ولده إسماعيل سيمسير على درب التقوى خلال حياة والده وأن حفيده عيساو لن يضل الطريق إلا بعد وفاته ، وكما تلقى الوعد بخلاص بنى إسرائيل فقد علم أيضاً أن نسله سيعانون العبودية فى أرض ليست لهم ، وعلم إبراهيم أيضاً أن الرب سيعاقب الممالك الأربع وسيدمرها^(١١٥) .

ميلاد إسماعيل

وقد تم لأبرام هذا العهد الذي تم فيه الكشف عن مصائر نسل إبراهيم في الوقت الذي لم يكن لديه فيه أطفال^(١١٥) وحينما كان إبراهيم وسارة يقيمان خارج الأرض المقدسة أحسا أن عقمهما يعد عقاباً لعدم التزامهما بالعهد، وبعد أن ظلا على هذه الحال بعد إقامتهما في فلسطين لعشر سنوات أحست سارة أنها مسئولة عن عدم الإنجاب^(١١٦).

وقد كانت سارة على أتم الاستعداد وبون أن تساورها أية غيرة لمنح أمتها هاجر زوجة لإبراهيم^(١١٧) فأنطلقت سراحها^(١١٨) خاصة أن هاجر كانت من ممتلكاتها إذ كانت حصلت عليها من فرعون والد هاجر، وكانت سارة هي التي علمتها وأطعمتها ومن هنا سارت على درب التقوى والصدق مثل سيدتها^(١١٩) وهكذا أصبحت رفيقة مناسبة لإبراهيم ، ووافق إبراهيم بموجب روح القدس على عرض سارة .

وأحست هاجر - فور انتهاء جماعها مع إبراهيم - بأنها ستنجب طفلاً فبدأت تسيء معاملة سيدتها هذا بالرغم من أن سارة كانت تحسن معاملتها مثلما كانت تفعل دوماً ، وحينما كان نبلاء السادة يأتون لمشاهدة سارة فقد كانت تدعوهم دوماً لزيارة المسكينة هاجر أيضاً ، وكانت زوجات النبلاء يستجبن لدعوتها غير أن هاجر كانت تستغل هذه الفرصة للإساءة إلى سارة فكانت تقول : إن سيدتي سارة تظهر ما لا تبطن ، إنها تظهر انطباعاً بأنها امرأة صانقة نقية غير أنها ليست على هذا النحو وإلا فكيف يفسر أنها لا تنجب بعد سنوات طويلة من الزواج في حين أنى أصبحت حاملاً فور زواجي من إبراهيم ؟

وكانت سارة تكره التشاحن مع أمتها السابقة غير أنها كانت تنفث عن غضبها مع إبراهيم^(١٢٠) بقولها : إنك أنت الذي تسيء إلى ، إنك تسمع كلمات هاجر ولا تذكر شيئاً لحضنها وكنت أمل أن تكون معي ، لقد تركت من أهلك موطنى ومنزل والذى وسرت معك في أراض غريبة مؤمنة بالرب ، وقد ادعيت في مصر أنى شقيقتك حتى لا يلحق بك أى أذى ، وحينما رأيت أنى لا أنجب أخذت أمتى المصرية هاجر ووهبتها

لك زوجة مكتفية بفكرة أنى سأرى الأطفال الذين ستحبهم ، غير أنها تسمى معاملتى فى وجودك ، ولينظر الرب إلى الظلم الذى قُدر على ، وليحكم بينى وبينك ويرحمنا ويعيد السلام إلى دارنا ويهبنا نزية لا تجعلنا فى حاجة إلى نسل هذه الأمة المصرية التى من نسل الكفرة الذين ألغوا فى المحرقة^(١٢١) .

وكان إبراهيم شخصاً متواضعاً ومن هنا كان مستعداً للإحسان إلى سارة فوهبها الحق فى التخلص من هاجر كما يظن لها غير أنه أضاف محذراً : لا يمكنك أن تجعلها أمة بعد أن أطلقت سراحها . غير أن سارة لم تبال بهذا التحذير فأساءت معاملة هاجر بل ورمقتها بنظرة شريرة جعلت جنينها يسقط ففرت هاجر من المكان ، والتقت هاجر خلال سيرها بعدة ملائكة أمروها بالعودة وأخبروها أنها ستحب طفلاً وأنه يجب أن يدعى إسماعيل ، وكان هذا الطفل واحداً من ستة أطفال كان الرب قد حدد أسماءهم قبل مولدهم وهم : إسحاق ، وإسماعيل ، وموسى ، وسليمان ، ويوشيا ، والمسيح المخلص^(١٢٢) .

وبعد مضى ثلاثة عشر عاماً على ميلاد إسماعيل كلف إبراهيم بأن يضع علامة العهد على جسده وأجساد الذكور من آل بيته ، وتلك إبراهيم فى البدء فى تنفيذ الأمر الإلهى لتخوفه من أن يؤذى ختانه إلى وضع حاجز بينه وبين سائر البشر غير أن الرب أمره قائلاً : بكفى أنى ربك إلهك كما يكفى العالم أنى ربه وإلهه^(١٢٣) .

وتشاور إبراهيم مع أصدقائه الثلاثة " أنير " و " أشكول " و " مامر " بشأن وصية الختان فقال الأول : لقد دنوت من العام المائة وتفكر الآن فى تحمل كل هذا الألم ؟ . وكانت نصيحة الصديق الثانى أيضاً ضد الختان إذ ذكر أشكول : حينما تختن نفسك سيمكن الأعداء التعرف عليك بسهولة . أما الصديق الثالث مامر فقد كان الوحيد الذى نصحه بطاعة الرب فقال : لقد أخرجك الرب من المحرقة ونصرك فى صراعك مع الملوك ، وأمدك بالطعام خلال المجاعة وتتردد الآن فى تنفيذ أمره ووصيته بشأن الختان^(١٢٤) ، وفعل إبراهيم بالتالى ما أمره الرب به فى ضوء النهار متحدياً الجميع^(١٢٥) .

وقام إبراهيم بختان نفسه فى العاشر من شهر تشرين أى فى يوم الغفران وفى البقعة ذاتها التى أقيم عليها فيما بعد الهيكل لأن ما قام به إبراهيم سيظل تكفيراً على النوم والأبد لخطايا إسرائيل^(١٢٦) .

زيارة الملائكة

وفى اليوم الثالث الذى أعقب الختان وحينما كان إبراهيم يعانى المأ شديداً^(١٢٧) حدث الرب الملائكة بقوله : اذهبوا إليه ولتزرعوا المريض . غير أن الملائكة رفضت بقولها : من ذا الإنسان الذى تهتم به ؟ ومن ذا الذى تزوره ؟ أتبتغى أن تذهب إلى مكان غير ماهر مليء بالدم والقذارة ؟ غير أن الرب أجاب قائلاً : أهكذا تتحدثون ؟ ولتعلموا طيلة حياتكم أن رائحة الدم أطيب لى من روائح العطر والبخور . وإذا لم تبتغوا زيارة إبراهيم سأتوجه بمفردى^(١٢٨) .

وكان اليوم الذى توجه فيه الرب لزيارة إبراهيم شديد القىظ لأنه حدث فى اليوم ذاته ثقب فى جدار جهنم ومن ثم وصلت حرارتها إلى الأرض غير أن إبراهيم ظل بمقرده غير منزعج من الألم^(١٢٩) ، ومع هذا فقد أحس إبراهيم بالاستياء من عدم مجئ أحد لزيارته فبعث خادمه إيلعازر ليرى إذا ما كان بالطريق أى قوم رحل . وحينما عاد إيلعازر خاوى الوفاض أعد إبراهيم - رغم مرضه والحرارة الشديدة - العدة للسير على الطريق عسى أن يفلح فيما فشل فيه إيلعازر خاصة أنه لم يثق بالكامل فى إيلعازر واضعاً فى ذهنه المقولة المعروفة " لا حقيقة بين العبيد " ^(١٣٠) .

وتراءى الرب فى هذه اللحظة محاطاً بالملائكة لإبراهيم فحاول إبراهيم فى التو النهوض من مجلسه غير أن الرب لاحظ وجود كل مظاهر الاحترام ومن هنا فعينما اعترض إبراهيم على أنه لا يعقل أن يجلس فى حضرة الرب ذكر الإله : طالما أنك هى فإن كل نسلك الذى يتراوح عمره بين الرابعة والخامسة سيجلس فيما بعد فى المدارس والمعابد وأنا موجود بها^(١٣١) .

وشاهد إبراهيم آنذاك كلا من " ميخائيل " و " جبريل " و " رفائيل " الذين تراءوا فى صورة بشر يقومون بزيارة المريض، وكان الرب قد كلف كلا منهم بمهمة بعينها على الأرض فكلف رفائيل بتضميد جرح إبراهيم فى حين أن ميخائيل كلف بأن يجلب إلى سارة أنباء سعيدة عن أنها ستجب طفلاً ، كما تم تكليف جبريل بإبادة سدوم وعمورة . وعند وصول الملائكة إلى خيمة إبراهيم لاحظت أنه كان منشغلاً بتمريض نفسه فانسحبت وغادرت المكان^(١٣٢) ، ومع هذا فقد أسرع إبراهيم بالسير خلفها من بوابة

أخرى بالخيمة كان بها مدخل من كل الجوانب^(١٣٣) ، وكان إبراهيم قد رأى أن واجب الضيافة أكثر أهمية من واجب تلقى الحضرة الإلهية . والتفت إبراهيم إلى الرب قائلاً : رب لا تترك عبدك في الوقت الذي يعمل فيه على الترحيب بضيوفه^(١٣٤) . ثم قدم نفسه إلى الغريب الذي كان يسير بين الآخرين ، وقد تقهم إبراهيم ما لاحظته على الغريب أنه أكثرهم أهمية ، ولم يكن هذا الشخص سوى كبير الملائكة ميخائيل فدعاه لدخول الخيمة ، وكان لسلوك ضيوفه الذين عاملوا بعضهم البعض بأدب شديد أكبر الأثر في نفس إبراهيم فتأكد أنه يستضيف قوماً على قدر كبير من الأهمية^(١٣٥) . غير أنه حينما لاحظ أنهم يشبهون في مظهرهم الخارجي العرب وعبد التراب أمرهم بغسل أقدامهم حتى لا يدينسوا خيمته^(١٣٦) .

ولم يعتمد إبراهيم في حكمه على قراءة ملامح ضيوفه فقط إذ كانت لديه شجرة بجوار خيمته كانت فروعها تمتد لتتشر ظلالها على من آمنوا بالرب غير أن فروعها كانت ترتفع ولا تلقى ظلالها على غير المؤمنين. وحينما كان إبراهيم يشاهد هذه العلامة كان يبدأ في الحال في تشجيع المؤمنين بالهة عديمة الجدوى على الإيمان بالإله الحق. وكما كانت الشجرة تميز بين التقى والشرير كانت تميز أيضاً بين الطاهر والدنس . وكانت الشجرة تحرم من بهم دنس من الاستحمام بالحمام الطقسي المخصص لهم في النبع الذي كان يتدفق من جذورها والذي كانت مياهه تظهر في التوأم تعد نجاستهم حالة عابرة من الممكن التخلص منها. أما الآخرون فقد كان لزاماً عليهم الانتظار سبعة أيام حتى تظهر المياه. وقد أمر إبراهيم بالتالي الرجال الثلاثة بأن يستندوا في وقوفهم على جذع الشجرة حتى يمكنه ويمكنها التعرف على أحوالهم^(١٣٧) .

ولما كان التقى الحق يعد بالقليل ويقدم الكثير^(١٣٨) فقد قال إبراهيم : سأحضر كسرة من الخبز خاصة أني رأيت أنكم تسيرون بجوار خيمتي وقت العشاء ويمكنكم الرحيل بعد تناول الطعام وشكر الرب^(١٣٩) . ويعد أن تم تقديم الوجبة للضيوف اتضح أنها وجبة ملكية تفوق ما كان يتم تقديمه في عهد سليمان إذ كان إبراهيم قد توجه إلى القطيع لذببح بعض المواشى لتقديمه كطعام للضيوف، وقد ذبح ثلاثة عجول حتى يدع كل فرد من ضيوفه يتناول ما يكفيه من طعام^(١٤٠) ، وحتى يعتاد إسماعيل على الأعمال المرضية للرب فقد أمره إبراهيم بذببح العجول وتقديمها^(١٤١) وأمر سارة بخبز العيش ،

ولما كان إبراهيم يعلم أن النساء يعاملن الضيوف على نحو بخيل فقد كان طلبه واضحاً إذ قال لها صراحة : أعدى ثلاث وجبات . ولم يتم إحضار الخبز إلى مائدة الطعام لأن إبراهيم كان يتناوله دائماً في حالة نظيفة غير أنه كان قد اتسخ قبل تقديمه^(١٤٢) .

وقد قدم إبراهيم الطعام بنفسه إلى ضيوفه وتراعى له أن ضيوفه الثلاثة تناولوا الطعام غير أن ما رآه كان وهمّاً حيث إن الملائكة لم تتكل شيئاً^(١٤٣) ، ولم يتناول هذا الطعام سوى أصدقائه الثلاثة "أنير" و "أشكول" و "مامر" ، وشاركهم الطعام إسماعيل ، أما الوجبة التي كانت قد وضعت أمام الملائكة فقد التهمتها نيران سماوية^(١٤٤) .

وبالرغم من أن الملائكة ظلت على صورتها البشرية فإن شخصية إبراهيم ظلت على سموها مما جعل كبار الملائكة تشعر بضالتها^(١٤٥) . ويعد أن فرغت الملائكة من طعامها سألت عن سارة رغم علمها أنها معتزلة بخيمتها غير أنها رأت أنه من الواجب تقديم الشكر لربة المنزل وإرسال كوب من النبيذ إليها لمباركتها^(١٤٦) . وقد أعلن كبير الملائكة ميخائيل في هذه اللحظة ميلاد إسحاق فرسم خطاً على الجدار قائلاً : حينما تعبر الشمس هذه النقطة ستحمل سارة ، وعند عبورها النقطة الأخرى ستنجب طفلاً . وكانت هذه الرسالة موجهة إلى سارة وليس إلى إبراهيم الذي كان الوعد بكثرة بنيه قد أوحى إليه قبلها بزمان طويل^(١٤٧) . وحينما أبلغت الملائكة هذه الرسالة إلى سارة فقد وقف إسماعيل بين الملاك ميخائيل وسارة إذ لم يكن من الجائز أن يخبرها بهذه الرسالة في الخفاء وعلى انفراد ، وكانت سارة على قدر كبير من الجمال فبهت الملاك من جمالها فنظر إلى السماء عجباً . وحينما عاود النظر إليها أحس بخلجاتها تتضاحك^(١٤٨) قائلة : أيعقل أن يحمل هذا الرحم طفلاً وأن ترضع هذه الأثداء التي ذبلت رضيعاً فضلاً عن أن إبراهيم أضفى عجوزاً^(١٤٩) .

وقال الرب لإبراهيم : وهل أنا عجوز عاجز عن القيام بالمعجزات ؟ ولماذا تتضاحك سارة قائلة هل ستنجب طفلاً وأنا عجوز^(١٥٠) ؟ وكان هذا التوبيخ موجهاً إلى إبراهيم وسارة خاصة أنه لم يظهر سوى قدر ضئيل من الإيمان حينما أخبر أنه سيرزق بطفل ، غير أن الرب لم ينكر سوى شكوك سارة تاركاً إبراهيم في التفكير فيما أخطأ فيه^(١٥١) .

ولما كان الرب مهتماً بسلامة حياتهما العائلية فلم يخبر الرب إبراهيم بكلمات سارة على وجه الدقة إذ كان من الوارد أن يسيء إبراهيم فهم ما قالت سارة عن أنه طاعن في السن ، ونظراً لأهمية العلاقة الزوجية بين الرجل وامرأته فقد حافظ الرب في علاقه عليها على حساب الحقيقة^(١٥٢) .

وبعد أن فرغ إبراهيم من الترحيب بضيوفه توجه معهم لتوديعهم على الطريق فلا يقل وداع الضيوف أهمية عن استقبالهم^(١٥٣) ، وارتحل الضيوف صوب سدوم فتوجه أحدهما لتدبيرها والآخر لإنقاذ لوط. أما الثالث فعاد إلى السماء^(١٥٤) .

مدن الخطيئة

وكان سكان سدوم وعمورة ومدن السهل الثلاث الأخرى من المذنبين والكفرة ، وكان يوجد بمدنهم واد ضخم يجتمعون به سنوياً مع زوجاتهم وبنينهم وكل ذويهم للاحتفال بعيد كان يستغرق عدة أيام يمارسون فيه كافة أنواع الرذيلة، وحينما كان أى تاجر غريب يمضى بأراضيهم يحاصرونه جميعهم من كبير وصغير على حد سواء وكانوا يسلبونه كل ما يملك ، وحينما كانت الفضيحة تحلول الاحتجاج والاعتراض فقد كانوا يطردونه من المدينة .

وحدث ذات مرة أن رجلاً مرتحلاً من عيلام وصل إلى سدوم في المساء ، ولم يجد أحداً يستضيفه في المساء فغير أنه وجد في نهاية الأمر ثعلباً حكيماً يدعى " حيدور " دعاه للسير خلفه إلى منزله ، وكان حيدور هذا مفتوناً بسجادة فضة كانت تعلق حمار الغريب بحبل طويل ، وكان يبتغى الاحتفاظ بها .

وتمكن " حيدور " بفضل إلحاحه على الغريب من إقناعه بالبقاء معه يومين ، هذا بالرغم من أنه كان يتوقع البقاء معه ليلة واحدة فقط ، وحينما ابتغى الغريب مواصلة رحلته سأل مضيفه عن السجادة والحبل فقال حيدور : لقد حلمت حلماً وما أنذا لأفسره لك . إن الحبل يرمز إلى أنك ستعيش حياة طويلة في طول الحبل ، أما السجادة المزركشة فتشير إلى أنك ستملك حديقة غناء ستبت بها كافة أشجار الفواكه. وأصر الغريب على استرداد السجادة التي كانت معه ، أما حيدور فلم يكف بإنكار

حصوله عليها فحسب وإنما طلب منه أجراً في مقابل تفسير الظلم قائلاً : إن أجرى أربع قطع من الفضة غير أنى سأحصل منك على ثلاث فقط لأنك ضيفى .

وبعد أن قضيا وقتاً طويلاً فى الشجار والخصام وضعا قضيتهما أمام " شيرخ " أحد قضاة سدوم الذى قال : إن حيدور يعرف بأنه مفسر أحلام أهل الثقة ولا ينطق إلا بالحق " غير أن الغريب أعلن أنه غير راض عن الحكم وواصل دفاعه عن قضيته و" سدر " شيرخ " أمراً بإخراج المتخاصمين من قاعة المحكمة ، وحينما رأى أهل سدوم ما حدث اجتمعوا فيما بينهم وطاردوا الغريب الذى لم يفعل سوى أن رثى حاله .

وكما كان لسدوم قاض فقد كان لسائر المدن قضاة وهم " شاركار " فى عمورة ، و" زابناك " فى أدماه ، و" مانون " فى زيبوعيم . وقد أحدث إليعازر خادم إبراهيم تغييرات طفيفة فى أسماء هؤلاء القضاة بما يتماشى مع طبيعتهم فدعى الأول "شكار" أى الكاذب ، والثانى " شكرورا " أى كبير المخادعين، والثالث " كذبان " أى المخادع ، والرابع " مازلى دين " أى مفسد الأحكام. وبناءً على اقتراح القضاء تقرر أن تضع المدن سرائر فى الأراضى المشاع . ومن هنا فحينما كان يأتى غريب إلى أى من هذه المدن يمسك ثلاثة برأسه وثلاثة بقدميه ويجبرونه على الجلوس على إحدى هذه السرائر ، وإذا كان الغريب قصير القامة كان الستة يجذبون كل أطرافه حتى يشغل كل حيز السرير . أما إذا كان طويلاً فقد كانوا يحاولون تقليص حجمه بكل ما أوتوا من قوة للدرجة التى كان الغريب يوشك فيها على الموت ، وكانوا يعقبون على صرخاته قائلين : سنفعل ما نحن فاعلون لكل من يأتى إلى أرضنا .

وبعد فترة وجيزة أصبح الرحالة يتجنبون دخول هذه المدن غير أنه حينما كان يضل أحد المساكين طريقه ويدخل هذه المدن كان أهلها يقدمون إليه الذهب والفضة ولا يقدمون له الخبز حتى يموت من الجوع ، وبعد أن يلقى حتفه كان أهل المدينة يستردون ما وهبوه له من ذهب وفضة غير أنهم كانوا يتشاجرون على تقسيم ثيابه لأنهم كانوا يحرقونه عارياً .

وقد توجه إليعازر خادم إبراهيم ذات مرة إلى سدوم بناء على أمر سارة للاستفسار عن لوط. وقد حدث أنه دخل المدينة فى اللحظة التى كان سكانها يسرقون

ملابس أحد الغرياء. وما كان من إيعازر سوى أن أيد قضية هذا البائس فتهجم أهل سدوم عليه وألقى أحدهم حجارة على رأسه فنزف كمية كبيرة من الدم. وحينما شاهد المعتدى الدم يتفجر من رأسه طلب أجراً نظير وقف الدم غير أن إيعازر رفض أن يدفع له شيئاً في مقابل الجرح فعرضت حالته على القاضي " شاكارا " ، وصدر الحكم ضد إيعازر لأن شريعة هذه الأرض كانت تمنح المعتدى الحق في أن يطلب أجراً فسارع إيعازر بإلقاء حجر على رأس القاضي ، وحينما شاهد الدم يخرج منه قال للقاضي " أعطني أجري " .

وكان سبب قسوتهم يتمثل في ثرائهم الفاحش ، فكانت أرضهم من الذهب، وكانوا من فرط بخلهم وجشعهم في الحصول على المزيد من الذهب يمنعون الغرياء من التمتع بشيء من ثرواتهم. وكانوا يغمرون الطرق بالمياه حتى لا يصل أحد إليهم . وكانوا يتعاملون بوحشية مع الحيوانات والطيور على حد سواء ، فكانوا يضنون على الطيور فيما تأكل وكانوا يقتلون^(١٥٥) . وكانت سلوكياتهم مع بعضهم البعض تتسم بالمرء والخذاع فلم يجلوا عن القتل حتى ينعموا بمزيد من الذهب ، وحينما كانوا يلاحظون تمتع أحد الأفراد بثروات عظيمة كانوا يتآمرون عليه فكانوا يأخذونه إلى مناطق نائية ويقتلونه .

وكان من أكثر الطرق التي كان هؤلاء اللصوص يتبعونها لتحقيق مأربهم الطريقة التالية : فحينما كانوا يعتزمون السرقة كانوا يطلبون من ضحيتهم الاحتفاظ ببعض الأموال الخاصة بهم والتي كانوا يغطونها بالزيت قبل إعطائها له، وكانوا في الليلة التالية يتسللون إلى منزله ويسرقون المال الذي يجذونه عن طريق تعقب رائحة الزيت .

وكانت شرائعهم تهدف إلى إلحاق الأذى بالفقراء فكان القانون يفضل الأثرياء على الفقراء فكان من يملك ثورين ملزماً بالتخلي عن ناتج يوم من أيام عمل قطيعه ، وفي المقابل فقد كان من يملك ثوراً واحداً ملزماً بالتخلي عن ناتج يومين، أما اليتيم الفقير الذي كان مجبراً على رعي قطعان الماشية فترة أطول من هؤلاء الذين لديهم عدد أكبر من القطعان فقد كان يقتل ما استودع لديه من قطيع حتى يثأر من مضطهديه. وحينما كان يتم توزيع الجلود كان يصر على أن يتخذ ممن يملك رأسين من القطيع قطعة واحدة من الجلد في حين كان يمنح من يملك رأساً واحدة قطعتين من الجلود بما يتماشى مع الطريقة المتبعة في تقسيم العمل^(١٥٦) .

ولم يكن لوحشية أهل سدوم أية حدود فقد كانت اللوط بنت تدعى " بالتيت " ، وعُرفت بهذا الاسم لأنها ولدت بعد أن فر لوط من الأسر بمساعدة إبراهيم. وعاشت " بالتيت " فى سدوم التى تزوجت فيها. وقد أتى متسول ذات مرة إلى المدينة وأصدر قضاة المدينة حكماً بالآلا يعطيه أحد شيئاً حتى يموت من الجوع غير أن " بالتيت " أشفقت عليه فكانت تذهب يومياً إلى البئر لجلب المياه إليه ، وكانت تزوده بخبز كانت تخفيه فى وعاء الماء ، ولم يتمكن سكان سدوم وعمورة من تفهم كيف أنه لم يمت فتشككوا فى إمكانية قيام أحد سكان المدينة بتزويده بالطعام فى الخفاء ، وتخفى ثلاثة من السكان بالقرب من هذا المتسول ، وأمسكوا ببالتيت عند تقديمها الطعام لهذا الفقير. وكانت عقوبتها الموت حرقاً .

ولم يكن أهل أدماه أفضل حالاً من أهل سدوم فقد أتى " أدماه " ذات مرة رجل قصد أن يقيم ليلة بهذه المدينة حتى يواصل رحلته بالغد ، وقد التقت بنت أحد أثرياء المدينة بالغريب وقدمت له ماءً ليشربه وخبزاً ليتناوله ، وحينما سمع أهل أدماه انتهاك هذه الفتاة لشريعة البلد انقضوا عليها وقدموها للمحاكمة فحكم عليها القاضى بالموت فدهنها سكان المدينة من رأسها حتى أخمض قدميها بالعسل وتركوها على هذا النحو حتى يلتهمها النحل، وظلت الحشرات تلتهمها حتى وافتها المنية ، ولم يهتم أحد من أهل هذه المدينة بصرخاتها المذوية ، وقرر الرب عندئذ إبادة المذنبين^(١٥٧) .

إبراهيم يدافع عن المذنبين

وحينما شاهد الرب أنه لا يوجد أى تقى بين سكان هذه المدن المخطئة ، وإن يكون هناك أى تقى من بين نسلهم يعامل من أجل خصاله سائر السكان على نحو متساهل فقد قرر أن يبيدهم جميعاً دفعة واحدة^(١٥٨) . غير أن الرب أطلع إبراهيم قبل تنفيذ الحكم على ما سيفعله بسدوم وعمورة وسائر مدن الساحل لأنها شكلت فيما بينها جزءاً من أرض كنعان التى وعد بها الرب إبراهيم ولهذا قال الرب : لن أدمر هذه المدن دون موافقة إبراهيم^(١٥٩) .

وقد ألق إبراهيم - كئيب عطوف - على الرب أن يشفق على المذنبين فحدث الرب قائلاً : لقد أقسمت بالآ تبيد مزيداً من البشر بمياه الطوفان فهل يعقل أن تتخلص من القسم وأن تفنى هذه المدن بالنار؟ وهل يعقل ألا يقوم حاكم كل الأرض بعمل الحق؟ وإذا كنت تبتغي حقاً الإبقاء على العالم يجب أن تتخلى عن حكم العالم بمقيار العدل فقط . وإذا تمسكت بالحق فقط فلن يكون هناك وجود للعالم . وعندئذ أجاب الرب إبراهيم بقوله : إنك تجد متعة في الدفاع عما خلقت ولا تعتبرهم مذنبين؛ ولهذا لم أحدث أحداً سواك منذ نوح^(١٦٠) . وحاول إبراهيم أن يستخدم كلمات أكثر قوة وقسوة ليحافظ على حياة غير المؤمنين بالرب فقال : ليس من الوارد قيامك بقتل الصديقين والأوغاد معاً حتى لا يقول من يقطنون الأرض أن الرب يدمر أجيال البشر على نحو عنيف فقد دمر جيل إينوخ وجيل الطوفان كما أنه بلبل الآلسنة .

وأجابه الرب بقوله : سأدع كافة الأجيال التي دمرتها تمضي أمامك عسى أن ترى أنها لم تلق العقاب الذي تستحق ، وإذا كنت ترى أنني لم أتصرف على نحو عادل أخبرني ما يجب أن أفعله ، وسأسعى للعمل بما يتوأم مع ماتراه . وكان على إبراهيم عندئذ أن يقر أن الرب يتعامل بالعدل مع كافة مخلوقاته في هذا العالم أو العالم الآخر^(١٦١) . ومع هذا واصل إبراهيم حديثه قائلاً : هل ستيبّد كافة هذه المدن حتى لو كان يوجد بكل منها عشرة أتقياء ؟ فقال الرب : لا لن أبيدها إذا وجدت فيها خمسين فرداً من الأتقياء^(١٦٢) .

إبراهيم : لقد تجرأت على التحدث إلى الرب الذي لولا رحمته^(١٦٣) لكنت أصبحت رماداً في نيران نمرود غير أن مدينة " زوعر " تعد أصغر مدينة من المدن الخمس المخطئة فهل ستدمرها ؟

الرب : لن أدمرها إذا وجدت بها خمسة وأربعين فرداً من الأتقياء وليس خمسين .
إبراهيم : من الوارد أن يكون هناك في كل مدينة من المدن الأربع المتبقية عشرة أتقياء ولتغفر برحمتك خطايا مدينة " زوعر " لأن خطاياها ليست كخطايا سائر المدن .
واستجاب الرب لطلبه غير أن إبراهيم واصل دفاعه وسأل الرب : أئن يشعر الرب بالرضا إذا كان يوجد في كل مدينة من المدن الثلاث المتبقية ثلاثون فرداً من الأتقياء ،

وهل من الوارد أن يغفر للمدينتين الأصغر حتى لو لم يكن فيها أى تقى تستحق خصاله وقف حكم الإبادة ؟ واستجاب الرب مرة أخرى لطلب إبراهيم فوعده بالآي دمر المدن إذا وُجد فيها عشرون فرداً من الأتقياء بل ووافق الرب على ألا يبني هذه المدن إذا وُجد بها عشرة أتقياء فقط^(١٦٤) .

ولم يجزئ إبراهيم على أن يطلب المزيد فقد كان يعلم أن نوحاً وزوجه وأبناءه الثلاثة وأزواجهم والذين كانوا جميعاً من الأتقياء لم يتمكنوا من تغيير الحكم الصادر على جيل الطوفان ، وقد كان يأمل في أن يصل عدد الأتقياء إلى عشرة من خلال لوط وزوجه وبناتهم الأربع وأزواجهن ، غير أن ما لم يعلمه كان أن أتقياء هذه المدن المذنبة - ورغم أفضليتهم على الآخرين - كانوا بعيدين عن الخير^(١٦٥) .

ولم يتوقف إبراهيم عن الدعاء من أجل تخليص المذنبين حتى بعد أن رحلت الحضرة الإلهية عنه ، وقد ذهبت كل دعواته وابتهالاته أدراج الرياح^(١٦٦) . وكان الرب قد هذر غير المؤمنين به على مدى اثنين وخمسين عاماً فجعل الجبال تهتز وترتعد غير أنهم لم ينصتوا أو يبالوا بالتحذير بل وواصلوا ارتكاب الخطايا حتى حل بهم العقاب^(١٦٧) . إن الرب يغفر كل الخطايا إلا خطيئة الحياة غير الأخلاقية ، ولما كان هؤلاء المخطئون يعيشون حياة الفسوق والملاذات فقد أحرقتهم النار^(١٦٨) .

دمار المدن المذنبة

وغادرت الملائكة إبراهيم في الظهيرة ووصلت إلى سدوم قبل المساء ، وأعلنت الملائكة كماداتها المهمة الموكلة إليها بسرمة البرق غير أن هذه الملائكة كانت ملائكة الرحمة فترددت في تنفيذ مهمة التدمير أملاً في انصراف الشر عن سدوم^(١٦٩) . ومع مجيء الظلام أصبح قدر سدوم محتوماً إذ كانت ملائكة الدمار قد وصلت إلى سدوم^(١٧٠) .

وكان لوط قد تعلم من إبراهيم العادة الجميلة الخاصة بالترحيب بالضيوف ، ومن هنا فحينما شاهد أمامه الملائكة في صورة بشرية تصور أنهم مسافرون فدعاهم للإقامة بمنزله ، ومع هذا فنظراً لأن عقوبة الموت كانت العقوبة الوحيدة التى تُنزل

بمن يرحب بالضيوف في سدوم فقد دعاهم لوط للمجيء إليه تحت جناح الليل^(١٧١) وكان عليه أن يستخدم كل وسائل الأمان فأمر الملائكة بالسير خلفه في طرق ملتوية .

ورفضت الملائكة - التي كانت تقبل دعوة إبراهيم دون تردد - الانصياع لطلب لوط لأنه من الطباع الحسنة أن يملك المرء بعض الشيء في قبول دعوة عامة البشر وأن يقبل دعوة عليّة القوم. ومع هذا كان لوط مصرّراً على دعوته فحمل الملائكة بالقوة إلى بيته^(١٧٢) الذي تغلب فيه على اعتراض زوجته التي قالت : إذا سمع أهل سدوم ما فعلت سيقتلونك .

وقد قسم لوط منزله إلى قسمين : أحدهما له وضيوفه والآخر لزوجته حتى لا تتعرض لزوجته إلى أي سوء في حالة تعرضه إلى أي مكروه^(١٧٣) . ومع هذا فإن زوجته هي التي خدعته إذ توجهت إلى أحد الجيران لتستعير ملجأً، وحينما سألها جيرانها ألم يكن يمكنها الحصول على الملجأ خلال النهار ؟ فقد أجابت : كان لدينا ما يكفيني من ملجأ حتى أتانا بعض الضيوف ولهذا نحتاج المزيد ، وهكذا انتشر خبر وجود غرباء بالمدينة^(١٧٤) .

وكانت الملائكة مستعدة في البدء للإنصات إلى التماس لوط بشأن المذنبين غير أنه حينما اجتمع أهل المدينة من كبار وصغار حول منزل لوط لارتكاب جريمة بشعة فقد رفضت الملائكة دعوة لوط قائلة : كان يمكنك حتى لحظات مضت التوصل من أجلهم غير أنه لم يعد مجدياً الآن . ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي ابتغى فيها أهل سدوم ارتكاب مثل هذه الجريمة إذ كانوا قد سئوا فيما بينهم شريعة دعت إلى معاملة كافة الغرباء على هذا النحو المخيف، وقد حاول لوط الذي كان قد تم تنصيبه يوم مجيء الملائكة إليه قاضياً للمدينة إنشاء السكان عما يعتزمون القيام به قائلاً : إخواني .. لقد أبعد جيل الطوفان بسبب مثل هذه الخطايا التي تعتزمون ارتكابها ألا تتراجعون عما أنتم فاعلون ؟ غير أنهم أجابوه قائلين : كلا وحتى لو جاء إبراهيم فلن نبالي به ، وهل يعقل ألا تبالي بشرائع من سبقوك^(١٧٥) ؟

ولم تكن سلوكيات لوط الأخلاقية كما ينبغي فیتعين على المرء أن يضحي بحياته من أجل الاحتفاظ بشرف وكرامة زوجه وبناته غير أن لوطاً كان مستعداً للنضحية بهما ، ومن ثم كان عقابه شديداً^(١٧٦) .

وأفصحت الملائكة لوط عن هويتها والمهمة المكلفة بتنفيذها في سدوم ، وأمروه بالهرب من المدينة مع زوجه وبناته الأربع منهن اثنتان متزوجتان^(١٧٧) . وأبلغ لوط هذه الرسالة إلى أبناء إخوته غير أنهم سخروا منه قائلين : إنك أحرق ، ألا تسمع بالمدينة أصوات الكمان والناي والآلات النحاسية وتتحدث عن تعرض سدوم إلى الدمار . ولم يكن لهذا الاذراء من أثر سوى الإسراع في تنفيذ العقوبة على سدوم^(١٧٨) فأمسك الملك ميخائيل بيد لوط وزوجه وبناته في حين مس الملك جبريل بإصبعه الصغير الصخرة التي شُيّدت عليها المدن المغطاة ، وحركها من موضعها ، وفي اللحظة ذاتها تحولت الأمطار التي كانت تهطل على هذه المدن إلى كبريت^(١٧٩) .

وحيثما فرغت الملائكة من إخراج لوط وبيته من المدينة أمرهم بالفرار لإنقاذ أنفسهم وألا ينظروا خلفهم حتى لا يروا الحضرة الإلهية بعد نزولها إلى الأرض لإعمال الدمار في المدن المغطاة . ولم تتمكن زوجة لوط من تماك نفسها فنظرت خلفها من فرط حب الأم لبنيتها لتري إذا ما كانت بناتها تتبعها غير أنها شاهدهت الحضرة الإلهية فتحولت زوجته إلى عمود من الملح لازال موجوداً حتى يومنا هذا ، ولا زالت قطعان الماشية تلعقه . ويختفي هذا العمود في المساء غير أنه يظهر في الصباح^(١٨٠) .

وقد حث الملك المخلص لوطاً بأن يجد ملاذاً مع إبراهيم غير أنه رفض قائلاً : حينما كنت أعيش مستقلاً عن إبراهيم كان الرب يقارن أعمالي بأعمال أهل المدينة فكنت أبدو رجلاً تقياً ، أما إذا عدت إلى إبراهيم سيرى الرب أن أعماله تفوقني بكثير^(١٨١) . وقد استجاب الملك لطلبه باستثناء مدينة " زوعر " من الدمار ، هذه المدينة التي تأسست بعد سائر المدن ، ومن ثم فلم تكن خطاياها في حجم خطايا سائر المدن المجاورة^(١٨٢) .

وحل الدمار بمدن السهل في فجر السادس عشر من شهر نيسان لأنه كان يوجد من بين سكان هذه المدن من عبدوا الشمس والقمر . فقال الرب : إذا دمرت هذه المدن بالنهار سيقول عبدة القمر لو كان القمر موجوداً لأثبت أنه منقذنا ، وإذا دمرت هذه المدن بالمساء سيقول عبدة الشمس لو كانت الشمس موجودة لكنت قد أنقذتنا ، ولهذا سأنزل دماري في السادس عشر من شهر نيسان وفي اللحظة التي يتواجد فيها الشمس والقمر في السماء^(١٨٣) . ولم يفقد سكان مدن السهل حياتهم في هذا العالم

فحسب وإنما فقدوا نصيبهم أيضاً في العالم الآخر ، ومع هذا فستعود المدن إلى الوجود عند مجيء المسيح المخلص^(١٨٤) .

وتعرضت سدوم للدمار في اللحظة ذاتها التي كان إبراهيم يؤدي فيها صلاة الصبح ، ولهذا أصبحت هذه اللحظة - وعبر كافة العصور - ميقاتاً لصلاة الصبح^(١٨٥) . وحينما نظر إبراهيم صوب سدوم وشاهد الدخان المتصاعد منها دعا الرب لتخليص لوط ، واستجاب الرب لدعائه ، وكانت هذه هي المرة الرابعة التي يكون فيها لوط مديناً لإبراهيم الذي كان قد أخذه إلى فلسطين ، وجعله ثرياً في قطمان الماشية ، وفي عدد الخيام ، وأنقذه من الأسر ومن الدمار الذي حل على سدوم. أما نسل لوط من "عمونيين" و"مؤابيين" فبدلاً من أن يظهروا عرفانهم لنسل إبراهيم من بنى إسرائيل فقد ارتكبوا أربعة أعمال عدائية تجاههم فسعوا إلى تدمير إسرائيل من خلال لعنات بلعام ، وشنوا حرباً عليه في عهدي "يفتاح" ويهوذا فاطم بل وأظهروا كراهيتهم لإسرائيل عند دمار الهيكل. ومن هنا كلف الرب أنبياءه الأربعة أشعيا ، وأرميا ، وحزقيال ، وصفنيا بعقاب نسل لوط^(١٨٦) .

وبالرغم من أن لوط مدين بخلاصه إلى إبراهيم إلا أنه قد كوفى أيضاً لأنه لم يخدع إبراهيم في مصر حينما زعم أنه أخ لسارة^(١٨٧) غير أن ثوابه الأعظم يتمثل في أن المسيح المخلص سيكون من نسله لأن روث الموابية هي الجدة العليا لداود ، كما أن ناعومي العمونية هي والدة "رحبعام" ، والمسيح المنتظر من نسل هذين الملكين^(١٨٨) .

بين الفلسطينيين

ودفع الدمار الذي حل بسدوم إبراهيم إلى الارتحال إلى جيران . ولما كان معتاداً على إكرام المسافرين والمرتحلين فلم يشعر بالارتياح في هذه المنطقة التي توقفت فيها كل وسائل الاتصال والنقل بسبب الدمار الذي حل بالمدن المذبذبة، وكان من بين الأسباب التي دفعت إبراهيم للرحيل عن هذا المكان أن أهله كانوا يتحدثون كثيراً عن الحادث القبيح الذي تعرضت إليه بنات لوط^(١٨٩) .

وحينما وصل إلى أرض الفلسطينيين اتفق مع سارة على أن تدعى نفسها شقيقته مثلما فعلت في مصر. وحينما وصلت إلى ملك الفلسطينيين أنباء عن فرط جمالها أمر بإحضارها وسألها عند مثولها أمامه عن صاحبها فأجابت أنها في صحبة شقيقها إبراهيم. ومن فرط إعجابه بها تزوجها الملك " أبيمليك " ، وأنعم على إبراهيم بالهدايا بما يتفق مع دعوى أنه شقيق الملكة. ومع حلول المساء وقبل أن يخلد للراحة وبينما كان جالساً على عرشه نام أبيمليك حتى الصباح ، وكان قد شاهد خلال نومه حلمًا رأى فيه ملك الرب رافعاً سيفه ومسلطه عليه لقتله. فسأل الملك خائفًا الملاك عن سبب ما هو فاعله ؟ فأجابه إنك ستموت بسبب المرأة التي أخذتها إلى منزلك هذا اليوم لأنها زوجة إبراهيم الذي يجلس معك، دعه هو وزوجته . أما إذا لم تفعل ما تقرر به ستموت أنت وكل آل بيتك .

وفي تلك الليلة تردد صوت صراخ عظيم في كل أرض الفلسطينيين بعد أن شاهدوا رجلاً حاملاً سيفه في يده يقتل كل من بطريقه . وقد حدث في العين ذاته أن الرجال والحيوانات على حد سواء تجمعوا مع بعضهم البعض حتى أصبحوا كأعضاء الجسد الواحد ، وعاشت الأرض في حالة لا توصف من الإثارة، وفي الصباح حينما استيقظ الملك خائفًا مرعوباً دعى كل خدمه وقص عليهم والدمع يتساقط من عينيه الحلم فقال أحد الخدم : أعد هذه المرأة إلى الرجل لأنه زوجها ، وحينما يحل هذا الرجل ببلد غريب يزعم أنها شقيقته وهذا ما فعله مع ملك مصر. وقد أرسل الرب عقوبات شديدة على فرعون حينما أخذ المرأة التي كانت معه. وتفكر أيها الملك أيضاً فيما حل بالبلد هذا المساء إذ عمها الألم والنحيب والاضطراب ، ونعلم أن ما تعرضنا إليه كان بسبب هذه المرأة^(١٩٠) .

وكان من بين خدمه من قال : لا تخف الأحلام فإن ماتراه بها ليس سوى ضرب من الأكاذيب . ثم تراعى الرب مرة أخرى إلى أبيمليك وأمره بإطلاق سراح سارة وإلا سيحل عليه الموت^(١٩١) . فأجابه الملك : أهذه طريقتك ؟ وأنصبر عندئذ أن أجيال الطوفان ولبلة الأكنسة كانت بريئة . إن هذا الرجل ذهب إلى أن هذه المرأة شقيقته بل وذهبت هي إلى أنه شقيقها . وردد كل أهل بيتهم الكلمات ذاتها . فقال الرب : أعلم أنك لم ترتكب معصية حتى الآن لأنى أمسكتك عن الخطيئة ، فانت لم تعلم أن سارة

زوجة هذا الرجل^(١٩٢) . إن إبراهيم النبي كان يعلم مسبقاً حجم الخطر الذى قد يتعرض إليه إذا أفصح فى التو عن كل الحقيقة^(١٩٣) ولكنه كان يعلم كنبى أيضاً أنك لن تمس زوجة .

وكان الدخان لازال يتصاعد من حمام سدوم ، فتخوف أبيميليك وأمله عند رؤية الدمار أن يحل بهم ذات المصير^(١٩٤) ودعى الملك إبراهيم وويحه لما سببه من أسى بسبب تقديمه معلومات خاطئة عن سارة . واعتذر إبراهيم عما فعل بدعوى أنه كان متخوفاً من أن يقتله سكان الأرض إذا قال إن سارة زوجته^(١٩٥) . وقص إبراهيم كل تاريخ حياته بقوله : حينما سكنت فى منزل أبى حاولت كل أمم العالم إلحاق الأذى بى غير أن الرب أثبت أنه مخلصى . وحينما حاولت أمم العالم تضليلى وبغضى إلى عبادة الأوثان تجلى الرب لى قائلاً : ارحل عن بلدك وعشيرتك وآل بيتك . وحينما كانت أمم العالم على وشك الضلالة أرسل الرب نبيين من نسلى وهما سام وايبير لتوبيخها^(١٩٦) .

وهب أبيميليك هدايا قيمة إلى إبراهيم أى أنه تصرف على نحو مباين لسلوك فرعون الذى كان قد وهب الهدايا إلى سارة غير أن أبيميليك كان تقياً فوهب الهدايا إلى إبراهيم حتى يصلى من أجله^(١٩٧) ، وقد وهب ساره ثوباً قيماً ليغطى كل جسدها مخفياً مفاتها التى تسر الناظرين . وفى ذات الحين فقد كانت هذه الهدية توبيخاً لإبراهيم لأنه لم يعط زوجته المظهر المناسب^(١٩٨) .

وبالرغم من أن أبيميليك كان قد ألحق أذى شديداً بإبراهيم إلا أنه سامحه بل ودعى الرب من أجله . ويتضح من هنا أنه من الواجب ألا يكون المرء شديد اللين كورقة الشجر أو صلباً كاشجار الأرز . ومن الواجب أن يكون المرء بطيئاً فى غضبه ، وأن يغفر فى التو لمن يسيء إليه فور اعتذاره ، ويجب ألا يفكر المرء فى الثأر حتى لو كان الأذى الذى لحق به شديداً وألا يضمم الكراهية لأخيه^(١٩٩) .

وصلى إبراهيم من أجل أبيميليك بقوله : " رب العالمين خلقت الإنسان حتى يتكاثر نوعه ولتدع أبيميليك وآل بيته يتناسلون ويتكاثرون " ^(٢٠٠) . ونفذ الرب طلب إبراهيم بشأن أبيميليك وآل بيته ، وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ البشرية التى ينفذ فيها الرب

طلب إنسان بشأن إنسان آخر^(٢٠١) وتم شفاء أبيميليك وكل رعاياه من كل الأمراض ، وأثبتت صلاة إبراهيم جدواها إذ حملت زوجة أبيميليك وأنجبت بعد أن كانت عاقراً لفترة طويلة^(٢٠٢) .

مولد إسحاق

وحينما استجاب الرب إلى ابتهالات إبراهيم من أجل أبيميليك، وشفى ملك الفلسطينيين صرخت الملائكة ضجراً محدثاً الرب بقولها : يارب العالمين إن سارة عاقر منذ عدة سنوات مثلما كانت زوجة أبيميليك ، وحينما ابتهل إبراهيم إليك من أجله وهبت زوجة أبيميليك طفلاً ، أفلا يكون من العدل والإنصاف أن تتذكر سارة وتهبها طفلاً ؟ . وكان لهذه الكلمات التي تحدثت بها الملائكة في ليلة رأس السنة التي تتحدد فيها في السماء مصائر كل البشر أثرها الفعال إذ ولد إسحاق في أول أيام عيد الفصح أي بعد مضي سبعة شهور على رأس السنة .

وكان مولد إسحاق حدثاً بهيجاً ولم تقتصر السعادة على دار إبراهيم إذ شملت البهجة والفرحة كل العالم خاصة أن الرب تذكر كل النساء العاقرات في الوقت الذي تذكر فيه سارة فوهب الرب جميعهن أطفالاً ، كما أعاد في هذا اليوم نعمة البصر إلى المكفوفين ، وعافى المقعدين ، وجعل البكم متحدثين ، وأعاد نعمة العقل إلى من كان أصابهم مس من الجنون .

وكان من بين المعجزات التي وقعت يوم ميلاد إسحاق أن الشمس سطعت على نهر لم تسطع به منذ خروج آدم من الجنة ، وإن تسطع على هذا النحو ثانية إلا في الآخرة^(٢٠٣) .

وحتى يتم إسكات كل من تساءلوا : هل يمكن لمن بلغ من العمر أرذله أن ينجب ولداً ؟ أمر الرب الملاك المسئول عن تشكيل الأجنة بأن يشكل إسحاق على شاكلة إبراهيم حتى يذكر كل من يشاهد إسحاق " لقد رزق إبراهيم بإسحاق"^(٢٠٤) .

وقد رزق إبراهيم وسارة ببنية بعد أن وصلا إلى هذا العمر المتقدم وكانت الحكمة من هذا الأمر أنه كان من الضروري أن يحمل جسد إبراهيم علامة العهد قبل أن يرزق بالولد الذي كان مقدرًا له أن يصبح والد إسرائيل^(٢٠٥) ، ولما كان إسحاق أول طفل يولد لإبراهيم بعد أن حمل علامة العهد فقد احتفل إبراهيم بختان ولده في اليوم الثامن بعد مولده احتفالاً ضخماً^(٢٠٦) .

وحضر هذا الاحتفال كل من " سام " و " أبير " و أبيمليك ملك الفلسطينيين وحاشيته و " بيكول " الذي كان يقوم بخدمة الضيوف . وشارك في الحضور أيضاً " تيراح " وولده " ناحور " ^(٢٠٧) . وتمكن إبراهيم في هذه المناسبة من وضع حد لأحاديث القائلين : انظروا إلى هذا الرجل وزوجته الطاعنين في السن ، لقد التقطوا طفلاً لقيطاً من الطريق ، وحتى يثبتا صدق دعواهما فهما يقيمان هذا الاحتفال الضخم . ولم يكتف إبراهيم بدعوة الرجال إلى العفل وإنما دعى أيضاً زوجات الأعيان وأطفالهن . وكان من المعجزات التي حدثت آنذاك أن الرب ملا ثديي ساره بلبن يكفى إرضاع كل الرضع^(٢٠٨) ، وقد أصبح الرضع الذين أتاحت لهم أمهاتهم الرضاعة من سارة من المهتدين عند نضوجهم ، كما أصبح بعضهم من الحكام الأقوياء الذين لم يفقدوا سلطانهم إلا بعد تجلى الرب على جبل سيناء إذ لم يقبلوا التوراة ، وبعد كل الوثنيين الاتقياء من نسل كل هؤلاء الرضع^(٢٠٩) .

وكان من بين الضيوف الذين شاركوا إبراهيم فرحته واحد وثلاثون ملكاً وواحد وثلاثون قائداً لفلسطين الذين أجهز عليهم " يوشع " عند غزوه للأرض المقدسة ، وكان من بين الحضور أيضاً " أوج " ملك " باشان " الذي عانى من سخرية الضيوف الذين ذكروه بأنه كان ينعم إبراهيم بأنه ثور عقيم لن يرزق ببنية ، فأنشأ " أوج " إلى الطفل الصغير بازدرأ قائلاً : لو وضعت إصبعي عليه سيياد ، وعندئذ قال الرب : إنك تسخر مما أعطيت لإبراهيم وسترى طيلة حياتك عشرات الآلاف والملايين من نسله وستخضع في نهاية حياتك لهم^(٢١٠) .

هروب إسماعيل

وحينما كبر إسحاق تفجرت المنازعات بينه وبين إسماعيل حول حق الابن البكر ، وكان إسماعيل قد أصر على حصوله على ضعف نصيب إسحاق فى الميراث بعد وفاة إبراهيم وأن يحصل إسحاق على جزء واحد فقط ، وكان إسماعيل قد اعتاد منذ صباه على استخدام القوس والسهم وتوجيه سهامه صوب إسحاق مدعياً أنه يداعبه^(٢١١) ، وكانت ساره قد أصرت على أن ينقل إبراهيم كل ممتلكاته إلى إسحاق حتى لا تنشب أية خلافات بعد وفاته^(٢١٢) فذكرت " لا يستحق إسماعيل أن يكون وريثاً مع ابنى إسحاق أو مع رجل مثل إسحاق"^(٢١٣) . وعلاوة على هذا أصرت سارة على انفصال إبراهيم عن هاجر والدة إسماعيل وعن ولده إسماعيل حتى لا يجمعهما شيء سواء فى هذا العالم أو فى العالم الآخر .

وكان هذا التحدى من أصعب التحديات التى واجهها إبراهيم فتألم بشدة لانفصاله عن ولده فتراضى الرب له فى الليلة التالية وخاطبه : إبراهيم ألا تعلم أن سارة قدر لها منذ أن كانت فى رحم والدتها أن تكون زوجك ؟ إنها رفيقتك وزوجك ولم أجعل هاجر زوجك . إن سارة لم تتطق إلا بالحق فلا تحزن على رحيل الصبى أو الأمة . ونهض إبراهيم غداة اليوم التالى وأعطى هاجر وثيقة طلاقها وطردها هى وابنها ووضع حبلأ حول خصرها حتى يعرف كل من يشاهدها أنها كانت أمة^(٢١٤) .

ورمقت سارة وإد هاجر بنظرة شريرة جعلته يمرض وتسرى الحمى فى جسده ، وإذا كان على هاجر أن تعمل لأنه لم يقو على السير ، حينما اشتدت الحمى عليه أفرغت أمه كل ما كان معها من ماء فى جوفه لتسرى عنه ، ولم تكن هاجر تقوى على رحيل الروح عن جسد ولدها فسارعت بوضع إسماعيل تحت شجيرة المصنصاف التى كبرت فى البقعة نفسها التى حدثتها فيها الملائكة لتخبرها أنها ستنجب ولداً . وحينما سيطر الإحساس بالمرارة عليها حدثت الرب قائلة : أخبرتنى بالأمس أنك ستزيد من نسلك على نحو لا يحصى لكثرة عدده غير أن ولدى يموت الآن عطشاً . ويكى إسماعيل أيضاً أمام الرب فأتاها بسبب حبه لإبراهيم غير أن الملائكة لم تكن شديدة التحمس لإغاثة إسماعيل فحدثت الرب بقولها : هل ستفجر البئر لن سيقوم نسله بإماتة بنى إسرائيل عطشاً ؟ غير أن الرب تسامل فى اللحظة ذاتها هل إسماعيل فى هذه اللحظة

صديق أم شرير ؟ - فتجابت الملائكة إنه صادق فذكر الرب - إنى أعامل الإنسان وفقاً لما يستحقه فى كل لحظة^(٢١٥) .

وكان إسماعيل تقياً حقاً فى هذه اللحظة إذ كان يبتهل إلى ربه بقوله : يارب العالمين إذا كانت مشيئتك أن أفنى فاكتب الموت لى بطريقة أخرى غير الظلم الذى لا يقوى عليه أحد . أما هاجر فبدلاً من التضرع إلى الرب فقد ابتهمت إلى أصنام آبائها . واستجاب الرب لصلوات إسماعيل فأمر بئر مريم بالتفجر ، هذا البئر الذى خلق فى فجر يوم الخلق السادس^(٢١٦) ، ورغم حدوث هذه المعجزة فلم تزد هاجر إيماناً فملأت الزجاجة ماءً لخوفها من أن يفنى الماء مرة أخرى ، وكانت هاجر قد قدمت من مصر وعادت إليها مرة أخرى لتختار زوجاً لولدها^(٢١٧) .

زوجتا إسماعيل

وانجبت زوجة إسماعيل أربعة ذكور وأنثى ، وارتحل إسماعيل فيما بعد مع والدته وزوجه وأبنائه عائدين إلى البرية التى وضعوا فيها خياماً للسكنى ، وواصلوا وضع خيامهم وترحالهم شهراً تلو الآخر وعاماً تلو الآخر ، ووهب الرب إسماعيل قطعاناً وخياماً ليس لشيء سوى أن إبراهيم والده ، وتكاثر قطعان إسماعيل ، وكان إبراهيم قد حدث زوجته سارة بقوله : سأنهب لرؤيتى لى إسماعيل الذى اشتاق لرؤيتى لأنى لم أراه منذ زمن طويل . وامتطى إبراهيم أحد جماله متجهاً إلى البرية لمشاهدة ولده إسماعيل لأنه سمع أنه يقيم بخيمة فى الصحراء مع كل أهله ، وحينما وصل إبراهيم إلى خيمة إسماعيل قرب الظهيرة سأل عنه ، وكان قد وجد زوجة إسماعيل بالخيمة مع أولادها غير أنه لم يجد بها زوجها ووالدته فسألها عن الجهة التى توجه إليها إسماعيل فأجابته أنه توجه للصيد ، وكان إبراهيم لا يزال يمتطى جملة خاصة أنه كان قد أقسم لسارة ألا يبطأ الأرض بقدميه . وحدث إبراهيم زوجة إسماعيل بقوله : بنيتى أخضرتى لى قليلاً من الماء لأروى به ظمئى بعد أن تعبت من الرحلة . فتجابت : ليس لدينا ماء أوخيز . وكانت لا تزال تجلس فى خيمتها دون أن تنقبه إلى أنها تحدث إبراهيم بل إنها لم تستفسر منه عن شخصه . وبينما كان إبراهيم جالساً سمع وشاهد زوجة إسماعيل تسب وتضرب أبناءها وتتحدث بالسوء عن زوجها فعاها للخروج من خيمتها فخرجت

ووقفت أمامه فحدثها من مجلسه بقوله : حينما يرجع زوجك إسماعيل أبلغه أن رجلاً عجوزاً من أرض الفلسطينيين أتى إليك وصفى له شكلى ، وأخبره أنك لم تستفسرى عن شخصى ، وقولى له عند عودته : دعك من وتد الخيمة الذى وضعت هنا وضع وتد آخر مكانه .

وغادر إبراهيم بعد هذا الحديث المكان . وحينما عاد إسماعيل إلى خيمته أخبرته زوجته بما سمعته فعلم أن من حدثها كان والده وأن زوجته لم توقره ، وأدرك إسماعيل مغزى حديث إبراهيم إلى زوجته فاستجاب له وطلق زوجته وارتحل فيما بعد إلى أرض كنعان التى أخذ فيها زوجة أخرى وأحضرها إلى خيمته بالمكان الذى سكن فيه .

وبعد مضى ثلاث سنوات حدث إبراهيم سارة زوجته قائلاً : سأذهب مرة أخرى لرؤية ولدى إسماعيل فلم أره منذ وقت طويل . فامتطى جملة وتوجه إلى البرية ووصل إلى خيمة إسماعيل قرب الظهيرة ، وحينما سأل عن إسماعيل أتته زوجته من الخيمة وقالت : إنه ليس هنا يا سيدى فقد ذهب للصيد فى الحقول وإطعام الجمال . ثم قالت : تفضل يا سيدى إلى الخيمة ولتتناول كسرة من الخبز لأنك تعبت بالتأكيد من مشقة السفر . فقال إبراهيم : لن أتوقف لأنى أرغب مواصلة رحلتى ولكن أعطنى قليلاً من الماء لأطفى عطشى . فأسرعت المرأة إلى الخيمة وأحضرت ماءً وخبزاً لإبراهيم ووضعتهما أمامه وبعته للأكل والشرب فاكل وشرب وابتهج إبراهيم وبارك إسماعيل . وبعد أن فرغ من طعامه بارك الرب وأخبر زوجة إسماعيل : حينما يرجع إسماعيل حدثه أن رجلاً عجوزاً من أرض الفلسطينيين أتى إلى هنا وسأل عنك ، وأنت لم تكن هنا وأنتك أطعمتيه وسقيته وأنه أكل وشرب وكان سعيداً ، وأنه أخبرنى بالآى يقتلع وتد الخيمة الذى وضعه . وحينما فرغ إبراهيم من حديثه عاد إلى موطنه بأرض الفلسطينيين وحينما أتى إسماعيل إلى خيمته ذهبت زوجته للاقائه بسعادة وبهجة ، وقصت عليه ما كان من حديث الرجل العجوز ، فعلم إسماعيل أن هذا الرجل والده وأن زوجته أحسنت استقباله فشكر الرب ، وأخذ إسماعيل زوجته وأبناءه وقطيعه وكل ما لديه وارتحل صوب والده بأرض الفلسطينيين . وقص إبراهيم على إسماعيل كل ما حدث بينه وبين زوجته إسماعيل ، وأقام إسماعيل وأبناؤه مع إبراهيم أياماً طويلاً فى تلك الأرض وسكن إبراهيم فى أرض الفلسطينيين فترة طويلة^(٢١٨) .

العهد مع أبيمالك

وغادر إبراهيم أرض الفلسطينيين بعد أن قضى بها ستة وعشرين عاماً مرتحلاً ، وأقام بالقرب من الخليل حيث زاره " أبيمالك " مع عشرين من عليه القوم^(٢١٩) ، وطلبوا منه التحالف مع الفلسطينيين .

وحينما لم تكن لإبراهيم نرية لم يؤمن عبدة الأوثان بتقواه وبعد أن أنجب إسحاق أخبروه : إن الرب يقف بجانبك . غير أنهم تشككوا مرة أخرى في مدى تقواه حينما نبذ إسماعيل ، فقالوا في قلوبهم : كيف يمكن لرجل تقى أن يخرج ولده من منزله ؟ وعندما لاحظوا أن أعمال إسماعيل لا تتسم بالتقوى قالوا : إن الرب معك في كل ما تعمل . ولأن إبراهيم كان حبيب الله فقد أدركوا أنه بالرغم من دمار سدوم وتوقف حركة التجارة بتلك المنطقة فإن خزائن إبراهيم ظلت على ما هي عليه ، ولهذا الأسباب سعى الفلسطينيون إلى التحالف معه والبقاء في السلطة لثلاثة أجيال لأن حب الآباء يمتد إلى الجيل الثالث .

وقبل أن يتم التوصل إلى عهد مع " أبيمالك " ملك الفلسطينيين وبخ إبراهيم هذا الملك بسبب ما فعله في الماضي بشأن أحد الآبار ، وكان هذا التوبيخ متماشياً مع قاعدة " إن التصحيح يقود إلى الحب " و " إنه لا سلام بدون إرشاد " . وأرجأ رعاية إبراهيم و " أبيمالك " نزاعاتهم على البئر وسلموا بقرار أن يكون البئر من نصيب الجماعة التي تتفجر في أرضها المياه ، ومن ثم يمكن لها شيتها الارتواء ولكن رعاية " أبيمالك " لم يلتزموا بالاتفاق وأصرروا على استخدام البئر لصالحهم^(٢٢٠) . وحتى يثبت إبراهيم أن هذا البئر يخصه فقد أبعد عن هذا البئر السبع من الغنم ، واختار هذا الرقم بعينه ليكون متوافقاً مع الوصايا السبع الملزمة لكل أبناء نوح^(٢٢١) . ولكن الرب قال : لقد أعطيته سبعة أغنام وسيقتل الفلسطينيون ذات يوم سبعة صديقيين وهم " شمشون " و " حوفنى " و " بينحاس " و " شاءول " وأبناءه الثلاثة ، وسيدمرون سبعة أماكن مقدسة ، وسيضعون التابوت المقدس في أرضهم كغنيمة حرب لسبعة شهور ، وسيصبح بمقدور الجيل السابع فقط من نسلك امتلاك الأرض الموعودة لهم^(٢٢٢) .

وبعد أن تم التوصل إلى عهد مع " أبيمليك " الذى اعترف بحق إبراهيم فى البئر فقد سمي المكان الذى توصلا فيه لاتفاق " بئر سبع " لأنهما أقسما فيه على عهد الصداقة .

وأقام إبراهيم سنوات طويلاً فى بئر سبع وسعى هناك إلى نشر شريعة الرب فغرس بستاناً ضخماً هناك وجعل له أربع بوابات يواجه كل منها أنحاء الأرض : الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وزرع كرمًا بداخلها ، وكان منزل إبراهيم مفتوحاً دائماً لعابرى السبيل الذين يدخلونه يوماً للتزود بالطعام والشراب . وحينما يمر بمنزله من يحتاج إلى طعام كان إبراهيم يعطيه ما يحتاج من طعام وشراب ، وإذا مر عليه شخص عار كان إبراهيم يكسبه بالملابس التى يختارها ، ويعطيه فضة وذهباً . ويحدثه عن الرب الذى خلقه ونصبه على الأرض^(٢٢٣) ، وكان عابرو السبيل يتوجهون بالشكر إلى إبراهيم لما أعطاهم من طعام فكان يجيبهم متسائلاً : لم تتوجهون بالشكر إلى ؟ ارفعوا الشكر إلى مضيفكم القادر على توفير الطعام والشراب لكل المخلوقات . وسأله القوم : وأين هو ؟ فأجابهم بقوله : إنه حاكم السموات والأرض فهو الشافى والمكون للأجنة فى أرحام أمهاتهم ومخرجهم إلى العالم ومسبب نمو النباتات والأشجار ويميت ويحيى ، وينقل الأحياء إلى عالم الآخرة ويبعثهم . وحينما سمع القوم مثل هذه الكلمات تسامحوا : وكيف يمكننا العودة لشكر الرب وإظهار عرفاننا له ؟ فعلمهم إبراهيم الكلمات التالية : اذكروا تبارك الرب المبارك ، تبارك معطى الخبز والطعام لكل الكائنات . وعلم إبراهيم على هذا النحو من نعموا بكرمه وحسن ضيافته شكر الرب^(٢٢٤) . ولم يعد دار إبراهيم ملوئى للجوع والعطاشى وإنما أصبح مقراً تدرس به معرفة الرب وشريعته^(٢٢٥) .

الشیطان يتهم إبراهيم

وبالرغم من كل الكرم الذى شهدته منزل إبراهيم فقد حدث أن شخصاً فقيراً أو يدعى الفقر خرج من المنزل خاوى الوفاض . وكان هذا الحدث هو سبب تعرض إبراهيم إلى الاختبار الأخير المتمثل فى التضحية بولده الحبيب إسحاق ، وحدث هذا الاختبار فى اليوم الذى احتفل فيه إبراهيم بمولد إسحاق إذ كان قد أعد مأدبة ضخمة دعى إليها كل نبلاء زمانه وزوجاتهم ، أما الشيطان الذى يظهر دائماً فى الحفلات

والمأذب التي لا يشارك فيها الفقراء والذي يترفع عن الأماكن التي يشارك فيها الفقراء فقد لجأ إلى المذبة التي أقامها إبراهيم وتوجه إليها في صورة شحاذ يطرق الأبواب بحثاً عن صدقة . وكان الشيطان قد لاحظ أن إبراهيم لم يوجه الدعوة إلى أى فقير فعلم أن منزله هو الموضع الصحيح .

وكان إبراهيم منشغلاً بمسامرة ضيوفه المرموقين كما كانت سارة تحاول إقناع زوجاتهم أن إسحاق هو ولدها وأنه ليس بولد غير شرعى ، ولم يهتم أحد بالمتسول الواقف على الباب والذي لعن إبراهيم للرب^(٢٢٦) .

ووقفت الملائكة ذات يوم أمام الرب ، وكان الشيطان معهم^(٢٢٧) ، وقال الرب للشيطان : من أين أتيت ؟ فأجاب الشيطان بقوله : من الأرض التي أقطعها ذهاباً وإياباً من أقصاها إلى أنداها . فقال الرب للشيطان : وماذا لديك لتقول عن بنى الأرض؟ فأجاب الشيطان بقوله : رأيت كل بنى الأرض يعبدونك ويتذكرونك حينما يكون لديهم مطلب منك ، وحينما يتحصلون على ما يبتغون يتخلون عنك ولا يتذكرونك ، أرايت إبراهيم بن تيراح الذى لم تكن له ذرية في البدء فعبدك وأقام لك مذابح أينما حل وقدم لك عليها الأضاحى ، وعمل على نشر اسمك في أوساط كل أبناء الأرض ؟ والآن وبعد أن أنجب ولده إسحاق تخلى عنك ، لقد أقام مذبة لكل سكان الأرض ونسى الرب فلم يقدم لك الأضاحى ، ولم يحرق لك قرابين سلامة أو حملاً كبشاً من بين كل ما ذبح في اليوم الذى فطم فيه ولده ، كما أنه لم يشيد لك أى مذبح منذ أن ولد ابنه حتى بعد أن بلغ من العمر سبعة وثلاثين عاماً ، ولم يقدم لك أية أضاحٍ لأنه رأى أنك أعطيت كل ما ابتغى . فقال الرب للشيطان : هل فكرت حقاً في عبدى إبراهيم فليس هناك مثيل له على الأرض . إنه كامل وصديق أمامى يخشى الرب ويتجنب الشر . ولو قلت له قدم لى ولدك إسحاق فلن يبخل به على بل وإن يتوانى عن تقديم كل ما يملك . فأجاب الشيطان الرب بقوله : حدث إبراهيم بما قلت وسترى إذا ما كان سيمعصاك^(٢٢٨) .

وأراد الرب أن يختبر إسحاق أيضاً فحينما تباهى إسماعيل على إسحاق بقوله : كنت أبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً حينما حدث الرب والذى بختاننا ولم أعص كلماته التى أمر بها والذى . فأجاب إسحاق إسماعيل بقوله : لماذا تباهى على بشأن هذه القطعة الصغيرة من اللحم التى أخذت من جسدك طاعة لأمر الرب ؟ فإذا طلب الرب من والدى أن أقدم كضحية فلن أتردد وسأسارع بتنفيذ أمره .

الرحلة إلى موريا

وفكر الرب في أن يختبر إبراهيم وإسحاق معاً^(٢٢٩) فقال لإبراهيم : خذ الآن ولدك.

إبراهيم : لدى ولدان، ولا أنرى أيهما تأمرنى بلخذه .

الرب : ابنتك الوحيد .

إبراهيم : إن الابن الوحيد هو ولد أمه والآخر هو الابن الوحيد لوالدته .

الرب : الذي تحبه .

إبراهيم : أحب هذا وذاك .

الرب : إسحاق^(٢٣٠) .

إبراهيم : وإلى أين ستذهب ؟

الرب : الأرض التي سأريكمها ، وقدم إسحاق هناك المحرقة .

إبراهيم : لا أصلح لتقديم الأضحية . وهل أنا كاهن؟ أليس من الواجب أن يقوم

الكاهن الأعلى بهذه المهمة ؟

الرب : عند وصولك إلى ذلك المكان سأجعلك كاهناً^(٢٣١). وحدث إبراهيم نفسه

قائلاً : وكيف سأنفصل ولدى إسحاق عن سارة والدته ؟ وأتى إبراهيم إلى الخيمة

وجلس أمام سارة زوجته وحدثها قائلاً : كبر ولدى إسحاق ولم يتعلم بعد عبادة الرب ،

وسأخذ غداً إلى سام وولده أبيير حيث يتعلم هناك مسالك الرب إذ سيعلماه معرفة

الرب وكيفية عبادته حتى يستجيب له . وأجابته سارة : تحدثت بالعق فافعل به ما قلت

ولكن لا تبعده عنى ولا تجعله يقيم هناك طويلاً لأن روحى مرتبطة بروحه . فقال إبراهيم

لسارة : دعينا نبتهل إلى ربنا بثن يحسن إلينا . وأخذت سارة ولدها إسحاق وقضى

معها الليل وقبلته واحتضنته ، لم تتوقف عن إسداء النصح له حتى الصباح فقالت

لإبراهيم : سيدى أتوسل إليك أن ترعى ولدك وأن تراقبه فليس لى ولد غيره . ولا تهمله

فأطعمه إذا هاجمه الجوع وتناول الماء إذا عطش . ولا تجعله يسير على قدميه أو يجلس

فى الشمس ولا تجعله يسير بمفرده ولا تحرمه شيئاً وافعل كل ما يطلبه منك .

وبعد أن قضت ملوأل الليل تنتحب بسبب فراق إسحاق استيقظت في الصباح واختارت له ثوباً من أجمل الثياب التي وهبها لها " أبيمليك " ، ووضعت على رأسه عمامة ثبّتت عليها حجراً كريماً ، ووفرت لهما التدايير اللازمة للطريق ، وذهبت سارة معهما ورافقتهما حتى بداية الطريق لتودعهما ثم طلبا منها العودة إلى الخيمة ، وحينما سمعت سارة هذه الكلمات من وادها إسحاق أخذت في النحيب وشاركها البكاء زوجها إبراهيم فبكى إسحاق أيضاً وشاركهم البكاء من كان معهم من خدم ، وأمسكت سارة بإسحاق واحتضنته وواصلت البكاء معه وقالت ساره متسائلة : ترى هل سراك ثانية بعد هذا اليوم ؟

وارتحل إبراهيم وإسحاق بينما عادت سارة وخدمها إلى المنزل^(٣٣٢) ، وكان إبراهيم قد اصطحب في طريقه إسماعيل وإليعازر ، وبينما كانوا يسرون على الطريق حدث إسماعيل لإليعازر قائلاً : إن والدي يسير حالياً مع إسحاق لتقديمه كأنفسية للرب ، وعند عودته سيعطيني كل ما يملكه لأرثه لأنني ولده البكر . فاجاب إليعازر قائلاً : لقد تركك إبراهيم مع والدك وأقسم أنك لن ترث شيئاً مما يملك ، ولن سترك كل أشيائه الثمينة إلا لخادمه ؟ أي لي إذ خدمته ليلاً نهاراً وقمت بكل ما يبتغيه . فقالت الروح القدس : لن يرث إسماعيل أو إليعازر شيئاً من إبراهيم^(٣٣٣) .

وبينما كان إبراهيم وإسحاق يمضيان على الطريق ظهر الشيطان لإبراهيم في صورة رجل طاعن في السن ومتواضع محطم النفس وقال له : هل أنت أحمق أم غبي لترتكب هذه العماقة مع ابنك؟ لقد وهبك الرب ولدأ في آخر أيامك وستقوم بذبح من لم يرتكب إثماً وكيف ستقوم بإيابة هذه الروح من على الأرض ؟ ألا تعرف أنه لا يقوم بهذا العمل سوى الرب ؟

وحينما سمع إبراهيم هذه الكلمات أدرك أنها صادرة عن الشيطان الذي يحاول أن يضلّه عن طريق الرب . وعلوه الشيطان محاولته فظهر أمام إسحاق وتراءى له في صورة شاب وسيم وقال له : ألا تعلم أن والدك الأحمق سيذبحك عبثاً هذا اليوم ؟ ولدي لا تنصت إليه لأنه رجل أحمق ولا تدع روحك السامية وصورتك الجميلة تفتيان من على الأرض .

وأخبر إسحاق والده بما قاله الشيطان فنجابه إبراهيم : احذر الشيطان ولا تنصت إلى كلماته لأن الشيطان يحاول أن يضلنا عن تعاليم ربنا . وويخ إبراهيم الشيطان مرة ثانية فابتعد عنهما ، وحينما أدرك الشيطان أنه ليس بمقدوره السيطرة على إبراهيم أو إسحاق نسخ نفسه في صورة غدير ماء بالطريق . وعند وصول إبراهيم وإسحاق وإسماعيل وإليعازر إلى هذا المكان شاهدوا الغدير بمياهه القوية والغزيرة ، فدخلوا الغدير محاولين اجتيازه غير أنه كلما كانوا يجتازونه كان الغدير يزداد عمقاً حتى وصلت المياه إلى أعناقهم فبثت المياه في نفوسهم الرعب . غير أن إبراهيم تعرف على المكان وعلم أن المياه لم تكن تغمره وأدرك أن الشيطان يكمن بالمياه ليصرفه هو وركبه عن تنفيذ أمر الرب ، وويخ إبراهيم الشيطان بقوله : إن الرب يوبخك فارحل عنا لأننا نسير بأمر الرب . وفزع الشيطان من صوت إبراهيم وابتعد عنهم فجف المكان كما كان عليه من قبل . وذهب إبراهيم مع إسحاق صوب المكان الذي أخبره به الرب^(٢٣٤) .

وتراى الشيطان فيما بعد لسارة في صورة رجل عجوز سألها قائلاً : أين ذهب زوجك ؟ فقالت : إلى عملي . فعاودها السؤال عن إسحاق فنجابت : ذهب مع والده إلى مكان دراسة التوراة . فقال الشيطان : إنك امرأة عجوز مسكينة وستبكين على مصير ولدك ، فأنت لا تعرفين أن إبراهيم أخذ ولدك ليضحي به . وامتلاً قلب سارة بالرعب فارتجفت أطرافها ولم تعد تشعر بما حولها غير أنها تماسكت لتقول : إن إبراهيم سيقوم بكل ما أخبره به الرب^(٢٣٥) .

وفي اليوم الثالث من الرحلة رفع إبراهيم بصره فشاهد المكان الذي أخبره به الرب ، ولاحظ أنه يقع على قمة الجبل عمود من نار يصل الأرض بالسماء ، وغيم كثيف تراى من خلاله مجد الرب فحدث إبراهيم ولده إسحاق قائلاً : ولدى أنتشاهد ما أراه على قمة هذا الجبل البعيد ؟ فنجاب إسحاق : أشاهد عجباً عموداً من نار ، وضيماً ومجد الرب بين السحب . وعلم إبراهيم عندئذ أن الرب سيقبل إسحاق كضحية . فسأل إبراهيم كلا من إسماعيل وإليعازر : أنتشاهدان مانشهده على الجبل ؟ فأجابا : لا نشاهد شيئاً سوى أنه جبل مثل غيره من الجبال . فعلم إبراهيم أن الرب لا يقبل مجيئهما معهما^(٢٣٦) فأمروهما إبراهيم بالبقاء بجوار الحمار قائلاً : إنكما مثله فلا تشاهدان سوى ما يشاهده^(٢٣٧) . وستواجه مع ولدى إسحاق إلى ذلك الجبل البعيد لنعيد به

الرب ونعود إليكما هذا المساء^(٢٣٨) . وكانت النبوة قد حلت على إبراهيم في هذه اللحظة لأنه تنبأ بعودته هو وإسحاق من الجبل^(٢٣٩) . ويقي إليعازر وإسماعيل في المكان الذي أمرهما إبراهيم بالبقاء فيه في حين ابتعد إبراهيم وإسحاق في طريقهما إلى الجبل .

التضحية

وبينما كانا يمضيان على الطريق حدث إسحاق والده : لدينا النار والحطب غير أنه ليس لدينا حمل لنقدمه كضحية للرب . فأجاب إبراهيم إسحاق بقوله : اختارك الرب ولدى بدل من الحمل لتكون أضحية سلامة فقال إسحاق : سأفعل كل ما حدثك الرب به بسعادة وطمأنينة فعلاود إبراهيم الحديث إلى ولده إسحاق قائلاً : هل يساور قلبك التفكير في أن ما سنقوم به ليس صحيحاً ؟ أخبرني ولدي ولا تخف عني شيئاً . فقال إسحاق : لأن الرب حي ولأن روحك حية فلا يساورني شيء يدفعني لأن أحميد عن الكلمات التي حدثك بها الرب ، ولم يرتعد لي طرف أو جفن لما قلته ، ولم تسر بقلبي أية فكرة أو خاطرة شريرة بشأن ما قلت ، بل إن قلبي يفيض بالسعادة وأريد : تبارك الرب الذي اختارني لأكون قريباً له .

وسعد إبراهيم للغاية بكلمات إسحاق فساراً معاً ووصلا إلى ذلك المكان الذي تحدث الرب عنه إلى إبراهيم^(٢٤٠) وتقدم إبراهيم لبناء المذبح في ذلك المكان وقام إبراهيم ببناؤه مستعيناً بإسحاق الذي كان يناول والده الحجارة والأبنوات المستخدمة في البناء حتى انتهيا من تشييد المذبح ، وأخذ إبراهيم الأخشاب ورتبها على المذبح ، وشد وثاق إسحاق لوضعه على الخشب الموضوع على المذبح لتقديمه كضحية للرب^(٢٤١) ، وتحدث إسحاق في هذا الموضع بقوله : أبتاه أسرع وشمر عن ساعديك وشد وثاق يدي وقدمي فلا أبلغ من العمر سوى سبعة وثلاثين عاماً وأنت رجل طاعن في السن ، فربما ترتعد فرائضي عند رؤية السكين في يدك فرغبة الحياة قوية ، وقد أخرج نفسي فلا أصبح صالحاً لأن أكون أضحية ، أستطيك أبتاه بالإسراع ولتتخذ مشيئة الله ولا تتوان ، اخلع ثوبك وتماسك ولتحرقني بعد نبحي واجعلني رماداً ثم اجمعه وأحضره إلى والدتي سارة وضعه في تابوت بحجرتها ، فستتذكر كلما دخلت حجرتها ولدها إسحاق وتبكيه .

وذكر إسحاق أيضاً : عند انتهائك من نبجي وعودتك إلى والدتي سارة ستسالك أين ولدي إسحاق فكيف ستجيبها؟ وماذا ستفعلن في هذا العمر المتقدم؟ فنجابه إبراهيم : نعلم أنه من الممكن أن نبقي عليك بضعة أيام ، إن الرب الذي بث الطمأنينة في نفوسنا قبل ميلادك سيبيث الطمأنينة فينا .

وبعد أن قام إبراهيم بوضع الأخشاب على نحو منظم وفرغ من شد وثاق إسحاق استجمع قواه ووضع ثوبه بجانبه وضم ركبتيه على إسحاق بكل قوته، ورأى الرب في علاه كيف كان قلبا إبراهيم وإسحاق متلازمين ، وكيف كانت الدموع تنهمر من عيني إبراهيم على إسحاق ، ومن إسحاق على الخشب الذي غمره الدمع، وحينما مد إبراهيم يده لتناول السكين لأذبح والده حدث الرب الملائكة متسانلاً : أترون كيف يظهر صديقي إبراهيم وهدانية اسمي في العالم؟ ولو كنت أنصت إليكم عند خلق العالم حينما قلم ما قيمة الإنسان الذي تهتم به؟ فمن كان سيعلن وهدانية اسمي في العالم؟

وانفجرت الملائكة عندئذ في العويل والصراخ قائلة : أين ثواب إبراهيم الذي كان يستضيف الفقراء والمسافرين بمنزله ويطعمهم ويشربهم ، ويذهب معهم إلى الطريق ليودعهم؟ إن عهدك مع إبراهيم سيُنقذك إذ سبق لك أن قلت له : إنك ستعرف من خلال نسل إسحاق ، وإني سأثبت عهدي مع إسحاق . إن العهد سيُنقذك لأن هد السكين أصبح على رقبة إسحاق .

وتساقطت دموع الملائكة على السكين ، ومن هنا لم يمكنه ذبح إسحاق الذي كانت روحه قد فرت منه من فرط الرعب ، واستدعى الرب كبير الملائكة وقال له : لماذا تقف ها هنا ، ولاتجعل إسحاق يذبح؟ وصرخ الملاك ميخائيل من فرط الحزن قائلاً : إبراهيم إبراهيم ارفع يدك عن الصبي ولا تفعل به شيئاً . وأجاب إبراهيم بقوله : أمرني الرب بذبح إسحاق وتأمرنى بالأناذيه ، فهل أستمع إلى كلمات المعلم أم إلى كلمات التلميذ^(٢٤٢)؟ ثم سمع إبراهيم صوتاً يتردد بالاسماء قائلاً : يقول الرب أقسمت بنفسى لأنك فعلت هذا الأمر ولم تحتفظ بابنك بآني سبأرك في كل بركة ، وسأجعل نسلك كنجوم السموات ورمال البحر ، وسيسيطر نسلك على بوابات الأعداء ، وسيبأرك نسلك في كل أمم الأرض لأنك أطعت صوتي .

وترك إبراهيم في اللحظة ذاتها إسحاق الذي دبث فيه روح الحياة ثانية بفضل الصوت السماوي الذي نهى إبراهيم عن نبج ولده، وفق إبراهيم القيود عن إسحاق الذي نهض واقفاً على قدميه مردداً الابتهاال "تبارك الرب الذي يحيى الموتى" (٢٤٣) .

ثم حدث إبراهيم الرب بقوله : هل أذهب دون أن أقدم أضحية ؟ فاجابه الرب : ارفع عينيك وانظر الأضحية التي أمامك (٢٤٤) . فرفع إبراهيم عينيه وشاهد حملاً بأية كان الرب قد خلقه خلال شفق مساء يوم السبت في أسبوع الخلق، وأعد منذ ذلك الحين هذه الأضحية بدلاً من إسحاق، وقد أخرج إبراهيم الحمل من الأيكة التي كان بها ووضعها على المذبح كأضحية بدلاً من إسحاق، ونثر إبراهيم دم الحمل على المذبح وهتف قائلاً : هذا الحمل بدل ولدي وليكن دمه أمام الرب بدلاً من ولدي. وقبل الرب أضحية الحمل واعتبرها وكأن إسحاق هو الذي تمت التضحية به (٢٤٥) .

وكما كان خلق الحمل خارقاً للعادة فقد تم استخدام كل أجزاء جسمه على نحو خاص فلم يتم إهدار أى جزء منه فشكل رماد الأجزاء التي حُرقت على المذبح أساس الجزء الداخلى من المذبح الذي تقدم عليه أضاحى التكفير مرة في العام أى في يوم الغفران الذي قدم فيه إسحاق كأضحية . أما أعصاب الحمل فقد صنع داود منها عشرة أوتار لقيثارته التي كان يعزف عليها ، واستخدم إيليا جلده في صنع حزامه، أما قرناه فقد نفخ في أحدهما عند انتهاء الوحي على جبل سيناء، أما الآخر فيستخدم للإعلان عن انتهاء المنفى ، وحينما يتم النفخ في البوق العظيم فيأتى كل من كانوا على وشك الفناء في أرض آشور ومن تم تركهم في أرض مصر، وسيعبد كل هؤلاء الرب في الجبل المقدس بالقدس (٢٤٦) .

وحينما أمر الرب الوالد بالتوقف عن التضحية بإسحاق قال إبراهيم : يحاول المرء إغواء الآخر لأنه لا يعلم ما بقلبه غير أنك تعلم أنى كنت مستعداً للتضحية بولدى .

الرب : كان هذا واضحاً لى وكنت أعلم مسبقاً أنك إن تبخل على بروحه .

إبراهيم : ولماذا إذاً ابتليتنى على هذا النحو ؟

الرب : كنت أرغب فى أن يعرفك كل العالم وأن يعرف أنى لم أخترك من بين كل الأمم عبداً ، والآن فقد شهد كل البشر أنك تخشى الرب (٢٤٧) .

وفتح الرب عندئذ السموات فسمع إبراهيم الكلمات التالية : أقسم بنفسى .

إبراهيم : إنك تقسم وأقسم أيضاً بئى إن أغادر هذا المذبح حتى أقول ما ينبغى قوله .

الرب : قل ما تبتغى قوله .

إبراهيم : ألم تعلن بآئك ستخرج من صلبى من سيملاً نسله العالم ؟

الرب : بلى .

إبراهيم : من تعنى من أبنائى ؟

الرب : إسحاق .

إبراهيم : كان يمكننى أن أويحك^(٥) قائلاً يا رب العالمين لقد ذكرت بالأمس أن نسلك سيعرف من خلال إسحاق ، وتذكر الآن خذ ولدك ، ولدك الوحيد ، وقدمه كاضحية ، غير أنى أحجمت عن الكلام ولم أذكر شيئاً . ومن هنا فهل يمكن أن تغفر ذنوب أبناء إسحاق وأن تخلصهم من المعاناة إذا ارتكبوا أية ذنوب وأن تتفكر فى أن أباهم إسحاق كان سيقدم كاضحية .

الرب : لقد قلت ما كنت تبتغى قوله وسأقول الآن ما ينبغى أن أقول : سيعصينى أبناؤك فى المستقبل وسأحكمهم يوم رأس السنة . وإذا ابتغوا مغفرتى فلينفخوا فى البوق المصنوع من الحمل فى هذا اليوم وسأغفر خطاياهم لأنى سأذكر الحمل الذى حل محل إسحاق^(٢٤٨) . وأوحى الرب لإبراهيم أيضاً بأن المعبد الذى سيشتيد فى البقعة التى قدم فيها إسحاق كاضحية سيتعرض للدمار^(٢٤٩) وأن أبناءه سيتنقلون من مملكة إلى مملكة فسيخرجون من بابل ليقعوا تحت حكم " ميديا " التى سيخرجون منها ليصبحوا عبيداً لليونان والتى سيتحررون منها ليعملوا فيما بعد الرومان . غير أنهم سيحققون الخلاص الأخير مع تردد صوت البوق المصنوع من الحمل أى حينما ينفخ الرب فى البوق ويسير مع عواصف الجنوب^(٢٥٠) .

وكان المكان الذى شيد فيه إبراهيم المذبح هو المكان نفسه الذى قدم فيه آدم الأضحية الأولى والذى قدم فيه هابيل وقايل قريانيهما إلى الرب ، وهو المكان نفسه

(٥) كذا فى الأصل .

الذى شيد فيه نوح منبجاً للرب بعد أن أقام الفلك^(٢٥١) ، وسمى إبراهيم المكان الذى علم أنه مخصص للهيكـل "أورى" لأنه مخصص لتقوى وعبادة الرب^(٢٥٢) ، كما أن سام سـمى هذا المكان "شاليم" أى مكان السلام ، ومن هنا فإن الرب لم يعتقد على تسمية إبراهيم أو سام وجمع المسميين وسمى المدينة "أورشليم"^(٢٥٣) .

ويعد أن قدم إبراهيم الأضحية على جبل "موريا" عاد إلى منطقة "بئر سبع" التى كانت مسرحاً للكثير من أحاسيسه بالبهجة^(٢٥٤) . أما إسحاق فقد حملته الملائكة إلى الجنة التى تجول فيها لثلاثة أعوام ، وعاد إبراهيم بمفرده إلى منزله وحينما رآته سارة صرخت : ذكر الشيطان الحقيقة حينما قال إنك ضحيت بإسحاق ، وبلغ بها الحزن أشده فارتحلت روحها عن جسدها^(٢٥٥) .

وفاة سارة ودفنها

وبينما كان إبراهيم منشغلاً بالأضحية ذهب الشيطان إلى سارة وتراعى لها فى صورة رجل عجوز شديد التواضع والخنوع وقال لها : ألا تعلمين ما فعل إبراهيم بولدك الوحيد هذا اليوم ؟ لقد أخذ إسحاق وبنى مذبحاً وذبحه وقدمه أضحية . لقد انتحب الصفيـر أمام والده غير أنه لم تأخذه رحمة به . ويعد أن حدثها الشيطان بهذه الكلمات ارتحل بعيداً عنها فتصورت سارة أن هذا العجوز واحد ممن كانوا يسيرون مع ولدها ، وصرخت ساره منتحبة وقالت : ولدى إسحاق . ولدى ليتنى مت بدلاً منك ، قلبى ينفطر عليك ، ويعد أن ربيـتك أضحت سعادتى بك إلى نحيب عليك ، لقد ظلمت أبتهل إلى الله من أجل الولد حتى رزقت به وأنا فى التسعين من العمر ، والآن يتم ثوابى بالسكين والنار ولكنى أواسى نفسى بأن هذه مشيئة الرب ، ويترك نفدت مشيئته . ومن ذا الذى يجرؤ على تجاوز وعصيان كلمات ربنا الذى يملك أرواح كل المخلوقات ؟ إنك الحق يا رب فكل أعمالك خيرة وصادقة كما أنى أبتهج بالكلمات التى تتمر بها ، وإذا كانت عيناى تفيضان بالدمع فإن قلبى يفيض بالبهجة .

وضعت سارة رأسها على صدر إحدى خادمتها وبقيت هكذا طويلاً حتى أصبحت كالـحجر . ونهضت فيما بعد وذهبت تستفسر عن ولدها وقادها السير حتى الخليل ولم

يتمكن أحد من أن يدلها على ما حدث لولدها ، وذهبت خاتماتها يستفسرون عنه في منزلي " سام " و " آيبر " وعجزن عن العثور عليه ، ويحثن عنه في كل بقعة من بقاع الأرض ولم يجدنه ، وأتى الشيطان إلى سارة في صورة رجل عجوز وقال لها : حدثك كذباً أن إبراهيم لم ينجح ولده ولم يمت إسحاق . وحينما سمعت سارة هذه الكلمات كانت سعادتها غامرة ولم تحتل ففاضت روحها من فرط السعادة .

وحينما عاد إبراهيم مع إسحاق إلى بئر سبع أخذوا يبحثان عن سارة ولم يجداها . وحينما استفسرا عنها علما أنها ذهبت إلى الخليل لتبحث عنهما فذهبا إليها في الخليل فوجداها وقد فارقتها الروح ، فانتحبا عليها وقال إسحاق : أواه يا والدي ، كيف ترحلني عنى وإلى أين ذهبت ؟ وكيف تتركيني ؟ وبكى إبراهيم وخدمه عليها وانتحبا أشد ما يكون النحيب^(٢٥٩) ، ولم يقم إبراهيم الصلاة بعد أن تملكه البكاء والنحيب على سارة^(٢٥٧) ، ولم ينتحب إبراهيم على هذا النحو لفقدان سارة إلا لأنها احتفظت في هذا العمر المتقدم بجمال شبابها وبراءة طفولتها^(٢٥٨) .

ولم تكن وفاة سارة خسارة لإبراهيم وعشيرته فقط وإنما لكل البلد فكانت كل الأمور تسير على ما يرام حينما كانت على قيد الحياة غير أن حالة من الارتباك عمت بعد وفاتها ، وعم البكاء والرثاء والنحيب عليها كل العالم وبدلاً من أن يتلقى إبراهيم التعازي أخذ يواسي الآخرين فحدث المنتهين بقوله : أبنائي لا تفرطوا في الحزن على رحيل سارة فهذا هو الحدث الذي يلم بالجميع صديقين وأشراراً على حد سواء وأرجوكم إعطائي مكاناً للدفن ليس كهبة وإنما في مقابل مبلغ من المال^(٢٥٩) .

وعبرت هذه الكلمات القليلة الأخيرة التي قالها إبراهيم عن فرط تواضعه الحقيقي فبالرغم من أن الرب وعده بكل الأرض إلا أنه أحس حينما تعين عليه دفن سارة أنه لابد أن يدفع في مقابل الحصول على قبر ولم يفكر قط في تجاوز كلمات وأوامر الرب ، وقد حدث قوم الخليل على نحو شديد التواضع قائلاً : إني غريب بينكم وأرتحل في أرضكم . فحدثه الرب قائلاً : إنك شديد التواضع وستجعلك سيداً وأميراً على الجميع^(٢٦٠) .

وقد تراءى إبراهيم لهم في صورة ملاك فاجابوه قائلين : إنك ملاك الرب بيتنا . وباختيار قبورنا فليدفن موتاك إما في قبور الأغنياء أو الفقراء كما تشاء^(٢٦١) .

وأعرب إبراهيم في البدء عن شكره للرب بسبب المشاعر الطيبة التي قوبل بها من قبل أبناء " شيث " ثم واصل مفاوضاته حول مغارة " المكفيلة " (٢٦٢) التي كان يعرف منذ زمن طويل قيمة المكان الذي تقع به خاصة أن آدم اختار هذه المنطقة ليدفن بها ، وحينما خشي آدم من أن يستخدم جسده بعد وفاته في أية أغراض وثنية فقد خصص مغارة " المكفيلة " كمقبرة له حيث وضعت جثته في أعماقها حتى لا يعثر عليها أحد (٢٦٣) ، وحينما دفن هواء هناك ابتغى أن يحفر على نحو أعمق خاصة بعد أن داعب شذا عطر الجنة حاسة الشم لديه ، غير أن صوتاً سماوياً دعاه للتوقف عن الحفر ، وقد دفن شيث آدم فيها . وحتى عهد إبراهيم ظلت الملائكة تحيط بالمكان وترعاه ، وظلت النيران مشتعلة بقرب هذا المكان بفضل الملائكة ومن هنا لم يجرؤ أحد قط على الاقتراب من المغارة أو دفن موتاه فيها (٢٦٤) . وحينما استقبل إبراهيم الملائكة في منزله وابتلى نبح ثور للترحيب بهم فقد فر الثور من المنزل ، وأخذ إبراهيم في البحث عنه حتى قادتته قدماءه إلى مغارة " المكفيلة " فشاهد فيها آدم وهواء مضطجعين على إحدى الأرائك ، وكانت الشموع موقدة على رأس الأرائك كما عمت رائحة شذا العطر كل الكهف .

ومن هنا ابتغى إبراهيم اقتناء مغارة " المكفيلة " من أبناء " شيث " سكان مدينة " ييوس " فقالوا : إننا نعلم أن الرب سيهب هذه الأراضي لنسلك وستقيم عهداً معنا بأن إسرائيل أن ينتزع مدينة ييوس من سكانها دون رضاهم . ووافق إبراهيم على هذا الشرط ، واقتنى الحقل الذي يملكه عفرون (٢٦٥) .

ووقع هذا الحدث في اليوم الذي أصبح فيه " عفرون " رئيساً لأبناء " شيث " وأصبح وضعه هكذا يتيح له التفاوض مع إبراهيم خاصة أنه لم يكن من الممكن أن يتفاوض إبراهيم مع من هو أقل منه مكانة ، وكان من بين ما حدث آنذاك أن أبناء " هيث " رفضوا تولية عفرون منصب الرئيس إلا إذا استجاب لرغبة إبراهيم (٢٦٦) .

ووافق " عفرون " على نحو مخادع بإعطاء الحقل دون الحصول على تعويض غير أنه حينما أصر إبراهيم على دفع مقابل فقد ذكر " عفرون " : رب أنصغ إلى ، إن هذه القطعة من الأرض تبلغ قيمتها أربعمائة قطعة من الفضة فما قيمتها فيما بيننا ؟ وأظهر عفرون على هذا النحو أن كل اهتمامه منصب على المال فتفهم إبراهيم مقصده وعندما أتى إليه ليسدد الأموال اللازمة في مقابل الحقل اختار له أفضل العملات (٢٦٧) ،

وقد وقع على هذا العقد أربعة شهود وهكذا أصبح حقل " عفرون " ومغارة " المكفيلة " الواقعة به تابعة لإبراهيم ونسله إلى الأبد .

وتم دفن سارة على نحو مهيب ووسط حب الجميع ، وقد سار خلف نعشها سام وولده " أبيير " و " أبيميك " ملك الفلسطينيين و " أنير " و " إيشكول " و " مامر " وكل عظماء القوم ، وقد أقيم الحداد عليها سبعة أيام وأتى كل سكان الأرض لمواساة إبراهيم وإسحاق (٢٦٨) .

وحينما دخل إبراهيم المغارة لدفن سارة بالداخل رفض آدم وحواء البقاء بقولهما : نحن نخجل في وجود الرب من خطيئتنا ونخجل أيضاً بسبب أعمالك العظيمة . وعمل إبراهيم على التهذبة من روع آدم ووعده بأن يبتهل إلى الرب حتى يخلصه من إحساسه بالعار فعاد آدم إلى مكانه ثم دفن إبراهيم سارة . وأعاد حواء إلى مكانها (٢٦٩) .

وبعد مضي عام على وفاة سارة توفي " أبيميك " ملك الفلسطينيين عن عمر يناهز مائة وثلاثة وتسعين عاماً ، وقد خلفه في العرش ولده " بنيميك " الذي كان يبلغ من العمر اثني عشر عاماً ، وقد أخذ اسم والده بعد أن تولى العرش ، وقد سارع إبراهيم بتقديم واجب العزاء في منزل " أبيميك " .

وتوفي لوط أيضاً في الحين ذاته عن عمر يناهز مائة واثنين وأربعين عاماً ، وقد تزوج ولداه " موآب " و " أمنون " زوجات كنعانية ، وأنجب موآب ولداً ورزق " أمنون " بستة أولاد ، وكان نسلهما ضخماً .

وعانى إبراهيم معاناة شديدة في الحين ذاته بوفاة أخيه " ناحور " الذي وافته المنية في " حاران " بعد أن بلغ من العمر مائة واثنين وسبعين عاماً (٢٧٠) .

مهمة إيلعازر

وكانت وفاة سارة ابتلاءً شديداً لم يشف منه إبراهيم فقد أحس طيلة وجودها بقربه بشبابه وقوته غير أن العجز والشيب ألما به بعد رحيلها (٢٧١) ، وكان إبراهيم أول من ذهب إلى ضرورة مخادعة الزمن بالعلامات والوسائل المناسبة ، وقد حدث قبل زمن

إبراهيم أن رجلاً عجوزاً لم يكن مميزاً في شكله عن شكل أى رجل صغير ونظراً لأن إسحاق كان على شاكلة والده فكثيراً ما كان يقع الخلط بينهما ، ومن هنا ابتهل إبراهيم من أجل أن يكون للمتقدم فى السن علامة تميزه عن الشباب ، وإذا تغير منذ عهد إبراهيم مشهد الرجال حينما يتقدمون فى السن ، وكانت هذه إحدى العجائب السبع العظام التى حدثت عبر التاريخ^(٢٧٢) .

ولم تتخل بركة الرب عن إبراهيم وهو طاعن فى السن حتى لا يقال إنها حلت عليه بفضل سارة فقط ، ومن هنا باركه الرب وأكثر نسله حتى بعد وفاتها ، فأنجبت هاجر له بنتاً ، كما أن إسماعيل تاب عن طرقه الشريرة ، وأسلم نفسه إلى إسحاق. وكما نعم إبراهيم بالسعادة فى عائلته فقد نعم كل العالم بالسعادة ، وقد حاصر ملوك الشرق والغرب باب منزله لقتلى الحكمة ، وكان يتدلى من رقبتة حجر كريم يملك القدرة على شفاء أى مريض ينقلر إليه، ومع وفاة إبراهيم ربط إبراهيم هذا الحجر بعجلة الشمس، وكانت النعمة العظيمة التى لم يحظ بها أحد سوى إبراهيم وولده إسحاق ويعقوب بن إسحاق هى أنه لم يكن للرجبات الشريرة أية سطوة عليهم ، ومن هنا فقد كان لإبراهيم المقدرة على التكهن بما سيشهده العالم القادم^(٢٧٣) .

وكان إبراهيم يستحق كل هذه البركات الإلهية التى حلت عليه خاصة أنه كان طاهر اليد ونقى السريرة كما أن روحه لم تصب إلى أى شىء به عبث^(٢٧٤) .

وقد نفذ إبراهيم كل الوصايا التى تم الكشف عنها فيما بعد بل إنه نفذ كل التعاليم الربانية التى كان من بينها على سبيل المثال تلك المتعلقة بالقيود المفروضة على كل من يفكر فى السفر يوم السبت ، وإنقائه فقد كشف الرب له عن التعاليم التى يعدها الرب يومياً فى مجلسه السماوى^(٢٧٥) .

غير أن الشىء الوحيد الذى كان إبراهيم يرغب فيه هو أن يتزوج إسحاق فأقبح عن رغبته هذه لخادمه العجوز إيعازر الذى كان يشبه سيده ليس فقط فى مظهره الخارجى وإنما على الصعيد الروحى أيضاً . وكان إيعازر يمتلك مثل إبراهيم القدرة على السيطرة على الرجبات الشريرة^(٢٧٦) كما كان خبيراً مثل سيده فى الشريعة^(٢٧٧) . وحدث إبراهيم إيعازر بالكلمات التالية : أصبحت طاعناً فى السن ولا أعرف متى سأموت ، ولذا خذ عندك وتوجه إلى بلدى وأطفالى وأحضر زوجة لولدى^(٢٧٨) . وأفصح إبراهيم

على هذا النحو عن القرار الذي اتخذته بعد أن توجه إلى جبل موريا للتضحية بإسحاق فقد حدثته نفسه في ذلك الحين بأنه إذا تمت التضحية بإسحاق بالفعل فإن ولده سيقضى نحبه دون أن يترك ذرية . وقد فكر في أن يختار زوجة لإسحاق من بين بنات أصدقائه الثلاثة - أنير - و - إشكول - و - مامر - خاصة أنه كان يعلم أنهم من الأتقياء فضلاً عن أنه لم يكن يهتم بالأصول الثرية . وحدثه الرب عندئذ قائلاً : لا تتشغل بزوجة لإسحاق^(٢٧٩) لقد تم توفير زوجة له ، فعلم إبراهيم أن الرب تذكر "ميكاه" زوجة أخيه "ناحور" التي لم يكن لديها أبناء حتى مولد إسحاق وجعلها تنجب فأنجبت "بيتول" الذي أنجب أيضاً عند التضحية بإسحاق بنتاً قدر لها أن تكون زوجة إسحاق^(٢٨٠) .

وكان إبراهيم قد قرر أن يأخذ زوجة لإسحاق من عائلته ، ورأى أنه إذا كانت الزوجة التي سيختارها ستكون من المهتديات فمن الأفضل أن تكون من عشيرته^(٢٨١) ، وقد اتبع إبراهيم في تفكيره هذا المثل القائل : إذا تحول قمحك إلى زوان فلتستخدمه في الزرع .

وقال إيلعازر سيده : ربما ان تقبل أية امرأة السير معي إلى هذه الأرض فهل يمكن أن تتزوج بنتي إسحاق ؟ وأجاب إبراهيم : لا فإنك من جنس ملعون أما ولدي فمن جنس مبارك ولا يمكن أن تتحد اللعنة والبركة^(٢٨٢) ولكن احذر فلا تحضر ولدي ثانية إلى الأرض التي أتيت منها لأنك إذا ذهبت به هناك فكنك ذهبت به إلى الجحيم . وكما يبقى الرب على السموات في حركتها فإنه سيضع الأمور في نصابها أيضاً^(٢٨٣) . وكما أن الرب أخذني من منزل والدي وحدثني وأقسم لي في حاران بأنه سيعطى هذه الأرض لنسلي فإنه سيرسل ملاكه المعظم إليك وستأخذ زوجة لولدي من هناك . وأقسم إيلعازر عندئذ لسيده بتنفيذ مشيئته^(٢٨٤) .

التودد إلى ربيكا

وقد توجه إيلعازر في صحبة عشرة رجال^(٢٨٥) كانوا يمتطون عشرة جمال محملة بالجواهر والحلى إلى حاران ، وقد اصطحبه في رحلته ملاكان وظيفه أحدهما حماية إيلعازر خلال رحلته ، أما الآخر فكانت وظيفته حماية "ربيكا"^(٢٨٦) .

ولم تستغرق رحلة الإيعاز سوى بضع ساعات حيث وصل إلى حاران مساء اليوم نفسه لأن الأرض أسرع في سيرها على نحو عجيب^(٢٨٧) ، وكان إيعاز قد توقف خلال رحلته لدى نبع ماء ودعا الرب بأن تكون زوجة إسحاق واحدة من بين الفتيات اللاتي يتوجهن إلى البئر لجلب الماء ودعا الرب أن تتميز عن غيرها بأن تقدم له ما يشربه^(٢٨٨) . ولم تكن هذه الرغبة ملائمة خاصة أنه كان من الممكن أن تقدم مجرد أمة له ما يشربه^(٢٨٩) . غير أن الرب أوفى بطلبه فبينما ذكرت كل الفتيات أنه لا يمكنهن أن يقدمن له ماءً مما حصلن عليه لأنه يجب عليهن الإسراع بالتوجه إلى ديارهن. وفيما بعد ظهرت " ريبیکا " التي أتت إلى البئر على خلاف العادة خاصة أنها كانت بنت والدها " بيثول " ملك حاران . وحينما أبلغ إيعاز هذه الطفلة الصغيرة برغبته في شرب الماء فلم تعرب عن استعدادها فقط في تنفيذ رغبته فحسب وإنما وبخت سائر الفتيات لعدم إحسانهن إلى غريب^(٢٩٠) . وكان مما لحظه إيعاز أيضاً أن المياه ارتفعت من تلقاء ذاتها من قاع البئر إلى يدها فلم تكن في حاجة إلى بذل أي مجهود لتسحبها . وبعد أن تأملها جيداً أحس أنها ستكون الزوجة المختارة لإسحاق ، فأطفاها حلقاً يوضع في أنفها طلق عليه حجر كريم وزنه نصف شيكل وينذر بالنصف شيكل الذي كان على نسائها أن يقدمه كل عام في الهيكل ، وقدم إليها سوارين من ذهب كان وزنهما عشرة شيكل كدليل على لحي الحجاره والوصايا العشر المكتوبة عليه^(٢٩١) .

وحينما أتت " ريبیکا " وهي تزينها الجواهر إلى والدتها وأخيها " لابان " سارع "لابان" إلى إيعاز ليقتله ويستولي على بضائعه وسرعان ما أدرك أنه لا يمكنه أن يلحق أذى بشخص صديق مثل " إيعاز " ، وقد التقى به في اللحظة التي كان إيعاز يمسك فيها بجملين ويحملهما عبر النهر^(٢٩٢) . ونظراً للشبابه القوى بين إيعاز وإبراهيم فقد تصور " لابان " أنه شاهد إبراهيم فقال " هيا يا من باركك الرب ، لقد ظهرت منزلي من الأوثان " ^(٢٩٣) .

وعندما وصل إيعاز إلى منزل "بيثول" حاولوا قتله إذ وضعوا السم في الطعام الموضوع أمامه غير أنه ولحسن الطالع رفض أن يتناول الطعام قبل أن يفرغ من كلامه . وبينما كان يقص حكايته أخبره الرب أن الصحن المخصص له يجب أن يوضع أمام " بيثول " الذي أكل منه ومات^(٢٩٤) .

وقد أظهر إيلعازر للجميع الوثيقة التي تضمنت أن إبراهيم نقل كل أملاكه إلى إسحاق وأوضح لأسرة إبراهيم مدى وعمق ارتباط إبراهيم بهم وقد مضت سنوات طوال على فراقه^(٢٩٤) . غير أنه جعلهم يعرفون في الحين ذاته أن إبراهيم لم يكن معتمداً عليهم ، وأنه من الوارد أن يبحث عن زوجة لولده من بين بنات إسماعيل أو لوط ووافقت عائلة إبراهيم في البدء على السماح لربييكا بالذهاب مع إيلعازر ولكن بعد أن تزفي بيتول في غضون هذه الفترة لم يرغبوا في أن يزوجوا ربييكا دون الحصول على موافقتها ، كما رأوا أنه قد يكون من الأفضل أن تبقى في المنزل خلال أسبوع العداد على والديها^(٢٩٥) ولكن إيلعازر رأى أن الملاك الذي ينتظره لن يحتمل أى تأخير فقال : إن الرجل الذي ينتظرني وأضاء طريقى ينتظرني بالخارج . وحينما أعربت ربييكا عن استعدادها للذهاب في الحال مع إيلعازر فقد نفذت والدتها وأخوها رغبتها وودعها ببركاتهما^(٢٩٦) . غير أن دعاءهما لم يصدر من أعماق قلوبهما . حقا إن دعوة الشرير لعنة ، ولهذا ظلت ربييكا عاقراً لسنوات طوال^(٢٩٧) .

وكانت عودة إيلعازر إلى كنعان تعمل من العجب ما حمله نهابه إلى حاران ، فقد قطع الرحلة التي تستغرق سبعة عشر يوماً في ثلاث ساعات حيث غادر حاران في المساء ووصل الخليل^(٢٩٨) في الثالثة ظهراً أى وقت صلاة " مينحاه " ، هذه الصلاة التي كان إسحاق أول من أدخلها ، وقد كان في وضع الصلاة حينما التقت عينا ربييكا به فسألت إيلعازر عن يصى . ورأت ربييكا أنه ليس فرداً عادياً وأن جماله يفتن القلوب ، كما شاهدت الملاك الذي يرافقه ، ومن هنا لم يكن سؤالها نابغاً من مجرد الفضول^(٢٩٩) . وقد علمت في الحين ذاته عبر الروح القدس أنها ستصبح أما للكافر عيسا وفتملكها الرعب عندئذ ، وسرت بجسدها قشعريرة جعلتها تسقط من على الجمل فجرحت نفسها^(٣٠٠) .

وبعد أن سمع إسحاق المغامرات العجيبة التي قام بها إيلعازر أخذ ربييكا إلى خيمة والدته سارة ، وأظهرت أنها تستحق أن تكون خليفتها ، فظهر الغيم الذي كان مرئياً فوق الخيمة خلال حياة سارة والذي تبعد بعد وفاتها ، وسطح الضوء في خيمة ربييكا هذا الضوء الذي كانت سارة تشعله عند قنوم السبت والذي كان يضىء خلال الأسبوع كله . كما عادت مع ربييكا البركة التي كانت ترفرف على الحمام الذي كانت

تربت عليه سارة ، وتم فتح أبواب الخيمة أمام المحتاجين ، وفتحت على مصراعها كما كانت عليها خلال حياة ساره^(٣٠٦) .

وكان إسحاق قد رثى والدته سارة على مدى ثلاث سنوات ، ولم يجد عزاء لها في ديار " سام " و " آيبر " التي كان يتلقى فيها تعليمه غير أن ربييكا كانت تبث في نفسه الطمأنينة بعد وفاة والدته^(٣٠٧) خاصة أنها كانت قريباً لسارة في شخصها وروحها^(٣٠٨) .

وكافأ إبراهيم عبده إيعازر بأن أعطاه خاصة أنه قام بمهمته على أكمل وجه^(٣٠٩) ، وتحولت اللعنة التي حلت على إيعازر وكل نسل كفعان إلى بركة خاصة أنه خدم إبراهيم بوفاء^(٣١٠) . أما الثواب الأعظم الذي حل على إيعازر هو أن الرب سمح له بدخول الجنة حياً ، ولا يحل هذا الثواب إلا على حفنة قليلة من البشر^(٣١١) .

السنوات الأخيرة لإبراهيم

وكانت ربييكا قد شاهدت إسحاق قادماً من طريق " بير لاهاي روى " أي من المكان الذي نقيم به هاجر ، وكان إسحاق قد توجه إليها بعد وفاة والدته سارة بفرض إعادة والده إبراهيم إلى هاجر^(٣١٢) التي كانت تعرف أيضاً باسم " قطورة " ^(٣١٣) .

وكانت هاجر قد أنجبت ستة أبناء لم يحترموا والدهم كما ينبغي ، خاصة أنهم كانوا من عبدة الأوثان^(٣١٤) . ولذلك حرص إبراهيم خلال حياته على إبعادهم عن والده إسحاق ، وكلفهم بالارتحال إلى أبعد نقطة في الشرق^(٣١٥) . وقد شيد لهم هناك مدينة أحاطها سور حديدي بالغ الارتفاع حتى يمنع الشمس من دخول المدينة ، غير أن إبراهيم زودهم بجواهر كان ضيقها أقوى من ضوء الشمس ، هذه الجواهر التي سيتم استخدامها في العصر المسيحياني الذي " يخزى فيه القمر وتتوارى فيه الشمس خجلاً " ^(٣١٦) . وعلمهم إبراهيم أيضاً فنون السحر التي سيطروا بها على الأرواح والشياطين . وقد تعلم " لابان " و " بلعام " و " بينور " والد بلعام فنون السحر^(٣١٧) من هذه المدينة بالشرق .

وقد قام "إيفر" أحد أحفاد إبراهيم و"قطورة" بغزو ليبيا بقوة مسلحة، وفرض سيطرته على هذا البلد ، وقد نشأ هذا البلد المعروف باسم أفريقيا عن هذا الشخص "إيفر"^(٢١٤) . كما أن آرام أصبحت مأهولة بالسكان من خلال نسل إبراهيم. وتزوج "تيراج" في شيخوخته "بيليلاه" وأنجب منها "زوبا" الذي أنجب ثلاثة أبناء كان أكبرهم "آرام" الذي كان قويا وثرى . ولم يكن يوسع المنزل القديم في حاران أن يكفيه هو ونسله ، وأبناء ناحور أخ إبراهيم ، فغادر "آرام" وإخوته حاران واستقروا في واد أسسوا فيه مدينة دعوها "آرام - زوبا" ليخلدوا اسم الوالد وابنه البكر. أما مدينة "آرام النهرين" الواقعة على الفرات فقد أسسها "آرام بن كيمونيل" ابن أخ إبراهيم ، وكان اسمها الحقيقي "بيتور" نسبة إلى ابن آرام غير أن اسمها الأكثر شيوعاً "آرام النهرين" ، أما أبناء "كيسيد" ابن أخ إبراهيم أيضاً فقد أسسوا مدينة "كيسيد" الواقعة أمام "شنعار" ، ومن هذا فإن المدينة التي قدم منها الكلدانيون تعرف باسم "كسديم"^(٢١٥) .

وبالرغم من أن إبراهيم كان يعلم يقيناً أن إسحاق يستحق أكثر من أي ابن من أبنائه التمتع بمباركة أبيه إلا أنه امتنع عن مباركته خشية أن يثير مشاعر العداء في أنوساط نسله. وتحدث قائلاً : لست سوى بشر. أهيا الآن بينكم وغداً في القبر، وقمت بكل ما كان يمكنني القيام به من أجل أبنائي ، ولتحمل مشيئة الرب في العالم . وترضى الرب لإسحاق وبارك فور وفاة إبراهيم^(٢١٦) .

ملاك الموت

وحيثما اقترب يوم وفاة إبراهيم خاطب الرب ميخائيل قائلاً : انهض وتوجه إلى إبراهيم وقل له إنك راحل عن الحياة . حتى يمكنه أن يرتب شئون منزله قبل وفاته . فتوجه ميخائيل إلى إبراهيم ووجده جالساً أمام الثور للحرثة ، وحيثما شاهده إبراهيم لم يعرفه فالتقى عليه السلام وقال : اجلس ههنا وسأمر بنبح بهيمة ودعنا نتوجه إلى منزلي للراحة خاصة أن الليل قد اقترب ولننهض في الصباح ونتجه أينما نشاء . ودعا إبراهيم أحد خدمه وقال له: اذهب وأحضر بهيمة حتى يمتطيها الغريب خاصة أنه تعب من رحلته . ولكن ميخائيل قال : أتجنب دائماً الجلوس على ثوات الأربع فدعنا نسير حتى نصل إلى المنزل .

واجتازا خلال سيرهما فى طريقهما إلى المنزل شجرة ضخمة سمع إبراهيم أغصانها تترنم قائلة : قدوس أنت لحفاظك على الغرض الذى بعثت من أجله . وأخفى إبراهيم ما سمعه فى قلبه متصوراً أن الغريب الذى يسير معه لم يتنام إلى سمعه ترانيم الشجرة . وعند وصولهما إلى المنزل أمر إبراهيم الخدم بإعداد وجبة ، وبينما كانوا منهمكين فى عملهم استدعى إبراهيم ولده إسحاق قائلاً : انهض واجلب ماءً فى هذا الإناء حتى يمكننا غسل قدم الغريب . فأحضر إسحاق الإناء كما أمره والده فقال إبراهيم : أعتقد أنى لن أغسل فى هذا الإناء ثانية قدم أى ضيف غريب . وحينما سمع إسحاق هذه الكلمات انخرط فى البكاء وشاركه إبراهيم البكاء ، وانهمرت دموع ميخائيل وسقطت فى ماء الإناء وتحولت إلى أحجار كريمة .

وقبل أن يجلس ميخائيل إلى المائدة نهض وصعد إلى السماء فى لحظة ووقف أمام الرب قائلاً : الرب والسيد فلتعلم مقدرتك أنى أعجز عن تذكر هذا الرجل الصادق بموته لأنى لم أر على الأرض إنساناً مثله فى حنوه وكرمه وصدقه وفى تجنبه لكل الأعمال الشريرة : فخالط الرب ميخائيل بقوله : اهبط إلى سديقى إبراهيم ونفذ كل ما يخبرك به وتناول معه كل ما يأكله وسألنى فكرة موت إبراهيم فى قلب ولده إسحاق بالحلم ، وسيقص إسحاق هذا الحلم وستفسره له فسيعرف نهايته المحتومة فقال ميخائيل : رب إن كل مخلوقات السماء ليست ذات جسد ، فلا تاكل أو تشرب ويقيم هذا الرجل لى مادبة ملينة بأشياء أرضية لنيذة تدعو للفساد فماذا أفعل ؟ فأجابه الرب اهبط إليه ولا تبال بهذا فساهمك عند جلوسك إليه نفساً أكلة ستلتهم كل ما يوضع أمامك .

وذهب الملاك إلى منزل إبراهيم حيث أكلوا وشربوا وابتهجوا ، وحينما فرغا من العشاء صلى إبراهيم وشاركه الملاك ميخائيل صلاته ، واستلقى كل منهما على أريكته فى الحجرة ذاتها فى حين إن إسحاق غادر الحجرة حتى لا يزعج الملاك الضيف ، ومع حلول الساعة السابعة من الليل نهض إسحاق متوجهاً إلى باب غرفة أبيه صارخاً : دعنى يا والدى أحتويك قبل أن يأخذنوك منى . فانتحب إبراهيم مع ولده إسحاق وشاركهما ميخائيل البكاء ، وحينما سمعت سارة نحيبهم نهضت من مرقدها قائلة : سيدى إبراهيم ما هذا البكاء هل أخبرك الغريب أن ابن أخيك لوط توفى أم أن مكروهاً أصابنا ؟

فأجابها ميخائيل : أختاه سارة^(٥) لم يحدث سوى أن ولدك إسحاق رأى وكما يخيّل لي حلمًا وأتانا باكيًا فأنفطرت قلوبنا وكيّنا. وحينما سمعت سارة حديث ميخائيل أنكرت في التو أن من يحدثها أحد ملائكة الرب الثلاثة الذين رافقوها فيما مضى فنشرت إلى إبراهيم بالمجيء إليها لتخبره بما عرفت فقال إبراهيم : أدركت هذه الحقيقة حينما غسلت قدميه فقدماء هي الأقدام ذاتها التي غسلتها عند سندية " مامر " وهي التي أنقذت لولما .

وعاد إبراهيم إلى غرفته وطلب من ميخائيل أن يفسر له حلم إسحاق فقال : ذكر ولدك إسحاق الحقيقة فستذهب وتتصعد إلى السماء غير أن جسّدك سيظل على الأرض لسبعة آلاف عصر ستصعد بعدها كل الأجساد ، رتب يا إبراهيم الآن كل أمور منزلك بعد أن سمعت ما قدر عليك . فأجاب إبراهيم : أعلم الآن أنك ملاك الرب وأنت أرسلت لتقبض روحي غير أنني لن أذهب معك وأفعل ما أمرت به . وعاد ميخائيل إلى السماء وأخبر الرب برفض إبراهيم إطاعة أوامره فأمره الرب بالنزول لتذكير إبراهيم بالأيعصى الرب الذي وهبه الكثير من النعم فذكره بأنّه لم ينج أحد منذ آدم وهواء من الموت ، ويأن الرب من فرط إحسانه لم يدع الموت يلقاه .

وحينما أبلغه ميخائيل بهذه النصائح أدرك إبراهيم أنه من العبث معارضة مشيئة الرب فوافق على الموت غير أنه طلب أن يحقق له رغبة واحدة فقط قبل الموت فقال لميخائيل : أتوسل إليك سيدي إذا كان من الضروري أن ترتحل روحي عن جسدي فترفع جسدي لأرى كافة مخلوقات السموات والأرض . فصعد ميخائيل إلى السماء وحدث الرب عن رغبة إبراهيم فلجاب الرب : أحضر إبراهيم بجسده وسفريه كل الأشياء وأفعل له كل ما يشاء .

إبراهيم يطالع الأرض والسماء

وهبط كبير الملائكة ميخائيل وامطحب إبراهيم في مركبة تجرها الملائكة وأصعده على هواء السموات وجعله يسير على القمام في صحبة ستين ملاكًا. وصعد إبراهيم بالمركبة فوق كل الأرض وشاهد كل الأشياء الخيرة والشريرة على الأرض.

(٥) سبقت الإشارة إلى وفاة سارة !!

وعند نظره إلى الأرض شاهد شخصاً يزنّى مع امرأة متزوجة فالتفت إلى ميخائيل قائلاً : أرسل ناراً من السماء لتحرقهم . فانطلقت النيران وأحرقتهم لأن الرب كان قد أخبر ميخائيل بتنفيذ كل ما يشاء إبراهيم . وعاود إبراهيم النظر مرة أخرى فشاهد لصوصاً يقتحمون منزلاً فقال إبراهيم لميخائيل : دع الوحوش الضارية تخرج من الصحراء وتمزق اللصوص إرباً . فخرجت الوحوش من مراقدها والتهمتهم . وشاهد على الأرض قوماً يعدون عدتهم للقتل فقال : فلتبتلعهم الأرض . فابتلعهم الأرض أحياء ثم تحدث الرب إلى ميخائيل بقوله : أعد إبراهيم إلى منزله ولا تدعه يطف بكل الأرض فإنه لا يطبق صبراً على المخطئين غير أنى صبور على المذنبين عسى أن يتوبوا عن خطاياهم ويتم إنقاذهم .

وتوجه ميخائيل بالركبة إلى مسار آخر وأحضر إبراهيم إلى مكان محاكمة الأرواح فشاهد إبراهيم بوابتين إحداهما رحبة والأخرى ضيقة ، وكانت الضيقة خاصة بالصادقين وكان من يعبرونها يدخلون الجنة ، أما البوابة الواسعة فكان الأشرار يجتازونها ليلقوا الدمار والعقاب الأبدى ، وعندئذ بكى إبراهيم قائلاً : ويلي ماذا أنا بفعل فجسدى الضخم لن يمكنه اجتياز هذه البوابة الصغيرة ؟ فاجابه ميخائيل بقوله : لا تخف ولا تبتئس فستدخلها وسيدخلها معك كل من هو مثلك .

وشاهد إبراهيم روحاً تجلس في المنتصف بين البوابتين بعد محاكمتها فسأل ميخائيل عن سبب بقائها على هذا النحو فأخبره ميخائيل : تبين للديان أن حسناتها وخطاياها متساوية . فقال إبراهيم لميخائيل : دعنا نصلى من أجل هذه الروح ولنرى هل سيسمعنا الرب . وحينما فرغا من صلاتهما أخبر ميخائيل إبراهيم أن الصلاة أنقذت الروح ، وأن الملاك حملها إلى الجنة فقال إبراهيم لميخائيل : دعنا نبتهل إلى الرب حتى يشمل برحمته أرواح المذنبين الذين لعنتهم فيما مضى ودمرتهم والذين التهمتهم الأرض ومزقتهم الوحوش وأفتتهم النيران بكلماتي . وأعلم الآن أنى أخطأت أمام ربى .

وبعد أن فرغ كبير الملائكة وإبراهيم من صلاتهما أتاها صوت من السماء قائلاً : إبراهيم سمعت صوتك وصلاتك وغفرت خطيئتك وخطايا من تصورت أنى أبدتهم ، لقد أعدتهم إلى الحياة من فرط رحمتي .

وحيثما أعاد ميخائيل إبراهيم إلى منزله وجدا سارة وقد توفيت قبل أن ترى ماذا ألم بإبراهيم بعد أن اعتصرها الحزن وأسلمت روحها^(٣١٧) . وبالرغم من أن ميخائيل نفذ رغبة إبراهيم وأظهر له كل الأرض والثواب والعقاب فقد رفض إبراهيم أن يسلم روحه لميخائيل ، فصعد كبير الملائكة ثانية إلى السموات ، وقال للرب يقول إبراهيم إنى لن أذهب معك وأخشى أن أقبض عليه بيدي لأنه كان خليلك منذ البدء . وفعل كل الأشياء التى تروق لك فليس هناك من يشبّهه على الأرض بمن فيهم أيوب هذا الإنسان المعجز . غير أنه حينما دنا يوم وفاة إبراهيم أمر الرب ميخائيل أن يزين الموت بجمال عظيم وأن يرسله على هذا النحو إلى إبراهيم حتى يراه بعينه .

وبينما كان إبراهيم جالساً تحت السنديانة فى "مامر" أحس بضوء ساطع وبشذا عطر جميل فالتفت وشاهد الموت يقترب منه فقال الموت لإبراهيم : لا تتوهم يا إبراهيم أن هذا الجمال جزء منى أو أنى على هذا النحو لكل فرد ، ولكن إذا كان هناك صديق مثلك فأضع تاجاً وأتبه ، أما إذا كان مذنباً فأتبه بفساد عظيم وأصنع من ذنوبهم تاجاً لرأسى وأرمى فى قلوبهم الرعب . فقال إبراهيم متسائلاً : أحقا أنت من يدعوك الموت؟ فأجابه : أنا الاسم المر . فأجابه إبراهيم : لن أذهب معك وأرنا قبلك . فكشف الموت عن رأسين كان أحدهما يحمل وجه ثعبان والآخر يحمل وجهاً شبيهاً بالسيف ، فمات كل خدم إبراهيم عند النظر إلى مظهر الموت القاسى غير أن إبراهيم صلى للرب وبعثهم من موتهم ، ولما عجزت نظرات الموت عن قبض روح إبراهيم قبض الرب روحه بهنوء ، وأخذ كبير الملائكة ميخائيل روحه وصعد بها إلى السماء . ويعد أن حظى الرب بثناء وتمجيد الملائكة التى أحضرت روح إبراهيم ويعد أن هم إبراهيم بالصلاة أتى صوت الرب قائلاً : خذوا صديقى إبراهيم إلى الجنة حيث توجد خيام الصديقين وعروش القديسين مثل إسحاق ويعقوب إذ لا يوجد هناك شجر أو ألم أو تهديد ، ولا يسود هناك سوى سلام وسعادة وحياة لا تنتهى .

ولم يتوقف نشاط إبراهيم مع وفاته ، وكما كان يشفع فى هذا العالم من أجل المذنبين فإنه سيشفع من أجلهم فى العالم الآخر الذى سيجلس فيه عند بوابة الجحيم ، وسيمنع من حافظوا على شريعة الختان من الدخول^(٣١٨) .

سيد الخليل

حدث ذات مرة أن عدداً قليلاً من اليهود كانوا يعيشون في الخليل ، وكانوا جميعاً من الصديقين والأخيار ، وكانوا يتسمون جميعهم بالكرم فحينما كان يأتى غرباء إلى مغارة " المكفيلة " فقد كان هؤلاء اليهود يتشاجرون مع بعضهم البعض لرغبة كل منهم في استضافة الغرباء ، وحينما ينجح أحدهم في استضافتهم كان يبتهج ابتهاجاً عظيماً .

وقد حدث في عشية يوم الغفران أن سكان الخليل عجزوا رغم كل جهودهم عن العثور على شخص ليمتوا صلاة الجماعة احتفالاً بهذا اليوم خاصة أن هذه الصلاة تستلزم وجود عشرة أشخاص ، وتخوفوا من ألا يجدوه . ومع حلول المساء وحينما كانت الشمس تقارب على المغيب تبينوا شخصاً عجوزاً ملتحمياً رث الملابس يحمل زوادة على كتفه ، وكانت قدماء متورمتين من كثرة السير . فسارعوا للقياء وأخذوه إلى أحد المنازل ووفروا له المأكل والمشرب ، ويعد أن زودوه بملابس جديدة بيضاء توجهوا معه إلى المعبد للعبادة ، وحينما سألوه عن اسمه أجاب إبراهيم .

وبعد أن انتهوا من صيام هذا اليوم عمل سكان الخليل على الترحيب بالضيف ، ونجح أحد خدمة المعبد في استضافة الضيف إلى منزله مما أثار حنق الجميع ، غير أن الضيف اختفى خلال سيره وعجز هذا الخادم عن أن يعثر عليه ، وبالرغم من كل الجهود التي بذلها يهود هذا المكان في البحث عنه فقد ذهبت جهودهم هباءً ولم تسفر عن أية نتيجة . وحينما استلقى هذا الخادم قبيل الصباح ليغفو بعض الشيء شاهد الضيف أمامه وكان وجهه مشعاً كالقمر وثيابه زاهية مشعة كالشمس ، وقبل أن يتمكن الخادم من أن ينطق ولو بكلمة من فرط خوفه حدثه إبراهيم بقوله : أنا إبراهيم العبراني جدك الذي يرقد في مغارة المكفيلة . وحينما رأيت مدى حزنك لعدم تمكنك من إقامة الصلاة أنثيك من مرقدي . لا تخف وابتهج من كل قلبك^(٣١٩) .

وقد منح إبراهيم في مناسبة أخرى المساعدة إلى سكان الخليل ، وقد حدث أن حاكم المدينة كان إنساناً غليظ القلب وكان يضطهد اليهود على نحو عنيف ، وكان قد أمر اليهود بأن يسددوا له مبلغاً ضخماً وأن يضعوه في صناديقه ، وكلفهم بأن تحمل

هذه الأموال جميعها الشكل نفسه . ولم يكن هذا المطلب سوى ذريعة لقتل كافة اليهود خاصة أنه كان يعلم أن طلبه غير قابل للتحقيق .

وأعلن اليهود الصيام ويأدروا بتنظيم صلاة جماعية يناشدون فيها الرب بأن يبعد عنهم السيف المسلط على رقابهم ، وشاهد خادم المعبد في الليلة التالية في الحلم رجلاً عجوزاً خاطبه قائلاً : هلم ولدى وأسرع السير إلى بوابة القصر حيث توجد الأموال التي أنت في حاجة إليها ، أنا والدك إبراهيم ، لقد رأيت المحنة التي يعرضك لها الأغيار غير أن الرب سمع أنينك . ونهض الخادم من نومه خائفاً ولم ير أحداً غير أنه سارع بالتوجه إلى المكان الذي رآه في المنام ووجد به المبلغ اللازم وأخذه إلى قومه الذين روى عليهم حلمه ، وحينما أحصوا الذهب ووجدوا أنه يفى بالمبلغ الذي طلبه الأمير سلموه المبلغ ، وقد أدرك كل من تصور استحالة تحقيق هذا المطلب أن الرب يقف مع اليهود وأنهم يحفظون برضاه (٣٢٠) .

الفصل السادس

يعقوب

مولد عيساو ويعقوب

وكان إسحاق يشبه والده شكلاً وروحاً ، وكان يشبهه في كل شيء : في جماله وحكمته وقوته وراثته وأعماله الخيرة^(١) . وكان شرفاً عظيماً لإسحاق أن يدمى ابن إبراهيم ، وبالرغم من أن إبراهيم كان الجد الأعلى لثلاثين جماعة فإنه يعرف دائماً بأنه والد إسحاق^(٢) .

وبالرغم من سماته الكثيرة المميزة إلا أن إسحاق لم يتزوج إلا متأخراً ، وسمح الرب له بالالتقاء بالزوجة المناسبة بعد أن حُض بنجاح الاتهامات القافهة لإسماعيل الذي كان قد اعتاد أن يتعالى عليه بدعوى أنه تم ختانه في اليوم الثامن من مولده في حين أن إسماعيل خضع لعملية الختان بعد أن بلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً ، ولهذا السبب طلب الرب أن يقدم إسحاق كاضحية وهو في قمة رجولته وكان إسحاق مستعداً للتضحية بحياته ، وكان من أسباب تأخر زواجه أن والدته توفيت مباشرة بعد أن تم تقديم الأضحية على جبل "موريا" ، وأنه قد رثاها لثلاث سنوات^(٣) ، وقد تزوج في نهاية الأمر ريبيكا التي كانت تبلغ من العمر عند زواجها أربعة عشر عاماً^(٤) .

وكانت ريبيكا أشبه "بالوردة بين الأشواك" فكان والدها يثول من أرام ، وكان أخوها لابان غير أنها لم تسر على درويهما^(٥) ، وكانت تقواها مساوية لتقوى إسحاق^(٦) ولم يكن زواجهما سعيداً في صورة كاملة إذ عاشا عشرين عاماً بعد زواجهما دون أن يرزقا بأنطفال^(٧) ، وطلبت ريبيكا من زوجها أن يبتهل إلى الرب حتى يرزقهما

بأطفال كما فعل إبراهيم . ولم يكن إسحاق مستعداً في البدء للاستجابة لطلبها خاصة أن الرب كان قد وعد إبراهيم بنسل ضخم وتصور أن سبب عدم إنجابهما لأطفال قد يكون مرتبطاً بريبيكا فكان عليها هي أن تتهل إلى الرب ليرزقهما بأطفال. غير أن ريبيكا لم تتوقف عن الإلحاح على إسحاق فاستجاب لها في النهاية وصعدا معاً إلى جبل "موريا" ليقوما الصلاة عليه للرب. وقال إسحاق : رب السموات والأرض الذي يغمر خيرته ورحمته الأرض . لقد أخذت والدي من منزل أبيه وموطنه وأحضرتة إلى هذه الأرض وخاطبته قائلاً : لك ولنسلك سأعطي الأرض ووعده معلناً سأكثر نسلك كنجوم السماء ورمل الشيطان ، ويا ليت كلماتك التي وعدت بها والدي تتحقق الآن ، فأنت ربنا وترنو عيوننا إليك^(٨) . دعا إسحاق ربه أيضاً بأن يولد كل أبنائه من زوجته التقية وابتهلت ريبيكا أيضاً بأن يكون كل أبنائها من صلب إسحاق .

وتم سماع هذه الصلاة المشتركة^(٩) ولكن من أجل إسحاق خصيصاً ومبهم الرب أطفالاً. وحقا كانت تقوى ريبيكا مساوية لتقوى زوجها غير أن صلاة الشخص التقى الذي من نسل رجل تقى تكون أكثر تأثيراً من صلاة الشخص التقى الذي يكون من نسل أب كافر .

وكان لهذه الصلاة تأثير معجز خاصة أن قدرات إسحاق البدنية لم تكن بالقوة التي تجعله قادراً على أن يرزق بأطفال ، كما أن ريبيكا لم تكن مؤهلة لأن تنجب أطفالاً^(١٠) .

وحينما أتمت ريبيكا شهر الحمل السابع^(١١) تمننت لو كانت لعنة العقم بقيت ومازال^(١٢) حيث عانت ألماً مبرحة لأن ولديها التوأم بدأ صراعهما الأبدي في رحمها وعندما كانت "ريبيكا" تتجول بالقرب من معبد لعبادة الأوثان كان عيساو يتحرك في أحشائها وحينما كانت تسير بجوار معبد أو مدرسة دينية كان يعقوب يجاهد للخروج من رحمها^(١٣) . وكان من بين مشاجراتهما أن عيساو كان يصر على أنه لا حياة سوى الحياة الأرضية المليئة بالم لذات الحسية ، أما يعقوب فكان يجيب : إنه لا يوجد سوى عالمين أمامنا أحدهما هذا العالم والآخر هو العالم الآخر ، وفي هذا العالم البشر يأكلون ويشربون ويشغلون ويتزوجون ويبرون أبناءهم ويناتهم ، ولا تحدث كل هذه الأمور في العالم الآخر ، وإذا كانت هذه الأمور تروق لك فاسلك فيها غير أنى أسلك

طريق العالم الآخر^(١٤). واتخذ عيساو من سامائيل حليفاً حاول قتل يعقوب في رحم أمه غير أن كبير الملائكة ميخائيل سارع بتقديم المساعدة ليعقوب وحاول إحراق سامائيل فأرى الرب أنه من الضروري تشكيل محكمة سماوية للفصل بين ميخائيل وسامائيل^(١٥)، ونشب الشجار بينهما حول من أحق بالبكورة قبل خروجهما من رحم أمهما، ولم يتنازل يعقوب عن هذا الحق لعيساو إلا بعد أن هدد عيساو بالخروج مبكراً حتى لو كان هذا الأمر سيؤدى إلى التضحية بحياة والدته^(١٦).

وسألت ريبیکا نساء أخريات عما إذا كن عانين مثل هذه الآلام خلال حملهن وحينما أخبرت أنهن لم يسمعن بمثل ما تتعرض له إلا في حالة الحمل في نمرود لجأت إلى جبل موريا الذى كان سام وأبيير يقيمان فيه مدرسة لتعلم اليهودية، وقد طلبت منهما ومن إبراهيم أيضاً أن يستفسروا من الرب عن أسباب الآلام التى تعترضهما^(١٧)، فأجابها سام : كريمتى سأسر لك بسر لن يعرفه أحد فهناك أمتان في رحمك وكيف يمكن لجسدك أن يحتويهما في الوقت الذى يضيق فيه كل هذا العالم على اتساعه عن احتوائهما، إنهما أمتان تمتلك كل منهما عالمها : أحدهما عالم التوراة والآخر عالم الخطيئة ، وسيخرج من أحدهما سليمان مؤسس الهيكل ومن الآخر الإمبراطور الرومانى فسبازيان المدمر ، وسيصل عدد الأمم إلى سبعين أمة من خلال هاتين الأمتين . ولن تكون الأمتان متساويتين فإذا خرج من صلب عيساو الأمراء فسيخرج من صلب يعقوب الملوك^(١٨)، وقد قدر على إسرائيل وروما أن يعيشا في كراهية مع بعضها البعض^(١٩)، وستتفوق أحدهما على الآخر في القوة فسيخضع عيساو بقوته كل العالم غير أن يعقوب سيبسط في نهاية الأمر نفوذه على الجميع^(٢٠)، وسيخدم الأكبر سنا الأصغر شريطة أن يكون هذا نفى السريرة وإلا فإن الأكبر سيستعبد الأصغر^(٢١).

وكانت الظروف التى أحاطت بميلاد ولديها التوائم شديدة التميز مثلها مثل تلك التى أحاطت بفترة حمل ريبیکا ، وكان عيساو أول من رأى النور وهبطت معه كل النجاسة من الرحم^(٢٢) . أما يعقوب فقد ولد نظيفاً وكان جسده جميلاً ، وولد عيساو بشعر ولحية وأسنان وصدر وظهر^(٢٣) ، وكان في حمرة الدم في إشارة لطبيعته الدموية^(٢٤) ، وظل بسبب لونه الضارب إلى الحمرة بدون ختان ، وتخوف والده إسحاق من أن يكون مظهره على هذا النحو بسبب مرض أو مكروه ألم به فقرر الانتظار حتى

يبلغ عيساو من العمر ثلاثة عشر عاماً أى السن التى تلقى فيها إسماعيل علامة العهد . غير أن إسماعيل رفض عند اشتداد عوده الانصياع لأوامر والده ومن هنا ظل بدون ختان^(٢٥) . أما يعقوب فقد كان على خلاف أخيه من كل الجوانب إذ كان يعقوب مختناً وهو أمر نادر الحدوث^(٢٦) ، غير أن عيساو حمل عند ولادته علامة الثعبان التى تشير للمكر وتفيد أنه مكروه من الرب^(٢٧) .

وكانت الأسماء التى حملها الأخوان مفعمة بالدلالات ، فعرف الكبير باسم عيساو لأن هذا الاسم يعنى بالعبرية من يكون مكتمل النمو عند ولادته ، أما الأصغر فقد عرف باسم يعقوب للإشارة إلى بعض الأحداث المهمة التى ستتم بإسرائيل عن طريق حساب الجمل، فحرف الياء الذى يساوى الرقم عشرة يشير إلى الوسايا العشرة ، أما حرف العين الذى يساوى الرقم سبعين فيشير إلى زعماء إسرائيل السبعين ، ويشير حرف القاف الذى يساوى الرقم مائة إلى المعبد الذى يبلغ ارتفاعه مائة ذراع ، أما حرف الباء الذى يساوى رقم اثنين فيشير إلى لوى الشريعة اللذين تلقاهما موسى^(٢٨) .

حبيب إبراهيم

وحينما كان عيساو ويعقوب صغيرين لم يكن من الممكن الحكم عليهما على نحو مناسب، فكانا أشبه بنبات الأس العطرى وشجيرة الشوك اللتين يشبه بعضهما البعض فى المراحل الأولى من النمو ، ويعد أن يكتمل نموهما يعرف نبات الأس بعطره والشجيرة بشوكها .

وذهب الأخوان فى طفولتهما إلى المدرسة غير أن طرقهما اختلفت حينما بلغا من العمر ثلاثة عشر عاماً إذ واصل يعقوب دراسته فى مدرسة " سام " و" أبير " فى حين أن عيساو انصرف إلى عبادة الأوثان وحياة الملذات^(٢٩) وكان لكل منهما وقع السحر فى نفوس كل من يلقاهما فحاول عيساو السيطرة على البشر وصرف أنظارهم عن الرب فى حين أن يعقوب حاول جذبهم إلى طريق الإله^(٣٠) . وبالرغم من أعمال عيساو الشريرة فقد أجاد فن التمتع بحب أبيه فاعتقد إسحاق وبسبب تصرفاته التى تتسم

بالرياء أن ابنه البكر شديد التقوى فسأل عيساو أباه ذات مرة : والدى أخبرنى أية ضريبة تدفع عن القش والملح ؟ وتصور إسحاق ويسبب هذا السؤال أن ولده يتقى الرب خاصة أن هذين الشينين معفيان من الضرائب^(٣١) غير أن إسحاق عجز عن ملاحظة أن ولده الأكبر كان قد أعطاه أطعمة محرما أكلها فقد كان اللحم الذى تصور عند أكله أنه من لحم الماعز لحم كلب^(٣٢) .

أما ريبىكا فقد كانت نافذة البصيرة فقد عرفت حقيقة أبنائها ومن ثم فقد أحبت يعقوب حبا جما بل كان حبا لها يتزايد كلما كانت تسمع صوته^(٣٣) ، وقد كان إبراهيم متفقاً مع رأيها إذ أحب أيضاً حفيده يعقوب فقد كان يعظم أن اسمه ونسله لن يعرفا إلا من خلاله فقال لريبىكا : كرىمتى اهتمى برعاية يعقوب لأنه سيكون بديلاً لى على الأرض وستحل بركته على كل البشر ، وسيكون من أعظم نسل سام . وبعد أن هت إبراهيم ريبىكا على رعاية يعقوب الذى قدر له أن يحمل البركة التى وضعها الرب فى إبراهيم فقد دعا حفيده وياركه فى حضور ريبىكا قائلاً : ولدى الحبيب يعقوب الذى تحبه نفسى فليباركك الرب من جلد السماء التى بورك منها آدم وإينوخ ونوح وسام ، ولتلتصق بك ونسلك وإلى الأبد كل الأشياء التى حدثت بها الرب والتى وعد بإعطائها ، ولتبعد عنك وعن نسلك روح الكراهية والقنوط التى تصرف عن الرب الذى هو إلهك من الآن فصاعداً ، وليكن الرب إلهك والداً لك واتكن ابنه البكر وليكن الرب والداً لكل أهلك . ارحل فى سلام ولدى^(٣٤) .

وكان مما جعل إبراهيم مغرمًا خاصة بـيعقوب أنه قد أنقذ من المحرقة بسبب الخصائص التى نعم بها حفيده^(٣٥) .

وحينما علم إسحاق وريبىكا بمدى حب إبراهيم لولدهما الصغير أرسلوا إليه وجبة من الطعام مع يعقوب فى اليوم الأخير من عيد المصاد ، هذا العيد الذى كان آخر عيد يحتفل به إبراهيم على الأرض حتى يكل ويبارك خالق كل الأشياء قبل وفاته . وكان إبراهيم قد علم أن موعد رحيله عن الأرض قد أصبح وشيكاً فشكر الرب على كل النعم التى وهبها له خلال حياته ، وبارك يعقوب وأمره بالسير فى طرق الرب وبالأ يتزوج من بنات الكنعانيين ، ثم استعد إبراهيم للوفاة حيث وضع إصبعين من أصابع يعقوب على عينيه ثم نام نوماً أبدياً ، ولم يكن بجواره على مرقده سوى حفيده يعقوب ، ولم يعلم حفيده بموته إلا حينما حاول أن يوقظه فى الغداة ولم يجبه^(٣٦) .

بيع حق الميلاد

وبالرغم من أن إبراهيم توفى بعد أن أصبح رجلاً طاعناً فى السن متجاوزاً عدد سننى الأجيال اللاحقة فإنه توفى قبل الوقت المخصص لوفاته بخمس سنوات ، فقد كان مقدراً له أن يتوفى عن عمر يناهز مائة وثمانين عاماً مثل إسحاق غير أن الرب جعله يموت على نحو مفاجئ بسبب عيساو . وقد كان عيساو يرتكب شروره فى الخفاء ولكن القناع سقط عنه وانكشفت ذنوبه فى نهاية الأمر فارتكب خمسة ذنوب يوم وفاة إبراهيم حيث اغتصب فتاة مخطوبة ، وارتكب جريمة قتل ، وتشكك فى بعث الموتى ، واستهان بحق البكورة ، وأنكر وجود الإله . وقال الرب عندئذ : وعدت إبراهيم بالذهاب إلى أبائه فى سلام ، أيمكننى أن أدعه يشاهد تمرد حفيده على الرب وانتهاكه لقوانين الطهارة وسفكه للدماء؟ من الأفضل أن يموت الآن^(٣٧) .

وكانت جريمة القتل التى ارتكبها عيساو موجّهة ضد نمرود واثنين من معاونيه ، ووقعت هذه الجريمة نتيجة لطول العداء بين عيساو ونمرود ، هذا العداء الذى نجم عن غيرة الأخير من مهارة عيساو الذى كان قد كرس نفسه كلية للصيد ، وبينما كان نمرود يقوم بالصيد ذات مرة فقد انفصل عن جماعته التى لم يتبقى منها معه سوى اثنين من معاونيه ، ولاحظ عيساو الذى كان مستلقياً عند شجيرة وجود نمرود بمفرده فتحين اللحظة المناسبة حتى يمر نمرود بجوار المكان الذى يتخفى فيه ، ثم انقض على نمرود وأسقطه هو ومعاونيه اللذين كانا قد سارعا لإنقاذه . وقد جلب صراخ معاونيه من رافقوا نمرود إلى البقعة التى سقط بها قتيلاً ، وكان عيساو قد سلب من نمرود ملابسه وفر بها إلى المدينة^(٣٨) .

وكان لهذه الملابس تأثير عظيم على الماشية والحيوانات والطيور التى كانت تأتى لتصطاف أمام من يرتديها ، ومن هنا فقد كان بمقدور نمرود وعيساو من بعده السيطرة على البشر والحيوانات^(٣٩) .

وأسرع عيساو بعد قتل نمرود إلى المدينة وكان الخوف يملكه من أتباع الضحية ، وقد وصل متعباً ومنهكاً إلى المنزل فوجد يعقوب منشغلاً بإعداد طبق من العدس ، وكان منزل إسحاق يعج بالعبيد والإماء غير أن إسحاق كان شديد البساطة والتواضع

فى سلوكه فحينما كان يفرغ من الدراسة فى ساعة متأخرة من الليل ويعود إلى منزله كان يحرص على ألا يزعج أحداً ليعده له الطعام ، وكان يقوم بنفسه بإعداده^(٤٠) ، وحينما دخل عليه عيساو كان يعقوب يعد وجبة من العدس لوالده الذى كان يتناول العدس خلال فترة الحداد على وفاة والده إبراهيم ، وكان آدم وحواء قد تناولا العدس خلال فترة حدادهما على وفاة هابيل ، وقد فعل والدا حاران الأمر نفسه خلال فترة حدادهما على ولدهما الذى قضى نحبه فى المحرقة ، ويتم تقديم العدس خلال فترات الحداد لأن حبوب العدس ترمز إلى الموت فكما أن حبة العدس مستديرة فإن الموت والأسى والحداد يستدير بين البشر من واحد إلى آخر^(٤١) .

وقد بادر عيساو يعقوب متسائلاً : لماذا تعد العدس ؟

يعقوب : لوفاة جدنا ، وسيصبح العدس علامة على حزنى ونواهى عسى أن يحبنى فى الآخرة .

عيساو : إنك أحمق ! هل تعتقد حقاً أنه من الممكن أن يحيا المرء ثانية بعد وفاته وتحلله فى القبر^(٤٢) ؟ وواصل توبيخ يعقوب بقوله : لماذا تعرض نفسك إلى كل هذا العذاب؟ ارفع عينيك وستجد أن كل البشر يتناولون كل ما يصل إلى أيديهم من أسماك وزواحف وخنازير وكل ما شابه ، أما أنت فتشغل نفسك بطبق من العدس .

يعقوب : وإذا تصرفنا مثل سائر البشر فماذا نحن فاعلون فى يوم الرب أى فى اليوم الذى سيتلقى فيه الأتقياء ثوابهم حينما يعلن الملاك : أين من يزن أعمال البشر ؟ أين من يحصى الأعمال ؟

عيساو : أهنأك عالم آخر؟ وهل يعود الموتى إلى الحياة ؟ وإذا كان الأمر هكذا فلماذا لم يعد آدم ؟ أسمعت عن ظهور نوح من جديد ؟ وهل عاد إبراهيم إلى الحياة بالرغم من أنه كان أكثر الخلق الذين أحبهم الرب ؟

يعقوب : إذا كنت تعتقد أنه ليس هناك عالم آخر وأن الموتى لن يبعثوا فلماذا تبتنى إذا الاحتفاظ بحقك فى البكارة ؟ ولتبع لى الآن هذا الحق خاصة أنه لن يصبح من الممكن بيعه بعد نزول التوراة ، حقاً إنه يوجد عالم آخر سيتلقى فيه الصديقون ثوابهم ، وأخبرك بهذا خشية أن تقول فيما بعد إنى خدعتك^(٤٣) .

ولم يكن يعقوب منشغلاً للغاية بتصويب الابن البكر المضاعف في الميراث وإنما كان منشغلاً بحقه في خدمة الكهنة ، هذه الخدمة التي كانت قاصرة في الأزمان الغابرة على الابن البكر ، وكان يعقوب مشتملاً من أن يلعب أخوه غير التقي عيساو دور الكاهن في الوقت الذي استخف فيه بعبادة الإله^(٤٤) .

ولم يستخف عيساو بفكرة إحياء الموتى فقط وإنما استخف أيضاً بالوعد الإلهي بإعطاء الأرض المقدسة إلى نسل إبراهيم فلم يؤمن بهذا الوعد ومن ثم كان مستعداً للتخلي عن حقه في أن يكون الابن البكر في مقابل حساء خضروات^(٤٥) ، وعلاوة على هذا الحساء فقد وهبه إسحاق مبلغاً من المال^(٤٦) بل وأعطاه سيف ميتوشيلاح الذي كان إسحاق قد ورثه من إبراهيم ووهبه إلى يعقوب^(٤٧) .

وقد هزأ عيساو من يعقوب فدعا أصدقاءه على مأدبة في منزل أخيه وقال : هل تعلمون ماذا فعلت بيعقوب ؟ لقد أكلت عدسه واحتسيت خمره ولهوت به وبعثت إليه حقى في الولادة . فأنجاب يعقوب : تناول طعامك ولينفك كل هذا . غير أن الرب قال : إنك تحتقر حق الميلاد وإذا سألجعلك محتقراً من كل الأمم . وسيتم القضاء على كل نسل عيساو من العالم^(٤٨) عقاباً لهم على إنكارهم وجود الرب وبعث الموتى .

ولأن عيساو لم يقدس شيئاً ألبته فقد جعله يعقوب يقسم بحياة أبيه على بيع حق الميلاد لأنه كان يعلم أن حب عيساو لوالده عظيم^(٤٩) . فضلاً عن أنه كان قد عجز عن الحصول على وثيقة موقعة من قبل شهود تنيد ببيع حق الميلاد مع الاحتفاظ بحقه في مغارة المكفيلة^(٥٠) .

وبالرغم من أنه ليس من الممكن إلقاء اللوم على يعقوب في كل ما فعل فقد أخذ حق الميلاد منه على نحو الخداع ، ومن ثم أصبح على نسل يعقوب خدمة نسل عيساو^(٥١) .

إسحاق بين الفلسطينيين

وكانت حياة إسحاق تعد انعكاساً أميناً لحياة والده فقد كتب على كل من إبراهيم وإسحاق الارتحال من موطنهما ، كما تعرض كل منهما لخطر فقدان زوجه ، كما أحس الفلسطينيون بالحنق من إبراهيم وإسحاق. وكما عاش إبراهيم فترة طويلة دون أن يرزق ببنتين فقد عاش إسحاق التجربة ذاتها. وفي الوقت الذي رزق فيه إبراهيم بولد تقى وآخر شرير فقد حدث الأمر نفسه مع إسحاق ، وقد عمت المجاعة الأرض في عهد إبراهيم وإسحاق^(٥٢) .

وكان إسحاق يعتزم البدء في اتباع نهج والده والانتقال إلى مصر غير أن الرب تراسى له وقال : إنك أضحية سلامة لا تشوبها شائبة وكما أن أضحية المحرقة تعد غير سالمة إذا تم تقديمها خارج الهيكل فإنك ستصبح دنساً إذا رحلت عن الأرض المقدسة . ابق في الأرض واسع لزراعتها فهذه الأرض تسكنها العصفرة الإلهية ، وسأهب أبنائك في المستقبل الممالك التي يسيطر عليها الحكام الأقوياء وستملك كل الأرض في العصر المسيحاني^(٥٣) .

وأطاع إسحاق أوامر الرب واستقر في " جيرار " ، وحينما لاحظ أن سكان المكان يضمرون بعض المكائد لزوجه هذا حذو إبراهيم وزعم أنها أخته^(٥٤) . وتحدث الجميع عن جمال " ريبىكا " الفتان ووصلت أخبار جمالها إلى الملك غير أنه وضع في اعتباره المخاطر التي سبق أن تعرض إليها في حوادث شبيهة فلم يتحشرش بإسحاق وزوجه^(٥٥) . ويعد أن أقاما في " جيرار " ثلاثة شهور لاحظ " أبيمليك " أن سلوك إسحاق الذي أقام خارج القصر الملكي يتماشى مع سلوك الزوج تجاه ريبىكا^(٥٦) . فدعاه للحساب قائلاً : كان من الوارد أن يتزوج الملك من المرأة التي زعمت أنها أختك^(٥٧) ، وتعرض إسحاق إلى شائعات مفادها أنه يضاجع ريبىكا على نحو غير شرعى ، وترددت هذه الشائعات في الوقت الذي لم يصدق فيه سكان المكان أن ريبىكا أخته ، وحينما تمسك إسحاق بما كان قد زعمه^(٥٨) أرسل أبيمليك حرسه من النبلاء وأمرهم بأن يرتدوا ثيابا ملكية وأعلن خلال انتقالهم إلى المدينة : أنهما رجل وزوجه وأنه سينزل عقوبة الموت بكل من يتعرض إليهما .

ودعا الملك إسحاق فيما بعد للإقامة في أراضيه وخصص له حقولاً وكروماً لزراعتها ، وكانت هذه الأراضي من أفضل الأراضي^(٩٩) . وقد وهب إسحاق عشر كل ما كان يملك إلى فقراء "جيرار" ، ومن هنا فقد كان أول من أدخل شريعة تقديم عشر الدخل إلى الفقراء مثلما كان إبراهيم أول من أدخل شريعة فصل نصيب الكهنة عن نصيبه^(١٠٠) ، وكوفئ إسحاق بمحصول وفير كما أن أرضه أثمرت أضعاف ما كان متوقعاً هذا بالرغم من أن الأرض كانت قاحلة ومن أن العام الذي زرع فيه كان مجدياً . وأصبح إسحاق ثرياً للغاية إلى الدرجة التي تمنى فيها الجميع الحصول على روث أنثى البغل التي لدى إسحاق عن الحصول على الذهب والفضة من أبيمالك^(١٠١) ، غير أن ثراء إسحاق أثار حنق الفلسطينيين وهذه سمة الأشرار الذين يفتazon عند حلول الخير برفاقهم ويبتهجون عند نزول الشر بهم ، ويخلق الحسد الكراهية ومن هنا حسد الفلسطينيين في البدء إسحاق ثم كرهوه ، وفي إطار كراهيتهم له ردموا الآبار التي كان إبراهيم قد حفرها متتهكين على هذا النحو عهدهم مع إبراهيم فأصبحوا غير مؤتمنين . ولم يكن من الممكن أن يلوموا فيما بعد سوى أنفسهم حينما أقدم بنو إسرائيل فيما بعد على إبادةهم .

وغادر إسحاق "جيرار" وبدأ ثانية في حفر آبار المياه التي كانت قد حفرت في عهد إبراهيم والتي كان الفلسطينيون قد ردموها ، وكان إسحاق شديد التبجيل لوالده ومن ثم فقد أطلق على الآبار المسميات نفسها التي كان إبراهيم قد أطلقها عليها ، وحتى يكافئه الرب على تبجيله لأبيه فلم يغير الرب اسمه في حين كان على أبيه ووالده اعتناق أسماء جديدة^(١٠٢) .

ونجح إبراهيم في الحصول على الماء بعد أن بذل إبراهيم أربع محاولات فوجد بئر الماء الخاص بجبل الآباء ، وكان إبراهيم قد حصل على هذا البئر بعد أن حفر ثلاث حفر ومن هنا فقد جاء اسم بئر سبع نسبة إلى الحفر السبعة ، وسيمد هذا البئر المياه إلى القدس والمناطق المحيطة بها في العصر المسيحاني^(١٠٣) .

وكان نجاح إسحاق في حفر الآبار مدعاة لإثارة حنق الفلسطينيين خاصة أن الماء ظهر في منطقة لم يكن من المتوقع أن يجد فيها ماء فضلاً عن أن الماء ظهر في عام كان قد عم فيه الجفاف غير أن الرب يفي برغبة من يتقونه . وكما نفذ إسحاق إرادة

خالقه فقد أوفى الرب برغبته^(٦٤) . وسرعان ما أدرك " أبيمليك " ملك جيرار أن الرب يقف بجانب إسحاق . وعندما حث الملك إسحاق على مغادرة منزله عاقبه الرب بأن جعل اللصوص يسرقون منزله في غضبون الليل فضلاً عن أنه قد أصيب بمرض الجذام^(٦٥) كما أن أبار الفلسطينيين ضربها الجفاف بعد أن ارتحل إسحاق عن جيرار كما أن أشجارهم عجزت عن أن تثمر ، ولم يساور أحد الشك في أن كل هذه الظواهر تعد عقاباً لهم لأنهم لم يحسنوا استضافة إسحاق .

وقد توسل " أبيمليك " إلى أصدقائه وخاصة من تولوا إدارة شئون مملكته باصطحابه إلى إسحاق ومساعدته على أن يستعيد صداقته مرة أخرى^(٦٦) . وحدث أبيمليك والفلسطينيون إسحاق بقولهم : لقد اقتنعنا أن الحضرة الإلهية تصاحبك ومن ثم نبتغي تجديد العهد الذي أقامه والدك معنا لأنك لن تؤذينا وإن نفسك . ووافق إسحاق على ما عرضوه عليه ، ويوضح ما قالوه من أنهم لو لم يتعرضوا لكانوا سيسعدون بإيذاء إسحاق فروح الشرير لا تبتغي إلا الشر .

ولم يعرف المكان الذي تم فيه إبرام العهد بين إسحاق والفلسطينيين باسم شبيعا إلا لسببين وهما أن العهد قد قطع في هذا المكان واتخاذ حقيقة أنه يتعين على عبدة الأوثان عبادة شرائع بنى نوح السبع^(٦٧) .

ويدين إسحاق في كل العجائب والمعجزات التي قام بها الرب من أجله وفي كل الخيرات التي نعم بها الرب عليه إلى فضائل والده ، كما أن الرب سيكافئه في المستقبل بفضل خصال أبيه الطيبة^(٦٨) ، وسيشفع إسحاق يوم القيامة لكل أتباعه وسينقذهم من جهنم ، فسيحدث الرب إبراهيم في ذلك اليوم بقوله : أخطأ أبناؤك . وسيجيب إبراهيم قائلاً : دعهم يبادون وليتقدس اسمك . وملتفت الرب عندئذ إلى يعقوب متصوراً أن من عانى كثيراً في تربية وتنشئة أبناؤه سيظهر قدراً أكبر من الحب لنسله غير أن يعقوب يقدم الإجابة ذاتها التي قدمها إبراهيم . ويقول الرب عندئذ : لا يملك الكبير فهما ولا الصغير رحمة ، سأتجه إلى إسحاق . وخطب الرب إسحاق بقوله : أخطأ بنوك فأجابه إسحاق : رب العالمين أقول إنهم أبناؤى وليسوا بنيك ، فحينما وقفوا جميعهم على جبل سيناء أعلنوا استعدادهم لتنفيذ كل ما تأمر به قبل أن يعرفوا

أوامرك ، كما أنك دعوت إسرائيل ابنك البكر وتقول الآن إنهم أبنائي وليسوا أبنائك ، ودعنا نتفكر معاً في الإنسان ومصيره ، إن سنوات الإنسان سبعون ، ويجب أن نخصم من هذه السنوات عشرين سنة لأنك لا تنزل العقاب بمن هم دون العشرين ، أما الأعوام الخمسون المتبقية فلتخصم منها نصفها إذ يقضى الإنسان خمسة وعشرين عاماً من حياته في النوم ، أما السنوات المتبقية فلتخصم منها النصف إذ يقضى الإنسان نصف هذه السنوات في إقامة الصلاة وتناول الطعام والتفوية بمختلف احتياجاته والتي لا يتركب فيها أية معاصي ، إذاً يتبقى لنا اثنا عشر عاماً ونصف وإذا تحملت أنت معاصي هذه السنوات فقد فعلت خيراً وإذا رفضت تحملها فلتقتسمها معاً .

وسيقول نسل إسحاق إذاً : إنك بالفعل والدنا الحق . غير أن إسحاق سيقول لهم : لا ترفعوا الثناء إلى بل ارفعوه إلى الرب فقط . وسيرفع إسرائيل عينيه إلى السماء قائلاً : الرب والدنا واسمك هو مخلصنا^(٦٩) .

وكان إسحاق الذي يعرف أحياناً باسم إلهو بن باراشيل هو الذي كشف عن عجائب الطبيعة خلال جدله مع أيوب^(٧٠) .

ومع انتهاء سنوات المجاعة تراحى الرب لإسحاق وأمره بالعودة إلى كنعان ، وفعل إسحاق ما أمر به واستقر في الخليل . وأرسل في الحين ذاته ابنه الأصغر يعقوب إلى مدرسة شيم و " ايير " ليتلقى فيها شريعة الرب ، ومكث يعقوب فيها اثنين وثلاثين عاماً ، أما عيساو فرفض التعلم وبقي في منزل والده ، ولم ينشغل إلا بالقنص وكما حرص على قنص الوحوش فقد حرص على قنص البشر ساعياً إلى أسرهم عبر الاحتيال والغداع ، وفي إحدى رحلات الصيد التي قام بها عيساو أتى إلى جبل سمير الذي تعرف فيه على يهوديت التي كانت من عائلة هام وأخذها زوجة وأحضرها إلى والده في الخليل .

وعاد يعقوب إلى منزله بعد مضي عشر سنوات على رحيله وارتحل إلى منزله بعد وفاة معلمه شيم وهو في الخمسين من العمر ، وبعد مضي ست سنوات أخرى تلقت ريبیکا أنباءً سعيدة عن أن أخت زوجها عدنا زوجة لابان - والتي كانت لا تنجب - أنجبت بنتين هما ليئة وراحيل^(٧١) ، وتصححت ريبیکا التي كان يعتريها السأم والقلق على حياتها بسبب المرأة التي اختارها ابنها الأكبر زوجة يعقوب بدلاً يتزوج من بنات

الكنعانيين وأن يتزوج بنتاً بكرًا من نسل إبراهيم ، وطمان يعقوب والدته بأن كلمات إبراهيم التي نهته عن الزواج من الكنعانيين محفوظة في ذاكرته ومن ثم فإنه لم يتزوج بالرغم من أنه بلغ من العمر اثنين وستين عاماً وبالرغم من أن عيساو كان يحثه خلال الاثنين والعشرين عاماً الماضية على السير على هداياه وأن يتزوج بنتاً من البلد الذي يعيشون فيه ، وأخبر يعقوب والدته أنه سمع أن خاله رزق ببنتين وأنه قرر أخذ واحدة منهما كزوجة ، وأعربت ربييكا عن امتنانها لولدها فشكرت ربها قائلة : تبارك الرب وليتبارك إلى الأبد اسم من وهبني ولداً نقياً كيعقوب ولأنه لك فإن نسله سيعيش إلى الأبد ، باركه يا رب وضع في فمي بركة الصديق حتى أباركه .

وحينما حلت عليها روح القدس وضعت يديها على رأس يعقوب ووهبته بركة الأم ، واختتمت بركتها بقولها: فليحبك الرب كما يبتهج قلب أمك بك ، وليباركك الرب^(٧٢) .

إسحاق يبارك يعقوب

وكان زواج عيساو ببنت الكنعانيين أمراً لم يحظ إلا بازدياد والدته ووالده بل وقد عانى أكثر من ربييكا من الممارسات الوثنية لزوجات الابن . ومن طبيعة الأشياء أن مقاومة الرجل للأوضاع غير السليمة تعد أقل بكثير من مقاومة المرأة خاصة أنه ليس للرجل الذي خلق من تراب الأرض قدرة التحمل التي تتمتع بها المرأة التي خلقت من العظم . وسرعان ما كبر إسحاق بسبب سلوك زوجات الابن وفقد بصر عينيه . وكانت ربييكا قد اعتادت خلال طفولتها على البخور الذي يحرق أمام الأوثان ومن ثم فقد تمكنت من احتماله . أما إسحاق فلم يعيش مثل هذه التجربة حينما كان يعيش مع والديه ومن هنا فقد صدم من الدخان المتصاعد من الأضاحي التي كانت تقدمها زوجة ابنه إلى أوثانها في منزله^(٧٣) ، وكانت عينا إسحاق قد عانت في مرحلة مبكرة من حياته فحينما وضعه والده على المنبح للتضحية به انتهزت دموع الملائكة ولم تتساقط هذه الدموع إلا على عينيه وبقيت فيها مما أضعف بصره .

وقد تغلب في الحين ذاته على ابتلاء العمى الذي حل به بحبه لعيساو ، ورأى أن فقدان بصره يعد عقوبة لإفراطه في حبه لعيساو ، ومع هذا فقد كان هذا العمى في

صالح كل من إسحاق ويعقوب فقد أصبح لازماً على إسحاق نتيجة للعجز البدني الذي حل به أن يلزم منزله وأن يتجنب بالتالي إشارة الناس إليه بوصفه والد الشرير عيساو^(٧٤) ، ولو كانت قدرته على الإبصار ما تلفت ما كان قد بارك يعقوب ، وقد عامله الرب كما يعامل الطبيب المريض الذي يحظر عليه تناول الضرر مهما اشتدت رغبته في تناوله ، وحتى يهدئ الطبيب من حالة مريضه فإنه يأمر بإعطائه جرعة من الماء الدافئ في الظلام ويخبره بأن هذه الجرعة جرعة نبيذ^(٧٥) .

وحيثما بلغ إسحاق من العمر مائة وثلاثة وعشرين عاماً مقرباً على هذا النحو من عدد السنوات التي عاشتها والدته بدأ يفكر ملياً في نهايته ، ومن المناسب حقاً أن يستعد الإنسان الموت عند وصوله إلى سن مقارب لسن الذي وصل إليه أحد والديه عند وفاته ، ولاحظ إسحاق أنه لا يعرف إذا ما كانت السنوات التي عاشها تعد مقاربة للسنوات التي عاشها والده أو والدته وإذا قرر أن يهب بركته على ابنه الأكبر عيساو قبل أن يحل الموت عليه^(٧٦) ، فدعا ولده عيساو قائلاً : ولدي . فسارع ولده قائلاً : هانذا . غير أن الروح القدس تدخلت قائلة بالرغم من أنه يصفى نعومة وعذوبة على صوته فلا تثق فيه فينطوي قلبه على سبعة أشياء بغيضة فيدمر سبعة أماكن مقدسة ويدمر خيمة الاجتماع والأماكن المقدسة في " جيلجال " و " شيلواح " و " نوب " و " جيفعون " والهيكل الأول والثاني .

وبالرغم من أن عيساو تحدث بلطف إلى والده فقد كان يتمنى أن توافيه المنية سريعاً^(٧٧) ، ولم يفقد إسحاق بصره فحسب وإنما فقد بصيرته أيضاً . وحيثما ارتحلت عنه الروح القدس أصبح عاجزاً عن رمد مكر ابنه الأكبر . وقد أمر إسحاق عيساو بسن سكاكين الذبح وأن ينتبه إلى ألا تكون الأضحية المقدمة قد أصيبت بأي جرح قبل ذبحها وأن يحرص على ألا تكون الأضحية التي ستذبح مسروقة^(٧٨) .

وقد أقيمت على عيساو هذه المهمة عشية عيد الفصح وقال إسحاق له : سيتفنى العالم هذا المساء بالثناء للرب ، وتفتح في هذه الليلة خزائن الندى فأعد لي ما لذ وطاب حتى تباركك روحى قبل أن أموت . غير أن الروح القدس تدخلت في الحديث قائلة : لا تأكل خبز من عينة شريرة^(٧٩) . وكان اشتياق إسحاق للطعام الشهى نتيجة للعمى فحينما يعجز العمى عن إبصار الطعام فإنه يتشبهه كما أن الأطعمة الشهية تغريهم .

وانطلق عيساو للحصول على ما ابتغاه والده غير مبال بكيفية الحصول عليه^(٨٠) ، وحتى يعطل الرب التنفيذ السريع لأمر والده فقد أرسل الشيطان في أعقاب عيساو ليعطله بقدر الإمكان ، وقام عيساو باقتناص غزال ثم تركه في موضعه مقيداً حتى ينتهى من اقتناص شيء آخر ، وعندئذ قام الشيطان بفك أسر الغزال ، وحينما عاد عيساو إلى المكان لم يجد ضحيته ، وكان الغرض من تكرار هذا الوضع أكثر من مرة أن يتمكن يعقوب خلال هذه الفترة من تنفيذ خطة ريبكا الخاصة بتمتع يعقوب ببركة أبيه بدلاً من عيساو .

وبالرغم من أن ريبكا لم تكن قد سمعت الحوار الذي تم بين إسحاق وعيساو فقد كشفت الروح القدس^(٨١) عنه ، ومن هنا قررت أن تمنع زوجها من اتخاذ خطوة لا مبرر لها ، ولم يكن حب يعقوب هو الذى يحدد خطاها وإنما رغبتها في منع إسحاق من اتخاذ إجراء بفيض^(٨٢) فقالت ليعقوب : تغض في هذه الليلة الأغلال عن خزائن الندى ، وهامى الليلة التى تتغنى فيها الكائنات السماوية بئناشيد الثناء والمديح للرب .
والتي خصصت لغروج بنيك من مصر والتي ترنموا فيها عند خروجهم بأغاني المديح للرب . اذهب الآن وأعد طعاماً لذيق المذاق لوالدك حتى يباركك قبل وفاته^(٨٣) . افعل ما أمرك به وأطعنى لأنك وادى الذى سيكون كل نسله من الأخيار والأتقياء وإن يفسد أحد منهم .

وبالرغم من احترامه الشديد لوالدته^(٨٤) رفض يعقوب في البدء الانصياع لأمرها متخوفاً من أنه قد يرتكب خطيئة^(٨٥) خاصة أنه قد يتعرض على هذا النحو إلى لعنة أبيه . وكان يعقوب محقاً إذ كان من الوارد أن يكون إسحاق قد احتفظ برغبته في مباركة يعقوب بعد أن بارك عيساو غير أن ريبكا هدأت من همومه بقولها :
حينما لعن آدم فقد حلت اللعنة على والدته الأرض ، وستحمل والدتك عنك اللعنة إذا ما لعنتك والدك ، وعلاوة على هذا فأنى مستعدة لأتقدم إلى والدك وأخبره : إن عيساو وغد ، أما يعقوب فرجل صالح .

وأصبح يعقوب سجين والدته فتوجه وعلقه الدمع لتنفيذ ما خططت ريبكا^(٨٦) وحينما أقدم على تقديم وجبة عيد الفصح إلى والده أمرته بأن يحضر جديين أحدهما كأضحية للفصح والآخر كنضحية للاحتفال^(٨٧) ، وحتى تهدأ نفس يعقوب

أضافت : أن عقد زيجتها خول لها جديين يوميا وأن هذين الجديين سيجلبان الخير عليك ، وهذان الجديان سيكونان أضحية للتكفير عن الذنوب في يوم الغفران .

ومع هذا لم يبدد حديث ربييكا تردد يعقوب فتخوف من أن يدرك والده عند ملاسته له أنه ليس عيساو خاصة أنه لم يكن مشعراً مثله ، وبالتالي فقد مزقت ربييكا جلود الجديين إلى قطع صغيرة خاطتها ووضعتها على يعقوب الذي كان ضخم الجثة لتغطي يديه^(٨٨) ، وحتى تغير ربييكا شكل يعقوب ألبسته ملابس عيساو الخاصة بالكاهن الأعلى والتي كان الرب قد وضعها على آدم أول من خلق في العالم خاصة أن الذكور الذين ولدوا قبل إقامة خيمة الاجتماع كانوا يعملون كهنة ، وانتقلت هذه الملابس من آدم إلى نوح ومنه إلى سام الذي أوصى بمنحها إلى إبراهيم الذي وهبها إلى إسحاق وانتقلت منه إلى عيساو بوصفه الابن الأكبر ، ورأت ربييكا أنه طالما أن يعقوب اشترى حق الميلاد من أخيه فإنه يحق له امتلاك ثياب الكاهن^(٨٩) ، ولم تكن ربييكا بحاجة لإحضار هذه الثياب من منزل عيساو خاصة أنه كان قد اعتاد على وضع هذه الثياب في منزل والديه كما أن عيساو لم يكن يولي قدراً كبيراً من الاهتمام بالظهور على نحو لائق فكان يسير في الشارع مرتدياً ملابس رثة غير أنه كان يرى أنه من الضروري أن يظهر على نحو لائق عند لقاء والده فكان عيساو يذكر دائماً : أرى أن والدي ملك ولا يعقل أن ألقاه إلا في مظهر ملكي . وكان يظهر كل الاحترام لوالده .

واتجهت ربييكا مع يعقوب حتى باب غرفة إسحاق وودعته قائلة : فليساعدك الرب فيما بعد^(٩٠) . ودخل يعقوب على إسحاق قائلاً : والدي . فأنجابه : ها أنا ذا من أنت يا ولدي ؟ فأجاب متردداً : إنه أنا ولدك البكر عيساو . وكان قد سعى في إجابته إلى تجنب الخداع وألا يشي في الحين ذاته أنه يعقوب^(٩١) . فقال إسحاق : إنك شديد العجل لضمان الحصول على بركتك . لقد بورك إبراهيم حينما كان يبلغ من العمر خمسة وسبعين عاماً وأنت لا تبلغ من العمر سوى ثلاثة وستين عاماً . فأجاب يعقوب على نحو متسرع : لأن الرب إلهك وهبني السرعة . وأدرك إسحاق عندئذ وفي الحال أن من يحدثه ليس عيساو لأنه لم يكن يذكر الرب في حديثه فقرر أن يلامس الولد الواقف أمامه للتأكد ممن يحدثه ، وتملك الرعب يعقوب عند قول إسحاق : هلم اقترب حتى أشعر بك ولدي . وغطى عرق بارد جسده وذاب قلبه بداخله فأمر الرب الملاكين الكبيرين

ميخائيل وجبريل بالهبوط فنحاط أحدهما بيمينه والآخر بيساره في حين أن الرب دعم نفسه يعقوب حتى لا تخذله شجاعته، وحينما تحسسه إسحاق ووجد يديه مشعرتين قال : إن الصوت صوت يعقوب غير أن اليدين يدا عيساو . وانطوت هذه الكلمات على نبوءة مفادها أن صوت يعقوب سيتردد في المعابد وأماكن الدراسة غير أن أيدي عيساو لن يمكنها المساس به ، وواصل إسحاق حديثه : ها هو صوت يعقوب الذي تحل معه وبه السكينة على الأرض والسموات بل إن الملائكة لا تستطيع أن ترفع أبتها لاتها إلى الرب حتى ينتهي إسرائيل من صلواته .

ولم تتبدد آنذاك شكوك إسحاق بشأن مباركة ابنه إذ رأى بنبوءته أنه سيكون لإسحاق نسل مشاكس للرب ، وقد تكشف له في الحين ذاته أن المخطئين في إسرائيل سيتوبوا عن خطاياهم ومن ثم كان إسحاق مستعداً لمباركة يعقوب فأمره بالاقتراب منه لتقبيله مشيراً إلى أن يعقوب سيكون آخر من يقبل إسحاق قبل أن يواريه التراب ، وحينما وقف يعقوب بجواره أتاه شذا الجنة فهتف إسحاق : إن عطر ولدي كعطر الحقل الذي باركه الرب^(٩٧) .

ولم يكن العطر النابع من يعقوب والصادر عنه بالشيء الوحيد المستوحى من الجنة فقد أحضر كبير الملائكة ميخائيل النبيذ الذي أعطاه يعقوب إلى والده لتناول^(٩٨) حتى تكون حالته النفسية صافية خاصة أن الحضرة الالهية لا تحل إلا على من يكون مبتهجاً^(٩٩) . وامتلاً إسحاق بروح القدس فمنح يعقوب بركاته العشر . ليهبك الرب ندى السماء . الندى السماوى الذى سيوقظ به الرب الأتقياء فى العالم الآخر و دهن الأرض الذى هو خير العالم والكثير من الذرة والنبيذ وهى التوراة والنوصايا التى تهب الانسان البهجة التى يشعر بها عند جنى محصول وفير^(١٠٠) و " لتخدمك الشعوب " وهم نسل يافث وحام و " تخضع لك الأمم " وهى الأمم السامية و " ستصبح سيداً على إخوانك " وهم بنو إسماعيل ونسل قطورة ، و " سيخضع أبناء أمك لك " وهم عيساو وأمرأوه ، و " سيكون ملعوناً كل من يلعنك " مثل بلعام و " ليتبارك كل من يباركك " مثل موسى^(١٠١) .

وكما منح إسحاق هذه البركات على يعقوب فقد باركه الرب بالكلمات نفسها . وكما بارك إسحاق يعقوب بندى السماء فقد باركه الرب أيضاً بقوله : سيعيش نسل

يعقوب بين شعوب كثيرة مثل ندى الرب . وكما بارك إسحاق يعقوب : بدهن الأرض فقد باركه الرب بقوله : سيهب الرب ماء لنسلك وستبثر حب الأرض وسيثمر زرعك ، وكما بارك إسحاق يعقوب بكثير من الذرة والنبذ فقد باركه الرب : ستهبك ذرة ونبذاً وكما بارك إسحاق بن الشعوب ستخدمه فقد باركه الرب بقوله : إن الملوك والملكات سيعملون في خدمتك وسيسجدون لك وسيلعقون تراب قدميك . وكما قال إسحاق ستسجد لك كل الأمم قال الرب في المقابل : سأجعلك أعلى وأسمى من كل الأمم في الشرق .

وأضافت ربيكا إلى كل هذه الدعوات دعوتها قائلة : فلتحفظك ملائكة الرب في كل طرقك التي تسلكها ، وترعك الملائكة خشية أن تزل أو أن تضل وتستسحق قدمك أشبال الأسود والثعابين . وقال الروح القدس في المقابل : سيدعوني وأجيبه . ساكون معه في المحن وسأخلصه وأوقره وسأهبه حياة طويلة وسأظهر له خلاصى^(٩٧) .

وغادر يعقوب حضرة والده مثل العريس ومزينا كالعروس ، وكان قد استحم بالندى السماوى الذى ملأ عظامه بالجواهر وجعله بطلاً وعملاقاً^(٩٨) . وقد وقعت في اللحظة ذاتها معجزة لم يدركها يعقوب فلو كان تلكاً في جلسته مع والده لكان عيساو قد لاقاه وقتله بالتأكيد . وكان يعقوب قد لاحظ في اللحظة التي غادر فيها خيمة والده حاملاً الصحون التي تناول إسحاق منها طعامه أن عيساو يقترب من الخيمة فتخفى يعقوب خلف باب الخيمة . وكان من حسن الطالع أن هذا الباب كان مستديراً ومن ثم كان يمكنه مشاهدة عيساو دون أن يرى .

تكشف شخصية عيساو الحقيقية

وكان عيساو قد وصل متأخراً أربع ساعات^(٩٩) ورغم كافة الجهود التي بذلها في القنص فقد باءت كل جهوده بالفشل مما اضطره لقتل كلب وتقديم لحمه في وجبة لوالده^(١٠٠) ، ومن هنا أصبح عيساو سيئ المزاج . وحينما أمر والده بتناول الطعام فقد بدت دعوته قاسية بعض الشيء فقال عيساو : انهض والذى وتتاول لحم الغزال الذى أحضره ولدك . أما يعقوب فقد تحدث بشكل مختلف فقال : أرجوك انهض واجلس

للتناول لحم الغزال . ويشت كلمات عيساو الرعب فى نفس إسحاق بل وتجاوز خوفه ذلك الخوف الذى تملكه حينما كان والده يعترزم تقديمه أضحية على المحرقة فصرخ متسائلاً : من ذا الذى يتوسط بينى وبين الرب حتى تصل البركة إلى يعقوب ؟ ، وكانت هذه الكلمات تنطوى على تشكك إسحاق فى أن ربيكا هى التى حرضت يعقوب على الحصول على البركة .

ولم يتنبه إسحاق إلا بعد أن رأى الجحيم عند قدمى عيساو فحينما دخل المنزل ازدادت حرارة جذران المنزل لاقترابها من الجحيم الذى جلبه عيساو معه فصرخ إسحاق : ترى من سيحرق أنا أم ولدى يعقوب ؟ فأجابه الرب : لن تحرق أنت أو ابنك وإنما القناس .

وأخبر إسحاق عيساو أن اللحم الذى وضعه يعقوب أمامه خواصٌ فريدة وأنه يتضمن كل النكهات بل يتضمن مذاق الطعام الذى سيهبه الرب للصديقين فى العالم الآخر . وقال إسحاق : لا أعرف ما اللحم فحينما كنت أتناول الضب كان مذاقه كمذاق لحم الحيوانات وكل مذاق يتشبهه المرء . وحينما سمع عيساو كلمة لحم بدأ فى النحيب قائلاً : لم يعطنى يعقوب سوى طبق من العدس وأخذ فى مقابلة حقى فى الميلاد . فأنحس إسحاق بحزن عظيم لإعطائه البركة إلى الابن الأصغر بدلاً من ابنه البكر الذى كان يحق له الحصول على البركة بموجب العرف والقانون غير أنه حينما سمع أن يعقوب حصل على حق الميلاد من عيساو قال : أعطيت بركتى للشخص الصحيح .

وكان إسحاق قد فكر خلال غضبه فى سبب لعنته على يعقوب لأنه أخذ البركة منه على نحو مخادع غير أن الرب منعه من تنفيذ خيلته فذكره الرب بأنه إذا لعن يعقوب فإنه سيكون كمن يلعن نفسه خاصة أنه كان قد باركه بقوله : ملعون من يلعنك . غير أن إسحاق لم يكن مستعداً للاعتراف بصلاحيه بركته ليعقوب حتى يعلم أن ابنه الثانى امتلك بالفعل حق الميلاد فقال عندئذ : إنه سيبارك . ولذلك فقد صرخ عيساو صرخة مدوية . ونظراً لأن يعقوب كان سبب هذا الحزن فقد كُتِب على مورىخاى بن يعقوب وعلى نحو العقاب أن يصرخ صرخة مدوية أيضاً وكان حزنه ناجماً عن هامان الذى من نسل عيساو . وحينما أخبر إسحاق عيساو : إن أخاك أوتى الحكمة وأخذ البركة بصق عيساو مغتاظاً وقال : لقد نهب حقى فى الميلاد والتزمت الصمت والآن يأخذ البركة فهل يجب أن ألتزم الصمت^(١٠١) ؟ إنه يدعى حقا يعقوب وهم اسم على مسمى لأنه عاقبتى مرتين^(١٠٢) .

وواصل إسحاق حديثه إلى عيساو قائلاً : انظر لقد جعلت إسحاق سيدياً لك وافعل ما شئت ، إن بركتك ستظل خاصة به . وسيصبح كل إخوته عبيداً له ، وكل ما يملكه العبد ينتمى إلى سيده ، ولا بد أن ترضى بحصولك على خبزك من سيدك . واستاء الرب من إسحاق لأنه حدث عيساو بكلمات رقيقة فويخ إسحاق قائلاً : إنه خائن . فذكر إسحاق : ألا يعمل الصديق حينما يبجل والديه . الرب : إنه سيسوء التصرف في بلد الصديق فسيبتاول في الأيام القادمة على الهيكل . إسحاق : إذا دعه يتمتع بالخير في هذا العالم حتى لا يرى المكان الدائم للرب في العالم القادم^(١٠٣) .

وحينما اتضح لعيساو أنه لم يعد بمقدوره إقناع والده بإلغاء البركة التي وهبها إلى يعقوب فقد سعى إلى الحصول على هذه البركة عبر الحيلة فذكر لوالده : ألا توجد لديك سوى بركة واحدة فقط ؟ ولتباركني أيضاً وإلا فسُيقال إنه ليس لديك سوى بركة واحدة فقط . ولتفترض أنى كنت تقيا مثل يعقوب فهل كان سيبخل الرب بمنحى البركة أيضاً ؟ فأجاب الرب : الصمت ! إن يعقوب سيبارك الأسباط الاثنى عشر ، وستكون كل بركة مختلفة عن الأخرى . غير أن إسحاق أحس بالشفقة على واده الأكبر وأراد أن يباركه غير أن الحضرة الإلهية تدخلت ومن ثم لم يتمكن إسحاق من تنفيذ ما ابتغاه . وبدأ عيساو فى النحيب فذرف ثلاث دموع سقطت الأولى من عينه اليمنى والأخرى من عينه اليسرى غير أن الدمعة الثالثة ظلت على رموشه فقال الرب : هذا النذل يبكي من أجل حياته وهل يجب أن أتركه يذهب خالى الوفاض ؟ فأمر إسحاق بمباركة ابنه الأكبر^(١٠٤) .

وباركه إسحاق بقوله : اهتم بدهن الأرض الذى ستحميا عليها - وكان يقصد بهذا اليونان - واهتم ببنى السماوات - وكان يقصد بهذا الرجال الأقوياء - واهتم بسيفك الذى ستحميا به واستخدم أخاك. وحينما يحاول التهرب من عبه الرب فإنك ستصبح سيده^(١٠٥) .

ولم تكن البركة التي وهبها إسحاق إلى ابنه الأكبر مشروطة فكان مقدراً على عيساو سواء أكان يستحق هذه البركات أم لا التمتع بخيرات هذا العالم ، أما البركة التي حصل عليها يعقوب فقد كانت نتاجاً لأعماله الخيرة التي كان يحق له من خلالها التمتع بالنعيم الأرضى ، وكان من بين الأفكار التي جالت بخاطر إسحاق أن يعقوب

تقى وأنه لن يتمرد على الرب ومع هذا فسيقدر عليه العناء ، أما هذا الفاسد عيساو فإنه إذا فعل خيراً أو صلى للرب ولم يُستجب له فإنه سيقول : من العبث أن أصلى للرب. ولهذا فقد وهب إسحاق عيساو بركة غير مشروطة^(١٠٦) .

يعقوب يغادر منزل أبيه

وقد اشتدت كراهية عيساو ليعقوب لحصوله على بركة أبيه ، وكان يعقوب خائفاً للغاية من أخيه عيساو ففر إلى منزل "أيبر" بن سام حيث اختفى في منزله أربعة عشر عاماً ، وواصل في هذا المنزل دراسة طرق الرب وأوامره ، وحينما رأى عيساو أن يعقوب فر وهرب بعد أن حصل على بركة أبيه بالحيلة والخداع اشتد حزنه وظل يثير الشغب في منزل والده ووالدته ونهض وأخذ زوجته وارتحل بعيداً عن والده ووالدته إلى أرض سعين التي اقترن فيها بزوجته الثانية "باسيمات" بنت إيلون الحيثي ودعاها "عيداه" قائلاً إن البركة لم تعد له ، وبعد أن سكن سعين ستة شهور عاد إلى أرض كنعان وجعل زوجته تقيمان في منزل والده بالخليل ، ولم تتوقف زوجته عيساو عن الشجار وأثارتا بأعمالهما غضب إسحاق وريبيكا لأنهما لم يتبعوا تعاليم الرب ولم تخدموا سوى آلهة آبائهما من الخشب والحجارة ولقد كانتا أكثر مكرراً من آبائهما ، ولقد اعتادت تقديم الأضاحي وحرق البخور إلى آلهة بل مما أثار غضب إسحاق وريبيكا منهما ، ومع مضي أربعة عشر عاماً على إقامة يعقوب في منزل "أيبر" فقد اشتاق يعقوب لرؤية أبيه وأمه فعاد إلى منزله ، وكان عيساو قد نسي خلال هذه الأيام ما فعله يعقوب معه واستيلائه على بركته ، غير أنه حينما رآه عائداً إلى والديه تذكر ما فعله يعقوب فاشتعلت نيران الكراهية في قلبه وسعى لقتله^(١٠٧) .

غير أن عيساو لم يكن بمقدوره قتل يعقوب طالما أن والده حي خشية أن ينجب إسحاق ولداً آخر ، وكان يبتغي التأكيد من أنه الوريث الوحيد^(١٠٨) وعلى أية حال فقد كانت كراهية عيساو ليعقوب شديدة فقرر أن يسرع بقتل والده وأن يقتل يعقوب فيما بعد ، وكانت نوايا القتل تعتمل في قلب عيساو غير أنه كان ينكر اعتمالها في ذهنه ، ولكن الرب قال : ربما لا تعرف أن الرب يمتحن قلوب البشر لأني أنا الرب العالم بالقلب .

ولم يطلع على نوايا عيساو الرب فقط إذ كانت ريبيكا مثل كل الأمهات نبيه ومن هنا لم تتوان في تحذير يعقوب من الخطر الذي يتربص به فقالت له : إن أخاك واثق من إنجاز مهمته كما لو كنت لقيت مصرعك بالفعل ، ولهذا أطع صوتي ولدي واهرب إلى أخيك لابان في حاران وابق لديه سبع سنوات حتى ينقضي غضب أخيك . ولم يسع ريبيكا لنقاء قلبها وصفاء سريرتها سوى أن تؤمن أن غضب عيساو لا يعدو عن كونه غضباً عابراً غير أنها أخطأت فيما تصورت إذ إن كراهيته استمرت حتى وفاته^(١٠٩) .

ولم يفر يعقوب من الخطر لشجاعته فقال لوالدته : لست خائفاً ، وإذا كان يبتغي قتلي سأقتله . فاجابته : لا تدعني أُنكل في وادي في يوم واحد^(١١٠) . وأظهرت ريبيكا بهذه الكلمات مرة أخرى أنها تحمل سمات النبوة إذ إن عيساو قُتل في اليوم الذي دُفن فيه يعقوب^(١١١) .

وقال يعقوب لريبيكا: إنك تعلمين أن والدي أصبح كهلاً وإنك لا ترين ، وإذا غادرتي وارتحلت فإنه سيفضض ويلعنني ، وإن أذهب إلا إذا طلب مني والدي الرحيل^(١١٢) .

وتوجهت ريبيكا بالتالي إلى إسحاق وهدثته من بين دموعها قائلة : إذا اقترن ولدي يعقوب بإحدى بنات الحيثيين فأي شيء سأجنيه^(١١٣) ؟ فدعا إسحاق يعقوب وقال له : إنك لن تتزوج من بنات الكنعانيين فهكذا أمرنا والدنا إبراهيم بموجب أمر الرب فأمره الرب بقوله : لنسلك سأعطى الأرض ، وإذا حافظ أبناؤك على عهدي الذي أقمته معك فأبني سأنفذ عهدي معك وإن أتخلي عنهم . ولهذا أنصت ولدي إلى كلماتي وإلى كل ما أمرك به وتجنب الزواج من بنات الكنعانيين . انهض وتوجه إلى منزل بيتول والد والدتك في حاران واقترن بإحدى بنات لابان أخ والدتك ، ولا تنس الرب إلهك وكل طريقه في الأرض التي ستذهب إليها ، ولا تنفمس مع سكان الأرض التي ستقيم فيها وتتخلي عن الرب إلهك ، وحينما تصل إلى الأرض التي تتجه إليها فاعبد الرب بها ولا تحيد يمينه أو يسره من الطريق الذي أمرك بالسير عليه والذي تعلمته ، وليمنحك الرب الحب والرضا في أعين من ستقيم فيما بينهم ولتأخذ الزوجة التي ترتضيها هناك ولتكن خيرة ومتبعة لتعاليم الرب ، وليمنحك الرب أنت ونسلك البركة التي وهبها إلى إبراهيم وليكثر نسلك في أي أرض تحل بها وليجعلك الرب تعود سالماً إلى الأرض التي يقطنها والدك ولتعود مع أبناء وثروات وسعادة ومنة^(١١٤) .

وكانت هذه الكلمات التي حدث بها إسحاق يعقوب وخاصة الأخيرة منها خير دليل على صحة البركة التي وهبها إلى يعقوب^(١١٥) . وحتى لا يذكر أحد أن يعقوب حصل على هذه البركة عن طريق الحيلة والخداع فقد وهبه إسحاق ثلاث بركات آخر بقوله : طالما أنى أملك القدرة على مباركتك فأنى أباركك بقولى ياليت الرب يمنحك بركته الأبدية ول يمنحك البركة التي ابتغى إبراهيم أن يهبني إياها التي لم تنقطع إلا من أجل ألا يثير حنق إسماعيل وغيرة^(١١٦) .

وحيثما رأى إسحاق ببصيرة النبوة أن نسل إسحاق سيجبر ذات حين على الرحيل إلى المنفى فقد ابتهل إسحاق إلى الرب بإعادة المنفيين فقال : سيبتليكم الرب بست مصائب غير أنه لن يمسكم أى سوء عند تعرضكم إلى المشكلة السابعة . وابتهلت ريببكا إلى الرب باسم يعقوب قائلة : لا تفلح مخططات عيساو ضد يعقوب واتحبط كل ما يعتزم القيام به^(١١٧) .

وحيثما لاحظ عيساو أن حب أبيه انتقل إلى يعقوب فقد توجه إلى إسماعيل وخاطبه بقوله " كما أعطى والدك كل ما يملك إلى أخيك إسحاق وترك خاوى الوفاض فإن والدى يعتزم القيام بالأمر نفسه معى . استعد إذاً واذهب لقتل أخيك وسأقتل أخى ثم سنقتسم كل العالم فيما بيننا . فأنجاب إسماعيل : لماذا تبتغى قيامى بقتل والدك ؟ فيمكنك القيام بهذه المهمة بمفردك ، فأنجابه عيساو : حدث فيما مضى أن إنساناً قتل أخاه كما قتل قابيل هابيل لكن لم يحدث أن قام ابن بقتل والده .

ولم يتراجع عيساو حقاً عن قتل أبيه فحدث نفسه قائلاً : إذا قتل إسماعيل والذى سيصبح لى حق التأثير منه وسأقتل إسماعيل ثاراً لوالدى ، وإذا قتلت يعقوب أيضاً سيصبح كل شيء ملكى وسأصبح الوريث الوحيد لوالدى وعمى^(١١٨) . ويظهر هذا الأمر أن زواج عيساو من "ماهالات" بنت إسماعيل وحفيدة إبراهيم كان مرتبطاً برغبته فى إقامة علاقات ودية مع إسماعيل حتى يمكنه فيما بعد تنفيذ مخططاته الشيطانية^(١١٩) .

غير أن عيساو تفكر فى هذا الأمر دون أن يستشير أحداً ، وكان إسماعيل قد توفى عشية زواج عيساو من "ماهالات" ، وتولى "نيبايوت" بن إسماعيل مقاليد الأمور وزف أخته إلى عيساو^(١٢٠) . ومن الواضح أنه حينما فكر عيساو فى الاقتران

بحفيدة إبراهيم لم يكن معنياً في تفكيره هذا بإسعاد والديه خاصة أنه كان قد احتفظ بنزجتيه الكنعانيتين ، وسارت بنت إسماعيل على هدى زوجتي عيساو ومن ثم فقد أسهمت في إثارة غضب والدي عيساو من زواجه^(١٢١) . وكان من الممكن أن يصبح زواج عيساو من حفيدة إبراهيم فرصة له لتعديل كافة سلوكياته المنحرفة خاصة أن 'اره تغفر كافة ذنوبه السابقة عند زواجه^(١٢٢) .

وحيثما ترك يعقوب منزل والده انتحبت ربييكا حزناً على فراقه غير أن إسحاق واسامها قائلاً : " لا تبك على يعقوب فقد رحل في سلام وسيعود سالمًا ، وسيحميه الرب في علاه من كل الشرور وسيكون معه ، وإن يتخلى عنه طيلة حياته ، ولا تخافي عليه لأنه يسير على الصراط المستقيم ، إنه إنسان كامل ويؤمن بالرب ومن هنا قلن يفنى^(١٢٣) .

مطاردة إلفاز وعيساو ليعقوب

وحيثما ذهب يعقوب إلى حاران استدعى عيساو ولده إلفاز وحدثه سرا قائلاً : أسرع الآن واحمل سيفك وتعبق يعقوب وامض أمامه في الطريق وتربص له واقتله بسيفك على أحد الجبال وخذ كل أمتعتي وعد . وكان إلفاز بارعاً وخبيراً في استخدام القوس كما علمه والده كما كان يجيد القنص وكان وغداً ، وفعل إلفاز الذي كان يبلغ آنذاك ثلاثة عشر عاماً ما أمره به والده ونهض واصطحب معه عشرة من إخوة والدته وتعقب يعقوب ، وشاهده عن بعد من مكان اتخذته على حدود كنعان في مواجهة مدينة نابلس ، وشاهد يعقوب إلفاز ورجاله يتعقبونه فثبت في مكانه لمعرفة حقيقة سيرهم خلفه فلم يفهم غرضهم ، واستل إلفاز سيفه وتقدم هو ورجاله صوب يعقوب فسألهم يعقوب : إلى أين تتجهون ومن تتبعونني بسيفوكم ؟ فاقرب إلفاز إليه وأجاب : أمرني والدي وإن أريد عن تنفيذ أوامره . وحيثما أدرك يعقوب أن عيساو كلف ولده إلفاز بتنفيذ الأمر على وجه السرعة دعا إلفاز ورجاله قائلاً : انظروا كل ما أملك وكل ما أعطاه والدي إلى وخذوا كل ما لدي وارطوا ولا تقتلوني . وجعل الرب إلفاز ورجاله يشعرون بالرضا تجاه يعقوب فاستمعوا إلى ما قاله يعقوب ولم يقتلوه غير أنهم أخذوا كل ما كان معه من الذهب والفضة الذي كان قد اشتراه من بئر سبع . وتركوه خاوي الوفاض ،

وحينما عاد إليفاز ورجاله إلى عيساو وأخبروه بما حدث مع يعقوب غضب من إليفاز ورجاله لأنهم لم يقتلوا يعقوب ، فتأجبا عيساو قائلين : إن يعقوب تضرع إلينا حتى لا نقتله فأشفقنا عليه وأخذنا كل ما كان معه ورجعنا . وأخذ عيساو كل الفضة والذهب التى استولى عليها إليفاز من يعقوب ، ووضعها فى منزله^(١٢٤) .

ومع هذا لم يفقد عيساو الأمل فى اعتراض طريق يعقوب خلال سفره وقتله فطارده واحتل مع رجاله الطريق الذى كان على يعقوب أن يسلكه فى طريقه إلى حاران ، وحدثت فى تلك اللحظة معجزة ليعقوب ، فحينما أدرك حقيقة نوايا عيساو اتجه صوب نهر الأردن ورفع بصره إلى الرب وشق مياه النهر بعصاه ، ونجح فى عبور النهر غير أن عيساو لم يتوقف عن سعيه وواصل مطاردة يعقوب ووصل إلى المياه الحارة فى "باروس" قبل أخيه الذى كان عليه أن يعبر هذه المنطقة ، ولم يكن يعقوب يعلم أن أخاه عيساو يشاهده ويترصد به فقرر أن يستحم فى هذه المياه قائلاً : ليس لدى خبز أو أية أشياء أحتاجها فلأستحم فى مياه البئر ليدفأ جسدى . وبينما كان يعقوب فى البئر سد عيساو كل مخرج للبئر ولذلك كان يعقوب سيققى حتفه غرقاً لولا أن الرب جعل معجزة تحدث إذ تشكل بالبئر مخرج هرب منه يعقوب وهكذا تحققت كلمات الرب "حينما تمضى بالماء ساكون معك وحينما تسير بالنار فلن تحترق" ، وهكذا أنقذ يعقوب من مياه نهر الأردن ومن نيران البئر الحارة .

وكان من بين ما حدث فى الوقت نفسه أن أحد الفرسان نزل عن جواده وخلع ملابسه على ساحل النهر وسار فى مياهه غير أن أمواجه أغرقته فلقى حتفه ، وارتدى يعقوب ملابس المتوفى خاصة أن إليفاز كان قد جرده من كل شيء حتى من ملابسه ولم يكن يعقل أن يظهر يعقوب عارياً أمام قومه^(١٢٥) .

وبالرغم من أن يعقوب كان قد تم تجريده من كل ما يملك فإن شجاعته لم تخذله فقال : أيمكن أن أفقد الأمل فى خالقى ؟ إني أعتمد على الفضائل الطيبة لأبائى ، وسيساعدنى الرب من أجلهم . فقال الرب : يعقوب إنك تضع ثقتك فى مزايا وفضائل أبائك ومن هنا لن أجعل قدمك تزل ، إن من يحفظك لا يغفل ولتنتعم بالهدوء ، وإذا كان أى حارس يقوم بالحراسة فى النهار وينام الليل فإنى سأحرسك بالنهار والليل ، فإن من يرعى إسرائيل لا يغفل ولا ينام ، وسيحفظك الرب من كل شر ومن عيساو ولأبائى ،

وسيحفظ روحك فلان يمسك ملاك الموت بشر ، وسيرعاك فى الدخول والخروج وسيحفظك عند دخولك كنعان وعند خروجك منها^(١٢٦) .

وكان يعقوب يكره الخروج من الأرض المقدسة بون الحصول على موافقة الرب فحدثته نفسه قائلة : أمرنى والدى بالذهاب والرحيل عن الأرض ولكن من يعلم إذا ما كانت هذه هى رغبة الرب كما يقولون وهل سأتجيب أطفالي خارج الأرض المقدسة^(١٢٧) ؟ وتوجه بالتالى إلى منطقة بنر سبع حيث كان الرب قد منع إسحاق فيها حق الخروج من كنعان والتوجه إلى فلسطين ، وتوجه إليها ليتعرف على رغبة الرب .

ولم يتبع يعقوب طريق والده وجده فى الاعتماد على " أبيمالك " خشية أن يجبره الملك على الدخول فى عهد معه ويجعل من المستحيل على نسله ولأجيال طوال السيطرة على أرض فلسطين . ولم يمكنه أيضاً البقاء بالمنزل خشية أن يستولى عيساو منه على حق الميلاد ولم يكن يمكنه التسليم بهذا الأمر^(١٢٨) ، ولم يكن مقتنعاً إلى هذا الحد بالدخول فى صراع مع عيساو خاصة أنه كان يدرك مدى صدق الحكمة القائلة : إن من يدخل إلى ساحة الخطر يتعرض للهزيمة ، أما من يتجنب الخطر فإنه يهزمه . وكان إبراهيم وإسحاق قد اتبعا هذه الحكمة فقد فر جد يعقوب من نمرود كما فر إسحاق من الفلسطينيين^(١٢٩) .

يوم المعجزات

وكانت رحلة يعقوب إلى حاران حافلة بالمعجزات ، وقد حدثت أولى المعجزات الخمس التى وقعت من أجله فى الوقت الذى كان يعبر فيه جبل " موريا " إذ غربت الشمس فى ذلك الحين أى فى عز الظهيرة ، وكان يعقوب يهتدى فى طريقه ببنر المياه الذى كان يظهر أينما كان الآباء يذهبون أو يستقرون ، واصطحب هذا البئر يعقوب فى رحلته من بنر سبع حتى جبل موريا ، هذه الرحلة التى استغرقت يومين . وحينما وصل إلى الجبل المقدس حدثه الرب قائلاً : يعقوب إن الخبز فى حافطتك كما أن بنر المياه أصبح قريباً منك سيطفى ظمأك ، وأصبح لديك الآن الطعام والشراب ويمكنك الآن

قضاء الليلة هاهنا . غير أن يعقوب أجابه : لماذا يتعين علينا أن أنام في هذا الوقت غير المناسب ؟ غير أن يعقوب أترك أن الشمس قاربت على المغيب فاستعد للنوم^(١٣٠) وقد كان الغرض من هذا الأمر الإلهي ألا يمضي يعقوب بجوار موقع المعبد الذي سيُقام في المستقبل دون التوقف لديه ودون أن يقضى به ليلة واحدة . وابتغى الرب أيضاً أن يظهر ليعقوب وأن يُظهر له الصديقين في المساء^(١٣١) ، وقد أنقذ يعقوب في الحين ذاته من مطاردة عيساو الذي اضطّر للتوقف عن المطاردة بسبب حلول الظلام^(١٣٢) .

وأخذ يعقوب اثني عشر حجراً من المذبح هذه الحجارة التي كان والده إسحاق قد وضعها مجتمة وقال يعقوب : لقد كان الرب يبتغي إقامة اثني عشر سبطاً غير أنهم ليسوا من نسل إبراهيم أو إسحاق ، وإذا اتحدت هذه الحجارة في رابطة واحدة سيمصبح مقدراً على أن أكون أباً لهذه الأسباط . وحدثت في هذه اللحظة المعجزة الثانية إذ اتحدت هذه الحجارة فيما بينها وأصبحت حجراً واحداً وضعه يعقوب تحت رأسه بل وأصبح هذا الحجر ناصعاً مثل الورد ، وكان يعقوب في حاجة ماسة بالفعل إلى الراحة فكانت هذه هي الليلة الأولى التي لم يتخذ فيها حذره منذ أربعة عشر عاماً . وقد قضى يعقوب كل الليالي التي قضاها في منزل أبيير في الدراسة ، كما قضى السنوات العشرين التالية التي قضاها في منزل لابان دون أن يغمض له جفن إذ قضى طيلة تلك الليالي في ترتيب المزامير^(١٣٣) ، وكانت هذه الليلة حافلة بالمعجزات فحلم حلماً تراعى له فيه كل تاريخ البشرية فرأى في حلمه سلماً يرتفع من الأرض إلى السماء وشاهد على هذا السلم الملائكين اللذين أرسلوا إلى سدوم ، وقد نفى هذان الملاكان طيلة مائة وثمانية وثلاثين عاماً عن البقاع السماوية لأنهما أفشيا سر مهمتهما إلى لوط ، وقد رافق هذان الملاكان يعقوب في رحلته من منزل أبيه إلى البقعة التي وصل إليها وأخذاً فيما بعد طريقهما صوب السماء ، وحينما وهلا إلى السماء سمعهما يعقوب يحدثان سائر الملائكة بقولهما : هلموا وشاهدوا هدوء الصديق يعقوب الذي يتراعى مظهره الخارجى على العرش الإلهي الذي تتوقون لرؤيته . ثم شاهد الملائكة تهبط من السموات لتمعن النظر إليه^(١٣٤) . وشاهد أيضاً ملائكة الممالك الأربع يصعدون السلم فصعد ملاك بابل سبعين درجة وصعد ملاك ميديا اثنتين وخمسين ، وملاك اليونان مائة

وشانين ووصل ملاك أنوم إلى درجة بالغة العلو فقال : سأصعد فوق السحب وسأصبح مثل العالي القدير ، وسمع يعقوب صوتاً محتجاً قائلاً : ستصبح أسفل السافلين . ويخ الرب أنوم قائلاً : بالرغم من أنك ترتفع كالصقر وبالرغم من أن النجوم سكناك فسأجعلك في أسفل السافلين^(١٣٥) .

وأظهر الرب ليعقوب أيضاً الوحي على جبل سيناء وصعود إيليا إلى السماء ، والهيكل في لحظات شموخه وتعرضه للتلغف ، ومحاولة نبوخذ نصر إحراق الأطفال الثلاثة المقدسين في المحرقة ومواجهة دانيال مع بيل^(١٣٦) .

وفي هذا الجزء النبؤي من حلم يعقوب^(١٣٧) وعده الرب بإعطائه الأرض التي يستلقي عليها ، وكانت هذه الأرض هي كل فلسطين ، وواصل الرب وعده بقوله : وسيصبح نسلك مثل تراب الأرض ، وكما أن الأرض تحتل كل الأشياء فإن نسلك سيحتلون كافة شعوب الأرض. وكما أن الأرض يطرؤها الجميع فإن نسلك سيكون مصيرهم كمصير الأرض عند ارتكابهم للخطايا إذ ستضطهدهم عندئذ كل شعوب الأرض^(١٣٨) . وعلاوة على هذا فقد وعد الرب يعقوب بالانتشار في الشرق والغرب هذا الوعد الذي لم يقدم إلى إبراهيم أو إسحاق اللذين وعدا بمساحة محدودة من الأرض ، أما نصيب يعقوب من الملك فلم يكن محدوداً^(١٣٩) .

ونهض يعقوب من هذا الحلم العجيب فرعاً لما رآه في الحلم من دمار الهيكل^(١٤٠) . فصرخ : ليس هذا المكان سوى بيت الرب الذي توجد به بوابة السماء التي تصعد منها إليه الصلاة ، وأخذ الحجر المصنوع من اثني عشر حجراً وجعله عموداً صب عليه زيتاً ، هذا الزيت الذي كان قد هبط من السموات وغرس الرب هذا الحجر المسحوق بالزيت في أعماق الأرض ليصبح مركزاً للأرض ، وهذا الحجر مثله مثل "حجر السقي"^(١٤١) الذي يشكل مركز الحرم الذي نقش عليه اسم الذات الإلهية التي يملك من يعرفها القدرة على السيطرة على الطبيعة والحياة والموت^(١٤٢) .

وسجد يعقوب أمام "حجر السقي" ودعا الرب لينفذ الوعد الذي وعده به ، ودعا أن يهبه رزقاً كريماً ، وأقسم يعقوب بأن يعطى عشر كل ما يملك للرب إذا استجاب لدعائه ، ومن هنا كان يعقوب أول من أخذ عهداً على نفسه^(١٤٣) وأول من فصل العُشر عن بخله^(١٤٤) .

ووعده الرب بكل ما يمكن أن يُبتغى غير أن يعقوب تخوف من أن يفقد البركة المعهودة إليه عبر الخطيئة^(١٤٥) فابتهل إلى الرب بأن يعيده إلى منزل والده معافى فى جسده وأملاكه ومعرفته^(١٤٦) ، وأن يحميه فى أى أرض غريبة ينزل بها من الأوثان والحياة غير الأخلاقية ، وسفك الدماء^(١٤٧) .

وصلى يعقوب صلواته الأخيرة وهو فى طريقه إلى حاران وهنا حدثت المعجزة الثالثة إذ وصل فى لمح البصر إلى النقطة التى ينتفى الوصول إليها بعد أن قفزت الأرض من جبل "موريا" إلى حاران ، وقامت الأرض بمثل هذه المعجزة أربع مرات فقط على مدار التاريخ^(١٤٨) .

وكانت البشر التى كان سكان المكان يستمدون منها المياه أول ما وقعت هيناء عليها عند وصوله إلى حاران ، وبالرغم من أن حاران كانت مدينة عظيمة إلا أنها عانت من قلة المياه ولذلك لم تكن مياه البئر متاحة للجميع ، وكان لدخول يعقوب إلى المدينة أثر فى تغيير الوضع فقد كان لخصاله الطيبة الفضل فى مباركة مياه الآبار ومن ثم أصبحت المياه تكفى جميع الاحتياجات .

وكان يعقوب قد شاهد عدة أفراد يقفون بجانب البئر فسألهم : إخوانى من أين أتيتم ؟ ويتضح هنا أنه من الواجب أن يخاطب المرء الآخرين كإخوة وأصدقاء وألا ينتظرهم يحيونه ، وأن يسعى لأن يكون أول من يلقى السلام والود على من يلقاه ، وحينما علم أن من ألقى عليهم السلام من حاران سألهم عن شخص وعمل خاله لابان وإذا ما كانوا أصدقاء فأجابوه بإيجاز : هناك سلام فيما بيننا ولكن إذا كنت تبغى معرفة المزيد فيها هى راحيل بنت لابان ، ويمكنك أن تعرف منها كل ما تبغى معرفته . وقد كانوا يعلمون أن النساء يحبين الثروة وإذ كانوا أشاروا عليه بالتحدث إلى راحيل^(١٤٩) .

وقد أحس يعقوب أنه قد يكون غريباً بعض الشيء وقوف عدد من القوم بلا طائل بجوار البئر فسألهم : أتعلمون هنا ؟ وإذا كان الأمر على هذا النحو فلماذا تهملون عملكم ؟ أما إذا كنتم ترعون غنمكم فلماذا لا تروون ظمأ الغنم وتطعمونها^(١٥٠) ؟ فأجابوه أنهم فى انتظار إحضار الرعاة لغنمهم ، وقاموا برفع الحجر عن عين البئر ، وبينما كان يحدثهم أنت راحيل مع غنم والدها لأنه لم يكن لدى لابان أبناء ، وكان قطع

الفنم قد تعرض إلى وياض ضرب معظم القطيع فلم يتبق منه الكثير ، ومن هنا كان يمكن لفتاة مثل راحيل رعايته . وحينما شاهد يعقوب بنت أخ والدته تقترب فقد رفع بسهولة الحجر عن عين البئر ، ورفع كمن ينزع غطاء فلين من زجاجة ، وكانت هذه هي المعجزة الرابعة التي وقعت في هذا اليوم المعجز ، وكانت قوة يعقوب تضاهي قوة كل الرعاة مجتمعين فقد أنجز بذراعيه ما كان يتطلب حشداً من البشر^(١٤١) وكان الرب قد وهب هذه القوة الخارقة عند خروجه من الأرض المقدسة فقد جعل الرب الندى الذي يوقظ الانتقاء من سباتهم يوم القيامة يتسلل بداخله ومن هنا كانت قوته البدنية خارقة بل وتمكن في صراعه مع الملائكة من الانتصار عليهم^(١٤٢) .

أما المعجزة الخامسة والأخيرة التي وقعت في هذا اليوم فهي أن مياه البئر ارتفعت من الأعماق إلى القمة ، ولم تكن هناك حاجة إلى رفعها ، وقد ظلت المياه تفر من البئر طيلة السنوات العشرين التي أقام فيها يعقوب في حاران^(١٤٣) .

يعقوب مع لابان

وحينما أنت راحيل إلى البئر في اللحظة التي وصل فيها يعقوب إلى حاران كانت هذه اللحظة لحظة مبشرة بالخير ، ولاشك أن الانتقاء بفتيات صغار عند دخول المدينة يعد فالاً حسناً ويُبشر بأن جهود المرء ستكلل بالنجاح ، ويتضح هذا من خلال التجارب التي مر بها كل من إيلعازر ويعقوب وموسى وشاءول فقد التقوا جميعهم بفتيات صغار عند اقترابهم من أي مكان جديد عليهم ، ولقوا جميعهم النجاح^(١٤٤) .

وحينما التقى يعقوب راحيل عاملها من الوهلة الأولى وكأنها قريبة له مما جعل الواقفين على البئر يتهامسون فيما بينهم ، وقد انتقدوا يعقوب لسلوكه تجاهها خاصة أن الرب قد أرسل الطوفان لمعاينة البشر لسلوكياتهم غير الأخلاقية ، ومن هنا أصبحت العفة سمة من سمات أهل الشرق ، وكان للانتقادات التي تعرض لها يعقوب أضخم الأثر في نفسه فانهزم دمه مدراراً ، وحينما قابل راحيل بدأ في النحيب وتاب عما فعله .

وكان هناك ما يدعو حقاً لنحيبه فقد تذكر يعقوب في هذه اللحظات إيلعازر الذي كان عبداً لدى جده الذي كان قد أحضر عشرة جمال محملة بالهدايا معه إلى حاران

التي أتاها بحثاً عن عروس لإسحاق. وطافت هذه الذكرى بمخيلته حينما لم يكن بمقدوره اقتناء خاتم اراحيل. وعلاوة على هذا فقد رأى ببصيرة النبوة أن زوجته الحبيبة لن ترقد بجواره في القبر ، ولهذا بكى بشدة عند تفكره في هذا الأمر .

وحينما سمعت راحيل أن يعقوب يمت لها بصلة قرابة أسرعت إلى منزلها لتحدث والدها عن مجيئه، ولم تكن والنتها على قيد الحياة آنذاك وإلا أسرع لتخبرها ، وأسرع لابان لملاقاة يعقوب ، وكان لابان قد فكر في أنه إذا كان إليعازر العبد قد أتى في حينه بعشرة جمال محملة بالهدايا فما الذي سيأتى به يعقوب ؟ وحينما رأى يعقوب يقف بمفرده تصور أنه يضع أموالاً طائلة في حزامه فأحاط بخصره للتأكد من ظنونه وحينما خابت ظنونه لم يفقد الأمل إذ تصور أن ابن أخيه يعقوب حمل مجوهرات وأنه أخفى الأحجار الكريمة في فمه فقبله لابان للتأكد مما تصوره غير أن يعقوب فطن إلى ظنونه فقال : إنك تتصور أنني أحمل أموالاً طائلة غير أنك مخطئ فلا أحمل معي سوى بضع كلمات^(١٥٥) . ثم واصل حديثه ليخبره كيف أنه أصبح خاوي الوفاض حيث قال : إن والده إسحاق بعثه في إحدى المهام وزوده بالذهب والفضة والمال غير أن إليعازر تصدى له وهدده بالقتل ، فقال : اعلم أن نسل إبراهيم ملزم بالالتقاء ببعضه البعض وأنه سيخدم أربعمئة عاماً في أرض ليست له ، وإذا قتلتي فإن نسل عيساو سيدفع الدين وإذا فمن الأفضل أن تأخذ كل ما معي وأن تتركني حياً وهائناً أقف أمامك خالياً من المجوهرات بعد أن سلبها مني إليعازر^(١٥٦) .

وأقلت هذه القصة الرعب في نفس لابان فصرخ قائلاً : ترى هل سأوفر الطعام والشراب لمدة شهر أم لعام لهذا الفتى الخاوي الوفاض ؟ وتوجه إلى الأصنام بمنزله ليسألها المشورة فنصحته قائلة : حذار أن تطرده من بيتك فنجبه ويرجه ييشران بأن الثروة ستكون من نصيبك وأن بركة الرب ستحل على كل ما تفعله سواء في منزلك أو ههنا .

واعلم أن لابان إلى نصيحة الأصنام غير أنه أحس بالحرج إزاء كيفية ضم يعقوب إلى منزله ، كما أنه لم يجرؤ على أن يقدم له أية خدمة خشية أن يكون من المستحيل الوفاء بمتطلبات يعقوب ، ولجأ مرة أخرى إلى أصنامهم وسألها عن المكافأة التي من الممكن أن يقدمها إلى ابن أخيه فنجابته : إن الزوجة هي أجره وإن يسلك شيئاً سوى الحصول على زوجه . وحينما يهددك بالرحيل عنك فلتهبه زوجة أخرى وعندئذ لن يرحل^(١٥٧) .

ورجع لابان إلى يعقوب قائلاً : حدثني عن أجرك فأجاب : هل تتصور أنني أتيت بحثاً عن المال ؟ لم أت إلا بحثاً عن زوجة^(١٥٨) . وكان يعقوب قد فُتن براحيل فور مشاهدتها وعرض عليها الزواج فوافقت لكنها قالت محذرة : إن أبي مخادع ولست مثله . فقال يعقوب : إنني أخوه في الخداع .

راحيل : وهل يعقل أن يضحي المخادع تقياً ؟

يعقوب : نعم يبدو الصدق على الصديق ويبدو الخداع على المخادع ولكن أخبريني كيف يمكنه مخادعتي ؟

راحيل : لدى أخت أكبر مني ويبتغي تزويجها قبلي ، وسيحاول أن يقدمها لك بدلاً مني .

وحتى يستعدا لخداع لابان اتفق يعقوب وراحيل على علامة يتمكن يعقوب من خلالها على التعرف عليها في ليلة الزفاف^(١٥٩) وهكذا تم تنبيه يعقوب على أن يأخذ حذره من لابان . وأكمل يعقوب اتفاهه مع لابان على الزواج من راحيل ، وكان الاتفاق شديد الدقة فقال يعقوب : أعلم أن سكان هذا المكان مخادعون ولهذا أود أن أوضح لك أنني سأخدمك سبع سنوات من أجل راحيل وليس من أجل ليثة لأنني لن أتزوج سوى راحيل .

ولم يجد كل هذا ، فلا طائل من الحديث إلى وغد ، فاللين أو القوة لا يجديان في التأثير على وغد ، ومن هنا لم يخدع لابان يعقوب فحسب وإنما خدع الضيوف الذين حضروا الزفاف .

زواج يعقوب

وبعد أن خدم يعقوب لابان سبع سنوات قال لخاله : لقد كتب الرب على أن أكون أباً لاثنتي عشر سبطاً ، وبلغت من العمر اثنتين وسبعين عاماً ، وإذا لم أهتم بهذا الأمر الآن فميتي أهتم به^(١٦٠) ؟ ولهذا وافق لابان على أن تكون راحيل بنته زوجة له ، وهكذا تزوج يعقوب بعد مضي أربعة وأربعين عاماً على زواج عيساو . ويؤجل الرب في أغلب

الأحوال سعادة التقى فى حين أنه يدع الشرير يسعد سريعاً بتحقيق رغباته^(١٦١) وحينما تزوج عيساو وهو فى الأربعين من عمره كان يبتغى أن يوضح للجميع أنه يسير على هدى والده الذى كان قد تزوج بعد أن بلغ الأربعين ، وكان عيساو كالخنزير الذى يمد قدميه أينما حل لإظهار أن قدميه مشقوقتان كالحيوانات المطاهرة هذا بالرغم من أنه من الحيوانات الدنسة ، وكان عيساو يعتدى قبل بلوغ الأربعين على زوجات الآخرين ، وظل يمارس هذا السلوك بعد زواجه بالرغم من أنه كان يحاول الظهور فى صورة من يحاكي سلوك والده التقى ، وبالتالي فقد كانت "يهوديت" بنت الحثيين التى اقترن بها تسلك السلوك نفسه خاصة أن الرب كان قد قال : إن من قُدر له أن يكون كعصف الأرض الذى تحرقه النيران يتزوج امرأة من نسل قوم يتعرضون للإبادة . وقد أوضح عيساو وزوجه حقيقة العبارة القائلة : إن الغراب لا يشبه الديك عبثاً إذ إنهما من الريش^(١٦٢) .

أما يعقوب فقد كان مختلفاً إذ تزوج لينة وراحيل اللتين كانتا أختين شديدي التقوى والحب ، وكانت لينة شديدة الجمال والفتنة كاختها راحيل غير أن عيبها الوحيد هو أن بصرها كان ضعيفاً . وقد أثر هذا المرض سلباً على شخصها وأضعفها ، وسنرى كيف نشأ هذا المرض .

وقد كان لابان بنتان وكان لريبيكا شقيقتها ولدان ، وكانا قد اتفقا فيما بينهما حينما كان أطفالهما صغاراً على أن يتزوج الابن الأكبر البنت الكبرى وأن يتزوج الأصغر الصغرى ، وحينما اكتملت أنوثة "لينة" واستقرت عن ستقرن به حديثها النجوم أنها ستتزوج شخصية شريرة فذرفت الدمع مدرراً حتى سقطت رموشها عن جفניה . أما راحيل فكان جمالها يزداد فتنة يوماً تلو الآخر لأن الجميع كان يشئ على يعقوب .

ورغم الاتفاق بين لابان وريبيكا رفض يعقوب الزواج من البنت الكبرى لينة ، ولو تزوج البنت المخصمة له لما كان عيساو قد سامح أخاه الأصغر يعقوب ، ولذلك قرر يعقوب الاقتران براحيل البنت الصغرى لعمه^(١٦٣) .

أما لابان فقد قرر على نحو مختلف إذ قرر أن تتزوج بنته الكبرى قبل الصغرى فقد كان يعرف أن يعقوب سيوافق على خدمته مرة أخرى لسبع سنوات لحبه لراحيل .

وجمع فى يوم القران سكان حاران وخاطبهم بقوله : تعلمون جيداً أننا اعتدنا على المعاناة من شحة المياه غير أنها أصبحت متوفرة بكثرة فور أن أتى هذا الرجل التقى ليقيم بيننا ، فسألوا لابان : وماذا أنت فاعل ؟ فأجاب : إذا لم يكن لديكم أى اعتراض فإننى سأخذه وأزوجه ليثة . إنه يحب راحيل حباً عظيماً ، وسيقيم من أجلها فيما بيننا سبع سنوات أخرى . فلجابه أصدقاؤه : افعل ما تشاء . فقال لابان : ليعدنى كل منكم بالآ يخدمنى فى تحقيق هذا الهدف .

وبعد أن وعدوه بذلك تركوه بمفرده ، فتوجه لشراء نبيذ وزيت ولحم لحفل الزفاف ، وأقام وجبة لهم كانوا قد دفعوا تكاليفها . ونظراً لأنه خدع رفاقه فإن لابان يدمى " أرامى " أى المخادع . وقد احتفلوا طيلة النهار حتى مجئ المساء ، وحينما أبدى يعقوب دهشته من كل هذا الاهتمام قالوا له : كان لتقواك فضل عظيم علينا إذ زادت المياه لدينا ، ونود أن نظهر عرفاننا لك . وقد حاولوا حقاً أن يلمحوا له بفرض لابان الحقيقى إذ كرروا كثيراً لفظة " هاليا " فى الأنشودة التى كانوا يرددونها فى حفل الزفاف محاولين إفهام يعقوب أن المقصود بهذه اللفظة أنه سيتزوج ليثة غير أن يعقوب لم يلحظ شيئاً .

وحينما قاد الحضور العروس إلى غرفة الزواج أطفأ كل الضيوف ما معهم من شموع غير أنهم فسروا ما فعلوه قائلين : هل تتصور أننا نفتقر إلى هذا الحد أصول الاحتشام واللياقة مثل أهل بلدتك ؟ ولم يكتشف يعقوب لهذا السبب الخديعة التى تعرض إليها حتى الصباح بل واستجابت ليثة له فى المساء حينما كان يدعوها راحيل ، ولذلك ويخفا بشدة حينما حل ضوء الصباح قائلاً : أيتها المخادعة لماذا كنت تجيبينى حينما كنت أدعوك راحيل ؟ فسألته : أهنأك معلم بدون تلميذ ؟ لم أفعل سوى أنى استفدت من تعاليمك فحينما دعاك والدك عيساى فقد أجبتك ها أنذا^(١٦٤) .

واشتد غضب يعقوب من لابان فقال له : لماذا تغدر بى ؟ استرد بنتك ودعنى أرحل لأنى لا أطيع أن تعاملتنى على هذا النحو الشرير^(١٦٥) . وقد هدأ لابان من غضبه قائلاً : إنه ليس من الوارد فى هذا المكان أن تتزوج الصغرى قبل البنت البكر ، وقد وافق يعقوب على أن يخدم لابان سبع سنوات أخرى^(١٦٦) ، ومن هنا فقد تزوج راحيل بعد مضى سبعة أعوام على زواج ليثة^(١٦٧) .

ميلاد أبناء يعقوب

وتختلف طرق الرب عن طرق البشر ، فبينما يحرص المرء على التقرب إلى صديقه فى ثرائه ويتخلى عنه حينما يحل عليه الفقر فإن الرب يعين المرضى والفقراء ويخرجهم من عثراتهم ، وهذا ما حدث مع ليئة، فقد زار الرب برحمته ليئة حينما كان يعقوب يكرهها ، وقد بدأ يعقوب فى كراهية ليئة فى الصباح الذى أعقب زفافها إليه واشتد غضبه منها حينما سخرت منه بلغة ليس تقياً للغاية من الخداع ، وقال الرب فيما بعد: من الممكن أن تحل المساعدة على ليئة إذا أنجبت طفلاً ، وعندئذ سيعاود يعقوب محبتها^(١٦٨) . وقد تذكر الرب دموعها التى نزلتها حينما دعت له لأن يغير قدرها الذى ربطها بالمارد عيساو ، وكانت صلاتها ناجعة إذ صرف الرب قدرها عنها بل وجعلها تتزوج يعقوب قبل شقيقتها وأن تكون أول من تنجب له طفلاً ، وكان هناك سبب آخر جعل الرب يغيرها برحمته ، وهذا السبب هو أن كل الأسنة كانت تتحدث عنها فكان البحارة بأعالي البحار والمسافرون والنسوة يتحدثون عن ليئة قائلين : إنها تبدى ما لا تخفى فتبدو أمام الناظرين صادقة وتقية ولو كانت هكذا حقاً لما خدعت شقيقتها^(١٦٩) وحتى يضع الرب حداً لهذه الثثرة جعلها مميزة إذ أنجبت طفلاً بعد مضى سبعة شهور فقط على زواجها . وكان هذا الطفل توأم طفلة ، وقد تكرر هذا الأمر مع كل أبناء يعقوب باستثناء يوسف إذ كان كل ابن من بنيه توأم طفلة ، وكان هذا التوأم يتزوج فيما بعد^(١٧٠) ، وكان هذا الإنجاب معجزة ، خاصة أنها كانت عاقراً ولم يكن بمقدورها الإنجاب .

وقد دعت ولدا البكر " رنوبين " هذا الاسم الذى يعنى " انظر الإنسان الطبيعى " إذ لم يكن ضخماً أو ضئيلاً الجثة ولم يكن أسود أو أبيض ، كما كان طبيعياً للغاية^(١٧١) . وحينما دعت ليئة ولدا البكر هذا الاسم فقد كانت تتنبأ على هذا النحو بشخصيته التى سيكون عليها فى المستقبل. وقد كان من بين الدلالات التى حملها هذا الاسم مشاهدة الفروق بين ابنى البكر وبين عيساو الابن البكر لوالد زوج ليئة وقد كان عيساو قد باع حقه فى البكورة ليعقوب بمحض إرادته غير أنه كرهه ، وقد قالت ليئا : فيما يتعلق بابنى البكر فبالرغم من أن حقه فى البكورة سُلِب منه ومنح ليوسف فإنه هو الذى أنقذ يوسف من أيدي إخوانه^(١٧٢) .

ودعت لينة ولدها الثانى شمعون الذى يعنى هناك "الخطيئة" ، ودعته بهذا الاسم لأن تسميرى الذى كان من نسله كان منجباً إذ ارتكب معصية مع بنات موآب^(١٧٣) . أما اسم ابنها الثالث " ليفى " فإن الرب هو الذى دعاه بهذا الاسم بواسطة الملاك جبريل ، ووهبه هذا الاسم بوصفه واحداً ممن يرتدون إكليلاً مرصعاً بأربعة وعشرين جوهرة ، هذا الإكليل الخاص بالكهنة^(١٧٤) .

ومع ميلاد ابنها الرابع توجهت لينة بالشكر إلى الرب لسبب بالغ الخصوصية فقد كانت تعلم أن يعقوب سينجب اثنى عشر طفلاً ، وأنه إذا تم توزيعهم على نحو متساو على زوجاته الأربع فإن كل واحدة ستتجب ثلاثة ، غير أنها ظهرت فى اللحظة ذاتها كمن حصلت على ابن أكثر من الآخرين ، ولهذا دعت ولدها الرابع "يهودا" الذى يعنى الشكر للرب ، وقد كانت على هذا النحو أول من قدمت منذ خلق العالم الشكر للرب^(١٧٥) ، وقد سار على هداها كل من داود ودانيال ، ونسل ولدها يهوذا .

وحينما رأت راحيل أن اختها لينة أنجبت أربعاً أبناء غارت منها ، ولم تفر منها لمتعتها بأربعة أطفال وإنما غارت من طاعتها وتقواها فقالت : إنها نعمت بنعمة البنين لمسلكتها التقى^(١٧٦) وتوسلت إلى يعقوب بقولها : ادع الرب حتى يهبني ذرية وإلا لن تصبح حياتي حياة ، حقا إن أربعة أحياء فقط يمكن التعامل معهم كموتى وهم : الكفيف ، والأبرص والعقيم ومن كان ثريا وفقد ثروته . واشتعل غضب يعقوب من راحيل فقال : " كان من الأفضل أن تلتمسى ما تطلبينه من الرب فهل أنا الرب وهل أنا الذى أمسكت بثمرة رحمك ؟ " ^(١٧٧) ولم يسعد الرب بالإجابة التى قدمها يعقوب لزوجته البائسة فويحه قائلاً : أهكذا تواسى قلبها العزيب ؟ سيحل يوم يقف فيه أبنائك أمام ابن راحيل الذى سيستخدم الكلمات نفسها التى استخدمتها : هل أنا الرب ؟

وعقبت راحيل أيضاً على يعقوب بقولها : ألم يتوسل والدك إلى الرب من أجل والدك بكلمات جادة داعية إلى تخليصها من عقمها ؟ فاجابها يعقوب : بلى غير أنه لم يكن لإسحاق أبناء ، أما أنا فلى الكثير منهم ، فذكرت راحيل : إذاً تذكر جدك إبراهيم فلا يمكنك إنكار أنه كان لديه ذرية حينما دعا الرب من أجل سارة . فقال يعقوب : أستفعلين معي ما فعلته سارة مع جدى ؟ فاجابت : هلم أخبرنى ما فعلت ؟ فقال يعقوب : لقد جلبت الشقاق إلى منزلها . فقالت راحيل : إذا كان الأمر هكذا سأحنو حنو سارة . وكما حصلت على ذرية ساعدو الرب أن يهبني ذرية^(١٧٨) .

وهبت راحيل بالتالي ليعقوب " بيلحاه " التي كانت أمة لها ليتزوجها فأنجبت له ولداً دعتة راحيل " دان " قائلة : كما كان الرب معطاءً ووهبني ولداً كما دعوته فإن الرب سيدع " شمشون " الذي من نسل دان يحكم شعبه حتى لا يسقط في أيدي الفلسطينيين^(١٧٩) . وحينما أنجبت " بيلحاه " ولداً آخر دعتة راحيل " نفتالي " قائلة : إن هذا الولد هو الرابطة التي ستربط يعقوب بهذا المكان فمن أجلى فقط أتى إلى لابان. وقد ابتغت في الحين ذاته أن تقصد بهذا الاسم التوراة التي تعد جميلة كقرص العسل الذي يدعى في العبرية " نوفيت " ، والتي ستدرس في المناطق الخاضعة لنفتالي^(١٨٠) . وكان من مدلولات هذا الاسم التي راودت راحيل كما أن الرب استمع إلى ابتهالاتي المحسومة حتى أنجب طفلاً فإنه سيستجيب إلى ابتهالات نسل نفتالي ليخلصهم من أعدائهم^(١٨١) .

وحينما رأت " لينة " بعد أن توقفت عن الإنجاب أن " بلهة " أمة أختها أنجبت ليعقوب ولدين أدركت أنه قد قدر على يعقوب أن تكون له أربع زوجات وهن لينة ، وأختها ، وبلهة وزلفة، ولذلك وهبت خادماتها زلفة إلى يعقوب كزوجة^(١٨٢) ، وكانت تسلبا أصغر زوجاته ، وكان من عادات وتقاليد هذا الزمان أن يتم وهب البنات الكبرى الخادمة الكبرى والبنات الصغرى الخادمة الصغرى كمهر لكل منهن عند زواجهن، وحينما أنجبت " زلفة " ولداً دعتة " لينة " جاد هذا الاسم الذي يعنى الثروة ، وقد يعنى هذا الاسم أيضاً " القاطع " إذ خرج من صلب جاد النبي إلياهو الذي يجلب الثروات إلى إسرائيل ، ويمزق في المين ذاته أوصال عبدة الأوثان^(١٨٣) . وكان من بواعي اختيار لينة لهذا الاسم الذي يحمل دلالتين أنه كان من نصيب قبيلة جاد أنها كانت أول قبيلة دخلت الأرض المقدسة قبل أية قبيلة أخرى^(١٨٤) ، كما أن جاد ابن يعقوب ولد مفتوناً^(١٨٥) .

أما ابن تسيلبا الثاني فقد دعتة لينة " أشير " ، هذا الاسم الذي يعنى " الشتاء " . إذ قالت : استحق كل أنواع الشتاء فقد قدمت خادمتي زوجة إلى زوجي. وقد فعلت سارة ما فعلت غير أنها لم تقطعه إلا لأنه لم يكن لديها ذرية ، وهذا ما فعلته أيضاً راحيل. أما أنا فلي ذرية ومع هذا فقد كتمت حبي ، كما وهبت خادمتي دون حقد كزوجة إلى زوجي. والجميع سيثنى على حقاً^(١٨٦) . وعلاوة على هذا قالت : كما أن النساء

سيثنيين على فإن أبناء أشير سيباركون في المستقبل الرب لامتلاكهم الأرض المقدسة^(١٨٧) .

وكان الاسم التالي ليعقوب هو "يساكر" هذا الاسم الذي يعنى "الثواب" ، وكانت "ليئة" هى التى سُمح لها بإنجاب هذا الطفل إذ أثابها الرب على هذا النحو لرغبتها التقية فى إخراج الاثنى عشر سبطاً إلى العالم ، وقد بذلت "ليئة" كل ما فى وسعها لتحقيق هذه النتيجة^(١٨٨) .

وقد حدث ذات مرة أن ابنها الأكبر "رئوين" كان يرعى حمار والده خلال الحصاد ، وكان قد ربطه فى إحدى الأشجار ، وتوجه لقضاء إحدى المهام ، وعند عودته وجد أن هذه الشجرة قد أقتلعت من مكانها والعمار ميتاً ، وقد مات الحمار حينما حاول اقتلاع الشجرة حتى يفك منها ، وقد كان لهذه الشجرة خاصية فريدة إذ كان يموت كل من كان يحاول أن يجتثها^(١٨٩) . ولما كان هذا الوقت وقت الحصاد الذى يُسمع فيه للجميع بأخذ مايشاءون فقد أخذ رئوين هذه الشجرة إلى منزله . ونظراً لأن رئوين كان واداً طيباً لم يحتفظ بهذه الشجرة لذاته وإنما أعطاها لأمه . وابتغت راحيل الحصول على هذه الشجرة فاستعارتها من ليئة التى اقتسمتها مع أختها شريطة أن يقيم يعقوب معها لفترة أطول عند عودته من عمله فى المساء .

ورجع يعقوب من الحقل إلى المنزل بعد حلول المساء خاصة أنه كان ملتزماً بالشريعة التى تلزم العامل بالعمل حتى المساء فضلاً عن أن يعقوب كان شديد الحماس والإخلاص فى كل ما يخص لابان خلال السنوات السبع الأخيرة بعد زواجه مثلما كان مخلصاً له خلال السنوات السبع الأولى حينما كان يعمل من أجل أرض راحيل^(١٩٠) . وحينما سمعت ليئة نهيق حمار يعقوب أسرع للقاء زوجها^(١٩١) ، ولم تدعه يفسل قدميه إذ أصررت على أخذه لخميتها^(١٩٢) ، وقد رفض يعقوب فى البدء التوجه معها غير أن الرب أرغمه على الدخول لأنه كان يعلم أنه ليس الليئة أية مصلحة شخصية^(١٩٣) . وقد كان لشجرة "بودايم" الفضل فى الحفاظ على ولديها "يساكر" شيخ القبيلة الذى يقضى نسله طيلة الوقت فى دراسة التوراة ، و"زيولون" الذى عمل نسله بالتجارة مستغلين مهاراتهم لتمكين إخوانهم من نسل "يساكر" من مواصلة دراسة التوراة^(١٩٤) .

وقد دعت "ليئة" زيولون " بهذا الاسم الذى يعنى مكان السكنى بعد أن قالت : سيقم زوجى معى بعد أن أنجبت له ستة أولاد كما أن أبناء زيولون سيجدون مكاناً مناسباً للسكنى بالأرض المقدسة(١٩٥) .

وحملت ليئة مرة أخرى ، ولكنها حملت هذه المرة بنتاً ، ولم يتحول الجنين الذكر فى رحمها إلى أنثى إلا بفضل صلاحها إذ ذكرت : وعد الرب يعقوب بأثنى عشر ابناً ، وقد أنجبت ستة ، وأنجبت كل وصيفة من الوصيفتين اثنتين ، وإذا أنجبت ولداً آخر فإن أختى راحيل لن تكون مساوية للوصيفتين . ولهذا دعت الرب أن يغير جنينها الذكر برحمها إلى أنثى واستجاب الرب لدعائها(١٩٦) .

وابتهلت نساء يعقوب مجتمعات وهن " ليئة " و " راحيل " و " زلفة " و " بلهة " بالاشتراك مع يعقوب إلى الرب حتى يخلص راحيل من لعنة العقم . وفى ليلة رأس السنة التى يحدد فيها الرب مصائر سكان الأرض تذكر راحيل ووهبها ولداً(١٩٧) . وتحدثت راحيل قائلة : أزال الرب عنى الخزى إذ كان كل القوم يقولون لو كانت تقية حقاً لأنجبت بنتاً . وحينما استمع الرب إلى دعائها فتح رحمها وأزال عنها العقم(١٩٨) .

وحينما أنجبت ولداً تجنبى على هذا النحو لعنة أخرى إذ كانت قد حدثت نفسها قائلة : إن يعقوب يفكر فى العودة إلى موطنه ، وإن يتمكن والدى من منع بناته اللاتى أنجبن له بنين من السير مع أبنائهن ، خير أنه لن يدع الزوجة العاقر من السير معهن وسيزوجنى واحداً من غير المختونين(١٩٩) ، وعلاوة على هذا قالت : كما أن والدى أزال عنى الخزى فإن يشوع الذى من نسله سيخلص بنى إسرائيل من الخزى إذ سيختنهم فى الأردن(٢٠٠) .

ودعت راحيل ولداها يوسف هذا الاسم الذى يعنى " الزيادة " قائلة : إن الرب سيهبنى ولداً آخر . ولما كانت راحيل نبية فقد علمت مسبقاً أنها ستُرزق بولد آخر ، وقد كان هذا الولد الآخر هو بنيامين الذى رُزق بعشرة بنين فى حين أن يوسف أنجب اثنين فقط . ومن الممكن أن يكون الاثنى عشر ابناً هم الذين شكلوا الاثنى عشر سبطاً الذين أنجبتهم راحيل(٢٠١) . ولو لم تكن راحيل استخدمت تعبير " أضاف لى الرب ولداً آخر " لكانت أنجبت الاثنى عشر سبطاً من يعقوب(٢٠٢) .

يعقوب يهجر لابان

وقد انتظر يعقوب ميلاد يوسف حتى يبدأ استعداداته للرحيل إلى موطنه ، وكانت الروح القدس قد كشفت له أن آل يوسف سينزلون الدمار بمنزل عيساو، ولهذا صرخ يعقوب عند ميلاد يوسف : لم أعد أخاف عيساو وجيوشه^(٢٠٢) .

وكانت ربيكا قد أرسلت في هذه الفترة مربيتها ديبوراه بنت "عوز" في رفقة اثنين من خدم إسحاق إلى يعقوب لتدعوه بالإسراع في العودة إلى منزل والده خاصة أن سنوات خدمته قاربت على الانتهاء ، فتوجه يعقوب إلى لابان قائلاً : أعطني زوجاتي وأطفالي حتى أذهب إلى موطني لأن والدتي بعثت إلي رسلاً أمروني بالعودة إلى منزل والدي^(٢٠٤) .

وأجاب لابان قائلاً : هل لي أن أحظى برضاك ؟ لقد عرفت عن طريق إحدى العلامات أن الرب يباركني من أجلك . وكان لابان يفكر في حقيقة الأمر في الثروة التي حصل عليها بعد مجيء يعقوب إليه^(٢٠٥) . وحقا كان الرب قد جلب خيراً كثيراً إلى منزل لابان يفيد بأن هذه البركات تحققت بفضل مجيء الصديق يعقوب ، وقبيل مجيئه فقد كان الطاعون قد تفشى في قطيع لابان غير أنه توقف مع مجيء يعقوب^(٢٠٦) ، كما أن لابان كان عقيماً غير أنه رزق ببنتين بعد أن أقام يعقوب في حاران^(٢٠٧) .

ولم يطلب يعقوب من أجر في مقابل عمله والبركات التي حلت على لابان سوى الماعز المنقط من قطيعه ، والأسود من الغنم. ووافق لابان على هذا الشرط قائلاً : سأنفذ كلمتي . غير أن لابان كان خدعاً إذ كان يقدم كافة الوعود دون أن يفي بها ، وكان يتصور أن الجميع مثله ، ولهذا تصور أن يعقوب يبتغي خداعه^(٢٠٨) ولهذا لم يف لابان بكلمته بل غير وعده مع يعقوب مئات المرات ، ومع هذا فلم يكن هناك أي طائل من مسلكه الشرير .

وبينما كانت قطعان لابان ويعقوب تسير مع بعضها البعض نزعت الملائكة إلى ضم غنم لابان إلى غنم يعقوب فكبر غنمه على نحو سريع^(٢٠٩) ، وحدث هذا في الوقت الذي كان لابان أعطى فيه الغنم الضعيف والمريض إلى يعقوب غير أن هذا الغنم كبر

تحت رعاية يعقوب فابتغى الجميع شراءه بأسعار باهظة^(٢١٠) ، ولم يكن يعقوب يحتاج فى رعاية الغنم إلى العصا إذ كان يكتفى بالتحدث إلى الغنم الذى كان يطيعه^(٢١١) .

وقد استحق لابان الدمار لأنه جعل يعقوب يعمل لديه دون أجر ، وكان لابان قد حاول أن يخدع يعقوب بعد أن غير اتفاقه معه بشأن أجره عشرات المرات^(٢١٢) ، ومع هذا فقد كان حظ يعقوب فى غنمه وفيراً ، وهكذا فإن الرب يكافئ العمال المتقين فى هذا العالم^(٢١٣) فبينما أتى يعقوب وهو خالو الوفاض إلى لابان فقد تركه وهو يملك قطعاً من الغنم يبلغ قوامه ستمائة ألف ، وكانت هذه الزيادة خارقة إذ إنها لن تتحقق إلا عند مجيء المسيح المخلص فى نهاية الزمان^(٢١٤) .

وقد أثار ثراء يعقوب وحظه الوفير غضب لابان وبنيه فلم يمكنهم إخفاء غضبهم فى تعاملهم معه فقال الرب ليعقوب : لقد تغيرت ملامح حماك لابان ولم يعد يعاملك مثل سابق عهده ، ولانك تقيم معه ؟ توجه إلى أرض آبائك وسأدع حضرتى الإلهية تحل عليك هناك فلا يمكننى أن أدع حضرتى الإلهية تقيم خارج الأرض المقدسة^(٢١٥) . وقد سارع يعقوب فى التو بإرسال رسوله السريع "نفتالى"^(٢١٦) إلى راحيل ولينة للحضور إليه ليتشاور معهما ، وقد فضل أن يجتمع بهما فى منطقة مفتوحة حتى لا يمكن لأحد التصنت عليهما^(٢١٧) .

ووافقت زوجتاه على العودة إلى موطنه ، فقرّر يعقوب أن يرتحل بكل ما يملكه فى التو دون أن يخبر لابان بما يعتزم إذ كان لابان قد توجه لرعاية غنمه ومن هنا تمكن يعقوب من تنفيذ مخططه فى التو .

وحتى لا يعلم والد راحيل شيئاً عن هروبهم من أصنامهم استولت راحيل عليها وأخفتها إذ وضعتها على الجمل الذى جلست عليه ، وقد كان أهل حاران يصنعون الأصنام على النحو التالى فقد كانوا يثخنون الذكر البكر وينبحوه بعد قص شعره ، ثم كانوا يضعون الملح على رأسه ويدهنونه بالزيت ، ثم يكتبون اسم الإله على قطعة صغيرة من النحاس أو الذهب كانوا يضعونها تحت لسانه ، وكان يتم وضع هذه الرأس التى يوجد تحت لسانها هذه القطعة فى منزل مضاء ، وحينما كانوا يسجدون أمام هذه الرأس كانت تحدثهم عن كل الأمور التى يطلبونها ، وكانت تحدثهم بفضل اسم الإله المكتوب على هذه القطعة^(٢١٨) .

العهد مع لابان

وبعد أن ارتحل يعقوب فقد عبر نهر الفرات متجهاً نحو جلعاد خاصة أن الروح القدس أوحى له أن الرب سيقدم هناك العون لأبنائه في عهد " يفتاح " . وقد لاحظ الرعاة في حاران أنذاك أن البئر الذي كانت المياه تتدفق به وتفيض منه منذ مجيء يعقوب إلى أراضيهم قد جف ، وانتظر الرعاة ثلاثة أيام عسى أن تعود المياه للبئر كما كانت غير أنهم أخبروا لابان بعد أن تملكهم الإحباط بالمأساة التي حلت عليهم فأدرك في التو أن يعقوب قد رحل إذ كان يعلم أن البركة التي حلت على حاران كانت من أجل خصال زوج بنته^(٢١٩) .

وحيثما نهض يعقوب في الغد مبكراً وجد أن كل أهل المدينة مجتمعون بطاردونه عازمين قتله ، فظهر له كبير الملائكة ميخائيل وأمره بأن يهتم بأحواله وأنه أي الملاك لا يمكنه أن يفعل شيئاً من أجله وإلا فإنه سيقتل^(٢٢٠) . وقد بلغت هذه الرسالة من السماء إلى لابان خلال المساء خاصة أن الرب لا يقوم إلا في حالات خارقة فقط بالتجلى للكفار ، غير أنه لا يتجلى لهم إلا في الظلام في حين أنه يتجلى لأنبياء اليهود فقط في الصباح . وقطع لابان رحلته في يوم واحد فقط في حين أن يعقوب قطعها في سبعة أيام^(٢٢١) وأحق به في جبل جلعاد . وحيثما وصل إلى يعقوب وجده يصلى ويسبح للرب^(٢٢٢) . وقد اعترض لابان على يعقوب لهربه في الخفاء منه . وقد أظهر شخصيته الحقيقية حينما قال : بوسعى أن أؤذيك غير أن رب أبيك حدثني ليلة أمس قائلاً : احرص على ألا تحدث يعقوب سواء بالخير أو بالشر . وقد كان هذا النهج هو نهج الأشرار إذ يتفادون بمقدرتهم على إلحاق الأذى بالآخرين . وقد أراد لابان أن يعرف يعقوب أن ما شاهده في الحلم من تحذير من المساس بيعقوب هو الذي منعه من تنفيذ مخططة الشرير الذي كان يعزم القيام به^(٢٢٣) .

رواصل لابان حديثه إلى يعقوب واختتم حديثه متسائلاً : لماذا سرقت ألهتي ؟ وحيثما لفظ لابان هذا التساؤل فقد قاطعه أحفاده قائلين : إننا نخجل منك يا جدي لاستخدامك وأنت طاعن في السن مسمى " ألهتي " . وقد بحث لابان في كل الخيام عن أصنامة فتوجه في البدء إلى خيمة يعقوب التي كانت في الحين ذاته خيمة راحيل

خاصة أن يعقوب كان يقيم فيها لاسيما أن راحيل كانت زوجته المحبة ، وحينما لم يجد بها شيئاً توجه إلى خيمة - ليئة - وخيام الوصيفتين ، وحينما لاحظ لابان أن راحيل تنلفت يمنة ويسرة فقد ثارت الظنون بنفسه فعلاود الدخول إلى خيمتها غير أنه لم يجد ما كان يبحث عنه إذ إن الأصنام تحولت بفضل المعجزة إلى أكواب شراب، ولهذا كان على لابان أن يتوقف عن بحثه. ولم يكن يعقوب يعلم آنذاك أن راحيل كانت قد استولت على أصنام والدها حتى تصرفه عن عبادتها ، ولهذا غضب يعقوب من لابان ووبخه. وقد تجلى نبيل شخصية يعقوب في غضبه من لابان إذ إنه لم يتفوه رغم غضبه بأية كلمة خارجة مكتفياً بتذكير لابان بأنه أخلص له كل الإخلاص طيلة فترة عمله لديه وعلى نحو لا يمكن لأحد أيا كان القيام به. فقال : لقد سيطرت على الأسد ومنعته من افتراس قطيعك وأى راع يمكنه القيام بما قمت به ؟ ومع هذا اتهمنى القوم بأننى سارق ولص. أما عن أمانتى فهل يعقل أن تجد زوج بنت يقيم مع حماء لا يأخذ شيئاً صغيراً من بيته ؟ غير أنك تعاملت مع كل ما كان معى وكأنه لك .

ولما كان يعقوب ساخطاً ومدرِكاً براءته فقد صرخ قائلاً : لن يعيش من ستجد ألهتك معه . وانطوت هذه الكلمات على لعنة يموت اللص ، ومن هنا كان لزاماً على راحيل أن تموت عند إنجابها لبنيامين ، وقد كان من الممكن أن تحل هذه اللعنة فى التو لو لم يكن الرب قد ابتغى أن تلد راحيل ليعقوب ابنه الأصغر^(٢٢٤) .

وتوصل الرجلان بعد الشجار إلى اتفاق ، ونصب يعقوب بقوة المهولة صخرة عظيمة حتى تكون تذكراً ، كما وضع كومة من الحجارة كعلامة على عهدهما ، واتبع يعقوب فى هذا الشأن نموذج أبائه الذين كانوا أبرموا أيضاً عهداً مع عبدة الأوثان أى مثلما توصل إبراهيم إلى عهد مع اليبوسيين وإسحاق مع الفلسطينيين. ولذلك لم يتردد يعقوب فى التوصل إلى عهد مع الأراميين^(٢٢٥) . وجمع يعقوب أبناءه ودعاهم إخوة لأنهم كانوا أئداده وأقرانه فى الضعف والقوة وأمرهم برفع كومة الحجارة. ولذلك أقسم أمام حماء بالآ يقتربن بنية زوجة من خارج بناته الأربع سواء كن أحياء أو بعد موتهن. أما لابان فقد أقسم بالآ يتعدى أو يتجاوز أكوام الصجارة أو النصب الذى أقامه يعقوب^(٢٢٦) ، وأقسم برب إبراهيم وإله تاحور فى حين أن يعقوب اكتفى بذكر الخوف الذى ألم بإسحاق عند إقدام إبراهيم على نبهه ، وكان يعقوب قد تخوف من أن يستخدم فى قسمه تعبير "رب إسحاق" ، لأن الرب لا يقرن اسمه قط بئى كائن حى لأن الإنسان

لا يمكن أن يوثق به طالما أنه حي فضلاً عن أنه عرضة للرغبات الشريرة، وحقاً حينما تراعى الرب ليعقوب في "بيت أيل" دعا الرب نفسه "رب إسحاق". ولم يستخدم الرب هذه الجملة إلا لأن إسحاق كان كفيفاً ومعتزلاً الحياة بخيمته ومن ثم لم يكن للقوى والنزعات الشريرة أية سيطرة عليه. وبالرغم من أن الرب كان يثق كل الثقة في إسحاق فلم يجرؤ يعقوب على أن يربط اسمه بالرب، ولهذا أقسم بتقوى إسحاق^(٢٢٧).

ونهب لابان غداة التوقيع على العهد مبكراً، وقبل أحفاده وبناته وباركهم، غير أنه لم يكن صادق النية في كل ما فعل إذ أحس في أعماقه بالأسف لهروب يعقوب وعائلته وكل ما يملكون منه^(٢٢٨)، وقد أظهر مشاعره الحقيقية في الرسالة التي بعثها إلى عيساو عند عودته إلى حاران، وقد أرسلها إليها من خلال والده "بيعمور" ورفاقه العشرة الذين صاحبوه، وجاء بالرسالة: هل سمعت ما فعله معي أخوك يعقوب الذي كان قد أتاني عارياً حافياً والذي أخذته إلى منزلي حيث أكرمته ورعيت وزوجته بنتين من بناتي، وهضيفتين ممن يعملن لدى؟ وبارك الرب بسببي فتكاثر فأنجب بنين وبنات، أصبح يملك عدداً كبيراً من الوصيفات وقطيعاً ضخماً من الأغنام والماعز والجمال، كما أنه يملك الآن الفضة والذهب. وحينما رأى أنه ازداد ثراءً فقد رحل عني وتركني أرضي غنمي، وفر في الخفاء ووضع زوجاته وأبنائه على الجمال وفر بكل الأشياء التي كان قد حصل عليها من أرضي وتوجه إلى أبيه إسحاق بأرض كنعان، ولم يهتم عند رحيله بتقبيل أبنائي وبناتي بل وأخذ بناتي كسبايا كما أنه سرق ألهمي، وتركته عند الجبل الواقع عند غدير "يابوك"، وإذا كنت تبتغي الذهاب إليه إذًا توجه إلى هناك وستجده، وافعل به ما تشاء^(٢٢٩).

ولم يكن هناك ما يدعو يعقوب للخوف من لابان أو عيساو إذ قد رافقه خلال رحلته حشدان من الملائكة اصططحبه أحدهما من حاران إلى حدود الأرض المقدسة التي استقبله لديها حشد آخر من الملائكة خاص بفلسطين^(٢٣٠). وقد ضم كل حشد من هذه الملائكة ستمائة ألف ملك^(٢٣١). وحينما شاهد يعقوب هذه الملائكة قال: إنكم تنتمون إلى حشد عيساو الذي يبتغي شن الحرب ضدي أو حشد لابان الذي يعترم مطاردتي. إنكم حشد من الملائكة المقدسين وقد بعثكم إلى الرب. ومن هنا سمي يعقوب هذه المنطقة التي وجد بها الملائكة ماحاناييم التي تعني "المسكران المحتشدان"^(٢٣٢).

يعقوب وعيساو يستعدان للقاء

وقد أثارت رسالة لابان كراهية عيساو القديمة ليعقوب بل وأشعلتها فجمع آل بيته المكون من ستين فرداً . وتوجه معهم وفي صحبة ثلاثمائة وأربعين فرداً من سكان سعيير لشن الحرب ضد يعقوب وقتله ، وقسم جنوده إلى سبع جماعات ، وولى ابنه إلباز قيادة جماعته المكونة من ستين فرداً ، ووضع باقى الجماعات الست تحت قيادة الآخرين .

وبينما أسرع عيساو للقاء يعقوب أتى الرسل الذين كان لابان قد بعثهم إلى عيساو إلى ريبكا وأخبروها أن عيساو وجنده الأربعمئة على وشك شن حرب على يعقوب لقتله وسلب كل ما يملك ، ولما أحست خيفة خشية أن ينفذ عيساو خطته فى الوقت الذى يقطع يعقوب فيه رحلته فقد سارعت بإرسال اثنين وسبعين فرداً من خدم إسحاق لمساعدته ، وبينما كان يعقوب يجلس على ضفاف نهر " يابوك " شاهد هؤلاء الرجال فحياهم مبتسماً بقوله : هذا جيش إنقاذ الرب . ولهذا دعا اسم هذا المكان " معاناي " .

وبعد أن طمأنه الجند الذين أرسلتهم ريبكا عن والديه أبلغوه برسالة والدته التى جاء بها : سمعت ولدى أن أخاك عيساو توجه إلى الطريق لمحاربتك مع أبناء سعيير ولهذا أنصت ولدى إلى صوتى وتدبر ما تفعله . حينما يأتيك لا تحدثه بلفظة وأعطه هدية مما تملك ومما وهبك الرب ، وحينما يسألك عن شئوك لاتخف شيئاً عنه فقد يهدئ هذا الأمر من غضبه ، وهكذا ستتقذ روحك وكل ما تملك لأنه من الواجب أن تحترمه فهو أخوك الأكبر .

وحينما سمع يعقوب كلمات والدته التى نقلها رسلها إليه رفع صوته وانتحب بشدة ، وفعل ما أمرته به والدته فبعث رسلاً إلى عيساو لتهدئته قائلين : إن عبيدك يعقوب يقول : إن البركة التى وهبها والدى لى لم تفنى إذ خدمت لابان عشرين عاماً غير أنه خدعنى ومع هذا عملت فى منزله فقط ، وحينما رأى الرب مصابى وعملى جعل لابان يرضى عنى ، وحصلت بفضل رحمة الرب ورضاه على الحميم والماشية والخدم ، أما الآن فأبى أعود إلى موطنى وأهلى ووالدى المقيمين فى أرض كنعان^(١٣٣) .

وعلاوة على هذا فقد ذكر الرسل على لسان يعقوب : لماذا تغار منى بشأن البركة التى باركنى بها والذى ؟ فهل تسطح الشمس على أرضى فقط دون أرضك ؟ أم أن المطر والندى يهطلان على أرضى فقط ؟ وإذا كان الوالد باركنى بمطر السماء فقد باركك بدهن الأرض ، وإذا كان الرب وعدنى بأن سكان الأرض سيخدمونى فقد وعدك بأنك ستعيش بحد السيف ، وحتى متى ستواصل عدائى ؟ دعنا نقيم عهداً فيما بيننا ولنتقاسم الأسى معاً .

ولم يقبل عيساو هذا العرض إذ نصحه أصدقاؤه قائلين : لا تقبل هذه الشروط لأن الرب كان قد أخبر إبراهيم : أعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم وأنهم سيخدمون فيها السكان وأن الغريباء سيضطهدونهم أربعمئة عام ، ولهذا تريت حتى يهبط يعقوب ونسله مصراً حتى يفى بهذا الدين .

وحدث يعقوب عيساو أيضاً بقوله : بالرغم من أنى أقمت مع لابان الكافر لم أنس ربى بل ونفذت وصايا التوراة البالغ عددها ستمائة وثلاث عشرة وصية^(٢٣٤) ، وإذا كنت تقصد السلام ستجدنى مستعداً للسلام ، أما إذا كنت راغباً فى الحرب فلدى جند شديد البأس يكفىك معرفة أن الرب ينفذ كل ما يرغبون فيه . وقد أقمت مع لابان حتى ميلاد يوسف الذى سيقضى عليك^(٢٣٥) . وبالرغم من أن نسلى سيعانى العبودية فى هذا العالم فإنهم سيحكمون الكون فى يوم أت لا ريب فيه^(٢٣٦) .

وكان رد فعل عيساو على هذه الكلمات مليئاً بالغرور والغطرسة إذ قال : سمعت بالتأكيد ما حدث ليعقوب مع لابان فقد رباہ لابان فى منزله بل وزوجه بناته وأنجب بنين وبنات وزادت ثروته ، وحينما رأى يعقوب أن ثرواته أصبحت عظيمة فر بكل ما كان يملكه فى منزل لابان وأخذ بناته كسبايا من منزل والدهن دون أن يخبره بشئ ، ولم يفعل يعقوب هذا الأمر مع لابان فقط إذ فعله أيضاً معى ، وأتيت الآن مع جندى وسأفعل ما يحلو لى .

وعاد الرسل إلى يعقوب وأبلغوه ما قال عيساو^(٢٣٧) وأخبروه أيضاً أن أخاه يتقدم للقائه بجيش يبلغ قوامه أربعمئة قائد ، وأن كلا منهم يقود جيشاً قوامه أربعمئة فرد^(٢٣٨) ، وقال الرسل ليعقوب أيضاً : حقا إنك أخوه وتعامله كما يجب أن يعامل الأخ أخاه غير أنه من الواجب أن تنتبه لما يفعله عيساو^(٢٣٩) .

ووضع يعقوب في اعتباره وعد الرب بأنه سيعيده إلى منزل والده بسلام غير أن ما سمعه عن نوايا أخيه أثارت حرصه ويقظته. ومن الواجب ألا يعول المرء كثيراً على أية وعود بشأن النعيم الأرضي إذ إن الرب لا يحافظ على وعده إذا ارتكب المرء ولو خطأ صغيراً ، ومن هنا تخوف يعقوب من ألا يحصل على السعادة بسبب أي خطأ يكون قد ارتكبه. وعلاوة على هذا فقد تخوف يعقوب من أن يكون عيساو محبوباً من قبل الرب خاصة أنه نفذ وصيتين إلهيتين لم ينفذهما: وتمثلت الوصية الأولى في حفاظه على وصية الإقامة بالأرض المقدسة في حين أن يعقوب لم يتمكن من الإقامة بها، أما الوصية الثانية التي حافظ عليها فكانت أن عيساو أقام مع والديه في حين أن يعقوب كان بعيداً عنهما، ويقدر ما كان يعقوب متخوفاً من أن ينتصر على عيساو وأن يقتله ، فقد كان يشعر أنه لو كان والده حياً ما كان سيتخذ مثل هذه الخطوات العنيفة ضد أخيه^(٢٤٠) .

وحينما شاهدت زوجته القلق الذي اعتري يعقوب بشأن في الشجار معه ، ووخاه لأنه أخذهم من منزل أبيهن رغم علمه أنه يتعرض للخطر من قبل عيساو^(٢٤١) . وقرر يعقوب عندئذ أن يعتمد على الرب ليبعد عنه الخطر المحدق فدعا الرب لنجدة وتهديئة غضب عيساو وتمكينه من الاستعداد للحرب^(٢٤٢) .

وابتهل يعقوب إلى الرب قائلاً : رب يا رب إبراهيم وإسحاق ، ورب كل من يسيرون في دروب الخير، حقا إنني لا أستحق رحمتك والحقيقة التي كشفتها لعبدك، وإذا كنت لم تدع لابان ينفذ مخططاته الشريرة ضدي فلا تدع عيساو يقتلني ، لقد جاء بالتوراة التي ستهبها لنا على جبل سيناء . وإن تقتل بقرة أو نعجة ونسلهما في الحين ذاته. ومن هنا فإذا أتى هذا الشرير لقتل أبنائي وأمهاتهم في الحين ذاته فمن ذا الذي سيبتغي قراءة شريعتك التي ستهبها لنا على جبل سيناء؟ كما أنك ذكرت سأحسن إليك لما تتمتع به أنت وأبائك من خصال ، وأن نسلك سيكون كرمال البحر . وكما ابتهل يعقوب من أجل خلاصه فقد ابتهل أيضاً من أجل خلاص نسله حتى لا يتعرضوا للإبادة من قبل نسل عيساو .

وقدم يعقوب هذا الابتهال حينما شاهد عيساو يقترب منه ، واستجاب الرب لهذا الابتهال حينما شاهد يعقوب يذرف الدمع قطمته الرب بأن نسله سينجو من كل الآلام^(٢٤٣) .

وأرسل الرب عندئذ ثلاثة ملائكة سارت أمام عيساو ، وظهرت أمامه هو وقومه فى صورة مئات وألوف من الجنود الذين يمتطون الخيول المسلحين بكافة الأسلحة. وكانوا يسيرون فى أربعة صفوف ، وتقدم الصف الأول المكون من أربعمائة فرد للقاء عيساو وجنده فآلقوا فى نفوسهم الرعب فسقط عيساو من حصانه وتفرق جنده ، وحينما صرخ جند هذا الصف قائلاً : نحن خدّم يعقوب وخدم الرب من ذا الذى يجرؤ على الوقوف أمامنا ؟ قال عيساو : إن قائدكم يعقوب لم أره منذ عشرين عاماً فهل تعاملوننى على هذا النحر ؟ فجأبته الملائكة : إن الرب حى. ولو لم تكن أخ يعقوب لكننا مرزقناك. وإن نمسك بسوء بسبب يعقوب .

وترك الصف الأول عندئذ عيساو ، ثم تقدم الصف الثانى وفعل مع عيساو وجنده ما فعله الصف الأول ، وهكذا فعل الصفان الثالث والرابع، وتملك عيساو الخوف من أخيه يعقوب لأنه تصور أن جنود الفرق الأربع الذين واجههم من خدّم يعقوب .

وبعد أن فرغ يعقوب من صلاته قسم كل من ارتحلوا معه إلى فريقين ونصب عليهما " داميسك " و " أليئوس " ولدى إيعاز الذى كان خادماً لإبراهيم^(٢٤٤) . وتعلم من نموذج يعقوب أنه يعين على المرء ألا يخفى كل ثروته فى موضع واحد وإلا تعرض لفسادة كل شيء دفعة واحدة. وكان يعقوب قد أرسل بعضاً من قطيعه إلى عيساو كهدية وكان قد قسمه إلى ثلاثة أجزاء ، وحينما تلقى عيساو الجزء الأول تصور أنه حصل على كل الهدية ثم فوجئ بحصوله على الجزء الثانى ثم الثالث، وكان يعلم جشع أخيه^(٢٤٥) .

وقد كلف يعقوب من حملوا الهدية إلى عيساو بتبليغه الرسالة التالية : إن هذه الهدية تاتى إلى سيدى عيساو من خادمه يعقوب . غير أن الرب استاء من هذه الرسالة بقوله : إنك تدنس المقدس حينما تصف عيساو بالسيد ، فاعتذر يعقوب بقوله إنه كان يداهن الشرير حتى يفلت من الموت^(٢٤٦) .

يعقوب يصارع الملاك

وقد سار خدم يعقوب محملين بالهدايا في طريقهم إلى عيساو، وسار يعقوب خلفهم مع زوجاته وبنيه ، وحينما كان على وشك الخوض في نهر " يابوط " لاحظ راعياً يرعى أغناماً وجمالاً، واقترب الراعى من يعقوب وعرض عليه خوض النهر معاً وأن يساعد كل منهم الآخر في نقل القطيع، ووافق يعقوب على هذا العرض شريطة أن يضع قطيعه في المقدمة ، وقام الراعى بنقل قطيع يعقوب في لمح البصر إلى الضفة الأخرى من النهر، وحينما قام يعقوب بنقل قطيع الراعى إلى الضفة الأخرى لم تكن هناك نهاية له فكلما كان ينقل جزءاً من القطيع كان يجد المزيد هذا بالرغم من أنه عمل طوال الليل في نقله، وفقد يعقوب في نهاية الأمر صبره فانقض على الراعى وأمسك رقبته صارخاً: أيها الساحر لا فائدة من عمل السحر في المساء . وتفكر الراعى فيما يحدث فحدث نفسه قائلاً : حسناً دعه يعرف مرة واحدة وللأبد مع من يتعامل . ومس هذا الراعى بإصبعه الأرض فتفجرت ناراً ، فذكر يعقوب : أعتقد أنني أخافها^(٢٤٧) .

ولم يكن هذا الراعى سوى كبير الملائكة ميخائيل ، ومن هنا فقد ساعدته كل الملائكة التي معه في صراعه مع يعقوب، وكان هذا الملاك على وشك إلحاق أشد الأذى بـيعقوب غير أن قوة الملائكة هانت وتبددت بما فيها قوة ميخائيل عند ظهور الرب، وحينما رأى الملاك أنه لا يمكنه التغلب على يعقوب مس تجويف فخذه وأصابه فقال الرب : كيف تجرؤ على إلحاق أذى بكاهننى يعقوب ؟ فأنجاب ميخائيل مذهشاً : أأست أنا كاهنك؟ فأنجاب الرب : إنك كاهننى في السماء غير أن يعقوب كاهننى على الأرض . ولذلك استدعى ميخائيل الملاك رفائيل قائلاً : رفيقى أدعوك لمساعدتى للخروج من مصابى لأنك مسئول عن شفاء كل المرضى . فشفى رفائيل يعقوب من الإصابات التى كان ميخائيل ألحقها به .

وواصل الرب توبيخه لميخائيل قائلاً : لماذا تلحق الأذى بابنى البكر ؟ فأنجاه الملاك : لم أفعل ما فعلت إلا لأجلك . فعين الرب ميخائيل حارساً ليعقوب ونسله حتى الأبد قائلاً : إنك من نار كما أن يعقوب من نار ، وكما أنك رئيس للملائكة فإنه سيكون رئيساً لكل الأمم ، وكما أنك أسمى الملائكة فإنه أسمى البشر . ومن هنا فإن سيد الملائكة سيكون سيداً لكل البشر .

وقال ميخائيل فيما بعد ليعقوب : كيف يمكن بعد أن تغلبت على أكثر الملائكة تميزاً ورفعة أن تخشى عيساو ؟ وحينما حل النهار واصل ميخائيل حديثه ليعقوب بقوله : دعنى أرحل بعد أن لاح الفجر . غير أن يعقوب أمسك به قائلاً : هل أنت لص أم مقامر حتى تخشى ضوء النهار؟ وقد ظهرت فى اللحظة ذاتها حشود من الملائكة قائلة : هلم ميخائيل اصعد معنا ، لقد حان موعد التسبيح وإذا لم تعد إلى السماء الآن لقيادة جوقة الملائكة فلن يتمكن أحد من الإنشاد . فتوسل ميخائيل إلى يعقوب حتى يدعه يذهب إذ تخوف من أن تحرقه ملائكة "عرافوت" بالنيران إذا لم يتوجه للسماء للبدء فى أغاني التسبيح فى الوقت المناسب . وقال يعقوب : لن أدعك تذهب إلا بعد أن تباركنى فأجاب ميخائيل : من أعظم الخادم أم الابن ؟ إنى خادم غير أنك الابن فلماذا تحن إذاً إلى مباركتى ؟^(٢٤٨) وجادل يعقوب قائلاً : إن الملائكة التى زارت إبراهيم لم تتركه دون مباركة . غير أن ميخائيل قال : لقد أرسلهم الرب خصيصاً لهذا الغرض ، ولكنى لم أرسل لهذا . ومع هذا تمسك يعقوب بمطلبه غير أن ميخائيل أجابه بقوله : لك أن تعلم أن الملائكة التى أفضت السر الإلهى أبعدت عن مكانها مائة وثمانية وثلاثين عاماً فهل لازلت ترغب فى أن أطلعك على ما سيبعدنى عن زمرة الملائكة ؟ وكان على الملاك فى نهاية الأمر أن يستجيب إذ لم يستطع أن يزعج يعقوب عن موقفه . وحدث الملاك نفسه قائلاً : ساكشف له سرا . وإذا طلب الرب منى معرفة لماذا أفضيت السر سأقول له إن نسلك يتمسكون برغباتهم وأنتك تجيبهم . ومن هنا كيف كان يمكنى ألا أنفذ رغبة يعقوب ؟

وحدث الملاك ميخائيل يعقوب قائلاً : ذات يوم سيتجلى الرب لك ، وسيغير اسمك وسأكون حاضراً عند تغيره^(٢٤٩) ، وإن تعرف فيما بعد باسم يعقوب وإنما بإسرائيل . وبارك الملاك يعقوب بقوله : لتكون مشيئة الرب وليكن نسلك تقياً مثلك^(٢٥٠) .

وقد ذكر كبير الملائكة فى الحين ذاته يعقوب بأنه كان قد وعد بتقديم عشر ما يملك إلى الرب فسارع بتقديم خمسمائة وخمسين رأساً من قطع الماشية الذى كان قوامه خمسة آلاف وخمسين رأساً فقال كبير الملائكة : غير أن لك أبناء ولم تقدم العشر . وتقدم يعقوب لمشاهدة أبنائه فرأى رؤوبين ويوسف ودان وجاد ، وتم استثناء الابن البكر لكل أم ، فتبقى له ثمانية أبناء . وحينما وصل إلى بنيامين كان عليه أن يبدأ العد بشمعون التاسع وأن ينتهى بلاوى العاشر .

وأخذ كبير الملائكة ميخائيل لاوى إلى السماء وقدمه إلى الرب قائلاً : رب العالمين هامو الابن العاشر ولهذا فهو من نصيبك . فمد الرب يده وباركه بأن نسله سيكون من خدم الرب على الأرض مثلما تخدم الملائكة الرب فى علاه^(٢٥١) . وتحدث يعقوب إلى الملاك قائلاً : وهبنى والذى البركة التى كانت مخصصة لعيساو وأبتغى الآن معرفة إذا ما كنت ستعترف بالبركة التى حلت على أم أنك ستوجه الاتهامات لى بسبب حصولى على هذه البركة ؟ فقال الملاك : أعترف بأن هذه البركة من نصيبك ، إنك لم تحصل عليها بالخدا ع ، وأعترف أنا وكل القوى السماوية بشرعيتها لأنك أثبت أنك سيد كل القوى السماوية مثلما أنت سيد عيساو وجنده^(٢٥٢) .

ولم يدع يعقوب الملاك يرحل دون أن يكشف له اسمه أولاً فاطلمه الملاك أن اسمه سيكون إسرائيل^(٢٥٣) ورحل الملاك فى نهاية الأمر بعد أن باركه يعقوب ، ودعا يعقوب المكان " بينوئيل " هذا المكان الذى كان قد أسماه " محاناييم " خاصة أن هذين الاسمين يعنيان مواجهة الملائكة^(٢٥٤) .

لقاء عيساو ويعقوب

ومع حلول النهار ترك الملاك صراعه مع يعقوب، وقد أشرقت الشمس فى اليوم الذى عبر فيه يعقوب جبل موريا فى طريقه إلى حاران قبل موعدها بساعتين حتى تدعه يصل فى المساء إلى الموقع الذى سيقام فيه الهيكل^(٢٥٥) . ولقد كانت طاقة الشمس فى ذلك اليوم شديدة القوة وكان ضياؤها وهيبها شديد القوة مثلما كانا عليه عند بداية الخلق ، وستشرق على النحو ذاته فى نهاية الأيام حتى تشفى الأعرج والكفيف من اليهود وحتى تقضى عبدة الأوثان ، وحملت الشمس فى اليوم ذاته الخواص نفسها إذ شفت يعقوب وأبادت عيساو وجنده بحرارتها^(٢٥٦) .

وكان يعقوب فى حاجة ماسة آنذاك لسائل مطهر يشفيه من الإصابة التى كانت لحقت به خلال صراعه مع الملاك، ولقد كان هذا الصراع مريعاً إلى الدرجة التى صعد معها التراب الذى تولد عن الصراع حتى عرش الرب^(٢٥٧) . وبالرغم من أن يعقوب تغلب على خصمه الضخم الذى كان فى حجم ثلث العالم وألقاه على الأرض إلا أن

الملاك تمكن من إصابته إذ نبش أظافره فى عصب المفصل بتجويرف فخذة الذى خلع من مكانه ، وهكذا أصبح يعقوب أعرج^(٢٥٨) غير أن قوة الشمس شفته. ومع هذا تعهد أبناءه بالأكل عصب الفخذ إذ ويخو أنفسهم لأنهم سبب ما لحق يعقوب من علة وأنه كان من الواجب ألا يتركوه^(٢٥٩) .

وبالرغم من أن يعقوب كان قد أعد عذته لما هو أسوأ فقد رأى أنه من الصواب أن يفصل بين أسرتي "ليئة" و"راحيل" وخدمهما ، وأن يقسم الأبناء عليهم ، فوضع الخدم وأبناءهم فى المقدمة ، وليئة وأبناءها فى الوسط وراحيل ويوسف فى الخلف. وكانت هذه هى الحيلة التى اتبعها الثعلب مع الأسد ، وكان الأسد ملك الحيوانات قد غضب ذات مرة من رعاياه فتلتفتوا يمنة ويسرة بحثاً عن خطيب بليغ يمكنه إرضاء حاكمهم ، وتصدى الثعلب لهذه المهمة قائلاً : أعرف ثلاثمائة حكاية سنهدى غضب الملك ، وقبل الجميع عرض الثعلب بسعادة ، وبينما كان الثعلب فى طريقه إلى الأسد توقف فجأة قائلاً : من أسف أنى نسيت مائة حكاية من مجمل الحكايات الثلاثمائة ، فقال له من كانوا فى صحبتي : لاتبال فإن مائتي قصة سنقى بالفرض . وبعد أن سار الركب توقف الثعلب مرة أخرى معترفاً أنه نسي نصف القصص المتبقية، وواسته الحيوانات بأن مائة القصة المتبقية تكفى غير أن الثعلب توقف مرة ثالثة معترفاً أن ذاكرته خانته بالكامل ، وأنه نسي كل القصص ، ونصح كل حيوان بأن يقترب من ملك الغابة بمفرده ليهدئ غضبه . وفيما يتعلق بيعقوب فقد كان لديه من الشجاعة ما يجعله يهدئ عيساو نيابة عن الجميع غير أنه فضل أن يقوم كل فرد بتهدئة غضب عيساو .

وقد فضل يعقوب على أية حال أن يكون أول من يتعرض من أفراد عائلته إلى الخطر إذ قال : أفضل أن يهاجموني من أن يهاجموا أبنائي^(٢٦٠) . وقد أتى بعده الخدم وأبناءهم ، ووضع يعقوب الخدم فى المقدمة لأنه رأى أنه إذا تعرض عيساو إلى نسايتهم فإنه سيلقى معارضة شديدة منهم ، وأنه يمكنه فى غضون هذه الفترة أن يعد العدة لمقاومة أكثر عنفاً دفاعاً عن زوجاته^(٢٦١) ، وأتى يوسف وراحيل فى نهاية الصف. وقد سار يوسف أمام والدته ، هذا بالرغم من أن يعقوب كان قد أمره بالسير خلفها، ومع هذا لم يلتزم يوسف بتعاليم والدته لأنه كان يعلم أنها فائقة الجمال ويعلم مدى شهواتية عيساو ، ولذلك حاول إخفاء راحيل عن عيون عيساو^(٢٦٢) .

وحينما اشتد غضب عيساو من يعقوب أقسم أنه لن يقتله بالسيف والسهم وإنما سيقتله بيديه ويشرب دمه غير أن أماله ذهبت هباءً إذ إن رقبة يعقوب أضحت في قوة العاج ومن هنا لم يتمكن من قتله ولم يجن سوى ذلك الصرير الذي صدر عن أسنانه^(٢٦٣) . ولقد كان هذان الأخوان كالحمل والذئب فبينما سعى الذئب إلى تمزيق الحمل فقد دافع الحمل عن ذاته بقرونيه عاملاً على غرسهما في لحم الذئب، وكان كل منهما يصرخ خلال صراعه ضد الآخر فكان الذئب يصرخ لعجزه عن الإمساك بضحيتته في حين أن الحمل كان يصرخ لخوفه من أن يعاود الذئب هجومه، أما عيساو ويعقوب فكان الأول يصرخ من شدة الألم الذي لحق بأسنانه في حين أن الآخر كان يصرخ لخوفه من أن يعاود عيساو هجومه^(٢٦٤) .

وقد توجه عيساو إلى أخيه بالسؤال التالي : أخبرني بطبيعة الجيش الذي واجهته؟ وطرح هذا السؤال لأنه واجه خلال مواجهته مع يعقوب حوالي أربعين ألف جندي كان بعضهم يسير على قدميه وبعضهم الآخر يمتطي الخيل أو يجلس بالمركبات ، وانقض كل هؤلاء الجند مجتمعين على عيساو فور مشاهدتهم له، وقد حاول عيساو معرفة من أين قدمت هذه القوات غير أنها واصلت هجومها دون أن تنال بالإنجابه عنه، ومع هذا فحينما أخبرهم أنه شقيق يعقوب ذكر الجنود : الولل لنا إذا عرف سيدنا أننا مسسناك بأذى . وقد استفسر عيساو من يعقوب عند التقائه به عن هؤلاء الجنود فأجابهم أنهم ليسوا سوى حشد من الملائكة^(٢٦٥)، وأن الرسل الذين بعثهم إليه كانوا من الملائكة أيضاً لأنه ليس بمقبور أي إنسان الوقوف أمامه^(٢٦٦) .

وقد أعطى يعقوب عيساو عشر قطيعات^(٢٦٧) ومجوهرات وأحجاراً كريمة^(٢٦٨) وعصا^(٢٦٩) ، غير أن الحيوانات رفضت أن تتخلى عن سيدها يعقوب وأن تصبح جزءاً من أملاك الشرير عيساو، وقد فرت هذه الحيوانات حينما حاول يعقوب أن ينقلها إلى أخيه ومن هنا لم تصل إلى عيساو سوى الحيوانات الضعيفة والهزيلة التي لم تتمكن من الهرب^(٢٧٠) .

وقد رفض عيساو في البدء الهدية المقدمة إليه غير أن هذا الرفض كان مجرد ادعاء ، فبينما أعلن رفضه للهية أبقى يده ممدودة للحصول عليها^(٢٧١) . وفهم يعقوب هذه الإشارة ومن ثم ازداد إصراراً على قبول عيساو لهديته قائلاً : إذا كنت ترضى

عنى اقبل الهدية التى فى يدي، وإننى أرى وجهك على النحو ذاته الذى رأيت به الملائكة . وكانت هذه الكلمات الأخيرة مختارة بدقة إذ أراد يعقوب أن يفهم عيساو أنه على اتصال بالملائكة وأن يخشاه، وكان يعقوب أشبه بمن دُعِيَ إلى مائدة من قبل عدو لنود يتحين الفرصة لقتله، وحينما يكتشف الضيف الغرض الذى دُعِيَ من أجله يقول لمضيفه : ما أجمل هذه الوجبة التى لم أتناول مثيلاً لها إلا على مائدة الملك حينما دعانى . وترمى هذه الجملة الرعب فى النفس من يعقزم قتله^(٢٧٢) . وكان السبب الذى جعل يعقوب يستدعى خلال حديثه مع عيساو مواجهته مع الملاك أن هذا الملاك كان قد هُزم من المواجهة^(٢٧٣) .

وكما قبل عيساو الهدايا المقدمة من يعقوب فى هذه المناسبة فقد ظل يقبل هداياه المقدمة طيلة العام إذ كان يعقوب يقدم هدايا يومية إلى عيساو وكان يقول : إن الهدية تعمى بصر الحكيم فما بالك بما تفعله مع الشرير ؟ ولذلك سأنهب كثيراً من الهدايا حتى يدعنى فى حالى . وعلاوة على هذا لم يول يعقوب اهتماماً كبيراً بممتلكاته خارج الأرض المقدسة ، ومن ثم لم يتردد فى توزيعها .

وعلاوة على الهدايا التى قدمها يعقوب إلى عيساو فقد سدد إليه مبلغاً ضخماً من أجل مغارة " المكفيلة " . وقد باع يعقوب فور وصوله إلى الأرض المقدسة كل ما كان قد جلبه معه من حاران فى مقابل كمية ضخمة من الذهب . وقد تحدث إلى عيساو قائلاً : إن لك نصيباً مثلى فى مغارة المكفيلة . فقال عيساو : لست مهتماً بالمغارة ولكنى مهتم بالذهب . وأخذ عيساو الذهب من يعقوب فى مقابل بيعه نصيبه فى المغارة ، وكان يعقوب قد حصل على هذا الذهب خارج الأرض المقدسة غير أن الرب عوضه عن ممتلكاته وأصبح ثرياً مثلاً كان فيما مضى^(٢٧٤) .

ولم يكن الثراء هو الغرض الرئيسى الذى يصبو إليه يعقوب إذ كان راضياً هو وعائلته بل ومستعداً للتخلي عن كل ثرواته المادية لصالح عيساو فقال له : أرى أن الأيام القادمة ستشهد تعرض أبنائى للاضطهاد من قبل أبنائك ولكنى لا أعترض على قيامك بفرض سلطانك وتاجك حتى خروج المسيح المخلص من صلبى . وستتحقق هذه النبوة فى المستقبل أى عند تمرد كل الأمم على مملكة أنوم وعند استيلائها على مدينة تلو الأخرى من المملكة الشريرة حتى وصولها إلى " بيت جويرين " . وعندئذ سيظهر المسيح المخلص وسيتولى الملك، وسيفر ملاك مملكة أنوم بحثاً عن ملائكة إلى مدينة

"بصرى" غير أن الرب سيظهر هناك ويقتله، وبالرغم من أن هذه المدينة تعد إحدى المدن الأمانة إلا أن الرب سيثأر هناك، وسيمسك الرب هناك بشعر الملاك وسيقتله النبي إيليا ، وعندئذ سيغطى دمه ثياب الرب^(٢٧٥) . وقد وضع يعقوب كل هذه الاعتبارات في ذهنه عند قوله لعيساو : سيدى دعنى أصل إلى سعير . ولم يصل يعقوب قط إلى سعير وإنما كان يعنى عصر المسيح اليهودى أى حينما سيصل إسرائيل إلى سعير ويفرض سلطانه هناك^(٢٧٦) .

وقد أقام يعقوب فى "سكوت" عاماً بأكمله وافتتح به منزلاً للدراسة^(٢٧٧) ثم اتجه إلى "شكيم" فى حين أن عيساو توجه إلى "سعير" قائلاً : حتى متى سأظل عبثاً على أخى ؟ وكان قد طرح هذا التساؤل خاصة أن عيساو كان يواصل حصوله على الهدايا من يعقوب خلال إقامته فى "سكوت"^(٢٧٨) .

ويعد أنبقى يعقوب هذه السنوات الطوال فى أرض غريبة توجه بسلام إلى "شكيم" ، وعند وصوله إليها نسي كل المعارف التى تلقاها فيما مضى، وتبين له أيضاً أن الهدايا التى وهبها إلى عيساو لم تنتقص من ثروته ، وأنه شفى من الإصابة التى ألحقها به الملاك خلال صراعه معه، وكان أطفاله أصحاء معافين^(٢٧٩) .

وقد دخل يعقوب "شكيم" بعد ظهيرة يوم الجمعة ، وكان أول ما اهتم به أن يحدد حدود المدينة حتى لا يتعدى شرائع يوم السبت ، وقد أرسل فور استقراره فى المكان هدايا إلى نبلاء المدينة ، ولا غرابة فى هذا إذ من الضرورى أن يبدى المرء عرفانه للمدينة التى يستفيد منها، وقد استفاد أهل المدينة أيضاً من ثرواته إذ كان قد افتتح محلاً بالمدينة باع به كل المنتجات بأسعار بخسة^(٢٨٠) .

وسارع يعقوب أيضاً بشراء قطعة أرض إذ يتعين على كل يهودى ثرى يأتى إلى الأرض المقدسة من خارجها أن يصبح مالكاً لأرض بها^(٢٨١) . وقدم يعقوب فى مقابل ما اقتناه مائة جمل ، ومائة خروف ومائة قطعة من القضة، وحصل بعد هذا على عقد ملكية وقع عليه بحرف الياء فقط ، ثم أقام مذبحاً للرب على الأرض وقال : إنك سيد كل الأشياء السماوية وأنا سيد كل الأشياء الأرضية غير أن الرب قال : لا يمكن حتى لمالك المعبد أن يزعم أن له امتيازات فيه وأنت تزعم ربوبيتك؟ إن بنتك ستترحل بالغد وستذل^(٢٨٢) .

حلول الغضب على شكيم

وبينما كان يعقوب وأبنائه يجلسون في منزل الراسنة منشغلين بدراسة التوراة^(٢٨٢) ، توجهت دينا لمشاهدة الراقصات والمغنيات اللاتي استنجرهن أهل شكيم لإغرائها بالخروج^(٢٨٤) ، ولو كانت بقيت بالمنزل ما كانت تعرضت لأي شيء ، غير أنها كانت تحب كسائر النساء الظهور بالشارع^(٢٨٥) ، وحينما رآها شكيم أمسكها عنوة وبالرغم من صغر سنها^(٢٨٦) اعتدى عليها بوحشية^(٢٨٧) .

وكانت هذه المصيبة التي حلت على يعقوب عقاباً على إفراطه في ثقته في نفسه فقد ذكر خلال محادثته مع لابان : إن صدقي سيفيدني فيما بعد . وعلاوة على هذا - وبينما كان عائداً إلى فلسطين ليلتقي بأخيه - فقد أخفى ابنته في صندوق خشية أن يبتغيها عيساو زوجة وأن يجبر على هذا ، وحدثه الرب قائلاً : لقد تصرفت على نحو غير لائق مع أخيك ، ولهذا ستتزوج دينا أيوب غير المختون وغير المهتدي ، لقد رفضت أن تزوجها مختوناً ولهذا سيتزوجها إنسان غير مختون، لقد رفضت أن تزوجها عيساو شرعياً ولهذا سقطت ضحية رغبات هذا المقتصب^(٢٨٨) .

وحينما سمع يعقوب أن شكيم دنس ابنته أرسل اثني عشر خادماً لإخراج دينا من منزل شكيم غير أنه توجه للقيامم برجاله وطردهم من منزله ولم يتح لهم الاقتراب منها بل قبلها واحتضنها أمامهم. وأرسل يعقوب فيما بعد وصيفتين من وصيفات دينا للإقامة معها في منزل شكيم الذي أمر ثلاثة من أصدقائه بالتوجه إلى والده "حامور" ابن "خاداكوم" وقال : دعني أتزوج هذه الفتاة . وحاول حامور في البدء إقناع ولده ألا يتزوج امرأة عبرانية ومع هذا فحينما تمسك "شكيم" بمطلبه نفذ حامور رغبة ولده وتوجه إلى يعقوب ليحدثه بخصوص هذا الشأن. وقد عاد في غضون هذه الفترة أبناء يعقوب من الحقل فاشتمل غضبهم وحدثوا والدم قائلين : لاشك أن الموت هو العقوبة التي يستحقها هذا الرجل وآل بيته لأن رب كل الأرض أمر نوحاً وأبنائه بالآ يرتكب المرء جريمة السرقة والزنا، والآن ارتكب شكيم جريمة الزنا مع شقيقتنا ولم يحدثه أحد قط . وبينما كانوا يحدثونه على هذا النحو أتى حامور ليحدث يعقوب بشأن رغبة ولده شكيم في الاقتران بديننا. وبعد أن فرغ حامور من حديثه أتى شكيم بنفسه وقدم

طلبه إلى يعقوب، وأجاب شمعون ولاوى على حامور وشكيم على نحو مخادع بقولهما : سننفذ كل ما قلتما . إن شقيقتنا بمنزلك ولكن ابتعد عنها حتى نحدث والدنا إسحاق عن هذا الموضوع خاصة أنه لا يمكننا القيام بأى شىء دون استشارته فهو يعلم طرق والدنا إبراهيم ، وسنبلفك كل ما يقول وإن نخفى عنك شيئاً .

وتوجه شكيم ووالده إلى منزلهما مطمئنين إلى النتيجة التى تحققت. وبعد رحيلهما فكر أبناء يعقوب فى نريعة يمكنهم من خلالها إبادة كل سكان المدينة الذين استحقوا هذه العقوبة بسبب حماقتهم ، ووجه شمعون حديثه إليهم بقوله : لدى نصيحة جيدة فلتأمرهم بالختان. وإذا لم يستجيبوا سنأخذ بنتنا منهم. أما إذا وافقوا يمكننا عندئذ مهاجمتهم وقتلهم لأنهم سيعانون من آلام الختان . وفى الصباح التالى أتى شكيم ووالده مرة أخرى إلى يعقوب ليحدثاه بشأن ديننا فتحدث أبناء يعقوب على نحو مخادع قائلين : أطلعنا والدنا إسحاق بما طلبت وسعد بهذا الطلب غير أنه قال إنه يتعين على كل من يرغب فى الاقتران بأى بنت من بناته أن يكون مختوناً .

وسارع شكيم ووالده بتنفيذ رغبات أبناء يعقوب الذين أقنعوا أهل مدينتهم أيضاً بالختان . وفى اليوم التالى نهض شكيم ووالده مبكراً وجمعا كل سكان المدينة ووجها الدعوة إلى أبناء يعقوب الذين ختنوا شكيم ووالده وإخوانه الخمسة وكل ذكور المدينة الذين كان يبلغ عددهم ستمائة وأربعة وخمسين رجلاً ومائتين وستة وسبعين صبياً، أما خاداكوم جد شكيم وإخوانه الستة فقد رفضوا الختان بل وكانوا شديدي الغضب من سكان المدينة لاستجابتهم لرغبات أبناء يعقوب .

وأرسل شكيم ووالده مساء اليوم التالى ثمانية صبيان للختان إذ كانت أمهاتهم أخفينهم. وانفجر "خاداكوم" وإخوانه الستة غضباً من الرسل بل وحاولوا قتل شكيم وحامور وديننا. وقد وبخوا شكيم ووالده لقيامهم بشىء لم يفعله أبائهم قائلين إنهم سيثيرون على هذا النحو سخرية سكان أرض كنعان وسخرية أبناء هام ، وكل هذا بسبب امرأة عبرية . وأنهى خاداكوم وإخوانه حديثهم بقولهم : سننوجه غداً لجمع إخواننا الكنعانيين وسنأتى لقتلك أنت وكل من تثق بهم حتى لا يبقى منك أو منهم أحد .

وحيثما سمع حامور ووالده شكيم وكل سكان المدينة ما حدث تملكهم الرعب معتذرين عما فعلوا ، وعلق شكيم ووالده على حديث خاداكوم وإخوانه بقولهم : رأينا أن العبرانيين لن ينفذوا رغباتنا بشأن زواج ابنتهم ولهذا نفدنا الختان، وبعد أن نحقق مرادنا فإننا سننفذ ما يحلو لكم ولنا . وسمعت بينا هذه الكلمات فسارعت بإرسال إحدى وصيفاتها لإبلاغ يعقوب وأبنائه بالمؤامرة التي تُحاك ضدهم، وحيثما سمع أبناء يعقوب ما قالته الوصيصة استشاطوا غضباً فاقسم شمعون ولاوى قاتلين : لن يتبقى أحد منهم بالمدينة .

وبدأوا في عملية الإبادة بقتل ثمانية عشر طفلاً من مجمل العشرين طفلاً الذين لم يتم ختانهم ، وقد فر اثنان منهم إلى أحد الكهوف ، ثم قتل شمعون ولاوى كل من بالمدينة ولم يتركوا ذكراً فيها، وبينما كانا يبحثان عن غنائم خارج المدينة تصدت لهما ثلاثمائة امرأة ألقين عليهما الصجارة غير أن شمعون قتلن وعاد إلى المدينة إذ لحق بلاوى ، وأخذ من السكان المقيمين خارج المدينة أغنامهم وثيرانهم وماشييتهم ونساءهم وأبناءهم الصغار وقابوهم إلى والدهم يعقوب، وكان عدد السبايا من النساء خمسا وثمانين فتاة عذراء كان من بينهن فتاة فائقة الجمال اسمها " بونا " تزوجها شمعون ، وكان عدد السبايا من الذكور سبعة وأربعين، وعمل هؤلاء الذكور والإناث في خدمة أبناء يعقوب وبنيهم حتى خروجهم من مصر .

انتهاء الحرب

وحيثما خرج شمعون ولاوى من المدينة ظهر الشخصسان اللذان قد تخفيا في أحد الكهوف ونجيا من القتل فوجدوا المدينة مهجورة لا يقطنها أحد من الرجال، ووجدوا بها نساء بالاكيات يقطن : دمر أبناء يعقوب مدن كتمان ولم يخافوا أحداً .

وترك هذان الرجلان المدينة وتوجها إلى " تابواح " وأخبرا سكانها بما فعله أبناء يعقوب في مدينة " شكيم " ، فأرسل " ياشوب " ملك تابواح رسلاً إلى شكيم للتأكد من صدق ما سمعه إذ لم يصدقهم قائلًا : كيف يمكن لرجلين أن يدمرا مدينة كبيرة مثل شكيم ؟ وحيثما عاد الرسل أبلغوا الملك : إن المدينة أبيدت بأكملها ولم يعد يقطنها الرجال ولا يقيم بها سوى النسوة الباكيات، ولم تعد بها أية أغنام أو مواشٍ إذ استولى أبناء يعقوب على كل شيء .

ولم يصدق "ياشوب" ما حدث إذ لم يسمع منذ عهد تمرود أو حتى فى العصور السابقة له أنه بوسع رجلين تدمير مدينة ضخمة بهذا الشكل ، ولهذا قرر شن الحرب ضد العبرانيين والانتقام لأهل شكيم ، وقال مستشاروه : إذا كان بوسع رجلين فقط إنزال الدمار بالمدينة فإنهما سيدمرونا إذا خضت الحرب ضدهم ، ولذلك يجب أن تدعو الملوك المحيطين بنا للمشاركة حتى يمكننا شن الحرب ضد أبناء يعقوب حتى ندمرهم .

وحيثما سمع ملوك الآموريين السبعة ما فعله أبناء يعقوب ضد مدينة شكيم حشدوا جيوشهم البالغ قوامها عشرة آلاف فرد وأشهبوا سيوفهم متوجهين لشن الحرب ضد بنى يعقوب، وتملك الرعب يعقوب فقال لولديه شمعون ولاوى : لماذا جلبتم الشر على؟ لقد كنت أسكن فى طمأنينة غير أنكما أثرتما بأعمالكما غضب كل الأرض .

وحدث يهوذا والده : لم يقتل شمعون ولاوى سكان شكيم ظلماً ، وإنما فعلاً ما فعله بسبب إهانتهم لشقيقتنا وانتهاكهم لوصية الرب إلى نوح وأبنائه ، ولا يحق لأى من سكان الأرض التدخل فى هذا الأمر ، ولماذا تخاف الآن وتغضب من إخوتنا ؟ ولا شك أن الرب الذى مكن شمعون ولاوى من السيطرة على شكيم سيمكننا من التغلب على ملوك كنعان الذين يتقدمون الآن لشن الحرب ضدنا . تخل عن مخاوفك وابتهل إلى الرب حتى يساعدنا .

وخاطب يهوذا إخوانه بقوله : إن الرب معنا فلا تخافوا وليتمسك كل منكم بسلاحه من قوس وسيف ، وسنقاتل غير المختونين ، وسينقذنا الرب . وتقدم يعقوب وأبنائه الأحد عشر وخدم إسحاق المائة الذين هبوا للمساعدة للقاء الآموريين الذين كان عددهم يفوق المصر كرمال البحر ، وطلب أبناء يعقوب من جدم إسحاق بالخليل أن يصلى للرب ليحميهم من أيدي الكنعانيين فدعا الرب قائلًا : لقد وعدت والدي قائلًا سأكثر نسلك وسأجعله كتجوم السماء كما وعدتني بأنك ستنفذ وعدك لوالدي ، والآن يارب العالمين أدعوك لنحضر مجلس هؤلاء الملوك حتى لا يقاتلوا أبنائى وإملاً لقلوب الملوك وجندهم بالرعب من أبنائى وحطم كبرياءهم حتى يفروا من أبنائى ، خلص أبنائى وخدمهم منهم بقيضتك القوية وذراعتك الطويلة لأن القوة بيدك .

وابتهل يعقوب أيضاً إلى الرب بقوله : الرب القوى العالى الذى يحكم منذ الأزل وإلى الأبد، إنك الذى تثير الحروب وتوقفها. إنك تملك القوة التى تعلى وتذل. ولتقبل صلاتى وترحمنى ولهذا املاً قلوب الملوك وجندهم بالخوف من أبنائى ولتثبت الرعب فى معسكراتهم. وخلص برحمتك من يثقون بك لأنك تذل الشعوب من أجلنا وتضع الأمم تحت أقدامنا .

واستمع الرب إلى صلوات إسحاق ويعقوب فعلاً قلوب ملوك مستشارى الكنعانيين بالخوف والرعب . وإذ ذلك فحينما استشار الملوك مستشاريهم بشأن محاربة أبناء يعقوب قالوا : هل أنتم حمقى أم يعززكم الفهم حتى تحاربوا العبرانيين. ولماذا تبتهجون بالدمار الذى سيحل عليكم ؟ ألا تعرفون أن اثنين منهما قدما إلى شكيم وأذلا كل سكانها بعد السيف وأنه لم يتصد أحد لهم ، ولهذا كيف ستصنون لهم ؟

وواصل المستشارون حديثهم عن المعجزات التى قام بها الرب من أجل إبراهيم ويعقوب وبنيه هذه المعجزات التى لم يحدث مثيل لها فى القدم. وحينما استمع الملوك إلى كلمات مستشاريهم تملكهم الرعب من أبناء يعقوب ، وقرروا ألا يقاتلوهم، وعاد كل منهم على رأس جيشه إلى مدينته غير أن أبناء يعقوب ظلوا بمواقعهم حتى المساء ولم يعودوا إلى موطنهم إلا بعد أن تكلموا أن الملوك لم يتقدموا للمعركة^(٢٨٩) .

وحل غضب الرب على سكان شكيم بسبب حماقتهم إذ كانوا قد سعوا إلى إهانة واغتصاب سارة وريبيكا مثلما فعلوا مع بينا غير أن الرب تمكن بقوته من منفعهم ، وكان هؤلاء السكان قد اضطهدوا إبراهيم حينما كان غريباً ، وأساءوا معاملته " إيبان " الذى كان وأد فى منزله، وكانوا قد اعتادوا على سلب زوجات كل الغرباء بالقوة^(٢٩٠) .

الحرب مع سكان نينوى

وأثار الدمار الذى أنزله شمعون ولاوى بمدينة شكيم خوف كل الملحدين الذين قالوا : إنه إذا كان تمكن اثنان من أبناء يعقوب من إنزال الدمار بمدينة فى هذا الحجم فماذا يمكن ليعقوب وكافة أبنائه القيام به ؟ وترك يعقوب آنذاك " شكيم " وقرر أن يتوجه بكل ممتلكاته إلى والده إسحاق غير أنه واجه بعد سفر دام ثمانية أيام جيشاً

قويا كان قد أرسله " نينوى " ليحصل على الجزية من العالم وإخضاعه، وعند وصول هذا الجيش إلى المناطق المحيطة بمدينة شكيم فقد سمع ما تعرضت له المدينة على أيدي أبناء يعقوب وسمعوا أيضاً أن الغضب تملك الجميع وأنهم قرروا شن الحرب على يعقوب .

غير أن يعقوب قال لابنيه: لا تخافوا فإن الرب سيخلصكم وسيقاتل أعداءكم. ويتعين عليكم فقط الابتعاد عن الآلهة الأجنبية وأن تطهروا أنفسكم وثيابكم . وتقدم يعقوب مشهراً سيفه في وجه العدو وقتل في هجومه الأول اثني عشر ألف فرد من جيش العدو ثم تحدث يهوذا إليه قائلاً : والدي إن التعب حل بك ودعني أقاتل العدو بمفردي . فأجابه يعقوب : ولدي إنني أعلم قوتك وشجاعتك العظيمة التي لا يتحلى بها أحد في العالم .

وقد كانت ملامح يهوذا كالأسد ، فهاجم في غضبه الجيش وقتل منه اثني عشر ألف فرد من أفضل مقاتليه ، واشتعلت الحرب فسارع لايي بتقديم المساعدة وتمكنا من سحق أهل نينوى، وقتل يهوذا بمفرده خمسة آلاف آخرين، أما لايي فقد وجه ضرباته القوية في كل الأنحاء فسقط رجال العدو كالحب الذي يقتله منجل المصناد .

وحينما تنبه أهل نينوى إلى مصيرهم قالوا : حتى متى يمكننا مقاتلة هؤلاء الشياطين ولنرجع إلى موطننا حتى لا نتعرض للإبادة . غير أن ملكهم حاول منعهم قائلاً : أيها الأبطال العظماء هل فقدتم صوابكم حتى تفكروا في العودة إلى موطنكم ؟ أهذه هي الشجاعة ؟ وبعد أن أخضعتم ممالك وبلداناً عديدة أيعقل أن تعجزوا عن الإمساك باثني عشر فرداً ؟ وإذا سمعت الأمم التي تبغ الجزية لنا ما حدث ستتمرد علينا ، وستسخر منا ، وستفعل ما يحلو لها بنا . تشجعوا يا رجال المدينة العظيمة نينوى حتى يظل اسمكم عالياً ولا يسخر منكم الأعداء .

ويثت كلمات الملك الشجاعة في نفوس الجنود الذين واصلوا حملتهم فأرسلوا رسلاً إلى كل البلدان طلباً للمساعدة والحصول على حلفاء لمعاودة الهجوم على يعقوب، وحدث الملك أبناءه قائلاً : تشجعوا وكونوا رجالاً وقاتلوا أعداءكم . وأخذ أبناءه الاثنا عشر مواقعهم في اثني عشر مكاناً وترك كل منهم مساحة مناسبة تفصله عن الآخر ،

وأمسك يعقوب سيفاً بيمنه وقوساً في يسراه ، وتقدم المواجهة إذ كان عليه أن يصد العدو من اليمين واليسار، وقد أنزل ضربة قاصمة بالعدو، وحينما هاجمه ألفا جندي قفز في الهواء واختفى عن أبصارهم، وقتل في هذا اليوم اثنين وعشرين ألفاً ، وحينما حل المساء خطط للهرب تحت جناح الظلام. ومع هذا فقد ظهر فجأة تسعون ألف فرد فاضطر لمحاربتهم. وكان يعقوب قد اندفع لمواجهةهم بسيفه غير أنه انكسر مما اضطره للدفاع عن نفسه فحول صخرة ضخمة إلى مسحوق جيري ألغاه على العدو فأعشى جنده الذين لم يمكنهم رؤية شيء. وكان من حسن الطالع أن الظلام كان وشيكاً مما سمح ليعقوب بالراحة .

وقال يهوذا ليعقوب في الصباح : والدي لقد قاتلت طيلة أمس ولا شك أنك مجهد فدعني أقاتل اليوم . وحينما شاهد الجند وجه يهوذا الشبيه بالأسد وأسنانه الضارية وزئيره تملكهم الرعب فقفز يهوذا على الجيش ، وحلق فوقه كورقة شجر منزلاً ضرباته عليه دون توقف . ومع حلول المساء كان قد قتل ثمانين ألفاً وستة وتسعين رجلاً مسلحين بالسيف والاقواس، وحينما حل التعب بيهوذا تقدم زبولون من يسراه وقتل ثمانين ألف فرد من العدو، واسترد يهوذا عندئذ عافيته ونهض غاضباً فاصطكت أسنانه وأصدرت صوتاً كالرعد ففر العدو قاطعاً مسافة ثمانية عشر ميلاً فنعم يهوذا بالهدوء في المساء .

ومع هذا ظهر الجيش مرة أخرى في الغد مستعداً لشن المعركة للثأر من يعقوب وبنيه، ومع إعلانهم للحرب تحدث يعقوب إلى بنيه قائلاً : تقدموا وقاتلوا أعداءكم . وقال يساكر وجاد عندئذ إنهما سيتحملان عبء القتال فأمرهم يعقوب بتنفيذ مهمتهما على أن يكون إخوانهما مستعدين لتقديم المساعدة والتدخل حينما تظهر عليهما علامات التعب والإرهاق .

وقتل قادة هذا اليوم ثمانية وأربعين ألف مقاتل ، وأجبروا اثني عشر ألفاً آخرين على الفرار إلى أحد الكهوف ، وقد وضع يساكر وجاد أشجاراً أمام مدخل الكهف مشعلين النار فيها، وحينما ازدادت شدة النيران تحدثت الجند الفارون قائلين : ولماذا نبقى في الكهف لتلقى حتفنا به من شدة الدخان والنيران ؟ وانخرج من الكهف ولنقاتل أعداءنا عسى أن نتخذ أنفسنا . وقد تركوا الكهف وتوجهوا إلى مدخله وهاجموا

يساكر وجاد فى المقدمة والخلف، وحينما شاهد دان ونفتالى ما يتعرض له إخوانهما سارعا بتقديم المساعدة إليهما، وشقا طريقهما بسيوفهما صوب يساكر وجاد واتحدا معهما فى مواجهة العدو .

وفى اليوم الثالث من المواجهة تم تدعيم أهل نينوى بجيش عدد جنده كرمل البحر، ووجد أبناء يعقوب صفوفهم وألحقوا الهزيمة بالعدو، وبينما أخذوا يطاردونهم قال جنود العدو : ولماذا نولى الأدبار ؟ فلنقاتلهم إذ ربما نتنصر عليهم . ونشب صراع مرير. وحينما شاهد يعقوب الهجوم العنيف الذى يتعرض له أبناؤه اندفع إلى ساحة المعركة منزلاً ضرباته يمنة ويسرة بالعدو، ومع هذا كانت يد الكفار هى العليا إذ نجحوا فى فصل يهوذا عن إخوانه، وحينما شاهد يعقوب الخطر المهدد بولده أطلق صفيراً متفقاً عليه فسارع إخوة يهوذا بتقديم المساعدة إليه ، وكان يهوذا منهكاً من شدة العطش ، ولما لم تكن هناك مياه لتطفئ ظمأه فقد حفر بإصبعه بقوة فى الأرض فتفجرت المياه أمام كل جند الجيش الذين قال كل منهم للآخر : سأنهز من هؤلاء الشياطين لأن الرب يحارب معهم ، وسارع الجنود بالهرب غير أن بنى يعقوب لم يتوقفوا عن مطاردتهم وقتلهم ثم عادوا إلى خيامهم ، ولاحظوا خلال عودتهم أن يوسف ليس معهم فتخوفوا من أن يكون قد قُتل أو أخذ فى الأسر، واندفع نفتالى صوب العدو المنسحب بحثاً عن يوسف فوجده يواصل القتال ضد أهل نينوى فانضم إليه وقتل عدداً لا يحصى له ففر من كانوا يتقدمون صوب يوسف ، ومع انتهاء الحرب واصل يعقوب رحلته دون توقف إلى والده إسحاق^(٢٩١) .

الحرب ضد الآموريين

ولم يحاول من كانوا يقيمون بجانب " شكيم " التحرش بيعقوب الذى عاد إلى هناك مع آل بيته للإقامة بها ، ومع هذا وبعد ماضى سبع سنوات بدأ الكفار فى التعرض إليه والتحرش به ، وحينما اجتمع ملوك الآموريين معاً ضد بنى يعقوب مقررین قتلهم فى وادى " شكيم " فقد قالوا : ألم يكن كافياً أنهم قتلوا أهل شكيم ؟ وهل يبتغون الآن السيطرة أيضاً على أراضيتهم ؟ وتقدموا لخوض المعركة .

وقفز يهوذا إلى داخل صفوف جنود الملوك المتحالفين ، وقتل في البدء "ياشوب" ملك تابواح الذي كان مغطى بالحديد والنحاس من رأسه حتى أخمص قدميه ، وكان هذا الملك يمتطي جواداً ويطلق من عليه الرماح بقبضتيه صوب كل الاتجاهات دون أن يخطئ هدفه إذ كان مقاتلاً قوياً بل وكان بمقدوره إطلاق الرماح بيد واحدة ، ومع هذا لم يخشه يهوذا إذ اندفع ناحيته وألقى عليه حجراً ضخماً واندفع نحوه. وكان ياشوب يبعد عنه عندئذ مسافة مائة وسبعة وسبعين ذراعاً. وكان مسلحاً بدرع حديدي . وكان لا يتوقف خلال تقدمه صوب يهوذا عن إلقاء السهام غير أن يهوذا ألقى على درعه حجراً وأسقطه من جواده، وحينما حاول الملك النهوض أسرع يهوذا بقتله قبل أن يقف ، ومع هذا كان ياشوب رشيقاً ومن هنا سرعان ما تمكن من الوقوف لمهاجمة يهوذا وجهاً لوجه واستل سيفه للإطاحة برأس يهوذا، وسارع يهوذا بوضع الدرع أمامه للتصدي للسيف غير أن الدرع تحطم ومع هذا فقد تمكن من خطف درع خصمه ووجه بسيفه ضربة قاصمة إلى عنقه فبتر قدميه، وحينما سقط الملك على الأرض سقط سيفه منه فأسرع يهوذا بفصل رأسه عن جسده .

وبينما كان يهوذا يزيح الدرع عن خصمه القتل فقد ظهر على الساحة تسعة من أتباع "ياشوب" فأسرع يهوذا بإلقاء حجر على رأس من كان يتقدمهم والذي كان يتجه صوبه، وكان الحجر شديد القوة فسقط الدرع عن هذا العدو فسارع يهوذا بأخذه ليدافع به عن نفسه في مواجهة الجنود الثمانية المتبقين، وأتى في هذه اللحظة أخوه "لاوى" ووقف بجوار يهوذا وقتل بسهمه "ايلون" ملك "جاش" ، وتمكن يهوذا عندئذ من قتل الثمانية المتبقين، وأتى والده يعقوب وقتل "زيرورى" ملك شيلواح، ولم يتمكن أحد من الكفار من التغلب على بنى يعقوب فلم يكن لديهم من الشجاعة ما يؤهلهم للتصدي لهم ، ومن هنا لم يسعهم سوى الهرب، وتعقبهم بنو يعقوب فقتل كل فرد منهم ألف فرد من الأموريين قبل غروب الشمس، أما أبناءه الآخرون فقد تركزوا على مرتفع "شكيم" وطاردوا منه الأموريين حتى "حازور" ، وقد أطلقوا من "شكيم" سهامهم التي طارت وقتلت "بيراثون" ملك "حازور" و"باشوئى" ملك "سارتان" ، ولابان ملك آرام و"شبير" ملك "ماحاناييم" .

وكان يهوذا أول من تمكن من صعود جدران مدينة "حازور" ، وحينما اقترب من قمة الأسوار هاجمه أربعة جنود غير أنه تمكن من قتلهم دون أن يتوقف عن مواصلة صعوده بل وقبل أن يقدم له أخوه نفتالي المساعدة، وقد سار نفتالي خلفه ثم وقفاً معاً فوق الجدار وقتلا كل الجنود، وسار سائر أبناء يعقوب خلفهما وقضوا في هذا اليوم قضاءً مبرماً على كل الكفار، وقد أخضعوا " حازور " وقتلوا كل جنودها ولم يتركوا أحداً ينجو بحياته بل وسلبوا أيضاً كل ممتلكات المدينة .

وفي اليوم التالي توجهوا إلى " سارتان " التي نشبت بها معركة شديدة الضراوة، وكانت هذه المدينة تقع على أرض مرتفعة بل كانت سهولها بالغة الارتفاع ، ومن ثم لم يجرؤ أحد على الاقتراب منها أو من القلعة خاصة أن الجدران كانت بالغة الارتفاع ، ومع هذا فقد أصبح بنو يعقوب سادة المدينة إذ تمكنوا من إسقاط أسوار القلعة ، وكان " يهوذا " أول من تسلقها من جهة الشرق و" جاد " من الغرب ، و" شمعون " و" لاوى " من الشمال ، و" رثويين " و" دان " من الجنوب، وأخزم نفتالي ويساكر النيران في مفاصل أبواب المدينة .

وعلى النحو نفسه أخضع بنو يعقوب خمس مدن أخرى وهي " تابواح " و" أربيل " و" شيلواح " و" محاناييم " و" جاعش " ، وقضوا عليها في خمسة أيام، وفي اليوم السادس اجتمع كل الأموريين وأتوا إلى يعقوب وبنيه دون سلاح ساجدين أمامهم ساعين للسلام، وتوصل بنو يعقوب إلى اتفاق مع الكفار الذين تنازلوا لهم عن " تيمنا " وعن أرض " حراريا " ، وتوصل يعقوب في هذا اليوم إلى سلام معهم ، فأعانوا إلى بنى يعقوب الماشية التي كانوا أخذوها وكل الغنائم ، وتوجه يعقوب إلى " تيمنا " ، أما يهوذا فتوجه إلى " أربيل " ، ومن هنا فقد توقف الأموريون عن إزعاجهم^(٢٩٢) .

إسحاق يبارك لاوى ويهوذا

تحل على المرء إذا لم يوف بالقسم في الوقت المناسب ثلاثة ذنوب وهي : الوثنية ، وعدم التحلى بالعفة ، وسفك الدماء. وكان يعقوب مذنباً حينما لم يف بالوعد الذي قطعه على نفسه في " بيت أيل " ، ومن ثم حل عليه العقاب إذ تدنس شرف بنته ، كما

أن بنيه سفكوا دم الآخرين بل واحتفظوا بالأوثان التي كانت بين الغنائم التي أخذوها في شكيم^(٢٩٣) . ومن ثم فحينما سجد يعقوب أمام الرب بعد المعركة العنيفة التي نشبت في شكيم فقد أمره الرب بالنهوض والتوجه إلى " بيت أيل " لتنفيذ القسم الذي قطعه على نفسه هناك^(٢٩٤) . وقبل أن يتوجه يعقوب إلى المكان الذي أمره الرب بالتوجه إليه أخذ الأصنام التي كانت في حوزة أبنائه والأصنام التي كانت راحيل قد استولت عليها من والدها وحطمها قطعاً صغيرة^(٢٩٥) ووضعها تحت شجرة بلوط على جبل الزيتون^(٢٩٦) ، واقتلع الشجرة بيد واحدة وأخفى بقايا الأصنام تحتها ثم وضع الشجرة في موضعها بيد واحدة^(٢٩٧) ، وكان أحد الأصنام المحطمة على صورة حمامة ، وقد وجده فيما بعد السامري وعبدها .

وأقام يعقوب مع وصوله إلى بيت أيل مذبحاً للرب ، ووضع عموداً به استراح لديه في المساء ونام بجواره خلال رحلته إلى حاران^(٢٩٨) ، ثم أمر والديه بالرجوع إلى " بيت أيل " والمشاركة في أضحيته . غير أن إسحاق بعث رسالة إليه جاء بها : ولدي يعقوب أيمكنني مشاهدتك قبل أن أموت ؟ فأسرع يعقوب بالتوجه إليه أخذاً معه لاوى ويهوذا . وحينما تقدم ولداه صوب إسحاق زالت الفشاوة السوداء عن بصره فقال متسائلاً : أهؤلاء أبنائك يا يعقوب ؟ إنهما يشبهانك ، وتسالت روح النبوة إلى فمه فاحتوى لاوى قائلاً : ليقربك الرب أنت ونسلك إليه أكثر من أى أحد حتى تخدمه في معبده كالملائكة ، وسيكون كل الأمراء والقضاة والحكام في خدمة نسل أبناء يعقوب الذين سيعلنون كلمة الرب بصدق ، وسينفذون أحكامه . وقال إسحاق ليهوذا : سيكون أحد أبنائك سيداً على أحد أبناء يعقوب ، وسيحقق خلاص إسرائيل ، وحينما ستجلس على عرش المجد فإن السلام سيسود وسيم أبناء خليلي إبراهيم .

وأخبر إسحاق في القد ولده أنه لن يصعبه إلى بيت أيل لأنه أصبح طاعناً في السن ، وأمره بالآ يتوانى عن تنفيذ قسمه ، وسمح له بأن يأخذ والدته ربييكا إلى الأرض المقدسة ، فتوجهت ربييكا مع مرضعتها إلى بيت أيل^(٢٩٩) .

البهجة والحزن فى منزل يعقوب

وتوجهت ديبورا وبعض خدم إسحاق إلى يعقوب بأمر من والدته فى الوقت الذى كان يقيم فيه مع لابان ، وتوجهوا إليه ليصحبوه إلى منزله بعد انتهاء فترة سنوات خدمته للابان التى كانت تبلغ أربعة عشر عاماً. ولما رفض يعقوب الانصياع فى الحال لأمر والدته عاد اثنان من خدم إسحاق إلى سيدهما غير أن ديبورا بقيت مع يعقوب ومن ثم فحينما توفيت ديبورا فى بيت آيل رثاها يعقوب ودفنها تحت أشجار التمر فى بيت آيل^(٣٠٠) . هذا المكان الذى أتاه بنو إسرائيل عند خصامهم فيما بعد للاحتكام إليها^(٣٠١) .

وبعد مضى فترة قصيرة على وفاة ديبورا توفيت ربيكا ، ولم يصبح يوم وفاتها ذكرى للحداد . وكان سبب هذا أن إبراهيم كان قد توفى فضلاً عن أن إسحاق كان قد كف بصره كما أن يعقوب كان بعيداً عن منزله. ولم يتبق سوى عيساو وهكذا فقد كان هو الوحيد الذى يمكنه أن يرثيها على الملأ وأن يمثل بمفرده عائلتها. وحتى يتم تجنب هذا الوضع فقد تم دفن ربيكا فى المساء .

وتراعى الرب ليعقوب ليواسيه فى حزنه^(٣٠٢)، كما تراءت له كل العائلة السماوية ، وكانت هذه الرؤية علامة على رضا الرب الذى لم يتراء ليعقوب^(٣٠٣) حينما كان أبناؤه يحملون الأصنام . وأخبر الرب فى العين ذاته يعقوب أنه سيرزق ببنيامين ومنشيه وإفرايم الذين قدر عليهم أن يكونوا مؤسسين للقبائل، وأخبره الرب أيضاً أنه سيظهر من صلب هؤلاء الثلاثة ملوك ثلاثة وهم شاول الذى من نسل بنيامين ، و"يربعام" الذى سيكون من نسل "أفرايم" ، و"يهو" الذى سيكون من قبيلة "منشيه" ، وفى هذه الرؤية فقد أكد الرب ليعقوب على أن اسمه سيكون إسرائيل ، وتحقق على هذا النحو الوعد الذى قدمه الملك ليعقوب خلال صراعه معه عند دخول الأرض المقدسة ، وكشف الرب ليعقوب أيضاً أنه سيكون آخر من يرتبط بهم اسم الرب إذ يدعى الرب بمسميات "رب إبراهيم" و"رب إسحاق" و"رب يعقوب" ولا يدعى رب أحد آخر^(٣٠٤) .

وحتى يتم تخليد هذا الوحي الذى تلقاه يعقوب من الرب فقد أقام عموداً حجريا صب عليه أضحية سائلة مثلما فعل الكهنة فى العصور اللاحقة حينما كانوا يقدمون السوائل فى المعبد فى عيد الهيكل^(٢٠٩) ، وكانت السوائل التى قدمها يعقوب فى بيت آيل لا تقل فى كميتها عن مياه بحيرة طبرية^(٢٠٦) .

وحينما توفيت "ديورا" و"ريبيكا" توفيت أيضاً راحيل عن عمر يناهز ستة وثلاثين عاماً^(٢٠٧) ، وقد توفيت بعد أن استجاب الرب لدعوتها بالآ تقضى نحبها إلا بعد أن تنجب ابناً ثانياً ليعقوب ، ومن هنا توفيت عند ولادة بنيامين . وكانت راحيل قد توقفت عن الإنجاب لاثني عشر عاماً ثم صامت اثني عشر يوماً فاستجاب الرب لدعائها ، وحينما أنجبت هذا الولد دعاه يعقوب بنيامين هذا الاسم الذى يعنى "ابن الأيام" إذ رُزق به وهو طامن فى السن^(٢٠٨) ، وولدت معه شقيقة توأم^(٢٠٩) .

وبُقيت راحيل فى الطريق المؤدى إلى الفرات إذ إن يعقوب رأى بفضل نبوءته أن المنفيين من اليهود سيعبرون هذه البقعة وهم فى طريقهم إلى بابل ، وأن راحيل ستطلب عندئذ من الرب أن يشمل برحمته فقراء المنفيين^(٢١٠) . وارتحل يعقوب إلى القدس^(٢١١) .

وحينما كانت راحيل على قيد الحياة كان مضجعا فى خيمة يعقوب الذى أمر بعد وفاتها بنقل مضجع خادماتها "بلهة" إلى خيمته ، مما أثار غضب "رئوبين" فقال : ليس من الكافى أن راحيل استنوت خلال حياتها على حقوق والدتي ؟ فهل يعقل أن يتم الاستيلاء على حقوقها حتى بعد وفاتها ؟ فتوجه وأخذ سرير "لينة" ووضعها فى خيمة يعقوب بدلاً من سرير بلهة^(٢١٢) ، وعلم إخوان رئوبين بما حدث من أشير الذى كان قد علم بهذا الحدث بشكل أو بآخر وأطلع عليه إخوانه الذين قطعوا علاقاتهم معه ولم يعيدوا علاقاتهم معه إلا بعد أن اعترف رئوبين بخطئته^(٢١٣) . وقبل أن يعترف رئوبين بفعلته المشينة مع والده صام وارتدى ملابس رثة وتاب عما فعله . وكان رئوبين أول من صام من البشر للتكفير عن ذنبه ، ولذلك قال الرب له : لم يحدث منذ بدء الخليقة أن أحداً ارتكب ذنباً وكفر عنه على هذا النحو . إنك أول من كفرت عن ذنبك بالصيام ، وسيخرج من نسلك النبى هوشع الذى سيعلمن قائلاً : يا إسرائيل تب عن ذنبك^(٢١٤) .

حملة عيساو ضد يعقوب

وحينما أحس إسحق بدنو نهايته دعا ولديه وأطلعهم على وصيته وباركهما بقوله :
أستحلفكما بالعلی القدير العظيم الواحد الذى خلق السموات والأرض وكل الأشياء
والذى تتقونه وتعبودونه ، أستحلفكما به بأن يحب كل منكما الآخر وألا يحقد عليه حتى
تنعما بالخير للأبد فى كل أعمالكما وألا تتعرضا للفناء .

وعلاوة على هذا أمرهما بأن يُدفن فى مقبرة المكفيلة بجوار والده إبراهيم وفى
القبر الذى كان قد حفره بيديه ، ثم قسم كل ممتلكاته على ولديه فأعطى عيساو
النصيب الأكبر ويعقوب النصيب الأصغر غير أن عيساو قال : بعث حق ميلادى ليعقوب ،
وتنازلت عنه له . فابتهج إسحاق باعتصاف عيساو بحقوق يعقوب فأغضب عينيه
فى سلام^(٣١٥) .

ولم تشهد جنازة إسحاق أى إزعاج إذ إن عيساو كان متأكدًا من حصوله على
نصيبه بما يتماشى مع رغبات والده ، ومع هذا فحينما حل موعد تقسيم ممتلكات
إسحاق بين الأخوين قال عيساو ليعقوب : قسم ممتلكات والدى إلى قسمين غير أن لى
الحق فى اختيار النصيب الذى أشاء لأننى الأكبر . وكان يعقوب يعلم أن ثروات الأرض
مجتمعة لا ترضى الشرير ، ومن هنا قسم الإرث المشترك على نحو جعل كل ممتلكات
إسحاق المادية فى جزء واحد . وفى المقابل فقد شمل الجزء الآخر الأرض المقدسة ،
ومقبرة المكفيلة ، وقبر إبراهيم وإسحاق . واختار عيساو المال وكل الأشياء الأخرى
الخاصة بإسحاق وترك ليعقوب المقبرة والعق فى الأرض المقدسة ، وتم كتابة هذا
الاتفاق ، ومن هنا فقد أصر يعقوب بموجب هذا الاتفاق على خروج عيساو من أرض
فلسطين ، وأذعن عيساو فى نهاية الأمر لهذا المطلب ، فارتحل مع زوجاته وأبنائه وبناته
إلى جبل سعين حيث أقاموا به^(٣١٦) .

وبالرغم من أن عيساو كان قد وافق على ما جاء فى اتفائه مع يعقوب فقد عاد
إلى الأرض لشن الحرب ضد أخيه . وكانت لينة قد توفيت آنذاك وكان يعقوب وأبنائه يرثونها
وينتحبون عليها كما كان بقية أبنائه الذين أنجبته باقى زوجاته يواسونه . وفى غضون
هذه الأحداث أتى عيساو مع جيش يبلغ قوامه أربعة آلاف فرد مسلحين بالأسهم والرماح ،

وكانوا جميعاً يرتدون دروعاً من حديد ونحاس ، وأحاط هؤلاء الجنود بالقلعة التي كان يسكنها يعقوب وأبنائه في ذلك الحين مع خدمهم وأبنائهم ، وكان الجميع مجتمعين بالقلعة ليواسوا يعقوب في وفاة ليئة ، ولم يتوقع أحد منهم أو يشك في أنهم سيتعرضون لهجوم وشيك. وقد حاصر الجيش العظيم قلعتهم ومع هذا لم يتوقع أحد ممن كانوا بداخلها سواء يعقوب أو أبنائه أو خدمه البالغ قوامهم مائتي فرد التعرض لأي سوء. وحينما شاهد يعقوب أن عيساو يأخذ عدته لشن الحرب عليهم وقتلهم بالقلعة ويرمى الرماح عليهم فقد صعد سور القلعة محدثاً عيساو بكلمات ملؤها السلام والصداقة والمحبة قائلاً : أتواسيني على هذا التحرف في وفاة زوجتي التي خطفها الموت مني ؟ أم أن ما تفعله يتماشى مع القسم الذي أديته أمام والدك قبل موتها ؟ إنك انتهكت العهد ، غير أن عيساو أجاب قائلاً : لا يحفظ بنو البشر أو حيوانات الحقل أي قسم يؤدونه إذ إن كلا منهم يتأمر يومياً ضد الآخر بل يسعى كل منهم لقتل الآخر ، وإن أحافظ على علاقتي الأخوية معك إلا بعد أن يغير الخزير جلده أو بعد أن يصبح شعره ناعماً كالحرير أو إذا جعل قرونيه تكبر كقرون الأيائل .

وتحدث يهوذا فيما بعد إلى والده يعقوب قائلاً : حتى متى يمكنك أن تحدث بكلمات ملؤها السلام والصداقة ؟ ألا ترى أنه يهاجمنا كعدو مسلح يسعى لقتلنا ؟ وحينما سمع يعقوب هذه الكلمات أمسك بقوسه وقتل " أدورام " الأيوبي ، وقام فيما بعد بإطلاق سهمه على عيساو فأنساب فخذ يعقوب ، وكان هذا الجرح مميتاً فرفعه أبنائه ووضعوه على حماله وأتوا به إلى " أدوراه " التي دفنوه بها .

وقد انطلق يهوذا صوب جنوب القلعة ، ورافقه نفتالي وجاد اللذان ساعدهما خمسون من خدم يعقوب. أما لاوي ودان فتوجها مع خمسين من الخدم إلى الشرق ، وتوجه رئوبين ويساكر وزبولون مع خمسين من الخدم إلى الشمال ، وتوجه شمعون وبنيامين وإينوخ آخر أبناء رئوبين مع خمسين من الخدم إلى الغرب، وقد أظهر يهوذا شجاعة مفرطة في المعركة فتقدم مع نفتالي وجاد إلى مواقع العدو وتمكنوا من احتلال أحد أبراجهم الحديدية، وتمكنوا بدروعهم من صد السهام التي انهالت عليهم بأعداد ضخمة، ومن صد الصخور والحجارة والسهام التي أظلمت الشمس من كثرتها، وكان يهوذا أول من اقتحم مواقع العدو فقتل ستة من رجاله الشجعان ، وقد رافقه من يمينه نفتالي ، وجاد من يساره ، وقتل كل منهم جنديين ، وقتل خدم كل منهم جندياً ،

ومع هذا لم ينجح هؤلاء الجنود فى إجبار العدو على الخروج من القلعة، ولم ينجحوا فى تحقيق هدفهم حتى حينما أقدموا جميعاً على شن هجوم مشترك ، ولم يحالفهم التوفيق حينما شنوا هجومهم الثالث الذى لم يسفر إلا عن قيام كل منهم بقتل فريدين .

وحينما رأى يهوذا أن العدو لازال متمركزاً بالقلعة وأنه ليس من الممكن إخراجه منها دبت فيه روح الشجاعة والبطولة . وقد وجد يهوذا ونفتالى وجاد صفوفهم واخترقوا صفوف العدو فقتل يهوذا عشرة من جنود العدو ، كما قتل كل من أخوانه ثمانية من الجنود . وحينما رأى الخدم ما يحدث دبت فيهم الشجاعة وانضموا إلى ركب قادتهم وقاتلوا بجانبهم . وكان نفتالى وجاد يقاتلان بجوار يهوذا ومن هنا نجحوا فى إجبار العدو على الفرار من القلعة . ومع هذا فقد تمكن العدو من تنظيم صفوفه وظل صامداً فى مواجهة أبناء يعقوب الذين حل بهم التعب من حدة المواجهة ، ومن ثم لم يمكنهم مواصلة القتال . ولذلك ابتهل يهوذا إلى الرب طلباً للمساعدة فاستجاب الرب لدعائه إذ جعل إحدى العواصف تخرج من مرقدها ، فطاحت هذه العاصفة بالعدو وأغشت أبصارهم فلم يتمكنوا من مواصلة القتال . أما يهوذا وأخوانه فقد كان يوسعهم مشاهدة كل شيء بوضوح ومن هنا أنزلوا الدمار بهم ومزقوا العدو مثلما يفعل المنجل بالحبوب .

ويعد أن أنزلوا الهزيمة بالقوات المتمركزة لدى جنوب القلعة فقد سارعوا بتقديم المساعدة إلى إخوانهم الذين كانوا يدافعون عن الجوانب الشرقية والشمالية والغربية من القلعة . وقد هبت الريح على كل جانب من هذه الجوانب فأغشت بصر العدو ، ومن هنا تمكن بنو يعقوب من إنزال الهزيمة بالعدو . وكان من نتائج هذه المعركة مقتل أربعمائة من جنود العدو وفرار ستمائة كان من بينهم أربعة من أبناء عيساو وهم "روئيل" و"يونيئش" و"لوتان" و"كوراح" . أما ابنه الأكبر "إيفاز" فلم يشارك فى المعركة لأنه كان أحد أتباع يعقوب ومن ثم لم يشهر السلاح فى وجهه .

وقد طارد بنو يعقوب فلول الجيش الفار حتى منطقة "أنورا" التى ترك بها بنو عيساو جسد والدم ، ثم واصلوا فرارهم حتى جبل "سعير" . غير أن بنى يعقوب قضوا الليل فى منطقة "أنورا" ، وأحرقوا - لاحترامهم لوالدهم - بقايا جثة عيساو . وواصلوا فى الغد مطاردة العدو وحاصروه فى جبل سعير ، واستسلم بنو عيساو وكل الهاربين لبنى يعقوب وطلبوا منهم الرحمة حتى توصلوا إلى سلام معهم ، واكتفى بنو يعقوب بأخذ الجزية منهم^(٢١٧) .

نسل عيساو

وكان إلفاز الابن البكر لعيساو هو الأفضل من بين سائر أبنائه خاصة أنه كان قد نعم بتربية جده إسحاق الذي تعلم منه طرق الصديقين^(٣١٨) . ورأى الرب أيضاً أنه يستحق أن يُمنح روح النبوة ومن هنا فإن إلفاز بن عيساو كان هو صديق أيوب . ويفضل احتكاك إلفاز بجيل الآباء فقد ويخ أيوب حينما تجرأ معترضاً على حكم الرب . وكان إلفاز قال له : لقد ظننت نفسك مساوياً لإبراهيم وأنت فعلت المعجزات ، وأنه من الواجب أن يفعل الرب معك ما فعله مع جيل بليلة اللسن . إن إبراهيم صمد في مواجهة عشرة اختبارات ، أما أنت فقد وهنت من اختبار واحد ، وإذا كان الرب قد هزمك من نعمة البصر فإن مجد الرب سيعلو حينما تتفتح عيون من أصابهم العمى ، وإذا خلقك الرب دون سماع فإن الرب سيعلو مجده حينما سيأتى يوم يسمع به الصم . ألا ترى أن الرب أنقذ نوحاً من الطوفان وإبراهيم من المحرقة ، وإسحاق من الذبح ، ويعقوب من الملائكة وموسى من سيف فرعون وإسرائيل من المصريين الذين غرقوا في البحر .

وعقب أيوب على إلفاز قائلاً : انظر ما حدث لعيساو .

غير أن إلفاز أجاب قائلاً : ليس لى شأن به فالأبناء لا يهتمون بذنوب الآباء . وقد لقي عيساو الدمار لأنه لم يفعل الخير كما أن أتباعه سيتعرضون للفناء . وأنا نبى ورسالتى موجهة إليك وليس إلى عيساو ، غير أن الرب ويخ إلفاز قائلاً : لقد حدثت عبدى أيوب بعنف ، ولذلك فإن عوبيدا الذى من نسلك سيصعب نبوءته ضد الأوميين الذين هم من آل بيتك^(٣١٩) .

وكانت تيمناه خليعة إلفاز أميرة من نسل ملكى ، وقد طلبت اعتناق ديانة إبراهيم والانضمام إلى عائلته غير أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب رفضوا طلبها فقالت : أفضل أن أكون مجرد وصيفة فى عائلتكم عن أن أكون سيدة أية أمة أخرى . وكانت مستعدة لتكون مجرد خليعة لإلفاز . وحتى يتم عقاب الآباء على استجابتهم لطلبها فقد أصبحت " تيمناه " والدة " عماليق " الذى أنزل فيما بعد ضرراً عظيماً بإسرائيل^(٣٢٠) .

وكان "أناه" واحداً من نسل عيساو ، وقد واجه تجربة غريبة فبينما كان يرعى قطيع والده من الحمير في الصحراء فقد قادهم إلى إحدى الصحارى الواقعة على ساحل البحر الأحمر في مواجهة المناطق المقفرة لبعض الأمم ، وبينما كان يطعم الحيوانات فقد هبت عاصفة شديدة من الجانب الآخر من البحر فلم تتمكن الحمير من الحركة. وقد أتى فيما بعد حوالي مائة وعشرين حيواناً مخيفاً من المناطق المقفرة وأتت جميعها إلى المنطقة التي كانت الحمير تتجمع بها ، وكان بعض هذه الحيوانات شبيهاً بالبشر وبعضها الآخر في صورة دببة وبعضها في صورة قرود ، وكانت لجميعهم ذيول تتدلى من أكتافهم حتى الأرض ، وركبت هذه الحيوانات الحمير وسارت بها بعيداً ، ولم يره أحد منذ هذا الحين، وكان أحدهم قد اقترب من "أناه" وضربه بذيله ثم فر بعيداً .

وحينما شاهد "أناه" ما حدث تملكه خوف عظيم على حياته ففر إلى المدينة وقص بها كل ما تعرض له. وانطلق كثير من أهل المدينة بحثاً عن الحمير ومع هذا لم ينجح أحد في العثور عليهم. ولم يتوجه "أناه" وإخوانه منذ هذا اليوم إلى المكان ذاته إذ كان الخوف يملكهما على حياتهما^(٣٢١) .

وكان "أناه" نسل سفاح قديم فقد كانت والدته والدة "تسيفعون" . وكما أكد "أناه" نتيجة لسفاح غير طبيعي فقد حاول أن يحقق الجماع على نحو غريب بين الحيوانات، وكان أول ما فعله أنه جعل الحصان يجامع الحمار ومن هنا أسفر جماعهما عن ظهور البغل. أما الرب فقد جعل الشعبان يجامع السلحفاة فأسفر جماعهما عن ظهور حيوان "حباربار" الذي تعد عضته مميتة مثل عضه أنثى البغل^(٣٢٢) .

وخرج من صلب عيساو ويعقوب عدة ملوك غير أنه كانت هناك فروق عظيمة بينهم إذ كان اليهود يخرجون ملكهم من بينهم في حين كان على الآشوريين اللجوء إلى الأغيار للحصول على ملك^(٣٢٣) . وكان الملك الآشوري الأول هو بلعام الآرامي^(٣٢٤) والذي كان يُدعى "بيل". أما خليفته فكان أيوب الذي كان يُدعى "يوياب" وقد أتى من "بصري" ، وتعرضت هذه المدينة فيما بعد للدمار لأنها أمدت أنوم بملك منها، وستكون هذه المدينة أولى المدن التي ستعرض للعقاب عند حلول غضب الرب^(٣٢٥) .

وكانت فترة حكم أنوم قصيرة ، أما حكم إسرائيل فسيطول لعصور طوال لأن علم المسيح المخلص سيرفرف إلى الأبد^(٣٢٦) .

حواشى الفصل الأول

خلق العالم

- (١) سفر المزامير ٩٠ ، ٩١ .
- (٢) يُنظر إلى القنطرة على أنها فاضت من حكمة الرب .
- (٣) فصول الحاخام إليماز . يتحدث كل من التلمود الأورشليمي والبابلى عن أن محكمة الرب تضم بعض الملائكة . راجع التلمود الأورشليمي . باب "براخوت" . والسنهدين .
- (٤) تفسير "يلكوت ريمون" على الفقرة الثالثة من الإصحاح الأول من سفر التكوين .
- (٥) مدراش بريشيت رابا . راجع سفر الجامعة ٢ : ١١ وسفر المزامير ٢٤ : ٢٤٥ .
- (٦) مدراش بريشيت رابا .
- (٧) انظر الصفحات التالية .
- (٨) تفيد بعض الروايات أن الملك ميخائيل هو الذى يحصى إسرائيل فى حين أن روايات أخرى تفيد أن جبريل هو الذى يتولى هذه المهمة .
- (٩) مدراش كونين . ص ٣٧ - ٣٨ .
- (١٠) تطرقت بعض الفقرات الصوفية فى المصادر الروائية المبكرة إلى فكرة أن الرب خلق العالم من طريق الحروف . انظر التلمود الأورشليمي . باب "حاجيجا" .
- (١١) راجع سفر المزامير ١٤٥ : ١٥ .
- (١٢) مدراش الحاخام عقيبا . ص ٢٣-٢٤ . قارن أيضا . سفر الزohar . المجلد الأول . ص ٢ ب ، ١٣ .
- (١٣) سفر التكوين ١ : ١ .
- (١٤) سفر الجامعة ٣ : ١١ .
- (١٥) الفصل الثالث من فصول الحاخام إليماز .
- (١٦) مدراش كونين . ص ٢٤ .
- (١٧) "مدراش بريشيت رابا" . التلمود الأورشليمي . باب حاجيجا ٢ ، ٧٧ .
- (١٨) الفصل الثالث من فصول الحاخام إليماز .
- (١٩) مدراش بريشيت رابا ٢ ، ٦ ، ١١ ، ١٢ .
- (٢٠) انظر الحاشيتين التاليتين :
- (٢١) حتى يمكننا فهم مدلول رقم "سبعة" فى الأساطير اليهودية راجع للفصل الثالث والعشرين من فصول الحاخام إليماز ص ١٤٥ . ب ١٥٥ . ونجد إشارة إلى هذا الرقم لدى الفيلسوف اليهودي "فيلو" فى كتاب De M . Opil ص ٣٠-٢٤ . وفى الجزء الرابع من سفر المكابيين . ويذهب كتاب الزohar إلى أن كل كيان مادي تحده سبعة عناصر من قوته وتحتة ومن يعينه ويساره .

(٢٢) ورد ذكر السموات السبع في "بريشيت رابا" ١٩ : ٧ ، وفي الفصل الأول من فصول الحاخام إليعازر .

(٢٣) يتشابه البحر والياه في القصص اليهودي مع "أبوسو" و "تيامات" في الأساطير البابلية .

(٢٤) يتم العد هاهنا من أعلى إلى أسفل .

(٢٥) وردت سبعة أسماء للجحيم في باب "ميروفين" بالتلمود . ص ١٩ ، ووردت هذه الأسماء في سفر المزامير ١١ : ١٠٠ على نحو مختلف بعض الشيء .

(٢٦) يتماشى هذا الرقم مع عدد الأيام في السنة الشمسية .

(٢٧) فيما يتعلق بهذه الوحوش انظر الهامش رقم ٣٤ .

(٢٨) لمزيد من المعلومات عن الأراضي السبع انظر "ميدراش كوتين" . ص ٣٥-٣٧ ، وكتاب "سيدر رابا دي بريشيت" . ص ٥ - ٢٨ . وتحدث المصائر الأكثر قدماً عن وجود عشر أراضي . انظر أيضاً سفر الأمثال ٨ : ٥٩ ، ٩٠ : ٦١ ، وسفر المزامير ٩٢ : ٤٠٢ ، والفصل الثامن من فصول الحاخام إليعازر .

(٢٩) "بريشيت رابا" ١ : ١٣

(٣٠) كتاب "سيدر رابا دي بريشيت" . ص ٤ - ٥ . قارن أيضاً باب السنهدين في التلمود . ص ١٠٠ ، وسفر المزامير ٣١ : ٢٣٩ .

(٣١) تفسير "بريشيت رابا" ٦ : ٦ .

(٣٢) باب "ناعنيت" في التلمود ص ١٠ ، وباب "بيساحيم" بالتلمود . ص ٩٤ . راجع أيضاً كتاب "شيفع حوخموت" . ص ١ - ١٣ الذي وضعه الباحث "هيرشيسون" . وفيما يتعلق بفهم الحاخامات لأبعاد الأرض انظر "بريشيت رابا" ٦ : ٦ ، والفصل الثالث من كتاب باروخ .

(٣٣) مدراش كوتين ٢٧ ، وتفسير "يالكويت رفويين" على الفقرة الثالثة عشرة من الإصحاح الثاني من سفر اللاويين ، الذي وردت به العبارة التالية : "ينقسم العالم إلى ثلاثة أجزاء : أرض مسكونة وصحراء وبحر ، ويقع الهيكل في الأرض المسكونة . أما التوراة فقد أعطيت في الصحراء ويمنع الخلق من البحر مع تقديم كل أضحية . وتشمل قدرة البحر هذه الأجزاء الثلاثة . وقاد الرب إسرائيل عبر البحر الأحمر والصحراء حتى وصلوا إلى الأرض الموعودة وهي فلسطين .

(٣٤) مدراش كوتين . ص ٢٨ - ٣١ . باب "بابا باترا" بالتلمود ص ٢٥ أ .

(٣٥) باب "جيتين" بالتلمود . ص ٣١ ب . وفيما يتعلق بالرياح راجع كتاب "شيفع حوخموت" لمؤلفه هيرشيسون . راجع أيضاً مقال الباحث "داريندورج" المنشور في مجلة "موناتسشرift" المجلد الثلاثين . ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٣٦) باب "جيتين" في التلمود . ص ٣١ ب . وميدراش "كوتين" ص ٣١ ، و "بريشيت رابا" ٢٤ : ٤ .

(٣٧) سفر المزامير ٢ : ١٦ . قارن أيضاً "بابا باترا" ٢٥ ب .

(٣٨) من الواضح أن تكون هذه اللفظة مشتقة من لفظة شتى العبرية التي تعني اثنين .

(٢٩) مدراش " تنحوما القديم " . الجزء الثالث من ٧٨ . ميدراش " تنحوما كيدوشيم " من ١٠ . وتتكون القصة التي نواجهها الآن من عدة عناصر مقادها أن فلسطين التي هي أرض الرب المفضلة خلقت قبل سائر أجزاء العالم . ميدراش " سفرى دى راف " من ٢٧ ، وميدراش " مخيلتا " . من ١٦٨ . أما باب " يوما " بالتلمود فيذهب إلى أن القدس على الأخص هي التي خلقت قبل أي جزء من أجزاء العالم . انظر أيضاً تفسير " سيدير رابا دى بريشيت " . وكتاب " الزهار " المجلد الثاني . من ١٥١ أ ، والمجلد الثالث من ١٦١ ب و ٢٢١ ب .

(٤٠) مدراش كونيّن من ٢٤ - ٢٥ ، وميدراش " بريشيت رابا " . من ٢ - ٥ . راجع أيضاً سفر المزامير ٥٠ : ٢٧٩ . وتفيد كافة هذه المصادر أن دمار العالم سيبدأ من صهيون متعلماً بدأ الخلق منها .

(٤١) تفيد المصادر اليهودية أن أمير الظلام هو ملاك الموت أوى الشيطان . راجع مدراش " شيموت رابا " ٨ : ٦ و " أوتسار ميدراشيم " . من ٦٤ ب .

(٤٢) مدراش " بيسكتا رباتي " ٢٠ . من ١٩٥ - ١٩٦ ب .

(٤٣) مدراش " بريشيت رابا " ٨ : ٥ .

(٤٤) فصول العاظم إليماز ٤ . انظر أيضاً " فيلو " De M Opil .

(٤٥) فصول العاظم إليماز ٤ .

(٤٦) مدراش " بريشيت رابا " ٤ : ٢ - ٧ الذي يتضمن عدداً من الملاحظات المهمة عن علاقة قبة السماء التي خلقت في يوم الخلق الثاني بالسماء التي خلقت في اليوم الأول .

(٤٧) باب " توسيفتا حاجيجا " ٢ : ٦ .

(٤٨) تفسير " سيدر رابا دى بريشيت " .

(٤٩) مدراش " بريشيت رابا " ٤ : ٦ .

(٥٠) تفسير " هادار " على سفر التكوين ١ : ٩ .

(٥١) انظر الهامش رقم ٤٩ .

(٥٢) تفسير " سيدر رابا دى بريشيت " ٩ ، وتفسير " هادار " على سفر التكوين ١ : ٤ .

(٥٣) " سميرت هبازوت " ٦٣ . انظر التلمود الأورشليمي . باب " مفواه زلراء " . الفصل الثالث . من ١٤٢ أ .

(٥٤) ميدراش " بريشيت رابا " ٤ : ١٦ . راجع أيضاً كتاب De Allegor لفيلسوف فيلون .

انظر أيضاً ميدراش " شموت رابا " ١٥ : ٢٢ .

(٥٥) تستخدم المصادر الربانية لفظة " جيهنوم " للإشارة إلى الجحيم هذا في الوقت الذي تستخدم فيه

اللفظة ذاتها للإشارة إلى جزء واحد فقط من أجزاء جهنم . وكان المصاحفات يطمون بالتركيد أن لفظة " جيهنوم " كانت في الأصل اسم الوادئ الواقع بالقرب من القدس (سفر أرميا ٧ : ٢٢) الذي كان " مولوخ " يُعبد في العصور القديمة . انظر الوصف الكامل لعبادة " مولوخ " في ميدراش " تنحوما " .

(٥٦) باب " سوطا " من ١٠ ب . وترمز أقسام جهنم السبعة إلى عقاب الرب . راجع سفر " الزهار " .

الجزء الثاني . من ١٥٠ ب . ومن المثير أن تلاحظ في هذا الموضع أن سفر الأمثال ٧ : ٥٧ يشير إلى أن جهنم تتكون من أربعة عشر موضعاً .

(٥٧) تتباين الأسماء في الطبقات المختلفة . قارن باب " عيروفين " ط بالتلمود ص ١٩ أ . راجع أيضاً سفر الزامير ١١ : ١٠٠ .

(٥٨) " سيدر رابا دي بريشيت " . ص. ١٥ انظر أيضاً . ميدراش كونهن . ص ٢٥ .

(٥٩) " سيدر رابا دي بريشيت " ص. ١٩ - ٢٠ ، و " بيت هميدراش " . المجلد الخامس . ص ٤٩ - ٥٠ .

(٦٠) " ماسيخت جيهنوم " . ص ١٤٧ .

(٦١) " بريشيت رابا " ١ : ٢ و ٣ : ٨ . يفيد أحد الآراء أن الملائكة خلقت في اليوم الخامس مع سائر المخلوقات المجنحة . راجع أيضاً " شيموت رابا " ١٥ : ٢٢ ، وسفر الزامير ٢٤ ، ٢٠٤ ، ٣٧٣ - ٣٧٤ . أما وجهة النظر الشائعة فهي أن الملائكة خلقت في اليوم الثاني .

(٦٢) فصول إيعازر ٤٠ ، ميدراش كونهن ٢٤ ، ٢٥ . راجع باب " حاجيجا " ١٣ ب - ١٤ ، وميدراش " بريشيت رابا " ٧٨ : ١ .

(٦٣) ميدراش " بريشيت رابا " ٢١ : ٩ ، وميدراش " شيموت رابا " ٢٥ : ٢ . وسفر الزامير ١٠٤ ، و ٤٤٢ . راجع أيضاً " بابا باترا " ص ٩١ أ . وكان من بين ما جاء في ميدراش سفر اللاويين أن كل الملائكة من الذكور ، وأنها لا تتخذ شكل النساء قط . قارن سفر الأمثال ٢١ : ٨٩ . بالرغم من أن المصادر الروائية لا تذكر شيئاً من شكل الملائكة إلا أننا نجد إشارات إلى أحجام الملائكة في المراحل المتأخرة من الأدب الرساني . قارن باب " براخوت " ص ٤ ب ، و باب " حولين " ص ٩١ ب .

(٦٤) التلمود الأورشليمي . باب " عيروفين " ١ : ١٩ . فيما يتعلق بأن الحضرة الإلهية لا تتواجد إلا في حضور عشرة مصليين راجع " السنهدين " ص ٣٩ أ ، و باب " براخوت " . ص ٦ أ . وفيما يتعلق بمراتب الملائكة العشر فلنأخذ إشارات لها إلا في أبيات المصور الوسطى . راجع . موسى بن ميمون ، " يد حازقاه " . باب " يسودي هدا " ٢٠ : ٧ . انظر أيضاً كتاب " الزوهار " المجلد الثاني . ص ٤٢ أ .

(٦٥) فصول العاخم إيعازر . الفصل الرابع ، وسفر " اينوخ " ٩ : ١ .

(٦٦) باب " حولين " . ص ٩١ أ . وميدراش " قنائيم " . ص ٧١ . راجع أيضاً سفر الأمثال ٩ : ٧٥ ، وميدراش " بريشيت رابا " . ص ٥٦ . وكان من بين ما جاء في السنهدين ص ٣٩ أ أن الأتقياء أكثر نقاءً من الملائكة . وقد جاء في التلمود الأورشليمي أن الملائكة ستسأل شمع إسرائيل في العالم القادم عن الأشياء التي علمهم الرب لها . راجع باب " شابات " . ص ٢ .

(٦٧) ورد تشبيه نوافذ السموات كثيراً في كتاب " اينوخ " الذي يعد من الأسفار الفارسية التي لم يتم نسخها سواء للعهد القديم أو الجديد . راجع أيضاً . التلمود الأورشليمي . باب " روش هاشانه " . الفصل الثاني . ص ٥٨ أ .

(٦٨) انظر هامش رقم ١٠٥ .

(٦٩) كان من المعتقد أن هذا النهر من النار يتدفق من عرق الملائكة والحيوانات المحيطة بعرش الرب . انظر . ميدراش " بريشيت رابا " الفصل الثامن والسبعون . ص ١ ، وميدراش " شيموت رابا " الفصل الخامس عشر . ص ٦ .

- (٧٠) "سيدرا رابا دي بريشيت" . من ٢٨ - ٣٠ ، و "ميكلوت" . من ١٦١ - ١٦٢ . تفيد مصادر أخرى أن الملك "ميخائيل" هو الملك الرئيسي الذي ينشد أغاني المديح والثناء على الرب وايس "شامينيل" .
- (٧١) فصول الماخام إليعازر . الفصل الخامس . انظر أيضاً . سفر المزامير ٩٣ ، ٤١٥ .
- (٧٢) فصول الماخام إليعازر . الفصل الخامس . فيما يتعلق بتمرد المياه انظر الهامش التالي .
- (٧٣) باب "بابا بقرا" . من ٧٤ ب . ميدراش "تتحوما" المجلد الرابع . من ٩٧ - ٩٨ . ميدراش "شيموت رابا" ١٥ : ٢٢ ، والمزامير ١ : ١٧ . وتتسم فصول الماخام إليعازر بتأكيداتها على حنين المياه لإطاعة الرب ، وتلك هذه النزعة في إطار الاحتجاج على الرواية الأسطورية الخاصة باحتجاج المياه .
- (٧٤) ميدراش "كونين" ٢٥ ، الذي حاكي في المقام الأول ميدراش "بريشيت رابا" . انظر أيضاً السنهدين من ٢٩ ب . نجد هذه القصة أيضاً في قصة أحيقار ، انظر أيضاً Smend, Alter und Her- kunft des Achikar - Romans. s . راجع "طوف هاترس" من ٩٢ .
- (٧٥) باب "حولين" . من ٦٠ أ . انظر أيضاً Beck, Monatschrift. xdx ٣٠٧ تجد في التلمود الأورشليمي روايتين متناقضتين فتذهب الرواية الأولى إلى أن الأرض اعترضت على مشيئة الرب في حين أن الرواية الثانية تفيد أن الأرض أطاعت الرب بل وجعلت كل الأشجار تثمر غير أن خصوبة الأرض تضاعفت بعد خطيئة آدم .
- (٧٦) ميدراش "بريشيت رابا" ١١ : ٩ . سفر إينوخ ٢١ : ١ . تفيد وجهة النظر الربانية أن الجنة خلقت قبل خلق العالم .
- (٧٧) يوما . ٤٥ أ . ميدراش سفر العدد "بميديار رابا" ١١ : ٣ . لانتضمن المصادر الربانية الكثير من وجود جنة أرضية غير أن الحديث من هذه الجنة يكثر في الأسفار الخارجية وبخاصة في سفر إينوخ .
- (٧٨) وفقاً لما جاء في "بابا باترا" من ١٧٥ أ . وفي فصول الماخام إليعازر من ١٦٢ أ فإن كل صديق يُمنح في الجنة سبع أشجار .
- (٧٩) ورد ذكر هذه الأنهار الأربعة في الكثير من القصص . راجع سفر إينوخ . الفصل الثامن . التلمود الأورشليمي . جزء "عقوداه زاراه" . الفصل الثالث . فيما يتعلق بالنبيذ الذي سيتم حفظه للصديقين راجع . السنهدين من ١٩٩ أ .
- (٨٠) وردت هذه الصورة في التلمود وبخاصة في جزء "بابا متسيا" . من ٤٨ أ .
- (٨١) تمتد أحضان هذه الشجرة حتى نهايات الجنة . انظر سفر الزهار . المجلد الأول . من ١٤٠ أ حيث يتم تفسير ذكر هذه الشجرة على نحو رمزي .
- (٨٢) انظر المجلد الثاني من هذا العمل .
- (٨٣) انظر المجلد الرابع ، وراجع هامش رقم ٧٨ .
- (٨٤) وفقاً لما جاء في كتاب "الزهار" المجلد الأول . من ١٢٥ أ فإن عدن تقع في السماء السابعة .
- وتفيد وجهة نظر أخرى أن القديس تقع في مواجهة الأرض مباشرة . قارن . باب "براخوت" . من ٢٤ ب . والسنهدين . من ١٩٩ أ .

(٨٥) يتم تقسيم المقيمين في الجنة إلى سبع مراتب ، وكثيراً ما تتكرر هذه الرؤية في "ميدراش ثنائيم" ٦ . وفي سفر المزامير ١١ : ١٠ و ١٦ : ١٢٨ ، وفي "ميدراش سفر اللاويين" ٢٠ : ٢٠ . غير أن هذا التقسيم يقتصر على ثلاث مراتب فقط في فصول الآباء للعاهل ثنائيم . وقد يرتبط تباین الآراء بشأن هذه المسألة باختلاف فقهاء اليهود في عدد السموات .

(٨٦) المقصود من لقوا حلقهم نتيجة للاضطهاد الديني . انظر باب "جيتين" بالتلمود ص ٤٧ ب .

(٨٧) باب "حاجيجا" . ص ١٤ ب .

(٨٨) ينتمى إلى هذه الفئة نسل موسى .

(٨٩) يتضمن باب "براخوت" ص ٢٤ ب رؤيتين . وتذهب الأولى إلى أن الترابين يعدون أسمي ممن لم يرتكبوا خطيئة قط في حين أن الرؤية الثانية تتبنى وجهة نظر مخالفة . وفيما يتعلق بالمكانة السامية للأبرياء راجع . باب "ببساخيم" في التلمود . ص ١١٢ أ

(٩٠) "بيورك جان عیدن" . وقد ورد ذكر هذا الأثر في كتاب "يالكوث" . الجزء الأول . ص ٢٠ . تُنسب معظم القصص الخاصة بالجنة وجنهم في التلمود إلى العاهل "يهوشع بن ليفي" الذي تفيد الروايات التلمودية وبخاصة في باب "كتوفوت" ص ٧٧ ب أنه تم السماح له خلال حياته بدخول الجنة ، وقال هذا العاهل وفقاً لما جاء في التلمود "شاهدت في كل ركن من أركان الجنة ثمانين ألف شجرة" . ويعرف الجزء الذي يتضمن هذا الوصف باسم "ماسيخت جن عیدن" .

(٩١) انظر الهامش رقم ٩٧ .

(٩٢) اختلف قدامى فقهاء اليهود بشأن مسألة إذا ما كان جبل التيه سيشارك في العالم الآخر .

(٩٣) حاول في هذا الموضوع نقل معنى هذه الفقرة ، ولم اتزم بحرفيتها .

(٩٤) قارن "مدراش كونهن" ٢٤ .

(٩٥) مدراش "كونهن" ٢٩ .

(٩٦) وفقاً لما جاء في باب "بيما" ص ٤٥ أ فإن لفظة "باز" العبرية التي تعني ذهب تشغل المرتبة الثالثة في أنواع الذهب من ناحية الجودة .

(٩٧) "مسييه دي رابي يهوشع بن ليفي" . ص ٤٨-٤٩ . يشغل المسيح المنتظر مكانة مهمة في وصف حياة الصديقين بالجنة . وتفيد المصادر القديمة أن الانتقاء والآباء والمسيح المنتظر يشعرون بالأسى لعاناة إسرائيل ، وسالون الرب تخليص إسرائيل من المهانة . انظر "شيموت رابا" ١٥ : ٢٦ ، و"مدراش بميدبار رابا" ١٩ : ١٥ و"مدراش إيكرا رابا" ٢ : ١١ . وتتسم هذه المصادر بتأكيد على أن يعقوب هو الأكثر حزناً على ما يقعرض له شعب إسرائيل . راجع أيضاً "ماخزور غيرتي" . ص ١٧ . راجع أيضاً مقال : Gaster, "Hebrew Version of Hell & Paradise" Journal of Royal Asiatic Society. 1893. pp. 571-611.

(٩٨) باب "حاجيجا" . ص ١٢ أ .

(٩٩) جاء في مدراش "ندشا" "خلق الرب عالم النباتات ثم خلق عالم الأجرام السماوية حتى لا يدمى أحد أن هذه الأجرام هي التي خلقت النباتات .

(١٠٠) مدراش ٢٥ - ٢٦ ، ويعتمد هذا الميراش على مصادر أكثر قدمًا. راجع بريشيت رابا ٦ : ٢ ، وياب ٦ : ٦٠ ب . إن تقديم أضحية التكفير في الليلة التي يولد بها القمر يعني الاعتراف بأن الرب تعامل بقسوة مع القمر. راجع. فصول الحاخام إليعازر ١ ، ٤١ . تتحدث هذه المصادر ومصادر أخرى مثل ٢٠ : ٢٦ عن أن الرب عوض القمر عن تصغير حجمه إذ جعله رمزاً لإسرائيل والأتقياء في حين جعل الشمس رمزاً ليعساو والأشرار. كما أنه كافأ القمر بأن جعله يظهر في بعض الأحيان في الصباح في حين أن الشمس لا تظهر في الليل قط .

(١٠١) راجع فصول الحاخام إليعازر ٦ : ١٩ و ٦ : ١٩ دي معسبه بريشيت ٥٠ . إن تشبيه الشمس بالعريس مستقى بطبيعة الحال من سفر المزامير ١٩ : ٦ .

(١٠٢) ١٠ : ٢٦ مدراش هاجابول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ٤١ - ٤٢ . فصول الحاخام إليعازر ٦ : ١٩ دي معسبه بريشيت ٥٩ . زوهار حداس لسيفر بريشيت ٤ : ١٩ ب .

(١٠٣) فصول الحاخام إليعازر ٦ : ١٩ راجع أيضاً سفر إينوخ الثاني . راجع أيضاً ٢٠ : ٢٦ بريشيت رابا ٦ : ٥ و ٦ : ١٩ دي معسبه بريشيت . وجاء في هذه المصادر أن نهراً بالجنة يقود حركة الشمس حتى يقلل من حرارتها ولا تكائن ألفت الأرض .

(١٠٤) فصول الحاخام إليعازر ١٠ : ٥١ و ١٠ : ٥١ دي معسبه بريشيت ٥٠ . فيما يتعلق بنهر النار الذي تستحم به الشمس انظر إينوخ ١٧ : ٤ و ١٨ : ١٨٤ .

(١٠٥) مدراش ٢١ : ٢١ فايقرا رابا ٩ : ٢١ راجع أيضاً ١٠ : ٥١ دي معسبه بريشيت ٥٠ . نجد الرؤية ذاتها في كتاب باروخ الذي جاء به أن الملائكة تخلع كل مساء التاج عن الشمس ، وتأخذها إلى السماء لتعبد بهاءه خاصة أن الشمس تندس عند التفاء أشعتها بالأرض - تتضمن صلاة الصباح في اليهودية إشارة مجازية إلى أنه يتم تجديد الخلق كل صباح .

(١٠٦) زوهار حاداش. بريشيت. ٤ ، ٢٢ أ . وردت فكرة أن اسم الرب منقوش على الشمس في ٢٠ : ٢٦ دي معسبه بريشيت ٥٠ . ورد في الفصل السادس من سفر باروخ أن الطائر الذي يخلق أمام الشمس يعمل على جسده نقشاً بحروف من ذهب. وقد ورد في بعض الميراشيم القديمة وبخاصة في ميراش تنحوما . الجزء الثاني . ص ١١٢ أن صوتاً سماوياً يتردد يومياً في جبل حوريب يقول ١٠ : ٥١ دي معسبه بريشيت ٥٠ .

(١٠٧) بريشيت رابا ٦ : ٧ . راجع أيضاً ٥ : ٩ ، وياب ٢٠ : ٢٠ دي معسبه بريشيت ٤ .

(١٠٨) نيداريم . ص ٨٠ ب ، وياب ٢٠ : ٢٠ ب .

(١٠٩) التلمود الأورشليمي . باب ٤ : ٤ . ص ٦٨ ب .

(١١٠) انظر الصفحات اللاحقة .

(١١١) المقصود هنا أن القمر تخوف من العقاب .

(١١٢) مدراش ١٦ : ١٦ على سفر التكوين ١ : ١٦ . فيما يتعلق بالتفصيل الأقوى لألفاظ الشمس والقمر والفجر راجع ميراش كوتين . ص ٢٥ - ٢٦ .

(١١٣) مدراش كوتين ٢٦ .

- (١١٤) كوتين ٣٦ .
- (١١٥) باب حولين . ص ١٢٧ أ . التلمود الأورشليمي . باب "شابات" ١٤ . فصول الصلحام إليعازر ٢٢ . ص ١١٧ أ .
- (١١٦) مدراش يونا ٩٨ . راجع أيضاً . "مخيلتا" . ص ١٠٩ .
- (١١٧) بابا باترا . ص ٧٤ ب . راجع أيضاً بروشيت رابا . ٧ : ٤ . ميدراش كوتين . ص ٢٦ .
- (١١٨) بابا باترا . ص ٧٤ ب . والنزهار . المجلد الثاني . ص ١٠٨ ب . ميدراش كوتين . ٢٦ . بروشيت رابا . ٧ : ٤ .
- (١١٩) بابا باترا . ٧٤ ب . تصف كثيراً من المدراس مثل "مدراش فايقرا" ٢٢ : ٩ ، و "بميدبار" ٢١ : ١٨ بالوان زامية كميات المياه الفسفة التي تحتاجها هذه الحيوانات .
- (١٢٠) بسيكتا . ٢٩ : ١٨٨ أ . وبابا باترا . ٧٤ ب . وميدراش يونا . ٩٨ .
- (١٢١) بابا باترا . ص ٧٤ ب - ١٧٥ .
- (١٢٢) شابات . . ص ٧٧ ب . أيجرت بعل حاييم . ٢ : ١٢ .
- (١٢٣) بسيكتا ٢٩ : ١٨٨ أ . راجع تفسير مينعات يهوذا لسفر التكوين ٢ : ٢١ .
- (١٢٤) علودا زاراه . ٢ ب . مدراش يونا . ٩٨ . راجع أيضاً الترجمة السبعينية لسفر المزامير ١٠٤ : ٢٦ .
- (١٢٥) بابا باترا . ص ١٧٥ .
- (١٢٦) بابا باترا . ٧٤ ب .
- (١٢٧) بسيكتا ٢٩ . ص ١٨٨ - ١٨٨ ب . بابا باترا . ١٧٥ أ .
- (١٢٨) باب حولين . ٢٧ ب . بسيكتا . ٤ ، ٢٥ أ . ميدراش ترحوما . الجزء الرابع . ص ١١٢ .
- (١٢٩) اشتق اسم هذا الطائر مما ورد في سفر المزامير ٥٠ : ١١ .
- (١٣٠) مدراش "فايقرا رابا" ٢٢ ، ١٠ . بسيكتا . الجزء السادس . ص ٥٨ أ . ميدراش "باميدبار رابا" . ٢١ ، ١٨ .
- (١٣١) راجع الترجمة الآرامية لسفر المزامير ٥٠ : ١١ ، هذه الترجمة التي تعتمد على بابا باترا . ص ٧٢ ب .
- (١٣٢) بابا باترا . ص ٧٢ ب .
- (١٣٣) مدراش "فايقرا رابا" . ٢٢ : ١٠ ، وميدراش "بروشيت رابا" ١٩ : ٤ .
- (١٣٤) باب . جيتين . ص ٢١ ب . وباب "بابا باترا" . ص ٢٥ ب .
- (١٣٥) براخوت . ص ٥٧ ب ، و "ميناحوت" . ص ٦٠ ب .
- (١٣٦) راجع الترجمة الآرامية لسفر أيوب ٢ : ٦ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٩ .
- (١٣٧) فيما يتعلق بهذا الطائر راجع الترجمة الآرامية لسفر أيوب ٢٨ ، ٣٦ .
- (١٣٨) ورد ذكر هذا الطائر الملاق في التلمود في باب "سوكا" . ص ٥ أ . وباب "يوما" . ص ٨٠ أ ، و "براخوت" . ص ٥٧ ب . راجع أيضاً . سيفرا . ١ : ١٤ ، وميناحوت . ص ٦٦ ب .

(١٣٩) مدرّاش "فايقرا رابا" ٢٢، ١٠ الذي ورد فيه أن هذا الطائر فضلاً عن اللويثان ينتمي إلى الحيوانات الطامرة .

(١٤٠) باب "حولين" ص ٢٧ . راجع أيضاً مدرّاش "كونين" ٢٦ .

(١٤١) بابا ياترا .. ص ٧٤ ب .

(١٤٢) بسبكتا. ٦، ٥٨، أ . مدرّاش "فايقرا رابا" ٢٢ : ١٠ . ومدرّاش "ياميدبار" ٢١ : ١٨ .

(١٤٣) مدرّاش "فايقرا رابا" ١٣ : ٢ . راجع أيضاً عقودا زارا. ص ١٠ ب .

(١٤٤) راجع تفسير راشي لسفر أشعيا. ٦ : ٣٠ .

(١٤٥) بابا ياترا. ص ص . ٧٣ ب، ٧٤ ب .

(١٤٦) باب "حولين" ص ٥٩ ب .

(١٤٧) انظر الفقرة التالية .

(١٤٨) مدرّاش تنحوما. المقدمة. ص ١٢٥ . راجع أيضاً تفسير راشي لسفر أيوب ٥ : ٢٣ .

(١٤٩) ميدراش تنحوما. المقدمة. ص ١٢٥ .

(١٥٠) فتوى العاظم مائير من روثنبرج. رقم ١٦٠ .

(١٥١) مدرّاش. "بريشيت رابا" ١٩ : ٥ . مدرّاش تنحوما. المقدمة. ص ١٥٥ . كتاب . ألف باء بن سيرا.

٢٧ | ٢٨ ب - ٢٩ ب .

(١٥٢) راجع الهامش رقم ١٣٤ .

(١٥٣) انظر الهامش رقم ١٠٦ .

(١٥٤) انظر كتاب إينوخ ٢ . الفصل الثاني عشر .

(١٥٥) إينوخ ١٢.٢ : ٥ .

(١٥٦) انظر تعليق راشي على باب حولين . ص ١٢٧ أ .

(١٥٧) السنهدين. ص ٦٣ ب . باب حولين . ص ١٢٧ أ . راجع أيضاً. سيفرا ١١ : ٢٩ .

(١٥٨) الزوهار. الجزء الثاني . ص ٢١١ .

(١٥٩) السنهدين. ص ١٠٨ ب .

(١٦٠) السنهدين. ص ٦٣ .

(١٦١) مدرّاش قنائيم. ص ٢١٩ . راجع "بيساحيم" . ص ١٥٤ أ .

(١٦٢) توسيقتا سوتا. ١ : ١٥ .

(١٦٣) المرجع السابق. راجع أيضاً الهامش رقم ١٦٦ .

(١٦٤) يلكوت . الجزء الثاني . ص ١٨٢ .

(١٦٥) سوتا. ٩ : ٢ .

(١٦٦) شابات. ص ٢٨ . راجع سفر الجامعة. ١ : ٩ .

- (١٦٧) بابا باترا. ص ١٧٤ .
- (١٦٨) توسيفتا پراخوت. ١ : ١١ .
- (١٦٩) انظر الصفحات التالية .
- (١٧٠) راجع الهامش رقم ١٠٠ .
- (١٧١) كتاب ألف باء بن سيرا. ص ٢٥ أ .
- (١٧٢) ألف باء بن سيرا. . ص ٢٥ أ ، ٢٥ ب .
- (١٧٣) المرجع السابق .
- (١٧٤) المرجع السابق. ص ٢٦ - ٢٦ ب .
- (١٧٥) السنهدين. ص ١٠٠ أ .
- (١٧٦) يرد هذا التشكك في نويا نوح في بعض المصادر الأكثر قدماً. راجع الهامش رقم ٤٦ .
- (١٧٧) راجع كتاب العيون لأرسطو. الجزء الخامس. ص ٤٧ .
- (١٧٨) كتاب ألف باء بن سيرا. . ص ٢٦ ب - ٢٧ أ . راجع أيضاً السنهدين. ص ١٠٨ ب ، ومدراش
 " بريشيت رابا " . ص ٣٦ .
- (١٧٩) كتوبات . ص ٤٩ ب . ميراش " فليقرا رابا " ١٩ : ١ .
- (١٨٠) ببساحيم . ١١٣ ب .
- (١٨١) مدراش " فليقرا رابا " . ١٩ .
- (١٨٢) كتاب ألف باء بن سيرا . ص ٢٤ أ
- (١٨٣) المرجع السابق. . ص ٢٦ ب .
- (١٨٤) المرجع السابق. ص ٢٥ أ
- (١٨٥) مدراش " بريشيت رابا " ١٩ : ١ .
- (١٨٦) المزامير. ٥٨ : ٣٠٠ .
- (١٨٧) يرى الأدب الرباني أن ملاك الموت هو الشيطان. راجع " بابا باترا " . ص ١٦ أ .
- (١٨٨) راجع الهامش رقم ١١٥ .
- (١٨٩) من أحد معاني القلب في العبرية العقل .
- (١٩٠) كتاب ألف باء بن سيرا. ص ٢٧ أ - ٢٨ ب .
- (١٩١) شابات . ص ٧٧ ب .
- (١٩٢) عيروفين. ص ١٠٠ ب .
- (١٩٣) توسيفتا يوما. ٢ . ٥ .
- (١٩٤) راجع Steinschneider. Hebraische Bibliographie. XIII. SS 103, 106 .

حواشي الفصل الثاني

آدم

- (١) فصول الآباء ٥ : ١ . روش هاشاناه . ص ٢٢ أ . مدراش "بريشيت رابا" . ١٧ : ١ .
- (٢) ترسيقتا سنهدين . ٨ : ٧ - ٨ .
- (٣) الفباء العاظم عقيفا . ص ٥٩ .
- (٤) فصول آباء العاظم ثلثان . ٣١ . ص ٩١ - ٩٢ . راجع . آجادات عولام كاتان . ص ٥٧ - ٥٩ .
- (٥) بيركه أوتس .
- (٦) مدراش "بريشيت رابا" ٧ : ١١ ، ١٢ . باب حاجيجا . ص ١٦ أ . مدراش تانيم . ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- (٧) يلكوت وثوبين على سفر التكوين ١ : ٢٦ . راجع أيضاً . بريشيت رابا . ١٢ : ٨ ، ومدراش "فايكرا رابا" ٩ : ٩ ، والزohar . المجلد الثالث . ص ٢١٩ ب .
- (٨) تتكرر كثيراً في الآب الرباني فكرة أن العالم خلق من أجل إسرائيل . راجع . بريشيت رابا ١ : ٤ ، وميدراش تنحوما . الجزء الرابع .
- (٩) بريشيت رابا . ٥ : ٥ . راجع أيضاً . ميدراش يونا . ص ١٠٢ - ١٠٣ . الزohar . المجلد الثالث . ص ١٩٨ ب . راجع أيضاً . موسى بن ميمون . دلالة العائرين . القسم الثاني . ص ٢٩ .
- (١٠) يلكوت . ١٠ ، ١٧ . بن سيرا . ص ٣٢ ب .
- (١١) شابات . ص ٨٨ أ . سفر الجامعة . ١ : ٤ .
- (١٢) بريشيت رابا . الجزء الثامن . ص ٢ - ٩ . التلمود الأورشليمي . باب براخوت . ص ٩ ، ١٢ ، السنهدين . ٢٨ . على خلاف الرؤية القائلة بأن القوى الشريرة هي التي خلقت الإنسان فإن القصص اليهودية تؤكد على أن الملائكة لم تتدخل البتة في خلق الإنسان .
- (١٣) مدراش كونين . ص ٢٦ - ٢٧ . تفيد المصادر اليهودية أن ميخائيل خلق من النار في حين أن جبريل خلق من الثلج . راجع الترجمة الآرامية لسفر أيوب . ٢٥ : ٢ .
- (١٤) يفيد مدراش "كونين" أن ميخائيل ولبس جبريل هو الذي أحضر التراب لخلق جسد آدم .
- (١٥) فصول العاظم إليماز . ١١ . باب السنهدين . ص ٢٨ أ - ٢٨ ب . فيما يتعلق بفكرة أن وجود الإنسان لا يتحقق إلا بفضل رحمة الرب . راجع . مدراش "بريشيت رابا" ٨ : ٤ .
- (١٦) مدراش "بريشيت رابا" ١٤ : ٨ . فصول العاظم إليماز . ١١ ، ١٢ ، ٢٠ .
- (١٧) مدراش "بريشيت رابا" ٨ : ١ .
- (١٨) مدراش "بريشيت رابا" ١٤ : ٩ . راجع أيضاً . مدراش "فايكرا رابا" ٢٢ : ٢ ، ومدراش "دقاريم رابا" ٢ : ٧٣ .

- (١٩) مدراش "تتحموا" . بيكودي ٣ . وجاء في هذا المدراش أن كل أرواح البشر تعد جزءاً من روح آدم .
- (٢٠) مدراش تتحموا . بيكودي ٣ . جاء في الزohar . المجلد الثاني . ص ١١ - ١١ ب أن جبريل هو المسئول عن الروح .
- (٢١) مدراش بريشيت رابا . ١٤ : ٧ . باب حولين . ص ١٦٠ . سيفرا . ٥ : ١٧ . مدراش باميدبار رابا . ١٠ : ٢ ، وبريشيت رابا . ٢٠ : ١١ .
- (٢٢) بريشيت رابا . ٨ : ١ . باب حاجيجا . ١٢ : ١ . فصول الحاخام إليماز . ١١ .
- (٢٣) بيركي رابينو هككوش . ص ١٦ ب . باب "سوتا" ص ١٠ أ .
- (٢٤) باب "بابا باترا" . ص ٥٨ أ . مدراش . "فايكرا رابا" ٢٠ : ٢ . ومدراش "تتحموا" الجزء الثالث . ص ٥٧ .
- (٢٥) باب "براخوت" ص ١٠ أ . مدراش "فايكرا رابا" ٤ : ٨ . باب السنهدين . ص ٩١ ب .
- (٢٦) جاء في "مدراش كوهيليت رابا" ٢ : ١٢ أن الرب استشار الملائكة بشأن خلق كل عضو من أعضاء جسد الإنسان . جاء في ص ٦١ أ من مدراش "شعيب تصريع" أن عدد أعضاء الشرايين في الإنسان يتوافق مع عدد الأيام في السنة الشمسية . انظر أيضاً الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ١ : ٢٧ .
- (٢٧) سيفر هولام . ص ٣٠ . باب السنهدين . ص ٢٨ ب . وباب "عفوداه زاراه" ص ٥ أ . تتحدث كل هذه المصادر سالفة الذكر عن أن الرب أظهر لأدم كتاباً يتضمن سجلاً بأعمال كل الأجيال اللاحقة .
- (٢٨) مدراش باميدبار رابا . ١٤ : ١٢ . ووفقاً لما جاء في باب "بيباموت" ص ٥٤ ب فقد تحدد منذ عصر داود أن يعيش الإنسان سبعين عاماً فقط . راجع أيضاً . الزohar . المجلد الأول . ص ١٦٨ أ .
- (٢٩) مدراش بريشيت رابا . ١٨ : ٤ ، ومدراش كوهيليت رابا ٧ : ٢٢ .
- (٣٠) مدراش ليكح طوف على سفر التكوين ٢ : ١٩ .
- (٣١) مدراش بريشيت رابا . ٢٤ : ٧ . مدراش تانحموا . ١ : ٤ .
- (٣٢) باب "براخوت" . ص ١٣١ أ .
- (٣٣) فصول الآباء . ١ : ٨ .
- (٣٤) فيما يتعلق بفكرة أن الشيطان اثنى عشر جناحاً راجع فصول الحاخام إليماز ١٢ . وازيد من المعلومات عن أجنحة الملائكة راجع "باتي ميدراشوت" . المجلد الرابع . ص ٥ .
- (٣٥) انظر Bousset. Religion. P. 386 . ترى المصادر الأكثر شجماً مثل إينوخ الثاني أن الشيطان طُرد من الجنة لغيفته من الرب . وأنه حاول أن يقيم عرشاً فوق السماء ليكون مثل الرب .
- (٣٦) فصول الحاخام إليماز . ١١ .
- (٣٧) مدراش بريشيت رابا . ٨ : ١٠ ، ومدراش كوهيليت رابا ٦ : ١٠ . انظر أيضاً الزohar . المجلد الأول . ص ١٣٨ أ .
- (٣٨) فصول الحاخام إليماز ٣ ، ومدراش "بريشيت رابا" ١٧ : ٤ .

- (٢٩) مدراش بريشيت رابا. ١٧ ، ٤ . وجاء في مدراش هجابول لسيقر بريشيت أن أنم لم تراوده الرغبات الجنسية إلا بعد أن شاهد حواء غير أنه قد ورد في باب " يياموت " ص ١٢ أنه كانت لأنم علاقات غير طبيعية مع الحيوانات قبل خلق حواء .
- (٤٠) ألف ياء بن مسيرا. ص ٢٢ - ١ ٢٢ - ب ، و ٢٢ - ١ ٢٢ - ب . اسم مصر في العبرية متسرايم ، وتم تفسير هذا الاسم على أنه يعنى من يسطهدون .
- (٤١) مدراش هجابول لسيقر بريشيت. الجزء الأول . ص ٨٢ . باب " عفوداه زاراه " . ص ٧٣ .
- (٤٢) مدراش بريشيت رابا. ٨ : ١ و ١٧ : ٦ . باب " براخوت " ص ٦١ أ ، وباب " هيرولين " . ص ٨١ أ .
- (٤٣) مدراش بريشيت رابا. ٨ : ٢ .
- (٤٤) مدراش بريشيت رابا. ١٨ : ٢ . باب " براخوت " . ص ٦١ و " نيداه " ص ٤٥ .
- (٤٥) مدراش بريشيت رابا. ١٨ : ٨ . فصول الآباء ٩ . ص ٢٤ - ٢٥ . باب " كيدوشين " ص ٢ ب . باب " شابات " ص ٢٩ ب - ٢٢ أ
- (٤٦) مدراش بريشيت رابا. ١٨ : ٧ . فصول لعاخام إلعازر. ٨ . ص ٢٤ . باب السنهدين ص ٢٩ أ .
- (٤٧) مدراش بريشيت رابا. ١٨ : ٤ ، ومدراش تهيليم . ١٠٦ .
- (٤٨) مدراش هجابول لسيقر بريشيت ١٢ . مدراش تتحوما . الجزء الأول. ص ٨٢ ، ٨٦ ، مدراش كوهيليت ٧ : ٢ ، ومدراش تهيليم ٢٥ . ص ٢١٣ - ٢١٤ . باب " بابا باترا " ص ٧٥ أ . الترجمة الأورشليمية سفر التثنية ٢٤ : ٦ .
- (٤٩) زومار حداش. التكوين ٢٤ : ٣ .
- (٥٠) إمري نوعام ومدراش هادار سفر التكوين ٣ : ٢٢ . وردت إشارة لعجم هذه الشجرة في بعض المصادر الأقدم مثل " بريشيت رابا " ١٥ : ٦ ، ومدراش تهيليم ١ : ١٨ . راجع أيضاً تفسير الصاخام بهيا سفر التكوين ٢ : ٩ إذ ذهب إلى أن شجرتي المعرفة والحياة كانتا تقمان وسط الجنة إذ كانت جنورهما واحدة في حين أن فروع كل شجرة كانت مستقلة عن الأخرى .
- (٥١) مدراش بريشيت رابا ١٦ : ٤-١ .
- (٥٢) مدراش بريشيت رابا ١٣ : ٩ .
- (٥٣) باب حولين ٦٠ ب .
- (٥٤) مدراش بريشيت رابا ١٦ : ٥ وفصول الآباء ٢١ : ٤٤ .
- (٥٥) سبتر حوام ٥ ، وباب " السنهدين " ص ٥٦ أ و " توسيفتا عفوداه زاراه " ص ٨ .
- (٥٦) باب السنهدين . ص ٥٩ ب . كتاب " الزومار " المجلد الأول ص ٢٨ أ .
- (٥٧) جاء في مدراش بريشيت رابا ١٩ : ٥ أن حواء كانت ترمى الحيوانات .
- (٥٨) راجع 1, 1.4 Josephus. Antiqui.
- (٥٩) انظر الهامش رقم ١١٢ .
- (٦٠) مدراش بريشيت رابا ١٩ : ١٩ ، ومدراش كوهيليت رابا. ١ : ١٨ . باب السنهدين . ص ٥٩ ب .
- (٦١) فصول إلعازر. ١٣ . مدراش بريشيت رابا. ١٩ : ٣-٤ . باب السنهدين . ص ٢٩ أ .

- (٦٢) مدارش بريشيت رابا. ١٩ : ٤ .
 (٦٣) فصول الآباء ١٠ : ٤ .
 (٦٤) تفسير اين سببا لسفر التكوين ٣ : ٦ .
 (٦٥) فصول إيعازر ١٠ : ٦٠ .
 (٦٦) مدارش بريشيت رابا ١٩ : ٥ .
 (٦٧) ألف باء بن سيرا. ص ٢٨٠ ، ٢٩١ - ٢٩٠ ب و ٣٦١ .
 (٦٨) فصول إيعازر ١ : ٦ .
 (٦٩) فصول إيعازر ١٤ . الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٣ : ٧ .
 (٧٠) مدارش بريشيت رابا ١٥ : ٧ .
 (٧١) مدارش هجابول لسيفر بريشيت ١ : ١٩ .
 (٧٢) بريشيت رابا ١٩ : ٨ .
 (٧٣) مدارش بريشيت رابا ١٢ : ٦ .
 (٧٤) بسيكتا ٥ : ٤٤ .
 (٧٥) مدارش هجابول لسيفر بريشيت. المجلد الأول. ص ٩٣ . راجع أيضاً الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٣ : ٩ .
 (٧٦) ألف باء العاخم عقيفا. ص ٥١ .
 (٧٧) مدارش بريشيت رابا. ١٩ : ٩ .
 (٧٨) مدارش تنوما. الجزء الثالث. ص ٣٩ . راجع أيضاً . السنهدين ص ٢٨ ب .
 (٧٩) فصول العاخم إيعازر. ١٤ . ميدراش هجابول لسيفر بريشيت. . الجزء الأول . ص ٩٣ .
 (٨٠) مدارش بريشيت رابا. ١٧ : ٤ .
 (٨١) مدارش تنوما. الجزء الثالث. ص ٣٩ . راجع أيضاً. زومار حاداش لسيفر بريشيت. ص ٢٤٤ .
 (٨٢) مدارش تنوما. الجزء الثالث. ص ٣٩ .
 (٨٣) فصول الآباء العاخم ثاتان. ٤٢ ، ١١٧ .
 (٨٤) مدارش بريشيت رابا. الجزء العشرون. ص ٤ - ٥ .
 (٨٥) باب ميروفين. ص ١٠٠ ب . راجع أيضاً فصول الآباء العاخم ثاتان. ١ ، ٤ . ترى كل المصادر أن حبش حواء كان نتيجة لخطيئتها وتناولها الثمرة المحرمة . وتفيد كل المصادر اليهودية أن جميع الكائنات سيفر لها في العالم الآخر باستثناء الأقمى .
 (٨٦) مدارش بريشيت رابا. . الجزء العشرون. ص ٦ . ياب * سوتا * من التلمود الأورشليمي. ص ٨ .
 ميدراش تهلليم رابا. ٩ : ٨٦ .
 (٨٧) فصول الآباء للعاخم ثاتان. ٤٢ : ص ١١٦ - ١١٧ .
 (٨٨) مدارش بريشيت رابا. ٥ : ٩ .
 (٨٩) زومار حاداش بريشيت . ص ٢٤ ب .

- (٩٠) فصول الآباء للحاخام ناثان. ٤٢ ، ١١٧ .
- (٩١) مدراش بريشيت رابا . ٢٠ : ١٠ . باب بيساحيم . ص ١١٨ أ .
- (٩٢) انظر الصفحات اللاحقة .
- (٩٣) فصول الحاخام إيعازر . ٢٠ راجع أيضاً الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين . ٢ : ٢١ .
- (٩٤) مدراش بريشيت رابا . ٢١ : ٩-٥ .
- (٩٥) مدراش هجانول لسيقر بريشيت . الجزء الأول . ص ١٠٦ .
- (٩٦) ورد في سفر إينوخ أن شجرة الحياة ستُحفظ للصديقين في العالم الآخر . راجع أيضاً مدراش هجانول لسيقر بريشيت . الجزء الأول . ص ١٢٧ .
- (٩٧) بيسيكتا الحاخام كهانا ٢٢ . ص ١٥٠ ب . راجع أيضاً باب السنهدين . ص ٢٨ ب ، ومدراش فايكرا رابا . ١٩ : ١ .
- (٩٨) مدراش تانموما . الجزء الأول . ص ١٢ . ومدراش بريشيت رابا . ١١ : ٩ .
- (٩٩) فصول الآباء . ٥ : ٩ . راجع أيضاً مدراش تانيم . ص ٢١٩ ، وبيساحيم . ص ١٥٤ أ .
- (١٠٠) زهار حاداش . سفر التكوين ٢ : ٤ . ص ٢٢ أ .
- (١٠١) سيدر رابا دي بريشيت . ص ٧-٨ .
- (١٠٢) سفر اليبويل . الجزء الثاني . ص ١٧-٢٠ . فيما يتعلق بفكرة أن الملائكة تروح أيضاً يوم السبت . راجع "تيكونيم" . ص ٤٨ ، ١٨٦ أ .
- (١٠٣) فصول الحاخام إيعازر . ١٩ . راجع أيضاً مدراش تهيلم . ٩٢ ، ٤٠٤ .
- (١٠٤) مدراش بريشيت رابا . ١١ : ١ و ١٢ : ٦ .
- (١٠٥) مدراش بريشيت رابا . ١٢ : ٦ ، وميدراش تانموما . ١ ، ١٣ .
- (١٠٦) راجع مدراش بريشيت رابا . ١٦ : ٤ .
- (١٠٧) باب عفودا زاراء . ص ١٨ أ .
- (١٠٨) المرجع السابق . راجع أيضاً فصول الآباء للحاخام ناثان . ١ ، ٧ .
- (١٠٩) مدراش بريشيت رابا . ٢٤ : ٩ . راجع أيضاً فصول الحاخام إيعازر ٢٣ ، ٣١ . انظر أيضاً الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين . ٨ : ٢٠ .
- (١١٠) انظر الزهار . المجلد الأول . ص ٣٧ ب ، و ١١٨ أ . راجع أيضاً مدراش بريشيت رابا . ٧٩ : ٦ ، وميدراش كوهيليت رابا . ١٠ : ٨ .
- (١١١) راجع Vita Adee . P. 30 .
- (١١٢) المرجع السابق . ص ٣١ .
- (١١٣) المرجع السابق . ص ٢٤-٢٩ ، وميدراش . سيفرا ٣٦ : ٦ .
- (١١٤) المرجع السابق . ص ٤٠-٤٢ .
- (١١٥) المرجع السابق . ص ٤٤ .
- (١١٦) Apocalypse of Moses . PP. 15-30 .

- (١١٧) المرجع السابق. ص ١٦ .
- (١١٨) المرجع السابق. ص ١٧-١٨ .
- (١١٩) المرجع السابق. ص ١٩ .
- (١٢٠) المرجع السابق. ص ٢٠ .
- (١٢١) المرجع السابق. ص ٢١ .
- (١٢٢) انظر الهامش رقم ٧٠ .
- (١٢٣) انظر الصفحات التالية .
- (١٢٤) مدراش بريشيت رابا . ٢٠ : ٤ ، ومدراش بميدبار رابا . ١٤ : ١٢ .
- (١٢٥) باب يوما ، ص ٣٩ .
- (١٢٦) جاء في الجزء الثاني من كتاب إينوخ أن الرب يقيم تحت شجرة الحياة . أما كتاب الزohar الذي يعد أهم كتاب تصوف في تاريخ الفكر اليهودي فيؤكد أن الحضرة الإلهية هي التي تقيم تحت هذه الشجرة .
- (١٢٧) انظر الهامش رقم ١١٣ .
- (١٢٨) The Jewish Encyclopedia. Vol. 1 P. 70 .
- (١٢٩) باب "تجاعيم" . ١٠ : ٤ ، وميدراش سيفرا . ١٣ : ٤ .
- (١٣٠) باب "كيدوشين" ، ص ٣٠ حيث يوصف الشيطان باسم القبيح .
- (١٣١) راجع سفر إينوخ ٦٩ ، ٦ .
- (١٣٢) يُعرف هذا الملاك باسم ملاك البشر لتشابهه مع الإنسان. باب "بيراخوت" . ص ٢٨ ، راجع أيضاً .
- فصول الحاخام ناثن . ٢٥ ، ٣٩ .
- (١٣٣) باب "سوكا" . ص ٢٩ ، ١ .
- (١٣٤) الزohar . المجلد الثالث. ص ١٦ الذي جاء به أن كل الأرواح لابد أن تمر عبر نهر من نار ، وهكذا فإن الصديقين يتطهرون في حين أن الأشرار يتم على هذا النهر عقابهم. أما مدراش كوين فجاء به أن أرواح الصديقين تستحم في مائتين وثمانية وأربعين نهراً إذ أن كل نهر يتولى تطهير كل عضو من أعضاء جسم الإنسان .
- (١٣٥) يجب أن ننتبه هنا إلى أن الزohar (المجلد الثاني ص ٢٥٦) يشير إلى أن ثلاثة ملائكة سماوية تحيط بسرير موت كل إنسان .
- (١٣٦) راجع كتاب آدم . الجزء الأول. ص ٧٩ .
- (١٣٧) Apocalypse of Moses. P. 40 .
- (١٣٨) المرجع السابق. ص ٤١-٤٥ .
- (١٣٩) المرجع السابق. ص ٤٢-٤٣ .
- (١٤٠) المرجع السابق. ص ٤٣ .
- (١٤١) مدراش تنحوما . الجزء الأول. ص ٢١ .
- (١٤٢) المرجع السابق. راجع أيضاً . الزohar . المجلد الأول . ص ٤٥ ، ٨١ ، ٦٥ ، ١٢٧ ، ١ .

حواشي الفصل الثالث

الأجيال العشرة

- (١) فصول الأبناء ٥ ، ٢٢ . راجع فصول الحاخام ناثان . ٣٢ ، ٩٢ .
- (٢) مدراش بريشيت رابا . ٢٨ ، ٤ . باب " حاجيجا " ص ١٢ ب . فصول الحاخام ناثان . ٣١ ، ٩٣ . باب شابات . ص ٨٨ ب . ميدراش كوفيت . ١٠ ، ١٥٠ . ميدراش تهليلم . ٩٠ ، ٣٩٢ .
- (٣) فصول الحاخام إيلعازر . ٢١ . انظر أيضاً مدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ٨٨ - ٨٩ . باب " شابات " . ص ١٤٦ أ . باب " يياموت " . ص ١٠٣ ب . باب عقوباء زلواء . ص ٢٢ ب . الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين . ٤ : ١ . الزوهار . المجلد الأول . ص ٣١ أ .
- (٤) . *Vita Adae* (٤)
- (٥) المرجع السابق . ص ١٩ - ٢١ .
- (٦) المرجع السابق . ص ٢١ .
- (٧) المرجع السابق . ص ٢١ - ٢٢ .
- (٨) يشار بريشيت . ص ١٩ .
- (٩) . *Vita Adae* 22 (٩)
- (١٠) أجدات شيرهاشبريم ٦ ، ٤٠ . انظر أيضاً مدراش هجادول . الجزء الأول ١٧٠ . يشار بريشيت . ص ١٩٠ . راجع أيضاً تفسير راشي لسفر التكوين ٤ : ٤ .
- (١١) فصول إيلعازر . ٢١ . راجع مدراش هجادول لسفر بريشيت . الجزء الأول . ص ١٠٦ - ١٠٧ . والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين . ٤ : ٢ ، وميدراش بريشيت رابا . ٢٢ ، ٤ .
- (١٢) مدراش بريشيت رابا . ٢٢ ، ٥ . وفصول الحاخام إيلعازر . ٢١ . يشار بريشيت . ص ١٩ . زوهار حاداش لسيفر بريشيت . ص ١٢٤٠ .
- (١٣) مدراش بريشيت رابا . ٢٢ ، ٦ .
- (١٤) المرجع السابق . انظر أيضاً ميدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ١٠٧ .
- (١٥) انظر ما تقدم في الفصل الأول عن خلق العالم .
- (١٦) الترجمات الأورشليمية لسفر التكوين ٤ ، ٨ .
- (١٧) ميدراش بريشيت رابا . ٢٢ ، ٧ . فصول الحاخام إيلعازر . ٢١ .
- (١٨) يشار بريشيت . ص ٩ . وميدراش شيموت رابا . ٣١ ، ١٧ .

- (١٩) مدراش بريشيت رابا. ٢٢، ٨. وأجادات شيرماشيريم ز ٧، ٤٣ و ٩١ - ٩٢ .
- (٢٠) مدراش بريشيت رابا. ٢٢، ٨. راجع أيضاً . الزohar. المجلد الأول. ص ٥٤ ب .
- (٢١) مدراش بريشيت رابا. ٢٢، ٩. باب السنهدرين ٤٠، ٥ .
- (٢٢) مدراش تنحوما بريشيت. ٩، ومدراش بريشيت رابا. ٢٢، ١٠ .
- (٢٣) يشار بريشيت. ص ٩ ب . راجع أيضاً مدراش تهيلم . ٢٢ .
- (٢٤) مدراش تنحوما لسيفر بريشيت. ٩ . مدراش هجادول لسيفر بريشيت. ١، ١١٢ .
- (٢٥) مدراش بريشيت رابا. ٢٢، ١١ .
- (٢٦) مدراش تنحوما. ص ١٥٧، ومدراش بريشيت رابا. ٢٢، ١٢ - ١٣ .
- (٢٧) فصول إيمارز. ٢١ . الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ٤ : ١٥ .
- (٢٨) مدراش بريشيت رابا. ٢٢، ١٢ - ١٣ . وقد وردت في هذا المدراس سبعة آراء بشأن علامة قابيل وهي (١) أن الرب جعل الشمس تسطع كعلامة على أن قابيل لن يلقى مصرعه على أيدي الحيوانات. (٢) أن الرب أحل عليه مرض الجذام. (٣) أن الرب جطه يسير في صحبة كطلب ليحميه من الحيوانات الضالة (٤) أن الرب وضع قرناً على ناصية رأسه حتى تكون علامة على ازدرائه. (٥) أنه عاقب قابيل (٦) أنه غفر له بعض الشيء حتى يتوب المذنبون عن أفعالهم. (٧) أنه سمح له بالعيش حتى الطفولة. وردت بعض هذه الآراء في مدراش تنحوما لسيفر بريشيت. ١٠ .
- (٢٩) مدراش أجاداه لسيفر بريشيت. ٤، ١٦ .
- (٣٠) مدراش تنحوما. ص ١٥٨ .
- (٣١) مدراش تنحوما. بريشيت. ١٠ . فصول الماخام إيمارز ٢١ . مدراش بريشيت رابا. ٢٢، ٨ .
- ورد في التراث الرياني أنه بينما كانت الأرض مسطحة فقد أصبحت للجبال تمها كقطب لسيلان دم هايبيل عليها .
- (٣٢) انظر الصفحات اللاحقة .
- (٣٣) ورد ذكر هذه المنتجات السبعة في سفر التثنية ٨ : ٨ . راجع أيضاً . باب 'براخوت' . ٦، ٤ .
- (٣٤) الزohar. المجلد الأول. ص ٩ ب ، والمجلد الثاني . ص ٨٠ أ .
- (٣٥) انظر كتاب باروخ اليوناني. المجلد الثالث .
- (٣٦) زohar حاداش بريشيت. ص ١٨ ب . راجع أيضاً . الزohar. المجلد الأول. ص ٩ ب، ٣٩ ب-١٤ .
- ١٥٧، ١ .
- (٣٧) الزohar. المجلد الأول. ص ١٣ - ٢ ب . راجع أيضاً . زohar حاداش بريشيت. ص ١٨ - ٨ ب ، ومدراش روٹ. ص ٩٧ ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٢٢، ٤ .
- (٣٨) مدراش أجاداه . التكوين ٤، ١٧ .
- (٣٩) يشار بريشيت. ص ٩ ب .
- (٤٠) راجع الهامشين ١١، و ٣٧ .

- (٤١) Josephus. Antiqui. Vol. 1. P. 22 .
- (٤٢) مدراش بریشیت رابا. ٢٢ ، ٢ .
- (٤٣) راجع الهامش رقم ٢٨ .
- (٤٤) مدراش تانحوما بریشیت ١١ . مدراش هجانول لسيفر بریشیت. الجزء الأول. من ١١٨-١١٩ . راجع أيضاً تفسیر راشی لسفر التكوين ٤ : ٢٢-٢٤ .
- (٤٥) مدراش بریشیت رابا. ٢٢ ، ٢-٢ ، ویاشار بریشیت. ص ١٠٠ . باب " پیاموت " بالتلمود الأورشليمی. من ٦ - ٧ . مدراش أجاداه . سفر التكوين ٤ ، ٢٢ .
- (٤٦) مدراش بریشیت رابا. ٢٢ ، ٤ .
- (٤٧) باب میرونین . من ١٨ . مدراش بریشیت رابا ٢٠ ، ١١ و ٢٤ ، ٦ . راجع أيضاً الزohar. المجلد الأول. من ٥٤ ب والمجلد الثالث. من ٧٦ ب .
- (٤٨) انظر الصفحات اللاحقة .
- (٤٩) ماعسیه باروخ. ١٣٤ . من ٤٠ - ٤٠ ب .
- (٥٠) مدراش بریشیت رابا. ٢٣ : ٤-٥ . ومدراش روث . ٤ ، ٢١ .
- (٥١) فصول الآباء للماخام نلثان. ٢ ، ١٢ . مدراش تهیلیم. ٩ ، ٨٤ .
- (٥٢) فصول الماخام إلیعازر. ٢ ، ومدراش بریشیت رابا. ٢٢ ، ٥ .
- (٥٣) مدراش بریشیت رابا. ٢٦ ، ٥ .
- (٥٤) سيفر حیدر زقانیوم. التكوين ٤ ، ٢٦ . قارن أيضاً. فصول الماخام إلیعازر. ٤٥ .
- (٥٥) مدراش بریشیت رابا. ٢٢ ، ٦-٧ . راجع أيضاً برایتا. ٢٢ . ومدراش بریشیت رابا. ٥ ، ٦ .
- (٥٦) هیکالوت. ٦ ، ١٧٢ .
- (٥٧) اینوخ ٦-٨ . ومدراش أجاداه لسفر التكوين. ٥ ، ١٨ .
- (٥٨) اینوخ ١٢-١٦ ، وسفر الیوبیل ٤ . ١٧-٢٣ .
- (٥٩) یاشار بریشیت. ١١١ - ١١٣ .
- (٦٠) الزohar. المجلد الأول. من ٢٧ ، ٧٢ ب ، والمجلد الثاني. من ٥٥ أ ، والمجلد الثالث. من ٢٤٠ أ ، ٢٤٨ ب ، ٢٥٢ ب .
- (٦١) هیکالوت. ٦ ، ١٧٠ - ١٧١ .
- (٦٢) یاشار بریشیت. من ١٢ أ .
- (٦٣) یراحمیل. ٢٣ . من ١-٤ .
- (٦٤) یراحمیل. ٢٣ . من ٥-٦ . مدراش أجاداه لسيفر بریشیت. ٥ ، ٢٥ .

حواشي الفصل الرابع

نوح

- (١) يعد موتيف الفسوف المصاحب لميلاد الأبطال من الموتيقات الشائعة في الأساطير .
(٢) عن الأطفال الرضع الذين يتحدثون فور ميلادهم قارن قصة ملكبصينق الذي تحدث فور ميلاده .
(٣) راجع الهامش رقم ١ .
(٤) كتاب إينوخ . ١٠٦ - ١٠٧ .
(٥) أجادات بريشيت . ٣٨ . يلكوت . ١ ، ٤٢ .
(٦) مدراش تنحوما . بريشيت . ١١ . مدراش بريشيت رابا . ٢٥ ، ٢ .
(٧) مدراش بريشيت رابا . ٢٥ ، ٢ .
(٨) ياشار بريشيت . ص ١٢١ .
(٩) كتاب إينوخ ٩ - ١٠ .
(١٠) يلكوت . الجزء الأول . ص ٤٤ . أجادات بريشيت . ص ٣٨ .
(١١) فصول الحاخام إيعازر . الفصل الأول . ص ١١٨ . راجع أيضاً . الزيفار . المجلد الأول . ص ١١٥٥ .
أجادات بريشيت . ص ٣٨ .
(١٢) فصول الحاخام إيعازر . الفصل الثاني والعشرون . راجع أيضاً . الزيفار . المجلد الأول . ص ٥٨١ .
(١٣) مدراش بريشيت رابا . ٣٦ ، ٧ . راجع . مدراش ديفاريم رابا . ١ ، ٢٤ . فيما يتعلق بطول المعالجة .
راجع كتاب إينوخ . الفصل السابع .
(١٤) يراحميل . ٢٤ . ص ١٠ - ١٢ . راجع أيضاً . سبغر هيدر رقانيم . التكوين . ٦ : ٢ .
(١٥) مدراش تنحوما بريشيت . ١٢ . باب "سوتا" ٣ ، ٦ . مدراش بريشيت رابا ٢٦ ، ٥ ، ٢٨ ، ٦ - ٧ .
(١٦) مدراش بريشيت رابا . ٣٦ ، ١ . ومدراش فايكرا رابا . ٥ ، ١ . ومدراش كوهيليت رابا . ٢ ، ٢٠ .
وميدراش بيسكتا رياتي . ١٤ ، ٦٥ ب . راجع أيضاً . باب يوما . ص ١٢١ .
(١٧) مدراش بريشيت رابا . ٣٦ ، ٥ . باب "سوتا" بالتلمود الأورشليمي . الفصل الأول . ص ١٧١ .
ومدراش باميدبار رابا . ٩ ، ٣٢ . مدراش فايكرا رابا ٢٢ ، ٩ . وتنقسم كل المصادر سائلة الذكر بإفراطها في وصف الحياة غير الأخلاقية لجبل الطوفان .
(١٨) مدراش بريشيت رابا . ٣١ ، ٥ - ٣ . باب السنهدين . ص ١٠٨ أ . مدراش كوهيليت رابا . ١ ، ١٣ .
(١٩) باب السنهدين . ص ١٠٨ أ - ١٠٨ ب . مدراش بريشيت رابا . ٣٠ ، ٧ . أجادات بريشيت ١ ، ٢ .
مدراش كوهيليت رابا ٩ ، ١٤ . فصول الحاخام إيعازر ٢٢ ، ٣٢ . ياشار نوح . ص ١٤ - ١٤ ب .

- (٢٠) توسيفتا سوتا. ١٠، ٢-٥. فصول الآباء للخاصام ثاتان. ٢٢ : ٩٢ - ٩٣. باب السنهدين. ص ١٠٨ ب. مدراش بريشيت رابا. ٢، ٦. مدراش تهيلم. ٢٦، ٢٢٠. ياشار نوح. ص ١٤ - ١٤ ب.
- (٢١) مدراش بريشيت رابا. ٢٦، ١٣. باب السنهدين. ص ١٠٨ ب. فصول الخاصام إليماز ٢٣. الترجمة الأورشليمية للإصحاح السادس من سفر التكوين.
- (٢٢) تم نشر هذه القصة في مجلة "هاجورين". المجلد التاسع. ص ٢٨-٤١. فيما يتعلق بمحاولة الملكة لعبادة آدم. راجع الفصل الأول.
- (٢٣) سيفر نوح. ١٥٠-١٦٠. وقد وريت في هذا العمل ثلاث روايات تنفيذ الأولى أن نوح تلقى بعد الطوفان كتاباً من الطب من الملك رفائيل. وتنفيذ الرواية الثانية أن آدم تلقى بعد خروجه من الجنة كتاباً من الملك "رازئيل" تم الكشف فيه عن الغيب. هذا الكتاب الذي تلقى إينوخ من خلاله الحكمة، وأن هذا الكتاب وصل فيما بعد إلى نوح إذ تلقى منه أصول معرفة تأسيس الفك. أما الرواية الثالثة فتفيد أن هذا الكتاب ومب الضوء لكل من كانوا بالفك. راجع بيت هامدراش. المجلد الثالث. ص ٣٠-٢٢. راجع أيضاً. الزهار. المجلد الأول. ص ٣٧ و ٥٨ ب.
- (٢٤) فصول الخاصام إليماز. ٢٢، والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٢٠، ومدراش بريشيت رابا. ٣٢، ٨. باب "زيفاهيم" ص ١١٦ أ.
- (٢٥) ياشار نوح. ص ١٥ أ-١٦ أ. يعتمد هذا العمل على ما جاء في مدراش بريشيت رابا. ٣١، ١٣. مدراش تنحوما. نوح ٧.
- (٢٦) باب السنهدين. ص ١٠٨ ب. ياب روش هاشاناه. ص ١١٢. ياب زيفاهيم. ص ١١٢ ب. مدراش فايكرا رابا. ٧، ٦. مدراش كوهليت رابا. ٩، ٤. فصول الخاصام إليماز. ٢٢.
- (٢٧) مدراش تنحوما فكانوم. الجزء الأول. ص ٢٥-٣٦. مدراش تنحوما. نوح ٧. أجادات بريشيت. ٤، ١٠. الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٧ : ١٢.
- (٢٨) مدراش بريشيت رابا. ٢٨، ٩. باب السنهدين. ص ١٠٨ أ. جاء في باب "يياصوت". ص ١٦١ أن لفظ الإنسان لا يطلق إلا على شعب إسرائيل ولا يطلق على سائر الشعوب.
- (٢٩) مدراش بريشيت رابا. ٣٢، ٦. جاء في فصول الخاصام إليماز ٢٣ وفي كتاب ألف باء بن سيرا ص ١٢ ب - ١٣ أ أن نوح قضى أسبوعاً بالفك قبل مجيء الطوفان. وقد جاء في مدراش بريشيت رابا ٣٢، ٨ أن نوحا دخل الفك أمام الأشرار خلال نهار اليوم.
- (٣٠) مدراش تنحوما فكانوم. الجزء الأول. ص ٢٥ - ٢٦. ياشار نوح. ص ١٤ - ١٤ ب. تنفيذ المصادر اليهودية أن سام هو الأخ الأكبر لياث. راجع. فصول الخاصام إليماز ٨. راجع أيضاً مدراش هجادول. الجزء الأول. ص ١٤٢.
- (٣١) مدراش بريشيت رابا. ٢٦، ٢. ومدراش بميدبار. ١٤، ١٢. ومدراش تهيلم. الجزء الأول. ص ١١-١٢. تنفيذ هذه المصادر أن نوح كان يبتلى أن يعيش بمفرده غير أن ملك الرب أجبره وعلى خلاف رغبته على الزواج.
- (٣٢) باب السنهدين. ص ١٠٨، ١١٠٨ ب. مدراش تنحوما فكانوم. الجزء الأول. ص ٣٦، ٤٥. ومدراش بريشيت رابا. ٢٨، ٨-٩. ألف ياء بن سيرا. ص ٢٥ ب - ٣٦ أ. مدراش هجادول. الجزء الأول. ص ١٣٢ - ١٣٤، ١٥١، ١٥٩-١٥٨. ياب زيفاهيم. ص ١١٦ أ.

- (٢٢) فصول الماخام إليعازر. ٢٢ .
- (٢٤) مدراش بريشيت رابا. ٢١ ، ١٢ . باب زيباحيم . ص ١١٢ ب ، وباب السنهدين . ص ١٠٨ ب .
مدراش هجابول . الجزء الأول . ص ١٥٠ .
- (٢٥) فصول الماخام إليعازر. ٢٢ . الترجمة الأورشليمية لسفر التثنية ٢ : ١١ . يلكوت رنوين لسفر التكوين ٧ : ٢٢ . باب زيباحيم . ص ١١٢ ب .
- (٢٦) مدراش تهيليم ٦ ، ٦٨-٦٩ . قارن أيضاً فصول الماخام إليعازر ٢٤ . ص ١٢٥ ب . سيدر إلياهو ٢ ، ١٧٥ . وقد جاء في هذا العمل أن الرب خلق كافة الأشياء باستثناء الكذب والخداع الذي خلقه الإنسان .
- (٢٧) باب السنهدين . ص ١٠٨ ب . مدراش هجابول . الجزء الأول . ص ١٦٠ . تفسير يلكوت رنوين لسفر التكوين ٧ : ١٤ . وقد جاء في هذا التفسير أن نوحاً اعتنى خلال إقامته بالملك بالحيوانات المنوّهة في حين أن سام اعتنى بالحيوانات الأليفة ، وحام بالطيور ، وياقت بالزواحف . وبينما تؤكد المصادر سالف الذكر أن نوحاً أخذ معه في تلك الأطعمة التي تناسب كل نوع من الحيوانات فإن بعض المصادر مثل مدراش بريشيت رابا تؤكد أن الحيوانات والطيور والزواحف وكل من كان بالملك لم يتناول إلا التبن المجفف .
- (٢٨) ياشار نوح . ص ١١٦ . ميدراش تهيليم ٢٩ ، ٢٣٢ الذي جاء به أن الرب سمع صلاة نوح بالملك . وكان قد جاء في مدراش بريشيت رابا أن نوح عانى بشدة من البرد خلال إقامته بالملك . راجع أيضاً : الزوهار . المجلد الأول . ص ١٦٨ - ١٦٨ ب .
- (٢٩) فصول الماخام إليعازر. ٢٢ . مدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٧ . وردت فكرة أن الطوفان كان نتيجة لنزوح منصري الذكورة والأنوثة بالمياه في كتاب إينوخ. ٥٤ ، ٨-٩ . باب 'براخوت' بالتمود الأورشليمي. ٩ ، ص ١١٤ . التمود البابلي . وسيفتا ١ ، ٤ . ميدراش تهيليم. ٤٢ ، ٢٦٧ . فصول الماخام إليعازر. ٥ . مدراش كوهيليت. ٨٧ .
- (٤٠) باب براخوت . ص ٥٨ ب - ١٥٩ . باب روش هاشلانا . ص ١١٦ ب - ١١٢ . مدراش هجابول لسفر بريشيت . الجزء الأول . ص ١٥٦-١٥٧ .
- (٤١) مدراش بريشيت رابا. ٢٥ ، ٢ . باب السنهدين . ص ١٠٨ ب . فصول الماخام إليعازر. ٢٢ . الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ٦ ، ١٦ .
- (٤٢) مدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٥ و ٢٣ ، ٧ .
- (٤٣) مدراش بريشيت رابا ٢٢ ، ١٢ و ٣٢ ، ٥ . راجع أيضاً مدراش شير هاشبيريم ٢١ ، ١٦ . وميدراش كوهيليت ٦ ، ٢ .
- (٤٤) مدراش بريشيت رابا. ٢٨ ، ٣ ومدراش تنحوما كانوم. ١ ، ١٩ . فيما يتعلق بقوة المياه التدميرية راجع مدراش بريشيت رابا ٣٠ ، ٨ . ومدراش فايكرا رابا. ٢١ ، ١ . كان من بين ما جاء في هذه المدراسيم أن عظام البشر من شجر اللوز وتتسم بالصلابة ، ومن ثم فإنها والقوتها تكون نواة العظام عند البعث . راجع أيضاً السنهدين ١٠ ، ٣٠ . وتوسيفتا ١٢ ، ٦ . ومدراش بريشيت رابا ٢٦ ، ٦ . وتؤكد كل المصادر سالف الذكر أن جيل الطوفان لن يبعث .
- (٤٥) سيدر عولام ، وروش هاشلانا . ص ١١٦ ب - ١١٢ . ومدراش بريشيت رابا. ٢٣ ، ٧ . والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٧ : ١١ . وتؤكد هذه المصادر أن عقاب المذنبين سيدوم بجهنم لاثني عشر شهراً .

(٤٦) باب السنهدين. ص ١٠٨ . مدراش بريشيت رايا. ٢٢ . ٥ . ألف باء بن سيرا. ص ٢٦-٢٧ .
ميركي راينون هكاشوش. ص ٢٢٢ .

(٤٧) فصول الصاخام إليغاز. ٢٢ . مدراش فايكرا رايا. ٢١ . باب السنهدين. ص ٨٠١ . باب
زيياحيم. ص ١١٢ . باب عيروفين. ص ١٨٠ . مدراش هجانول. الجزء الأول. ص ١٢٦ .

(٤٨) مدراش بريشيت رايا. ٢٩ ، ٢ . مدراش كوهليت. ١٠ ، ٤ . مدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول .
ص ٤١ . أجادات بريشيت. ٧ . ص ١٧-١٨ . باب السنهدين. ص ١١٠٨ . مدراش بريشيت رايا. ٢٢ ، ٤ .
مدراش هجانول. الجزء الأول. ص ١٦٢ . الزهار. المجلد الأول. ص ٦٢ . والمجلد الرابع. ص ١٥٦ .

(٤٩) زهار حاداش. نوح . ص ٢٩ . الزهار. المجلد الأول. ص ٤ و ٦٨ أ . مدراش هجانول.
الجزء الأول. ص ١٥٤ .

(٥٠) مدراش بريشيت رايا. ٢٥ ، ٢ . مدراش بريشيت رايا. ٢٤ ، ٩ .

(٥١) مدراش بريشيت رايا. ٢٠ ، ٦ و ٢٦ ، ٤ . مدراش فايكرا رايا. ٢٠ ، ١ . ومدراش كوهليت ٩ ، ٢ .
ومدراش تنحوما كانوم . الجزء الأول. ص ٢٨ والجزء الخامس . ص ٧ . وفقاً لما جاء في هذه المصادر فقد
أصاب الأسد نوحاً عند خروجه من الفلك ما يعني أن الحيوانات كانت البقية خلال إقامتها بالفلك . راجع أيضاً
كتاب ألف باء بن سيرا. ص ٢٩٠ و ٢٩١ - ٢٣٦ . كان من بين ما جاء في هذا الكتاب من حيوانات الفلك أن
النسر والغراب كانا أول من تمرد على نوح فقد نصح الغراب الحيوانات بعدم إطاعة أمر نوح بالعيش في سلام .
ومن هنا فقد كان النسر أول من بادر بالقتل . وبينما حاولت سائر الطيور قتله لتمرده على نوح فقد أتاح الرب
له الفرار فجعله يحلق على ارتفاع عال . وكان قد جاء في " زهار حاداش نوح . ص ٢٩٠ " أن الرب نصب
سام ككاهن لأنه مكف على دراسة التوراة التي انتقلت من سام إلى يافث ومنه إلى إبراهيم . وقد صلى
إبراهيم الرب حتى يجعل الحضرة الإلهية تقيم بمنزل سام بالقدس وقد استجاب الرب لدعائه . وقد قرر الرب
بعد الطوفان أنه من الأفضل أن يلتزم الإنسان بمعد مدود من الوصايا بدلاً من أخذ كل التوراة خشية ألا
يلتزم بكافة وصاياها . وتُعرف هذه الوصايا بوصايا أبناء نوح .

(٥٢) مدراش بريشيت رايا. ٢٦ ، ١ . ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الثاني ص ١٢٧ ومدراش شموئيل
رايا ٥٠ ، ٢ . ومدراش تهيلم ١ ، ١١ . والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٨ ، ٢٠ .

(٥٣) مدراش بريشيت رايا. ٢٤ ، ١٢ . مدراش أجادات سفر التكوين ٩ ، ٢ . مدراش هجانول. الجزء
الأول. ص ١٦٨ . وكان من بين ما جاء في مدراش هجانول. الجزء الأول . ص ١٦٥ : " أن نوحاً لم يبتغ
مخافرة الفلك لأن الأرض كانت خالية من السكان ولهذا قال له الرب تكاثر بالأرض خير أن نوحاً لم يذعن لأمر
الرب لتخوفه من مجيء فيضان آخر ولهذا لم يفادر الفلك إلا بعد أن علمه الرب بأنه لن يأتي فيضان آخر " .

(٥٤) باب السنهدين. ص ١٠٨ . ومدراش بريشيت رايا. ٢١ ، ١٢ . ومدراش تنحوما كانوم. الجزء
الأول. ص ٤٢-٤٣ . فصول الصاخام إليغاز. ٢٢ . يلكوت وتوين. الجزء الثاني. ص ٩٦٠ . مدراش هجانول.
الجزء الأول. ص ١٦٥ . وقد جاء في كتاب آدم ٢ ، ٨ أن النساء جلسن في الجانب الأيسر من الفلك في حين
أن الرجال جلسوا في الجانب الأيمن .

(٥٥) مدراش بريشيت رايا. ٢٥ ، ٢ . باب "يرافشوت" بالعمود الأورشليمي. ٩ . ص ١٢ . باب كتوفوت .
ص ٧٧ . ومدراش بسيكتا رياتي ١٠ . ص ٨٧ . جاء في مدراش بريشيت رايا ٢٥ ، ٢ أن أبوان قوس تزح
تعد انمكسا لمجد الرب .

- (٥٦) مدراش بريشيت رايا. ٣٦ ، ٦ و ٢٤ ، ١٣-١٤ . باب السنهدين ١٥٧-٥٧ب. ومدراش هجانول. الجزء الأول. ص. ١٧١. راجع أيضاً مدراش دغوريم رايا. ٢ ، ٢٥ .
- (٥٧) مدراش بريشيت رايا. ٣٦ ، ٢ ، ومدراش تنحوما كانوم . الجزء الأول. ص. ٤٦ .
- (٥٨) مدراش تنحوما. نوح ١٨ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ٤٨ ، ومدراش بريشيت رايا. ٣٦ ، ٢-٤ . فيما يتعلق برؤية المصادر القديمة للتبليذ راجع باب "عبروقين" . ص. ١٦٥ ، وباب "كتوفوت" . ص. ١٦٥ ، وباب "سنهدين" . ص. ١٧٠ ، ومدراش بريشيت رايا. ٣٦ ، ٤ . بينما تحرم كل هذه المصادر السكر بوصفه مصدر كل الشرور للأفراد والجماعات فإنه يتم السماح بالتمتع بشكل محدود فقط بالتبليذ.
- (٥٩) باب السنهدين. ص. ١٧٠ ، وفصول إيلماز ٢٢ . راجع بيت مدراش. المجلد الخامس. ص. ٦٧ .
- (٦٠) مدراش بريشيت رايا. ٣٦ ، ٤-٥ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ٩٤ ، وفصول إيلماز ٢٢ ، والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ٩ : ٢٤-٢٥ .
- (٦١) مدراش بريشيت رايا. ٣٦ ، ٤-٥ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ٩٤ ، وفصول إيلماز ٢٢ ، والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٩ : ٢٤-٢٥ . باب السنهدين. ص. ١٧٠ . فيما يتعلق بتشبيه الزوجة بالخيمة أو بالفزل ، انظر مدراش بريشيت رايا ٦٣ ، ٤ ، وباب "شابات" . ص. ٨١١ ، وباب "يوما" . ص. ١١٣ .
- (٦٢) مدراش بريشيت رايا. ٣٦ ، ٧ ، ومدراش تنحوما كانوم . الجزء الأول. ص. ٤٩ . وفصول إيلماز ٢٣ .
- (٦٣) باب "بيساحيم" . ص. ١١٣ ب ، وباب "كينوشين" . ص. ٤٩ ب .
- (٦٤) مدراش بريشيت رايا. ٣٦ ، ٦ ، ومدراش تنحوما كانوم . الجزء الأول. ص. ٤٨-٥٠ . يؤكد مدراش هجانول لسفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٧٨١ لم يكن سام شخصاً تلقياً فحسب وإنما كان نبيا وأنه حاول لأربعمائة عام دعوة الأشرار للتوبة . راجع أيضاً "سير إيلماو رايا" . ص. ١٢٦-١٢٧ ، ١٤١-١٤٢ .
- (٦٥) مدراش بريشيت رايا. ٣٦ ، ٨ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ٥٠ . والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٩ : ٢٧ .
- (٦٦) باب "يوما" . ص. ٩ ب ، ومدراش بريشيت رايا ٣٦ ، ٨ .
- (٦٧) كتاب التوراة ٧ ، ١٢ - ٢٩ .
- (٦٨) المرجع السابق. ٨ ، ١٠ - ٣٠ .
- (٦٩) سيد هولام ١ ، ومدراش بريشيت رايا ٣٧ ، ٧ .
- (٧٠) ياشار نوح . ص. ١٧٠ أ . وقد جاء في مدراش بريشيت رايا ٦ ، ٤ أن اسم يقطان يعنى المتواضع ، وأنه كرفى لتواضعه بنى سبع جدا لتلات عشرة قبيلة غير أن عدداً كبيراً من أبنائه عاشوا فقراء .
- (٧١) مدراش أجاداه على سفر التكوين ١٢ ، ٦ .
- (٧٢) مدراش هجانول لسفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ١٨٢ .
- (٧٣) المرجع السابق. ص. ١٧٩ - ١٨٠ .
- (٧٤) سيد نوح. ص. ١٥٥ .
- (٧٥) المرجع السابق . ص. ١٥٦ . انظر. نعمانيذ. تورات هانام (شعر هجمول) . ص. ١٠٢ أ .

- (٧٦) مدرّاش تتحوماً كانونم. الجزء الأول. ص ٩٩-١٠٠. فصول العاخام إليعازر. ٢٤. وميدراش بريشيت رابا. ٢٨. ٦.
- (٧٧) باب "بيساحيم". ص ٩٤. ٦.
- (٧٨) ياشار نوح. ص. ١٧. راجع أيضاً. فصول العاخام إليعازر. ٢٤. وياب "بيساحيم". ص ٤٤. ٦.
- (٧٩) فصول العاخام إليعازر. ٢٤. ومدرّاش "عاسيرت ميلاخيم". ٢٨ - ٢٩. والزوهار. المجلد الأول. ص ٧٢ و ١٤٢. ٦.
- (٨٠) ياشار نوح. . ص ١٧. ٦. والزوهار. المجلد الأول. ص ٧٢ - ٧٤. ٦.
- (٨١) فصول العاخام إليعازر. ٢٤. ٦.
- (٨٢) ياشار نوح. . ص ١٧ - ١٨. انظر أيضاً مدرّاش "عاسيرت ميلاخيم". ٢٨ - ٥٥. ٦.
- (٨٣) ياشار نوح. ص ١٨ و ٢٣. ٦. تتريد كثيراً في الأدب الرياني فكرة أن نمرود كان واحداً ممن ادعوا الألوهية. فيما يتعلق بعلاقة عبادة النار بنمرود راجع. ميدراش بريشيت رابا. ٢٨. ١٣. ٦.
- (٨٤) Josephs. Antiqui. 1, 4 PP. 1-2. ٦.
- (٨٥) مدرّاش بريشيت رابا. ٢٧. ٢. وياب "بيساحيم". ص ٩٤. ٦.
- (٨٦) يذهب "الترجوم الأورشليمي" إلى أن نمرود طالب السكان بالتخلي عن تعاليم سام وإتباع تعاليمه. راجع الترجوم الأورشليمي لسفر التكوين ١٠ : ٩. ٦.
- (٨٧) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ١٨٨. والجزء الثاني. ص ٥٧. ٦.
- (٨٨) ياشار نوح. ص. ٢٠ - ٢١. ٦. جاء بالتقصود أن نمرود هو الذي حرض على بناء برج بابل. راجع. باب "حوئين". ص ٨٩. ٦. وياب "عقوداه زاراه". ص ٣. وياب "بيساحيم". ص ٩٤. ٦. وياب "عيروفين". ص ٥٢. ٦. تتحدث مصادر أخرى مثل ميدراش بريشيت رابا ٤٢. ٤. عن أن قوم هام مثل كوش هم الذين بادروا بتأسيس هذا البرج. ٦.
- (٨٩) باب "السندرين". ص. ١٠٩. ٦. ومدرّاش بريشيت رابا. ٢٨. ١١. ٦.
- (٩٠) مدرّاش بريشيت رابا. ٢٨. ٦. راجع أيضاً مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ١٨٦. ٦.
- (٩١) فصول العاخام إليعازر. ٢٤. والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ١١: ٨. وسفر التثنية ٣٢ : ٨-٩. ومدرّاش تنانيم. ١٩٠ - ١٩١. ومدرّاش دقاريم رابا. ٢. ٢٤. ٦.

حواشي الفصل الخامس

إبراهيم

- (١) فصول الآباء ٥ ، ٢ ، وفصول الآباء الحاخام ناتان ٢٢ .
- (٢) مندراش بريشيت رابا . ١٢ ، ٩٠ . مندراش تنموما كابوم . الجزء الأول . ١١ ، ٦٠ . مندراش تهيليم ١٠٤ ، ٤٤٤ . بالرغم من أن المصادر اليهودية تفيد أن الآباء الثلاثة كانوا ينعمون بالمكانة ذاتها فإن القصص اليهودي يضع إبراهيم في مكانة أكثر سموا من والده إسحاق . راجع " يلكوت يهوشع " ١٥ الذي جاء به أن الرب قام بكل المعجزات التي فعلها لإسرائيل من أجل إبراهيم .
- (٣) راجع التكوين ١١ : ٣٦ .
- (٤) جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٠ : ٧ أن إبراهيم هو خليل الرب . راجع أيضاً أرميا ١١ : ١٥ و " سيدر إلياهو رابا " ، المقدمة ٨٠ و ١٢٧ .
- (٥) سفر التوراة ١١ : ١-١٤ . تعود بداية الملكية إلى نمرود أي ليس بعد ميلاد إبراهيم بفترة طويلة .
- (٦) باب " بابا باترا " ص ١٩١ الذي اعتمد على روايته كل من " ياشار شراح " ص ١٨ أ و " يراحميل " ٢٧ : ٧ .
- (٧) انظر هامش رقم ٢٤ .
- (٨) تأثرت صياغة قصة ذبح الأطفال الأبرياء بصياغة قصة ميلاد موسى .
- (٩) مندراش بريشيت رابا . ٨٥ : ١٠ .
- (١٠) Grunbaum, Neue Beitrage P. 128 .
- (١١) انظر الصفحات التالية .
- (١٢) انظر الصفحات التالية .
- (١٣) جاء في فصول الحاخام إليماز " حينما ولد إبراهيم حاول جواسيس نمرود قتله ولهذا وضع في مكان خفي تحت الأرض لثلاثة عشر عاماً لم ير خلالها الشمس والقمر . راجع أيضاً " معصيه إبراهيم " طبعة هوروفيتس . وقد جاء في المرجع الأخير السابق ذكره أن إبراهيم عاش في كهف لثلاث سنوات . انظر أيضاً ، " نيدررايم " ص ٣٢ أ و " مندراش بريشيت رابا " . ٢٠ ، ٨ ، و مندراش باميدبار رابا . ١٨ : ٢١ .
- (١٤) جاء في قصة إبراهيم الواردة في المجلد الثاني من " بيت هامدراش " ص ١١٨ أن نبعين من العسل واللبن تنجروا في هذه اللحظة .
- (١٥) يُنسب إلى أبطال آخرين مثل إبراهيم القدرة على السير والتفكير خلال طفولتهم ، ويكثر ذكر مثل هذه القصص في المسيحية . راجع Gunter, Christliche Legende, P. 134 .

- (١٦) عن مسافة اكتشاف إبراهيم الإيمان الحق من خلال تأمل الطبيعة. راجع مدراش بريشيت رابا ٢٨ ، ١٢ والمجلد الثاني من "بيت هامدراش" . ص ١١٨ . والجزء الأول من "مدراش هجانول" ص ١٨٩ .
- (١٧) Jewish Encyclopedia. Vol. 2. P. 608 .
- (١٨) وردت مثل هذه الأرقام الخرافية في مواضع أخرى .
- (١٩) تفسرت دلالة الفصل العبري Tamah فبينما كان يعنى في عبرية العهد القديم "تملكه الرب" فقد أصبح يعنى في مرحلة لاحقة "دُهِش" .
- (٢٠) وفقاً للتلمود فقد ظل إبراهيم سجيناً لدى نمرود لعشر سنوات .
- (٢١) انظر الصفحات التالية .
- (٢٢) يُشار إلى بوابات بابل على نحو يعنى المدينة .
- (٢٣) انظر الصفحات اللاحقة .
- (٢٤) تعد فكرة سقوط الأصنام على وجوهها بآخر من الانتقاء من أكثر الأفكار شيوعاً في القصص اليهودي والمسيحي .
- (٢٥) انظر الهامش رقم عشرين .
- (٢٦) سيدر إيلاهو رابا . ٥ ، ٢٧ . راجع أيضاً . الزهار . المجلد الأول . ص ٧٧ . انظر أيضاً . مدراش هجانول أسيفر بريشيت . المجلد الأول . ص ١٨٨ .
- (٢٧) باب "بابا كاما" . ٨ ، ١ .
- (٢٨) فصول الماخام إيلماز . ٢٥ .
- (٢٩) يتحدث القصص المسيحي أيضاً عن قيام الملائكة بتقديم الطعام والشراب للقديسين .
- (٣٠) وردت أحداث شبيهة في إطار القصص الخاص بموسى .
- (٣١) انظر الصفحات اللاحقة .
- (٣٢) يعد النص في هذا الجزء غامضاً بمعنى الشيء .
- (٣٣) راجع . مدراش بريشيت رابا . ٤٤ ، ١٢ ، وميدراش "شيموت رابا" ٨ ، ٥ ، وباب "بيساحيم" . ص ١١٨ . تفيد هذه المصادر أن جبريل سارع بإنقاذ إبراهيم غير أن الرب أوقف الملاك وأسرع بنفسه لإنقاذه .
- (٣٤) مصنفه أفراهام . راجع أيضاً . المجلد الأول من "بيت هامدراش" . ص ٢٥-٢٤ .
- (٣٥) تم البدء في بناء برج بابل بعد موت نوح بعشر سنوات . راجع . المجلد الأول من "سيدر عولام" .
- (٣٦) راجع مدراش بريشيت رابا . ٣٧ ، ٤ وسيدر إيلاهو رابا . ٢٠ ، ١١٤ .
- (٣٧) راجع هامش رقم ٣٤ .
- (٣٨) باب "الستودرين" . ص ٦٩ أ وسيدر عولام ٢١ .
- (٣٩) مدراش تهيلم . ١١٨ ، ٤٨٤ .
- (٤٠) مدراش هجانول أسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ١٩١ . الزهار . المجلد الأول . ص ٧٧ .

- (٤١) يشار نوح .. ص ١٢٧ .
- (٤٢) مدراش بريشيت رابا . ٤٠ ، ٤١ ، وفصول الحاخام إيعازر . ٤٢ ، وفصول الآباء للحاخام ناثن . ١٢ ، ٥٣ .
- (٤٣) مدراش تنخوما شيموت .
- (٤٤) راجع مصادر الهامش رقم ٢٨ التي جاء بها أن سارة اطلعت على كل مراحل التاريخ اليهودي .
- (٤٥) يشار نوح . ص ٢٧ ب - ١٢٨ .
- (٤٦) سيدر إلياهو رابا . ٥ ، ٢٨ . فيما يتعلق بسك إبراهيم للعمليات راجع . " بابا كاما " . ص ٩٧ ب ، ومدراس بريشيت رابا . ١٢ ، ١١ .
- (٤٧) مدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ١٨٨ .
- (٤٨) يشار نوح . ص ١٨ - ١٩ . راجع أيضاً . " بيت همدراش " . الجزء الثاني . ١٨ ، ٢ .
- (٤٩) Jewish Encyclopedia.. Vol. 1. P. 91 .
- (٥٠) يشار نوح . ص ٢٢ب-٢٦ب . كثيراً ما ترد فكرة أن كبير الأصنام كان يحمل بلطة في يده في كثير من المصادر . راجع . مدراش بريشيت رابا . ٢٨ ، ١٣ .
- (٥١) يشار نوح . ص ١٢٧ .
- (٥٢) فصول الآباء . ٥ ، ٢٠ . سفر التيريبيل . ١٩ ، ٨ ، وفصول الآباء للحاخام ناثن . ٢٤ ، ٩٤-٩٥ .
- (٥٣) مدراش هجانول . الجزء الأول . ص ٢٠١-٢٠٢ .
- (٥٤) مدراش بريشيت رابا . ٣٩ ، ٧ . راجع أيضاً . مدراش تنخوما كادوم . الجزء الثاني . ص ٦٩ .
- (٥٥) مدراش بريشيت رابا . ٣٩ ، ١١ . مدراش هجانول . الجزء الأول . ص ٢٠٢-٢٠٣ ، والترجوم الأورشليمي لسفر التكوين ١٢ ، ٢ .
- (٥٦) باب " بيساحيم " . ص ١١٧ ب ، ومدراس بريشيت رابا . ٢٩ ، ١١ . ومدراس تنخوما كادوم . الجزء الأول . ص ٦٢ .
- (٥٧) مدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ٢٠٤ .
- (٥٨) مدراش بريشيت رابا . ٣٩ ، ١٠ .
- (٥٩) مدراش هجانول لسيفر بريشيت . المجلد الأول . ص ٢٠٢ . راجع أيضاً . " موبيد كاتان " . ص ١٢٥ .
- (٦٠) مدراش بريشيت رابا . ٣٩ ، ٨ .
- (٦١) مدراش بريشيت رابا . ٣٩ ، ١٥ . باب " السنهدين " . ص ٤١ب . راجع أيضاً . مدراش هجانول لسيفر بريشيت . المجلد الأول . ص ٢١٣ . راجع أيضاً . الزهار . المجلد الثالث . ص ١٦٨ ، والمجلد الثاني . ص ١٤٧ ب .
- (٦٢) سفر التيريبيل ١ : ٢٩-٢٤ . راجع أيضاً تفسير راشي لسفر التكوين . ١١ : ٦ .
- (٦٣) مدراش بريشيت رابا . ٤١ ، ٥ .
- (٦٤) مدراش بريشيت رابا . ٢٥ ، ٣ . مدراش روٹ رابا . ١ ، ١ .

(٦٥) فصول الماخام إليماز. ٢٦. ومدراش بريشيت رابا. ٤٠ ، ٢ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٠٧ .

(٦٦) - الزهار. المجلد الأول. ص ٨١ ب. راجع أيضاً تفسير نعمانيوزر لسفر التكوين ١٢ : ١ .

(٦٧) الزهار. المجلد الأول. ص ٨١ ب. قارن أيضاً. "يابا باترا". ص ١٦ أ. راجع. "ترجوم يروشالمى" لسفر التكوين. ١٢ : ١١ .

(٦٨) مدراش بريشيت رابا. ٤٠ ، ٥ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٦٥-٦٦. انظر أيضاً. الزهار. المجلد الأول. ص ٨٢ ب. لقد شاعت فكرة انغماس المصريين في الملذات الحسية في مدراش فابكرا رابا. ٢٣ : ٧ وفي الزهار. المجلد الأول. ص ١١٧ أ .

(٦٩) مدراش بريشيت رابا. ٤٠ ، ١٥ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٦٦ .

(٧٠) Josephus. Antiqui. Vol. 1. P. 8 .

(٧١) ياشار ليك .. ص ٣١ ب .

(٧٢) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٦٦ .

(٧٣) ياشار ليك . ص ٣٢ أ . راجع أيضاً . مدراش بريشيت رابا. ٤١ ، ٢ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ٦٦ .

(٧٤) فصول الماخام إليماز. ٢٦. و" ياشار ليك " .. ص ٣٢ أ . ومدراش بريشيت رابا. ص ٤٥ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين. ٢٦ : ١ .

(٧٥) مدراش بريشيت رابا. ٤٠ ، ٢ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ٦٦-٦٧ . الزهار. المجلد الأول. ص ٢٨ أ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٠٧ .

(٧٦) فصول الماخام إليماز. ٢٦ . راجع أيضاً. الزهار. المجلد الأول. ص ٨٢ أ ، والمجلد الثالث. ص ٥٢ .

(٧٧) تفسير جيروم لسفر التكوين. ١٢ : ١٧ .

(٧٨) سبدر هولام. الجزء الأول. سفر التوراة. ١٢ : ١١ .

(٧٩) مدراش بريشيت رابا. ٤١ ، ٣ ، وميراخين. ص ١٦ ب .

(٨٠) كان من بين ما جاء في باب " عهدها زلواه " . ص ١٤ ب واستناداً على بعض التقاليد القديمة أن إبراهيم كان قد وضع كتاباً في الشرائع من الوثنية ، وأنه كان من أريمانة فصل. راجع أيضاً. باب "سوتا" . ص ٤٦ ب . راجع أيضاً فصول الماخام إليماز. ١٧ .

(٨١) ياشار ليك .. ص ٢٩ ب-٣١ أ . راجع أيضاً. بيت هامدراش. الجزء السادس. ص ١٢١-١٢٣ .

(٨٢) مدراش بريشيت رابا. ١٤ ، ١٦-٥ ، ومدراش يسيكتا ريباني . الجزء الثالث. ص ٩١ - ١١٠ ، ويشار ليك . ص ٣٢ ب . تعترف المصادر سالفة الفكر بشرعية حق الكتانيين في فلسطين. راجع . مدراش باميدبار رابا ٢ ، ١٣ . راجع أيضاً. مدراش تهيلم. ٦ ، ٥٩ ، ومدراش بريشيت رابا. ٨٥ ، ٨ .

(٨٣) الزهار. المجلد الأول. ص ١٠٨ أ .

- (٨٤) مدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢١٥-٢١٦. انظر أيضاً. الزهار. المجلد الأول. ص. ٨٦.
- (٨٥) ياشار فوج. ص ٢٩. باب "عيروقين". ص ١٥٣. ومدراش بريشيت رابا. ٤١، ١. والترجوم البروشالي لسفر التكوين. ١٤ : ١. وفصول الحاخام إليعازر. ٢٢. ص ١٥١.
- (٨٦) تفسير يهيا بن بقودا لسفر التكوين. ١٤ : ٥. لمزيد من المعلومات عن التفصيل الدلالي لأسماء الأعلام. راجع. ميدراش بريشيت رابا. ٤١، ٦.
- (٨٧) مدراش بريشيت رابا. ٤١، ٥-٧. والترجوم البروشالي لسفر التكوين. ١٤ : ٢.
- (٨٨) مدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢١٦. والزهار. المجلد الأول. ص ٨٦، ومدراش بريشيت رابا. ١٤، ٦.
- (٨٩) مدراش بريشيت رابا. ٤١، ٧-٨. ومدراش بفاريم رابا. ١، ٢٥. والترجوم البروشالي لسفر التكوين. ١٤، ١٣.
- (٩٠) فصول الحاخام إليعازر ٢٧. مدراش بريشيت رابا. ٤١، ٨.
- (٩١) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٧٢. راجع أيضاً. الزهار. المجلد الأول. ص ١١٢.
- (٩٢) باب "نيداريم". ص ١٣٢. ومدراش بريشيت رابا. ٤٢، ٢.
- (٩٣) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٧٢. ومدراش بريشيت رابا. ٤٢، ٢. وباب "نيداريم". ص ١٢٣. وفصول الحاخام إليعازر. ١٨. ص ٩١. ومدراش فايكرا رابا. ٢٨، ٤.
- (٩٤) فصول الحاخام إليعازر. ١٧.
- (٩٥) مدراش بريشيت رابا. ٤٢، ٣. ومدراش تهلليم. ١٠، ٤٤٦. باب "السندرين". ص ١٩٨. ب.
- (٩٦) باب "السندرين". ص. ١٠٨. ب. ومدراش بريشيت رابا. ٤٢، ٣.
- (٩٧) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٧٣-٧٤. باب "السندرين". ص ١٩٦. وفصول الحاخام إليعازر. ٢٧.
- (٩٨) مدراش بريشيت رابا. ٤٢، ٣. باب "شابات". ص ١٩٦. ب. باب "السندرين". ص ١٩٦، ١.
- وسيدر إلياهو رابا. ٥، ٢٨. ومدراش فايكرا رابا. ١، ٤. راجع أيضاً. الزهار. المجلد الأول. ص. ٨٦، ١.
- (٩٩) مدراش بريشيت رابا. ٤٢، ٤-٥. قانون أيضاً. ميدراش بفاريم رابا. ٢٥، ١٢٨. ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٧٤.
- (١٠٠) الترجوم البروشالي لسفر التكوين. ١٤ : ٢٠. ومدراش بريشيت رابا. ٤٣، ٩. ومدراش تنحوما كادوم ٧٤.
- (١٠١) مدراش بريشيت رابا. ٤٣، ٩.
- (١٠٢) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٧٥، ٧٦. والترجوم البروشالي لسفر التكوين. ١٤ : ١٨. زهار حاداش فوج. ص. ٢٩. ب.
- (١٠٣) ميدراش بريشيت رابا. ٤٣، ٦، ٧.

- (١٠٤) باب "نيدرايم" . ص. ٢٢ ، ومدراش فايكرا رابا . ٢٥ ، ٦ .
- (١٠٥) سيفر إيلاهو رابا . ٢٥ ، ١٢٨ .
- (١٠٦) باب "سوتا" . ص ١٧ أ ، ومدراش بريشيت رابا . ٤٢ ، ٩ ، ومدراش تقحوما كانوم . الجزء الأول .
- ص ٧٥ . باب "حوئين" . ص ٨٨ ، ومدراش بميدبار رابا . ٤ ، ٨ .
- (١٠٧) مدراس بريشيت رابا . ٤٤ ، ٤-٥ . راجع أيضاً مدراس هجاندول لسيفر بريشيت . الجزء الأول .
- ص ٢٢٤ الذي جاء به أن إبراهيم أول من تجلى له الله .
- (١٠٨) مدراس بريشيت رابا . ٤٤ ، ٨-١٢ ، ومدراش تهلليم . ٢ ، ١٠ ، وفصول الآباء للهاخام ثاثن .
- ٤٢ ، ١٢٢ . كان من الأفكار الأكثر شيوعاً في الألب الرياني أن الرب أمر إبراهيم بعدم الاعتماد على التنجيم .
- راجع . باب "نيدرايم" . ص ٢٢ ، ومدراش شيموت رابا . ٢٨ ، ٦ . باب "يوما" . ص ٨٨ ، وياب
- "بابا باترا" . ص ١١٦ .
- (١٠٩) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين . ١٥ : ٦ ، والزوهار . المجلد الثالث . ص ١٤٨ ، وتفسير
- نعمانيذ لسفر التكوين ١٥ : ٦ .
- (١١٠) مدراس بريشيت رابا . ٤٤ ، ١٤ ، ومدراش فايكرا رابا . ٢ ، ٢ ، وفصول الهاخام إيلماز . ٢ ، ٢ .
- (١١١) مدراس فايكرا رابا . ٧ ، ٢ ، وفصول الآباء للهاخام ثاثن . ٤ ، ٢١ .
- (١١٢) مدراس بريشيت رابا . ٤٤ ، ١٤-٢٢ ، وفصول الهاخام إيلماز . ٢٨ .
- (١١٣) مدراس هجاندول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ٢٤٠ .
- (١١٤) مدراس بريشيت رابا . ٤٤ ، ٢١ ، وميدراش شيموت رابا . ٥١ ، ٧ ، ومدراش تقحوما كانوم .
- الجزء الثاني . ص ١٢٠ ، والزوهار . المجلد الثالث . ص ٢٩٩ .
- (١١٥) وفقاً لما جاء في سيفر هولام وميدراش بريشيت رابا ٣٩ ، ٧ أن الرب أقام عهده مع إبراهيم
- حينما كان إبراهيم يبلغ من العمر سبعين عاماً . راجع أيضاً . باب "نيدرايم" . ص ٢٢ أ ومدراش بريشيت رابا
- ٤٤ ، ٥ . انظر أيضاً . فصول الهاخام إيلماز . ٢٨ .
- (١١٦) مدراس بريشيت رابا . ٤٥ ، ٢-٢ ، ومدراش شير هاشيريم . ٢ ، ١٤ . باب "بياموت" . ص ١٦٤ .
- راجع أيضاً باب "حوئين" . ص ٦٠ الذي جاء به فكرة أن الرب يتوق إلى صلاة الصديقين والأتقياء .
- (١١٧) مدراس هجاندول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ومدراش بريشيت رابا . ٤٥ ، ٢ .
- (١١٨) مدراس بريشيت رابا . ٤٥ ، ٦ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ١٦ ، ٣ .
- (١١٩) مدراس بريشيت رابا . ٤٥ ، ٢ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ١٦ ، ٢ .
- (١٢٠) مدراس بريشيت رابا . ٤٥ ، ٢-٤ . راجع أيضاً . مدراس هجاندول لسيفر بريشيت . الجزء الأول .
- ص ٢٤٤ .
- (١٢١) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ١٦ : ٥ .
- (١٢٢) مدراس بريشيت رابا . ٤٥ ، ٥ - ٨ ، وياب "نيدرايم" . ص ٢٢٢ .
- (١٢٣) مدراس بريشيت رابا . ٤٦ ، ٢ ، ومدراش تقحوما كانوم . الجزء الأول . ص ٨٠ .

- (١٢٤) مدرّاش بريشيت رابا. ٤١ ، ٨ ، والزهار. المجلد الأول. ص ٩٨ ب .
- (١٢٥) مدرّاش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٨ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٢٨ .
- (١٢٦) فصول الحاخام إليعازر. ٢٨ . تنقيذ المصادر القيمة لن إبراهيم حتن في الثالث عشر أو الرابع عشر من شهر نيسان . راجع . مدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٢ ، وميدراش فايفرا رابا. ٢٥ ، ٦ .
- (١٢٧) فصول الحاخام إليعازر. ٢٩ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ١٨ : ١ .
- (١٢٨) مدرّاش تنحوما كانون. الجزء الأول. ص ٨٥ .
- (١٢٩) باب " بابا متسيما " . ص ٨٦ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ٨ ، ومدرّاش تنحوما كانون. الجزء الأول. ص ٨٥ .
- (١٣٠) باب " بابا متسيما " . ص ٨٦ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ٨ .
- (١٣١) مدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١ ، ومدرّاش شمعوت رابا. ٤١ ، ٤ ، ومدرّاش تهيليم . ١٨ ، ١٥٦ .
- (١٣٢) باب " بابا متسيما " . ص ٨٦ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٢ .
- (١٣٣) مدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ٩ .
- (١٣٤) باب " شابات " . ص ١٢٧ ، ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٦٧ .
- (١٣٥) مدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ٩ - ١٠ .
- (١٣٦) باب " بابا متسيما " . ص ٨٦ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ٩ . وكان من بين ما جاء به أن أحد الملكة ظهر في صورة المسلمين ، وكان الآخر في صورة النبطيين ، والثالث في صورة العرب .
- (١٣٧) الزهار. المجلد الأول. ص ١٠٢ ب .
- (١٣٨) باب " بابا متسيما " . ص ١٨٧ ، باب " تودرايم " . ص ٢١ ، وفصول الآباء للحاخام فاثان. ١٣ .
- (١٣٩) ترجم اليروشالي لسفر التكوين ١٨ : ٥ .
- (١٤٠) باب " بابا متسيما " . ص ٨٦ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٢-١٤ ، وفصول الآباء للحاخام إليعازر. ١٣ .
- (١٤١) مدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٣ ، وفصول الآباء للحاخام إليعازر ١٣ ، ٥٧ .
- (١٤٢) باب " بابا متسيما " . ص ١٨٧ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٤ .
- (١٤٣) باب " بابا متسيما " . ص ٨٦ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١١ ، ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٦٩ ، وسيفر إيلاهو ١٢ ، ومدرّاش باميدبار رابا ٢١ ، ١٦ .
- (١٤٤) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٧٢ .
- (١٤٥) مدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٩ .
- (١٤٦) باب " بابا متسيما " . ص ١٨٧ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٥ .
- (١٤٧) باب " بابا متسيما " . ص ٨٦ ، ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٧٤ .
- ومدرّاش تنحوما كانون. الجزء الأول. ص ١٠٧ .
- (١٤٨) مدرّاش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٦ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ١٨ ، ١٠ .

- (١٤٩) راجع مديراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٧ .
- (١٥٠) مديراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٧ ، والنزهار. المجلد الأول. ص ١٠٩ ب .
- (١٥١) مديراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٧٦ وياب " بابا كلاما " ١٠ ، ٢ .
- (١٥٢) مديراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٨ ، وياب " يياموت " . ص. ١٥٦ ، ومديراش فايكرا رابا. ٩ ، ٩ ، ومديراش باميدبا رابا. ١١ ، ٧ .
- (١٥٣) مديراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٧٦ .
- (١٥٤) مديراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٢ ، وياب " بابا متسيعا " . ص ٨٦ ، ومديراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٩٦ .
- (١٥٥) ياشار فيلارا. ص. ٢٥٦-٢٨٨ ، وياب " السنهدين " . ص. ١٠٩ أ ، ومديراش فايكرا رابا " ٤ ، ٤ ، ومديراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٨٢ ، وفصول العاخم إليماز. ٢٥ .
- (١٥٦) باب السنهدين. ص. ١٠٩ أ ، ١٠٩ ب .
- (١٥٧) ياشار فيلارا. ص. ٢٩ ، ويعتمد ما جاء في هذا العمل على ما جاء في السنهدين. ص. ١٠٩ ، ومديراش بريشيت رابا. ٤٩ ، ٦ ، وفصول إليماز. ٢٥ ، واقتروم اليروشالي لسفر التكوين ١٨ : ٢١ .
- (١٥٨) مديراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٨ .
- (١٥٩) مديراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٨٨-٨٩ ، ومديراش بريشيت رابا ٤٩ ، ٢ ، والنزهار. المجلد الأول. ص ١٠٤-١٠٥ أ .
- (١٦٠) مديراش بريشيت رابا. ٢٩ ، ٦ ، وسيكتا ١٩ ، ١٣٩ .
- (١٦١) مديراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٩١-٩٢ ، ومديراش بريشيت رابا. ٤٩ ، ٩ ، واجادات بريشيت ٢٢ ، ٤٦-٤٨ .
- (١٦٢) ترجم يروشالي لسفر التكوين ١٨ : ٢٤ ، ومديراش بريشيت رابا ٤٩ ، ١٣ .
- (١٦٣) مديراش بريشيت رابا ٤٩ ، ١١ .
- (١٦٤) ترجم يروشالي لسفر التكوين ١٨ : ٢١ . ياب عفودا زاراد. بالتلمود الأورشليمي. ٢ ، ٤٠ ، وياب " هولين " . ص ٩٢ أ . بيت همدراش. المجلد الخامس . ص ٤٦ .
- (١٦٥) مديراش بريشيت رابا. ٤٩ ، ١٣ .
- (١٦٦) مديراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٩٢ ، ٩٣ ، ومديراش بريشيت رابا. ٤٩ ، ١٤ ، قارن أيضا . فصول العاخم ثاتان. ٣٢ .
- (١٦٧) مديراش بريشيت رابا. ٤٩ ، ٦ . راجع أيضا. مغللتا شيرا. الجزء الخامس. ص. ٣٨ - ١٣٩ .
- (١٦٨) مديراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٩٣ .
- (١٦٩) مديراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ١ ، ومديراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص. ٩٨ .
- (١٧٠) مديراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٩٣ ، ٩٨ . لنظر أيضا. مديراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٣ .
- التلمود الأورشليمي. ياب " روش هاشاناه " . الجزء الأول. ص. ١٥٧ ، ومديراش بسيكتا رياتي. ٤٠ . ص. ١٦٧ ب. ومديراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٨٧ .

- (١٧١) فصول الحاخام إليعازر. ٢٥ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. من ٢٨٨ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٤٠ ، والزهار. المجلد الأول. من. ١٨٤ و ١٧٩ . راجع كتاب ألف باء بن سيرا. من ٤ حيث وصف صاحب هذا الكتاب غير المعروف لوطا بكنه إنسان تقي .
- (١٧٢) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٤٠ ، وياب " بابا مقسيم " . من. ١٨٧ .
- (١٧٣) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. من. ٩٨ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٦٠ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. من. ٢٨٩ .
- (١٧٤) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٥١ .
- (١٧٥) المرجع السابق. ٥٠ ، ٧-٢ . تختلف أسماء القضايا الواردة في مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٣ ، من تلك الواردة في السنهدين. من. ١٠٩ ب .
- (١٧٦) فصول الحاخام إليعازر. ٢٥ ،
- (١٧٧) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٩٠ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٢٥ ، راجع أيضاً تفسير جيريم لسفر التكوين ١٩ : ١٤ .
- (١٧٨) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٩٠ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. من. ٢٩٠-٢٩١ .
- (١٧٩) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. من. ٩٢ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٧٠ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. من. ٢٩٠ .
- (١٨٠) فصول الحاخام إليعازر. ٢٥ ،
- (١٨١) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ١١ ، ومدراش بيسيكتا رياتي. ٢ ، وأجادات بريشيت. ٥٠ ، ٢٥ .
- (١٨٢) باب " شابات " . من. ١٠٠ أ .
- (١٨٣) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ١٢ .
- (١٨٤) باب " السنهدين " ١٠ ، ٣ ، وفصول الآباء الحاخام ثاثن. ٣٦ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. من. ٩٩ .
- (١٨٥) باب " براخوت " . من. ٢٦ ب .
- (١٨٦) مدراش أيضا. ١ ، ٧٤ .
- (١٨٧) مدراش بريشيت رابا. ٥١ ، ٦٠ .
- (١٨٨) مدراش بريشيت رابا. ٥١ ، ٨٠ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. من. ٤٠ .
- (١٨٩) مدراش بريشيت رابا. ٥٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ومدراش بيسيكتا رياتي. ٤٢ ، من. ١٧٦ ب ، وأجادات بريشيت. ٥٠ ، ٤٩ ، ٢٥ .
- (١٩٠) ياشار فيارا. من. ٢٩ أ و ٤٠ أ ، ومدراش بيسيكتا رياتي. ٢٤ و ١٧٦ ب .
- (١٩١) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. من. ١٠١ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٢٦ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. من. ٢٩٨ .
- (١٩٢) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ٦٠ ، ومدراش بيسيكتا رياتي. ٤٢ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. من. ١٠١ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. من. ٢٩٩ .

- (١٩٣) باب " يابا كاما " . ص. ١٩٢ .
- (١٩٤) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ٧ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٠١ .
- (١٩٥) مدراش هجابول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٠٠ .
- (١٩٦) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١١ ، والترجوم لليروشالي لسفر التكوين ٢٢ : ١٣ . راجع أيضاً التلمود الأورشليمي. باب " مجيلاه " . الفصل الأول. ص. ٧١ .
- (١٩٧) فصول الحاخام إليمائز. ٢٧ .
- (١٩٨) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١٢ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٠٢ ، وأجادات بريشيت. ٢٥ ، ومدراش هجابول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٠١ .
- (١٩٩) مدراش هجابول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٠٢ . انظر أيضاً. باب " يابا كاما " . ٨ ، ٧ ، وتوسيفتا ٩ ، ٢٩ .
- (٢٠٠) فصول الحاخام إليمائز. ٢٧ ، ومدراش هجابول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٠٢ .
- (٢٠١) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١٣ .
- (٢٠٢) مدراش بيسيكتا رياتي. ٤٢ ، ص. ١٧٧ ، ومدراش بريشيت رياتي. ٥٢ ، ١٣ .
- (٢٠٣) مدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٠٣-١٠٧ ، وأجادات بريشيت. ٢٨ ، ص. ٥٧-٥٨ . راجع أيضاً " يابا كاما " . ص. ١٢ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ٢ .
- (٢٠٤) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ٦ ، و" يابا متسيما " . ص. ١٨٧ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٧٦ .
- (٢٠٥) مدراش بريشيت رابا. ٤٦ ، ٢ .
- (٢٠٦) فصول الحاخام إليمائز. ٢٩ ، ومدراش دفاريم رابا. ١ ، ٢٥ .
- (٢٠٧) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١٠ .
- (٢٠٨) يابا متسيما. ص. ١٨٧ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٠٧ ، وفصول الحاخام إليمائز. ٥٢ .
- (٢٠٩) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ٩ ، وبيت سمراش. المجلد الخامس. ص. ١٣١ .
- (٢١٠) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١٠ ، ومدراش دفاريم رابا. ١ ، ٢٥ ، ومدراش كوهيليت. ٧ ، ٢ .
- (٢١١) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١١ ، و" توسيفتا سوفا " . ٦ ، ٦ . راجع أيضاً كتاب " ألف باء بن سير " . ص. ٣٢ .
- (٢١٢) فيلون. تسلازات على سفر التكوين . ص. ١٠٠ .
- (٢١٣) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١١ .
- (٢١٤) فصول الحاخام إليمائز. ٣٠ .
- (٢١٥) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١٢ ، وفصول الحاخام إليمائز. ٣٠ ، ومدراش شيموت رابا. ٢ ، ٢ .
- وياب " روش هاشانه " . ص. ١٦ ب .

- (٢١٦) فصول الحاخام إيلعازر. ٢٠، وترجوم يروشاليم لسفر التكوين. ٢١ : ١٦ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٠٩ . راجع أيضاً. باب عفوداه زلراه. ص. ١٤٦ .
- (٢١٧) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١٤ .
- (٢١٨) ياشار فيارا. ص. ١٤١ ، و ٤١ب. وريت أسماء زوجتي إسماعيل في فصول الحاخام إيلعازر .
- (٢١٩) ياشار فيارا. ص. ١٤٢ . راجع مدراش بريشيت رابا. ٥٤ ، ٦ .
- (٢٢٠) مدراش بريشيت رابا. ٥٤ ، ٢٠ .
- (٢٢١) مدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣١٢ .
- (٢٢٢) مدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٢٨ .
- (٢٢٣) ياشار فيارا. ص. ٤٢ . تشير فصول الحاخام إيلعازر إلى أن كرم إبراهيم كان ينفق كرم أيوب فبينما كان أيوب يكرم من ياجنون إليه فقد كان إبراهيم يسعى بحثاً عن في حاجة للمساعدة . راجع . مدراش بريشيت رابا. ٥٤ ، ٦ ، ومدراش تهليلم ٢٧ ، ٢٥٢-٢٥٣ وياب " براخوت " . ص. ٨٠ب .
- (٢٢٤) سيبر إيلعازر رابا. الجزء الأول. ص. ١٦٩ وياب " سوتا " . ص. ١٠ب .
- (٢٢٥) مدراش بريشيت رابا. ٥٤ ، ٦ .
- (٢٢٦) الزوهار. المجلد الأول. ص ١١٠ - ١١١ . راجع أيضاً. باب " كيدوشين " . ص. ١٨١ .
- (٢٢٧) ياشار فيارا. ص. ٤٣ ب .
- (٢٢٨) المرجع السابق. راجع أيضاً. مدراش بريشيت رابا. ٥٥ ، ٤ ، وياب " السنهدين " . ص. ٨٩ب .
- (٢٢٩) ياشار فيارا. ص. ١٣ب-١٤٤ . ويعتمد ما جاء في هذا المرجع على مدراش بريشيت رابا. ٥٥ ، ٤ ، وياب السنهدين. ص. ٨٩ب ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٠٨ .
- (٢٣٠) مدراش بريشيت رابا. ٥٥ ، ٧ ، وياب " السنهدين " . ص. ٨٩ب ، ومدراش بيسكتا راباتى. ٤٠ .
- (٢٣١) مدراش بيسكتا راباتى. ٤٠ . راجع أيضاً. مدراش بريشيت رابا. ٥٥ ، ٧ .
- (٢٣٢) ياشار فيارا. ص. ٤٤ أ ، و ٤٤ب .
- (٢٣٣) فصول الحاخام إيلعازر. ٢١ .
- (٢٣٤) ياشار فيارا. ص. ٤٤ب ، و ١٤٥ وياب " السنهدين " . ص. ٨٩ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٤ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١١٤ .
- (٢٣٥) ياشار فيارا. ص. ٤٦ب .
- (٢٣٦) المرجع السابق. ص. ١٤٥ - ٤٦ب. ومدراش كوهيليت. ٩ ، ٧ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١١٣ والجزء الثالث. ص. ٥٨ وفصول الحاخام إيلعازر. ٢١ .
- (٢٣٧) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٢ .
- (٢٣٨) ياشار فيارا. ص. ٤٥ ومدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٢ . ومدراش تنحوما كانوم. ص. ١١٣ ، والترجوم البيروشاليم لسفر التكوين ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. ص. ٢٢٠ .
- (٢٣٩) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٢ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١١٣ .

- (٢٤٠) ياشار فيارا. ص. ٤٥. راجع أيضاً. مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٣-٤ ، والترجوم البروشالي سفر التكوين ٢٢ : ٨ ، وفصول العاخم إليعازر. ٣١ .
- (٢٤١) ياشار فيارا. ص. ٤٥. ووفقاً لما جاء في مدراش بريشيت رابا ٥٦ ، ٤ فإن إسحاق لم يشارك في بناء المذبح .
- (٢٤٢) فصول إليعازر. ٣١ ، وياشار فيارا. ص. ١٤٦ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. المجلد الأول. ص. ٥٢١-٥٢٢ . تشيع في المصادر القديمة فكرة الملائكة . راجع مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٦ .
- (٢٤٣) فصول العاخم إليعازر. ٣١ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٢٢. وقد جاء في مدراش بريشيت رابا ٦٥ ، ٩ أن إسحاق أسلم الروح عند مشاهدته الحضرة الإلهية. وقد فسر الفيلسوف اليهودي فيلون قسم الرب بقوله إن كلمات الرب تعني أفعاله وشرائعه .
- (٢٤٤) مدراش بسيكتا رياتي ٤٠ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٢٢ .
- (٢٤٥) ياشار فيارا. ص. ٤٦. ويعتمد ما جاء في هذا المرجع على مدراش بريشيت رابا ٥٦ ، ٩ . راجع أيضاً، الترمار. المجلد الأول. ص. ١٢٠ ب .
- (٢٤٦) فصول العاخم إليعازر. ٣١ .
- (٢٤٧) مدراش تنحوما كابوم. الجزء الأول. ص. ١١٤ والجزء الرابع. ص. ٢٧٠ ، ومدراش باميدبار رابا. ١٧ ، ٢ .
- (٢٤٨) مدراش تنحوما كابوم. الجزء الأول. ص. ١١٥ ، ومدراش فايكرا رابا. ٢٩ ، ١٠ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص. ٢٢٥-٢٢٦ .
- (٢٤٩) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ١٠ وفصول العاخم إليعازر. ٣١ . ويفيد ما جاء في الفصل الثالث والعشرين من فصول العاخم إليعازر أن إبراهيم قام بختان نفسه أمام المعبد .
- (٢٥٠) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٧ .
- (٢٥١) ترجمون يروشالي سفر التكوين. ٢٢ : ٩ ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٢١ .
- (٢٥٢) مدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٢٥ .
- (٢٥٣) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ١٠ ، ومدراش شهيليم. ٧٦ ، ٢٤١-٢٤٢ .
- (٢٥٤) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ١٠ ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٢٧ .
- (٢٥٥) مدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٢٧ . جاء في تفسير " هادار " ص. ١٠ ب ونقلًا عن مصدر غير معروف أن إسحاق سكن الجنة حتى يشفي من الجرح الذي لحق به بسبب والده قبل قيام الملائكة بمنعه من ذبحه .
- (٢٥٦) ياشار فيارا. ص. ٤٦ب-١٤٧ . وفصول العاخم إليعازر. ٣٢ ، ومدراش فايكرا رابا ٢٠ ، ٢ . ومدراش كرهيليت. ٩ ، ٧ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٢٧ .
- (٢٥٧) مدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٤٦ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٦ .
- (٢٥٨) مدراش بريشيت رابا. ٥٨ ، ١٠ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٢٢-٢٢٤ .

- (٢٥٩) مدرّاش هجاءول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٤٦ - ٢٤٧ .
- (٢٦٠) مدرّاش هجاءول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٤٧ ، وقصول العاخم ناثان. ٤٥ ، ومدرّاش فايكرا رابا. ٧ ، ٢ .
- (٢٦١) مدرّاش هجاءول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٤٨ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٦ .
- (٢٦٢) مدرّاش بريشيت رابا. ٥٧ ، ٧ .
- (٢٦٣) فصول العاخم إليعازر. ٣٠ .
- (٢٦٤) الزهار. المجلد الأول. ص. ٩٧ .
- (٢٦٥) فصول العاخم إليعازر. ٣٦ ، راجع أيضاً. الزهار. المجلد الأول. ص. ١٢٧ - ١٢٨ .
- (٢٦٦) مدرّاش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٧ ، ومدرّاش شيموت رابا. ٣١ ، ١٧ .
- (٢٦٧) مدرّاش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٧ ، ومدرّاش شيموت رابا. ٣١ ، ١٧ ، ومدرّاش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٠٣ - ١٠٤ .
- (٢٦٨) مدرّاش هجاءول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٧ .
- (٢٦٩) الزهار. المجلد الأول. ص. ١٢٨ - ١٢٨ .
- (٢٧٠) مدرّاش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٦-٦ الذي جاء به " اسقل إبراهيم سيفه حينما شاعد ملاك الموت يدنو من سارة " ، أما الزهار. المجلد الأول. ص. ١٢٥ فجاء به أن سارة ماتت بفعل قبة الرب ، وليس بأيدي ملاك الموت .
- (٢٧١) مدرّاش هجاءول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٥٢-٢٥٣ .
- (٢٧٢) باب " بابا متسيما " ، ص. ١٨٧ ، و"باب" السنهدين " ، ص. ١٠٧ . ومدرّاش بريشيت رابا. ٦٥ ، ٩ ، ومدرّاش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١١٨ ، وفصول العاخم إليعازر. ص. ٥٢ .
- (٢٧٣) باب " بابا باترا " ، ص. ١٦ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ٥٩ ، ٦-٧ ، ومدرّاش هجاءول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٥٢-٢٥٤ .
- (٢٧٤) مدرّاش بريشيت رابا. ٥٩ ، ٥ ، ومدرّاش هجاءول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٢ ، وأجادات بريشيت. ٦٨ ، ٣٢ .
- (٢٧٥) مدرّاش بريشيت رابا. ٥٩ ، ٢ ، ومدرّاش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٧١ ، ٢١١ ، والجزء الثالث. ص. ١٠٥ ، وفصول العاخم ناثان. ٩٤ . راجع أيضاً باب حولين. ٧ ، ٧ ، و"باب" يوما " ، ص. ٢٨ .
- (٢٧٦) مدرّاش بريشيت رابا. ٥٩ ، ٨ ، ومدرّاش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٢٠ . راجع. مدرّاش فايكرا رابا. ٣٧ ، ٤ .
- (٢٧٧) جاء في ص ٢٨ من باب " يوما " : " كان إبراهيم قنّداً لدرسة الحكمة ، وكان إليعازر يملأ أكراب الحكمة لكل العالم .
- (٢٧٨) ياشار حاي. ص. ٤٨ .

- (٢٧٩) مدرّاش بريشيت رابا. ٢٠، ٥٧ .
- (٢٨٠) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٢٧-٢٢٨ .
- (٢٨١) مدرّاش بريشيت رابا. ٨٠، ٥٩ . ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٥٦ .
- (٢٨٢) مدرّاش بريشيت رابا. ٩٠، ٥٩ . وقد جاء في مدرّاش فايكرا رابا. ١٧، ٥٠ : " أن إليعازر كان ينتمي إلى نسل ملعون أي إلى الكتانين غير أن الرب باركه لكونه خادماً أميناً لإبراهيم " .
- (٢٨٣) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٥٦-٢٥٧ .
- (٢٨٤) مدرّاش بريشيت رابا. ١٠، ٥٩ .
- (٢٨٥) ياشار حاي. ص. ٤٨٠ .
- (٢٨٦) مدرّاش بريشيت رابا. ١٠، ٥٩ . وفصول الحاخام إليعازر. ١٦ .
- (٢٨٧) مدرّاش بريشيت رابا. ١١٠، ٥٩ . وياب "السندوين" . ص. ١٩٥ . وياب "حولين" . ص. ٩١ ، ومدرّاش تنحوما كلوم. الجزء الأول. ص. ١٥٠ . ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٧ .
- (٢٨٨) جاء في مدرّاش بريشيت رابا. ٢٠، ٥٩ : " أنه من الممكن التذك من وجود النساء بالمكان من خلال نباح الكلاب " . راجع أيضاً. مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٥٢ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٣٦ .
- (٢٨٩) مدرّاش بريشيت رابا. ٢٠، ٦٠ . ومدرّاش فايكرا رابا. ٤٠، ٢٧ . وياب "حولين" . ص. ٩٥ .
- (٢٩٠) فصول الحاخام إليعازر. ١٦ . ومدرّاش باميدبار رابا. ١٤، ١١ . كان من أهم الأفكار التي وردت في الأدب الرباني أنه بالرغم من أن بنات غير اليهود من العذاري فلنهن وعلى خلاف ريببكا لم يكن يتمتعن كلياً من الرجال. راجع. مدرّاش بريشيت رابا. ٦٠، ٥٠ ، والفلمود الأورشليمي . باب "كتويرت" الباب الأول. ص. ٥٢٢ . ومدرّاش تهليليم. ١٢٥، ٥٠٦ . وقد جاء في الجزء الأول من مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت . ص. ٩٣ . أن ريببكا كانت من أجمل النساء وأن جمالها فاق "أفشاج" .
- (٢٩١) مدرّاش بريشيت رابا. ٦٠، ٥٠ . ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٢ .
- (٢٩٢) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٤ .
- (٢٩٣) مدرّاش بريشيت رابا. ٦٠، ٧٠-٨٠ . وفصول الآباء للحاخام تاتان. ٨، ٢٨ التي جاء بها " أن جمال إبراهيم لم تدخل أي مكان كانت به أمتام " . والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٤ : ٣١ . ومعنى اسم العلم "لابان" الأبيض. راجع دلالات هذا الاسم في الموضع السابق ذاته من مدرّاش بريشيت رابا ، وصمريثل الأول. ٥٤ . ومدرّاش دوت رابا ٢، ١ . راجع أيضاً مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ٣٦٢-٣٦٤ الذي وردت به تفاصيل دلالية عدة لاسم "لابان" .
- (٢٩٤) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٦ . و. ٢٧٠ . ومدرّاش إجاداه . الجزء الأول. ص. ٩٥ . راجع أيضاً. تفسير راشي لسفر التكوين ٢٤ : ٣٢ و ٥٥ .
- (٢٩٥) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٦ . وفصول الحاخام إليعازر. ١٦ ، ومدرّاش بريشيت رابا. ١١٠، ٥٩ . ومدرّاش تنحوما كلوم. الجزء الأول. ص. ١٤٥ .
- (٢٩٦) مدرّاش بريشيت رابا. ٦٠، ٩٠-١٢ .

- (٢٩٧) فصول الحاخام إليعازر. ١٦ ، ومدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ١٢ . وقد استدل الحاخامات على ما جاء في سفر التكوين ٢٤ : ٥٠ بأن الزواج يتم في السماء . راجع "معيد كتان" . ص. ١٨ ب .
- (٢٩٨) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ١٢ ، ومدراش شير هاشميريم. ٢ ، ١٤ ، ومدراش هجابول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٧٠ . عن القديا التي قدمها إليعازر إلى ربيكا وتقاربها راجع. مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ١١ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٤٥ .
- (٢٩٩) فصول الحاخام إليعازر. ١٦ ، والترجوم البروشالي لسفر التكوين ٢٤ ، ٦١ ، ومدراش هجابول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٧١ .
- (٣٠٠) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ١٤-١٥ ، وياب "براخوت" . ص. ١٢٦ ، وياب "عفوداه زاراه" . ص. ٧ ب ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٩٦ ، ومدراش هاميدبار رابا. ٢ ، ١ ، ومدراش تهيليم. ٥٥ ، ٢٩٢ ، ومدراش مشلي. ١٢ ، ٩٣ .
- (٣٠١) جاء في ص. ١٠٩ من الجزء الأول من "يلكوت" واستناداً على رواية مدراش غير معروف " أن الفصاية التي لحقت بإسحاق جعلته يشكك في أن إليعازر الحق اذى بمرومه غير أن الملك جبريل قدم له دليلاً دامناً أقنعه بعبثية شكوكه. وحتى يتم تعويض إليعازر عن سوء ظنون إسحاق فقد سمع الرب له بدخول الجنة خلال حياته " .
- (٣٠٢) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ١٦ . راجع أيضاً. ترجمة لونغولس لسفر التكوين. ٢٤ ، ٦٧ ، والزهار. المجلد الأول. ص. ١٣٣ ب .
- (٣٠٣) فصول الحاخام إليعازر. ٣٢ ، ومدراش هجابول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٧٣ الذي ورد به موتيف أن ضوماً ساطعاً خسر خيمة ربيكا .
- (٣٠٤) الزهار. المجلد الأول. ص. ١١٣٣ الذي جاء به أن سارة ظهرت بعد وفاتها لإسحاق في الخيمة التي كانت تسكنها. راجع أيضاً. باب "كتويوت" . ص. ١٠٣ أ .
- (٣٠٥) فصول الحاخام إليعازر. ١٦ .
- (٣٠٦) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ٧ ، ومدراش فايكرا رابا. ١٧ ، ٥ .
- (٣٠٧) بيت هامدراش. المجلد السادس. ص. ٧٩ .
- (٣٠٨) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ١٤ . فيما يتطرق باسم هذا المكان راجع: ترجوم بروشالي لسفر التكوين ٢٤ : ٦٤ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٢٣ .
- (٣٠٩) مدراش بريشيت رابا. ٦١ ، ٤ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٢٣ ، والترجوم البروشالي لسفر التكوين ٢٥ : ١ ، وفصول الحاخام إليعازر ٣٠ . تفيد كل المصادر سالفة الذكر أن "قطورة" كان مسمى آخر لهاجر .
- (٣١٠) مدراش بريشيت رابا. ٦١ ، ٥ ، وميدراش تهيليم. ٩٢ ، ٤١١-٤١٢ . وجاء في المصادر سالفة الذكر أن أسماء قطورة تدل على أنهم كانوا من عبدة الأوثان. راجع أيضاً مدراش هجابول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٨٣ .
- (٣١١) مدراش بريشيت رابا. ٦١ ، ٧ ، ومدراش هجابول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٧٨-٢٧٩ .

(٢١٢) راجع السوريم .

(٢١٣) باب " السنودين " . ص. ١٩١ ، والنوهار . المجلد الأول . ص. ١٣٣ و ١٢٣ - ٢٢٣ .

(٢١٤) راجع . سفر المكابيين الأول . ٢١ . ١٠ . وسفر المكابيين الثاني . ٥ . ٩٠ .

(٢١٥) ياشار فيلرا . ص. ٤٢ - ٤٣ .

(٢١٦) مدراش بريشيت رابا . ٦١ . ٦٠ . ومدراش بيسيكتا ٣٦ : ١٩٨ - ١٩٩ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول . ص. ٦٣ ، والجزء الرابع . ص. ٢٣ ، والجزء الخامس . ص. ٥٣ ، ومدراش باميدبار رابا . ١١ ، ٢ ، ومدراش ديفاريم رابا . ١١ ، ١٠ . جاء في كل المصادر سالفة الذكر أن الرب بارك قبل ظهور إبراهيم كل من كانوا يستحقون الاحترام غير أنه ذهب إبراهيم القدرة على أن يهب البركة للآخرين .

(٢١٧) يرد موقوف تمول المدوع إلى جواهر في القصص والأساطير الربانية . راجع الأجزاء اللاحقة من هذا العمل . تؤكد المصادر اليهودية القديمة أن قادة كافة الأمم انتحبوا عند وفاة إبراهيم قائلين " ويل للعالم الذي فقد قائدته والمسفينة التي فقدت ريانها " . راجع . باب " بابا باترا " . ص. ١٩١ - ٩١ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص. ٢٨١ . وقد ورد في ص. ٥٠ من كتاب " ياشار تولدوت انتحبت كل الشعوب لعام كامل على وفاة إبراهيم " . راجع عادة الحداد لعام كامل في " موهيد قاطان " . ص. ٢٢ . وكان من بين ما جاء في هذا الكتاب أن إسحاق كان يسير في مقدمة للجنازة ، وكان رئيس المتحبين . راجع أيضًا : باب " بابا باترا " . ص. ١٦ ، ومدراش بريشيت رابا . ٦٧ ، ٢ ، وترجوم يروشالمى لسفر التكوين ٢٥ : ٨ .

(٢١٨) باب " ميرودين " . ص. ١١٩ ، ومدراش بريشيت رابا . ٦٨ ، ٧ ، وميدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول . ص. ٨٢ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت . ص. ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٢١٩) عميق هاميلنخ . ص. ١١٤ - ١١٥ .

(٢٢٠) شعر يروشاليم . ١٠ ، ٩ .

حواشي الفصل السادس

يعقوب

- (١) مدراش تنحوما لسيغر شيموت ، وأجادات بريشيت ٤٠ : ٧٩ ، ومدراش شيموت رابا ١ : ١ . وقد جاء في المجلد الثاني من مدراش هجندول لسيغر بريشيت أن هذه الفضائل حلت على يعقوب ومنه إلى يوسف .
- (٢) مدراش هجندول لسيغر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٢٨٧ . راجع أيضاً بريشيت رابا ، ٦٣ : ٢ .
- (٣) مدراش هجندول لسيغر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٢٨٨ .
- (٤) المرجع السابق . ص . ٢٨٨-٢٨٩ . تفيد مصادر أخرى أنها تزوجت حينما كانت تبلغ من العمر ثلاثة أعوام .
- (٥) مدراش بريشيت رابا ، ٦٣ : ٤ ، ومدراش فايترا رابا ، ومدراش شير هشيريم ، ٢ : ٢ .
- (٦) مدراش هجندول لسيغر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٢٨٩ .
- (٧) فصول الحاخام إلعازر . ٢٢ .
- (٨) يشار تولدوت . ص . ١٥٠ - ٥٠ ب . وقد جاء في باب يياموت بالتلمود أن أسباب عدم الإنجاب تعود إلى الزوجين وليس إلى ربيكا فقط . راجع أيضاً ، الزهار . المجلد الأول . ص . ١٢٧ ب .
- (٩) مدراش بريشيت رابا ، ٦٣ : ٥ ، ومدراش شموئيل ٦ : ٦٤ ، ومدراش روث رابا ، ٤ : ١٢ . راجع أيضاً ، الزهار . المجلد الأول . ص . ١٢٧ ب .
- (١٠) يياموت . ص . ٦٤ - ٦٤ ب ، ومدراش هجندول . الجزء الأول . ص . ٢٩٠ .
- (١١) يشار تولدوت . ص . ٥٠ ب .
- (١٢) مدراش بريشيت رابا ، ٦٢ : ٦ .
- (١٣) المرجع السابق ٦٧ : ٦ . كان موضوع خلاف الأخوين داخل رحم والدتهما من أكثر المواضيع شيوعاً في الأساطير اليهودية . راجع مدراش توبليم . ٥٨ : ٢٠٠ والترجوم اليرشالمي لسفر التكوين ٢٥ : ٢٢ .
- (١٤) سيدر إليامو رابا ، ١٩ : ٢٦-٢٧ .
- (١٥) جاء في سفر التوبيل ٢٥ : ١٧ أن الملك العارس ليعقوب أقوى من عيساو . ويعتمد ما جاء في هذا السفر على رؤية مفادها أن ميخائيل هو الذي يهرس يعقوب أي إسرائيل في حين أن سمائيل هو الذي يهرس عيساو .
- (١٦) مدراش هجندول لسيغر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٢٩٠ - ٢٩١ .
- (١٧) يشار تولدوت . ٥٠ : ٦ . راجع أيضاً مدراش هجندول لسيغر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٢٩٢ .

- (١٨) مدراش تهيليم. ٩ : ٨٢-٨٤ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٤ : ٦ . قارن أيضاً الترجوم اليروشالي سفر التكوين ٢٥ : ٢٢ . راجع أيضاً. الزوهار. الجزء الأول. ص. ١٣٧ .
- (١٩) مدراش بريشيت رابا. ٦٢ : ٧ ، ومدراش تهيليم. ٩ : ٨٤ .
- (٢٠) ومدراش هجابول لسيقر بريشيت. المجلد الأول. ص. ٣٩٤ .
- (٢١) مدراش بريشيت رابا. ٦٢ : ٧ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٥ : ٢٢ ، ومدراش هجابول لسيقر بريشيت. المجلد الأول. ص. ٣٩٣ .
- (٢٢) مدراش بريشيت رابا. ٦٢ : ٨ ، ومدراش هجابول لسيقر بريشيت. المجلد الأول. ص. ٣٩١ .
- (٢٣) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين. ٢٥ : ٢٥ . راجع أيضاً مدراش بريشيت رابا. ٦٢ : ٧ .
- (٢٤) مدراش بريشيت رابا. ٦٢ : ٨ ، ومدراش هجابول لسيقر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٥ .
- (٢٥) مدراش تتعنها هكانوم. الجزء الأول. ص. ١٥٨ .
- (٢٦) فصول الآباء للهاخام ناثنان. ٢ : ٢ ، ومدراش تهيليم. ٩ : ٨٤ ، ومدراش تنورها هكانوم ١ : ٢٣ ، وفصول الهاخام إليعازر. ٢٣ .
- (٢٧) تفسير زيوئي لسفر التكوين. ٢٥ : ٢٥ .
- (٢٨) لمزيد من المعلومات عن مدلولات أسماء عيساو وأدم وسعير. راجع. مدراش بريشيت رابا. ٦٢ : ٨ .
- (٢٩) مدراش بريشيت رابا. ٦٢ : ٩ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين. ٢٥ : ٢٧ .
- (٣٠) ومدراش هجابول لسيقر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٧ .
- (٣١) مدراش بريشيت رابا. ٦٢ : ١٠ ، ومدراش هجابول لسيقر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٧ .
- (٣٢) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين. ٢٧ : ٣١ .
- (٣٣) مدراش بريشيت رابا. ٦٢ : ١٠ .
- (٣٤) سفر البرييل. ١٩ : ١٦ - ٣٠ .
- (٣٥) مدراش فابكرا رابا. ٣٦ : ٤ ، وأجادات بريشيت ٦٤ : ١٢٠ . وقد جاء في باب السنهدرين . ص. ١٩ أنه كان من الواجب أن يكون إبراهيم والدًا للأسباط الاثني عشر غير أن يعقوب أخذ هذه المهمة ليقبض عبء تربية الأطفال. وقد جاء في الأساطير اليهودية في أكثر من موضع أن يعقوب أفضل من إبراهيم . وأن نهر الأردن لم يجف إلا بفضل الفصال التي تمتع بها . راجع مدراش بريشيت رابا. ٧٦ : ٥ .
- (٣٦) سفر البرييل ٢٢ : ١-٢٣ .
- (٣٧) بابا باترا. ص. ١٦٦ ، ومدراش تهيليم ٩ : ٨٢ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٢ : ١٢ .
- (٣٨) ياشار تولدوت. ص. ١٥٢ - ١٥١ . ويقيد ملجاء في الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٥ : ٢٥ والفصل الثاني والثلاثين من فصول الهاخام إليعازر أن عيساو قتل إيتوخ ابن نمروه .
- (٣٩) مدراش بريشيت رابا. ٦٢ : ١٣ .
- (٤٠) ومدراش هجابول لسيقر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٨ .
- (٤١) بابا باترا. ص. ١٦٦ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٢ : ١٤ .

- (٤٢) فصول الحاخام إيلعازر. ١٢. ص. ٤٧ب - ٤٨ أ .
- (٤٣) همدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٩-٤٠٠. راجع أيضاً سيدر إلياهو ١٩ : ٢٦-٢٧ الذي فسر بيع عيساو لحق اليلاد إلى يعقوب على نحو مفاده أن عيساو تخلى عن نصيبه في العالم القادم ليعقوب مفضلاً الاحتفاظ بنصيبه في العالم المادي .
- (٤٤) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ١٢ .
- (٤٥) همدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٩ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٣ : ١٢ ، ومدراش باميدبار رابا ٢١ : ٢٠ .
- (٤٦) مدراش ليكاح طوف لسفر التكوين ٢٥ : ٢٤ .
- (٤٧) تفسير إيمري نوعام لسفر التكوين ٢٥ : ٢٦ .
- (٤٨) همدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٠-٤٠١. ومدراش بريشيت رابا ٣٦ : ١٤ .
- (٤٩) مدراش أجاده لسفر التكوين ٢٥ : ٢٢ .
- (٥٠) يشار تولدوت. ص. ١٥٣-٥٣ب .
- (٥١) مدراش هانوعلم. الجزء الأول. ص. ٣٩٩ ، والجزء الرابع. ص. ٤١٨ .
- (٥٢) همدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠١ ، ومدراش سيفل طوف لسيفر بريشيت. ٢٦ : ١ .
- (٥٣) مدراش بريشيت رابا. ٦٤ : ٣ ، ومدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠١ ، ومدراش سيفل طوف لسيفر بريشيت. ٢٤ : ٦ .
- (٥٤) همدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٣ .
- (٥٥) أجادات بريشيت. ٢٦ : ١٠. راجع أيضاً يشار تولدوت. ص. ٥٢ب .
- (٥٦) يشار تولدوت. ص. ٥٢ب ، ومدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٣ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٤ : ٥ ، والزوهار. المجلد الأول. ص. ١٤٠ب ، والمجلد الثالث. ص. ١١٣ب .
- (٥٧) ترجمون أونكلوس والترجوم البروشالي للإصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين .
- (٥٨) همدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٤ .
- (٥٩) يشار تولدوت. ص. ١٥٣. راجع أيضاً مدراش بريشيت رابا. ٦٤ : ٧ .
- (٦٠) فصول الحاخام إيلعازر. ص. ١٢٧ب. وسيدر إلياهو. الجزء الأول. ص. ١٧٠ ، والترجوم البروشالي لسفر التكوين. ٢٦ : ١٢. راجع أيضاً مدراش بريشيت رابا ٦٤ : ٦ .
- (٦١) مدراش بريشيت رابا. ٦٤ : ٦ ، والترجوم البروشالي لسفر التكوين ٢٦ : ٢ .
- (٦٢) همدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٧-٤٠٨ .
- (٦٣) فصول الحاخام إيلعازر. ٢٥ ، ومدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٨ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٤ : ٨ ، والترجمة السيعينية لسفر التكوين ٢٦ : ٢٢ .
- (٦٤) همدراش هجداول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٨ .

- (٦٥) مدراش بريشيت رابا ٦٤ : ٩ ، وتفسير ليكاح لسفر التكوين ٢٦ : ٢٦ . راجع . ومدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ٤٠٩ .
- (٦٦) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٦ : ٢٠ ، ٢٧ . ومدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٤٠٨-٤٠٩ . ومدراش أجاداه لسفر التكوين ٢٦ : ٢٢ .
- (٦٧) مدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٤١٠-٤١١ . راجع أيضاً . سيدر إلياهو ٢٥ . ص . ١٢٨-١٢٩ .
- (٦٨) مدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٤٠٩ .
- (٦٩) باب شابات .. ص . ٨٩ ، وفصول ديرابينو هكانوش . ص . ١٣٣ ، و ٢٧٠ . ومدراش بريشيت رابا . ٦٧ : ٦ .
- (٧٠) الظمونه اليروشالي . باب سوطا . ٥ . ص . ٢٠ . د .
- (٧١) باشار تولوت . ص . ٤٣ أ - ٤٣ ب .
- (٧٢) سفر الهيپول . ٢٥ : ١-٢٣ .
- (٧٣) مدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٤١١-٤١٢ . ومدراش بريشيت رابا ٦٥ : ٤ .
- (٧٤) مدراش بريشيت رابا ٦٥ : ٤-١٠ . يذهب هذا المصدر إلى أن إسحاق كف بصره حينما جرى على مشاعده العصفرة الإلهية خلال لحظة الذبيح . راجع أيضاً الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٧ : ١ ، والتثنية ١١ : ٣ .
- (٧٥) مدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٥١٦ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٥ : ٨ .
- (٧٦) مدراش بريشيت رابا ٦٥ : ١٢ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٤١٨ .
- (٧٧) مدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٤١٨ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٥ : ١١ ، ومدراش فايكرا رابا . ١٦ : ١ .
- (٧٨) مدراش بريشيت رابا . ٤ : ٤ .
- (٧٩) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، ومدراش شيموت رابا ١٥ : ١١ ، والزهار . المجلد الأول . ص . ١١٤٢ .
- (٨٠) مدراش بريشيت رابا ٦٥ : ١٢ ، ومدراش كوهيليت ٥ : ١٠ .
- (٨١) مدراش بريشيت رابا ٦٧ : ٩ ، ومدراش تنمويا مكابيم . الجزء الأول . ص . ١٣١ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٧ : ٥ .
- (٨٢) فيلون . تساولات على سفر التكوين . ص . ٢٠٠ .
- (٨٣) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ . والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٧ : ٦ .
- (٨٤) مدراش أجاداه على سفر التكوين . ٢٧ : ٨ .
- (٨٥) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ . والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٧ : ١١ .
- (٨٦) مدراش بريشيت رابا ٦٥ : ١٥ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص . ٤٢٤ .
- (٨٧) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٧ : ٩ .

- (٨٨) مدراش بريشيت رابا. ٦٥ : ١٤ ، ومدراش فايكرا رابا ٢١ : ١١ .
- (٨٩) مدراش تنحوما هكانوم . الجزء الأول. ص. ١٣٢ ، ومدراش ياميبيار. ٤ : ٨ .
- (٩٠) مدراش بريشيت رابا. ٦٥ : ١٦-١٧ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٢٤-٤٢٥ .
- (٩١) مدراش بريشيت رابا. ٦٥ : ١٨ . باب السنهدين . ص. ٩٢ أ .
- (٩٢) مدراش بريشيت رابا. ٦٥ : ١٩-٢٢ ، ومدراش تنحوما هكانوم. الجزء الأول. ص. ١٣٢-١٣١ ، ومدراش بريشيت رابا. ٦٥ : ٢٢ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٧ : ٢٧ .
- (٩٣) مدراش تنحوما هكانوم. الجزء الأول. ص. ١٢٥ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٧ : ٢٥ .
- (٩٤) باب شابات. ص. ٣٠ ب .
- (٩٥) ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٢٠ ، وفصول الصاخام إليمائز ٢٢ ، ومدراش بريشيت رابا. ٦٦ : ٤١ .
- (٩٦) مدراش بريشيت رابا. ٦٦ : ٤ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٣٠ .
- (٩٧) مدراش بريشيت رابا. ٧٥ : ٨ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٣٨ .
- (٩٨) فصول الصاخام إليمائز. ٣٢ .
- (٩٩) مدراش تنحوما هكانوم. الجزء الأول. ص. ١٣٦ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٧ : ٣٠ .
- (١٠٠) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٧ : ٣١ ، ومدراش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص. ٤٣١ .
- (١٠١) ميدراش بريشيت رابا. ٦٥ : ١٨ ، ومدراش تنحوما هكانوم. الجزء الأول. ص. ١٤٤-١٤١ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٧ : ٣٣ والزومار. المجلد الأول. ص. ١٤٢ أ .
- (١٠٢) تفسير ليكاح لسفر التكوين ٢٧ : ٣٦ .
- (١٠٣) مدراش بريشيت رابا. ٦٧ : ٥ ، ومدراش تهيليم. ١٠ : ٩٥ .
- (١٠٤) مدراش تنحوما هكانوم. الجزء الأول. ص. ١٤٣-١٤٤ ، وباب السنهدين . ص. ١٠١ ب .
- (١٠٥) مدراش بريشيت رابا. ٦٧ : ٦ .
- (١٠٦) مدراش تنحوما هكانوم. الجزء الأول. ص. ١٣٤-١٣٥ ، وأجانات بريشيت. ٤٢ . ص. ٨٦-٨٧ .
- (١٠٧) ياشار ثولوت. ص. ١٥٣-١٥٢ ب .
- (١٠٨) مدراش بريشيت رابا. ٧٥ : ٩ ، ومدراش فايكرا رابا. ٢٧ : ١١ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين. ٢٧ : ٤١ .
- (١٠٩) مدراش بريشيت رابا. ٦٧ : ٨-١٠ ، ومدراش تهيليم . ١٤ : ١١٢ .
- (١١٠) سفر اليريبيل ٢٧ : ٥ .
- (١١١) باب سوطا. ص. ١١٢ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٧ : ٤٥ .
- (١١٢) سفر اليريبيل ٢٧ : ٧ .

- (١١٢) مدرّاش بريشيت رابا. ٦٧ : ١١ .
- (١١١) يشار تولوت. ٤٥٥-٤٥٥أ والترجوم اليرشاليم لسفر التكوين ٢٨ : ٣ .
- (١١٥) مدرّاش بريشيت رابا ٦٧ : ١٢ .
- (١١٦) مدرّاش هجاول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٢٧-٤٢٨ . ومدرّاش تنحوما هكادوم .
الجزء الأول. ص. ١٣٦ .
- (١١٧) مدرّاش بريشيت رابا. ٧٥ : ٨ .
- (١١٨) هيدراش هجاول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٤٠ . ومدرّاش تهيلم ١٤ : ١١٢ .
- (١١٩) مدرّاش بريشيت رابا ٦٧ : ٨ .
- (١٢٠) همدراش هجاول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٤٠ .
- (١٢١) مدرّاش بريشيت رابا ٦٧ : ١٣ والترجوم اليرشاليم لسفر التكوين ٢٨ : ٩ .
- (١٢٢) القمود اليرشاليم. باب " بيكوريم " ٣. ص. ٦٥ .
- (١٢٣) سفر اليرشاليم ٢٧ : ١٣-١٨ . راجع أيضاً. همدراش هجاول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٤١ .
- (١٢٤) يشار تولوت. ص. ١٥٥-١٥٥ب .
- (١٢٥) مدرّاش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٤٥ .
- (١٢٦) همدراش هجاول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٤٢-٤٤٢ . ومدرّاش بريشيت رابا. ٦٨ : ٢ .
- (١٢٧) همدراش هجاول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٤٣ . راجع أيضاً. مدرّاش بريشيت رابا . ٦٨ : ٥ .
- (١٢٨) مدرّاش بريشيت رابا. ٦٨ : ٥ ومدرّاش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٥١ . يفيد هذان المصدران سابقا الذكر أن فلسطين ليست جزءاً من الأرض المقدسة .
- (١٢٩) مدرّاش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٤٧ وأجادات بريشيت. ٤٦ . ص. ٩٥-٩٦ .
- (١٣٠) فصول الحاخام إيلماز ٣٥ . ومدرّاش بريشيت رابا ٦٨ : ١٠ .
- (١٣١) مدرّاش بريشيت رابا. ٦٨ : ١٠ . باب السهفدين . ص. ٩٥ . ومدرّاش كوهيليت ٣ : ١٤ .
راجع أيضاً الترجوم اليرشاليم لسفر التكوين ٢٨ : ١٠ .
- (١٣٢) مدرّاش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٤٥ .
- (١٣٣) مدرّاش بريشيت رابا ٦٨ : ١١ . ومدرّاش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٢٣-١٢٤ .
وفصول الحاخام إيلماز ٣٥ . والترجوم اليرشاليم لسفر التكوين. ٢٨ : ١٠ . و"باب " هوام " . ص. ٩١ .
ومدرّاش بريشيت رابا. ٢٤ : ٥ .
- (١٣٤) مدرّاش بريشيت رابا ٧٣ : ١٢-١٤ . ومدرّاش هجاول لسيفر بريشيت. الجزء الأول.
ص. ٤٤٩-٤٥١ .
- (١٣٥) مدرّاش فايكرا رابا ٢٩ : ٢ . وفصول الحاخام إيلماز ٣٥ . ومدرّاش شيموت رابا. ٣٢ : ٧ .
- (١٣٦) مدرّاش بريشيت رابا ٦٨ : ١٢ .

- (١٢٧) تفيد إحدى المدراس المعروفة باسم "مدراس هانيعلام" أن يعقوب أدرك على هذا النحو أنه بالأرض المقدسة ، وأن الرب أخبره بها أن الحضرة الإلهية لا تقيم إلا بالأرض المقدسة .
- (١٢٨) مدراس بريشيت رابا ٦٩ : ٤-٥ ، ويلب " حولين " . ص. ١٩١ .
- (١٢٩) باب " شابات " . ص. ١١٨ . راجع أيضاً . مدراس بريشيت رابا ٦٩ : ٦ .
- (١٤٠) مدراس بريشيت رابا . ٦٩ : ٧ .
- (١٤١) فصول الحاخام إليعازر . ٢٥ . راجع أيضاً . همدراس هجانول اسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص. ٤٤٤ .
- (١٤٢) الترجوم اليروشالمي لسفر الخروج ٢٨ : ٣٠ .
- (١٤٣) فصول الحاخام إليعازر ٢٥ ، ومدراس بريشيت رابا ٦٩ : ٦ .
- (١٤٤) مدراس بريشيت رابا ٧٠ : ٧ .
- (١٤٥) مدراس بريشيت رابا ٧٠ : ٤ .
- (١٤٦) همدراس هجانول اسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص. ٤٥٦ .
- (١٤٧) مدراس بريشيت رابا ٧٠ : ٤ .
- (١٤٨) فصول الحاخام إليعازر ٢٥ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٨ : ١٠ .
- (١٤٩) همدراس هجانول اسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص. ٤٥٧ ، ومدراس بريشيت رابا ٧٠ : ١١ .
- (١٥٠) مدراس بريشيت رابا ٧٠ : ١١ .
- (١٥١) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٩ : ١٠ .
- (١٥٢) فصول الحاخام إليعازر ٣٢ .
- (١٥٣) الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٨ : ٢٢ وفصول الحاخام إليعازر ٣٦ .
- (١٥٤) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٧ : ٢٢ .
- (١٥٥) مدراس بريشيت رابا ٧٠ : ١٣ .
- (١٥٦) همدراس هجانول اسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص. ٤٦٠-٤٦١ . راجع أيضاً الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٩ : ٣ .
- (١٥٧) يلكوت رغبين على سفر التكوين ٢٩ : ١٥ .
- (١٥٨) مدراس بريشيت رابا ٧٠ : ١٤ .
- (١٥٩) همدراس هجانول اسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص. ٤٦٢-٤٦٤ .
- (١٦٠) مدراس بريشيت رابا ٧٠ : ١٧-١٨ .
- (١٦١) المرجع السابق ٦٨ : ٤ .
- (١٦٢) المرجع السابق ٦٥ : ٣-١ .
- (١٦٣) المرجع السابق .

- (١٦٤) مدرّاش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٥٢-١٥٣ .
- (١٦٥) مدرّاش بريشيت رابا ٧٠ : ١٩ .
- (١٦٦) سفر اليوبيل ٢٨ : ٤ .
- (١٦٧) مدرّاش بريشيت رابا ٧٠ : ١٩ ، وسفر اليوبيل ٢٨ : ٨ .
- (١٦٨) مدرّاش بريشيت رابا ٧٤ : ١٣ ، وقصود الحاخام إيلعازر ٣٦ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢٩ : ٢٤ .
- (١٦٩) مدرّاش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٥١-١٥٢ ، وأجادات بريشيت ٤٨ : ٩٧-٩٨ ، ومدرّاش بريشيت رابا ٧١ : ٢ .
- (١٧٠) مدرّاش بريشيت رابا ٧١ : ٢ .
- (١٧١) قصود الحاخام إيلعازر ٣٦ ، ومدرّاش بريشيت رابا ٨٤ : ٢١ .
- (١٧٢) مدرّاش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٦٨-٤٦٩ .
- (١٧٣) المرجع السابق .
- (١٧٤) مدرّاش بريشيت رابا ٦١ : ٤ . راجع أيضاً. مدرّاش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٦٩ .
- (١٧٥) راجع. الزوهار. المجلد الثاني. ص. ١١٩ .
- (١٧٦) مدرّاش بريشيت رابا. ٧١ : ٤ ، والترجوم اليروشالي لسفر التكوين. ٢٩ : ٣٠ .
- (١٧٧) مدرّاش بريشيت رابا. ٧١ : ٦ .
- (١٧٨) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٣٠ : ١-٢ . راجع أيضاً. مدرّاش بريشيت رابا. ٧١ : ٦ .
- (١٧٩) مدرّاش بريشيت رابا. ٧١ : ٧ ، وأجادات بريشيت ٥١ : ١٠٤ .
- (١٨٠) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٣٠ : ٥ .
- (١٨١) مدرّاش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٥٦ ، ومدرّاش بريشيت رابا ٧١ : ٨ راجع أيضاً. مدرّاش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص. ٤٧٢ .
- (١٨٢) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٣٠ : ٨ .
- (١٨٣) مدرّاش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص. ٤٧٢ .
- (١٨٤) مدرّاش بريشيت رابا ٧١ : ٨ .
- (١٨٥) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٣٠ : ١١ .
- (١٨٦) مدرّاش بريشيت رابا ٧١ : ١٨ .
- (١٨٧) مدرّاش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٧٣-٤٧٤ .
- (١٨٨) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٣٠ : ١٣ ، ومدرّاش بريشيت رابا ٧١ : ١٠ .
- (١٨٩) مدرّاش بريشيت رابا ٧٢ : ١ .
- (١٩٠) التلمود الأورشليمي. باب "شابات" . الفصل الثالث. ص. ١٦ .

- (١٩١) مدرّاش بريشيت رابا. ٧٢ : ٤-٢ .
- (١٩٢) مدرّاش بريشيت رابا ٩٩ : ١٦ .
- (١٩٣) المرجع السابق. ٧٢ : ٥ .
- (١٩٤) مدرّاش دفاريم رابا ٧ : ١١ . ومدرّاش بريشيت رابا. ١٨ : ٢ .
- (١٩٥) ميدراش بريشيت رابا. ٧٢ : ٥ .
- (١٩٦) الترجوم اليرושالمى لسفر التكوين ٣٠ : ٢٠ . ومدرّاش بريشيت رابا ٧٢ : ٦ .
- (١٩٧) مدرّاش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٥٧ . ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٧٩ .
- (١٩٨) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٧٨-٤٧٩ .
- (١٩٩) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٨٠-٤٨١ .
- (٢٠٠) مدرّاش بريشيت رابا. ٧٢ : ٣ . ومدرّاش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٥٨ .
- (٢٠١) الترجوم اليرושالمى لسفر التكوين ٣٠ : ٢٢ . راجع أيضاً. مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٨١ .
- (٢٠٢) مدرّاش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٥٨ . ومدرّاش بريشيت رابا ٦١ : ٤ .
- (٢٠٣) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٨١ .
- (٢٠٤) مدرّاش بريشيت رابا. ٧٢ : ٦ . ومدرّاش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٥٤ . والترجوم اليرושالمى لسفر التكوين ٣٠ : ٢٥ .
- (٢٠٥) يشار فيتسا. ص. ٥٧٧-٥٨١ .
- (٢٠٦) مدرّاش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٦١ .
- (٢٠٧) فصول العاظماء إليمانز ٢٦ .
- (٢٠٨) مدرّاش بريشيت رابا. ٧٢ : ١٢ . ومدرّاش تنحوما كانوم. الجزء الرابع. ص. ١٤٢ . راجع أيضاً الزوفار. المجلد الأول. ص. ١٠١ .
- (٢٠٩) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٨١ .
- (٢١٠) مدرّاش بريشيت رابا. ٧٢ : ٩-١٠ . ومدرّاش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٦١ .
- (٢١١) مدرّاش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٦١ .
- (٢١٢) المرجع السابق .
- (٢١٣) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٩٠ .
- (٢١٤) المرجع السابق. ص. ٤٨٨ . ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٨٧ .
- (٢١٥) مدرّاش بريشيت رابا ٧٢ : ١١ . ومدرّاش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٦١-١٦٢ .
- (٢١٦) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٨٩ . ومدرّاش بريشيت رابا ٧٤ : ١ . ومدرّاش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٦ .

- (٢١٧) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين. ٤ : ٣٦ .
- (٢١٨) مدراش بريشيت رابا. ٢ : ٧٤ .
- (٢١٩) فصول العاظم إليعازر ٣٦ . راجع أيضاً. الزohar. المجلد الأول. ص. ١٦٩ ب .
- (٢٢٠) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين. ٢١ : ٢٢ .
- (٢٢١) فصول العاظم إليعازر ٣٦ . والترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٢١ : ٢٤ .
- (٢٢٢) مدراش بريشيت رابا. ٧٤ : ٦-٧ ، ومدراش فليکرا رابا ١ : ١٣ . وسفر الزohar. المجلد الثالث. ص. ١١٣ أ و ٢٠٠ أ .
- (٢٢٣) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٣١ : ٢٣ .
- (٢٢٤) همدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٩١-٤٩٢ . راجع أيضاً. الزohar. المجلد الأول. ص. ١٦٧ ب .
- (٢٢٥) مدراش بريشيت رابا. ٧٤ : ٨-١١ ، وفصول العاظم إليعازر ٣٦ .
- (٢٢٦) المرجع السابق .
- (٢٢٧) المرجع السابق ٧٤ : ١٣-١٤ .
- (٢٢٨) المرجع السابق ٩٤ : ٥ .
- (٢٢٩) المرجع السابق ٧٤ : ١٦ .
- (٢٣٠) ياشار فيتسي. ص. ١٥٩-١٥٩ب. راجع أيضاً. الزohar. المجلد الأول. ص. ١٦٦ ب .
- (٢٣١) مدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٦٣ .
- (٢٣٢) مدراش بريشيت رابا ٧٤ : ١٧ .
- (٢٣٣) الترجوم اليروشالي لسفر التكوين ٣٢ : ٣ .
- (٢٣٤) ياشار فيتسي. ص. ٩٥ ب .
- (٢٣٥) همدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٥٠١-٥٠٢ .
- (٢٣٦) مدراش بريشيت رابا ٧٥ : ٥ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول ١٦١ .
- (٢٣٧) همدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ١٦١ .
- (٢٣٨) ياشار فيتسي. ص. ٦٠ ب .
- (٢٣٩) مدراش بريشيت رابا ٧٥ : ١٢ ، وهدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول ٥٠٣ .
- (٢٤٠) مدراش بريشيت رابا. ٧٥ : ٧ .
- (٢٤١) المرجع السابق ٧٦ : ٢-١ .
- (٢٤٢) همدراش هجانول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٥٠٣ .
- (٢٤٣) مدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول. ص. ١٦٢ .
- (٢٤٤) مدراش بريشيت رابا ٧٥ : ٩ ، ومدراش تنحوما كانوم. الجزء الأول ص. ١٦٢ .

- (٢٤٥) مدرّاش بريشيت رابا ٧٨ : ١١ .
- (٢٤٦) المرجع السابق ٧٦ : ٢ .
- (٢٤٧) فصول العاظم إليعازر ٣٧ . ومدرّاش تنحوما كانوم . الجزء الأول من ١٦١ .
- (٢٤٨) مدرّاش بريشيت رابا ٧ : ٢-٣ .
- (٢٤٩) يالكوت . الجزء الأول من ١٣٢ . ومدرّاش تنحوما كانوم . الجزء الأول من ١٦٥ .
- (٢٥٠) مدرّاش بريشيت رابا ٧٨ : ٢ .
- (٢٥١) يالكوت . الجزء الأول من ١٣٢ .
- (٢٥٢) فصول العاظم إليعازر ٢٧ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣٢ : ٢٥ .
- (٢٥٣) الزهار . المجلد الثالث من ١٤٥ .
- (٢٥٤) فصول العاظم إليعازر ٤٧ ، وسفر الزهار . المجلد الثاني . من ٤ ب .
- (٢٥٥) همدرّاش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول من ٥١٣ .
- (٢٥٦) مدرّاش بريشيت رابا ٦٨ : ١٠ . ومدرّاش تنحوما كانوم . الجزء الأول من ١٦٨ والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣٢ : ٣٢ .
- (٢٥٧) سفر الزهار . المجلد الأول . من ٢٠٣ ب .
- (٢٥٨) باب حولين . من ١٩٠ .
- (٢٥٩) مدرّاش تهيلم ١٠٢ : ٤٦٨-٤٦٩ ، وفصول العاظم إليعازر ٣٦ ، ومدرّاش بريشيت رابا ٨٨ : ٦ .
- (٢٦٠) الزهار . المجلد الأول . من ٢٠٣ ب ، ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول من ٥١٣-٥١٤ .
- (٢٦١) مدرّاش بريشيت رابا ٧٨ : ٧-٨ .
- (٢٦٢) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٣ : ٢ .
- (٢٦٣) مدرّاش بريشيت رابا ٧٨ : ١٠ ، ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول من ٥١٧ .
- (٢٦٤) مدرّاش بريشيت رابا ٧٨ : ٩ ، والزهار . المجلد الأول . من ١٧١ ب .
- (٢٦٥) همدرّاش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول من ٥١٦-٥١٧ .
- (٢٦٦) مدرّاش بريشيت رابا ٧٥ : ١٠ ، ومدرّاش تنحوما كانوم . الجزء الأول من ١٦٥ .
- (٢٦٧) بيت همدرّاش . الجزء السادس . من ٨١ ، ومدرّاش بريشيت رابا ٧٥ : ٤ .
- (٢٦٨) فصول العاظم إليعازر ٣٧ .
- (٢٦٩) مدرّاش تنحوما كانوم . الجزء الأول من ١٦٩ .
- (٢٧٠) تفسير هادار لسفر التكوين ٣٢ : ١٤ .
- (٢٧١) همدرّاش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول من ٥٠٧ .
- (٢٧٢) مدرّاش بريشيت رابا ٧٨ : ١٢ .
- (٢٧٣) همدرّاش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول من ٥١٨ .

- (٢٧٤) مدرّاش بريشيت رابا ٧٨ : ٢ . راجع أيضاً . الزهار . المجلد الثاني . ص ٤١ ب .
- (٢٧٥) مدرّاش تنحوما كانوم . الجزء الأول . ص ١٦٨ .
- (٢٧٦) مدرّاش بريشيت رابا ٦٧ : ٦ .
- (٢٧٧) المرجع السابق ٧٨ : ١٤ ، ومدرّاش دقاريم رابا ١ : ٢٠ ، ومدرّاش تنحوما كانوم . الجزء الثاني . ص ٩٢ .
- (٢٧٨) الترجوم اليرושالمى لسفر التكوين ٣٣ : ١٧ .
- (٢٧٩) مدرّاش تنحوما كانوم . الجزء الأول . ص ١٦٩ ، ومدرّاش بريشيت رابا ٧٨ : ١٦ .
- (٢٨٠) مدرّاش بريشيت رابا ٧٩ : ٥ ، ومدرّاش تنحوما كانوم . الجزء الأول . ص ١٦٨ .
- (٢٨١) مدرّاش بريشيت رابا ٨٠ : ٦-٧ .
- (٢٨٢) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ٥٢٢ .
- (٢٨٣) مدرّاش بريشيت رابا ٨٠ : ٧-٨ ، ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ٥٢٢-٥٢٣ .
- (٢٨٤) مدرّاش كوهليت . ٨ : ١٠ .
- (٢٨٥) فصول العاظام إليماز ٢٨ .
- (٢٨٦) مدرّاش تنحوما كانوم . الجزء الأول . ص ١٧١-١٧٢ .
- (٢٨٧) تفسير ليكح لسفر التكوين ٣٤ : ٤ .
- (٢٨٨) مدرّاش بريشيت رابا ٨٠ : ٥ ، ومدرّاش كوهليت ١٠ : ٨ ، ومدرّاش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ٥٢٤ .
- (٢٨٩) مدرّاش بريشيت رابا ٨٠ : ٤ .
- (٢٩٠) ياشار فايشلاح . ص ٦٣-٦٩ ١ . راجع مدرّاش بريشيت رابا ٨٠ : ١٠ ، والترجوم اليرושالمى لسفر التكوين ٤٨ : ٢٢ .
- (٢٩١) راجع هامش رقم ٩٣ .
- (٢٩٢) انظر الهوامش التالية .
- (٢٩٣) مدرّاش يالكوت . الجزء الأول . ص ١٣٢ . انظر أيضاً بيت همدرّاش . الجزء الثاني . ص ١-٥ .
- (٢٩٤) مدرّاش فايكرا رابا ٣٧ : ١ ، ومدرّاش تنحوما كانوم . الجزء الأول . ص ١٧٣-١٧٤ ، ومدرّاش بريشيت رابا ٨١ : ٢ .
- (٢٩٥) مدرّاش تنحوما هكانوم . الجزء الأول . ص ١٧٤ ، ومدرّاش فايكرا رابا ٣٧ : ١ ، ومدرّاش بريشيت رابا ٨١ : ٢ .
- (٢٩٦) الزهار . المجلد الأول . ص ١٧٣ أ .
- (٢٩٧) التلمود الأورشليمي . باب "عقوباه زلرا" . الفصل الخامس . ص ٤٤ ، ومدرّاش بريشيت رابا ٨١ : ٣ .
- (٢٩٨) مدرّاش هجانول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ٥٢١ ، ومدرّاش بريشيت رابا ٨٢ : ٤ .

- (٢٩٩) باب "حوالين" . من ١٦ . وتفسير هادار لسفر التكوين ٣١ : ٤ .
- (٣٠٠) سفر التوبيل ٣١ : ٣٢ . وقد جاء في هذا المصدر أن يعقوب أسس المنبح في اليوم الموافق لرأس السنة اليهودية .
- (٣٠١) يشار فيتسي . من ٥٧ - ٥٨ .
- (٣٠٢) سفر التوبيل ٣٢ : ٣٠ .
- (٣٠٣) مدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول . من ١٧٦ . ومدراش بريشيت رابا ٨١ : ٥ . ومدراش كوهليت ٧ : ٢ ، والترجوم اليرشالمى لسفر التكوين ٣٥ : ٨ .
- (٣٠٤) همدراش هجابول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . من ٥٢٣ . ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الرابع . من ١٩ .
- (٣٠٥) مدراش بريشيت رابا ٨٢ : ٢-٤ . ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول . من ١٧٦ .
- (٣٠٦) الترجوم اليرشالمى لسفر التكوين ٣٥ : ١٤ .
- (٣٠٧) مدراش بريشيت رابا ٧٨ : ١٦ .
- (٣٠٨) همدراش هجابول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . من ٥٢٨-٥٣٩ .
- (٣٠٩) يشار فايشلاخ . من ٦٩ . أما العاخم شلومو بن يتسحاق الذي يُعرف باسم راشي فقد رأى أن اسم بنيامين يعنى ابن الجنوب .
- (٣١٠) مدراش بريشيت رابا ٨٢ : ٨ .
- (٣١١) مدراش بريشيت رابا ٨٢ : ١٠ .
- (٣١٢) الترجوم اليرشالمى لسفر التكوين ٣٥ : ٢١ .
- (٣١٣) مدراش بريشيت رابا ٩٨ : ٤ . ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول . من ٢١٨ .
- (٣١٤) مدراش تنائيم . من ٢٢٠ .
- (٣١٥) مدراش بريشيت رابا ٨٤ : ١٩ .
- (٣١٦) سفر التوبيل ٣٦ : ٨-١ .
- (٣١٧) فصول العاخم إلعازر ٢٨ . ومدراش هجابول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . من ٥٤١ .
- راجع أيضاً ، يشار فايشلاخ . من ١٩٢ - ١٩٣ .
- (٣١٨) بيت همدراش . الجزء الثالث . من ١ .
- (٣١٩) مدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول . من ١٠٨ . ومدراش هجابول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . من ٥٢٤ .
- (٣٢٠) مدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول . من ١٠٤ . واجادات بريشيت . من ١١٠-١١٤ .
- (٣٢١) باب السنهدين . من ٩٩ . ومدراش هجابول لسيفر بريشيت . الجزء الأول من ٥٤٢ . ومدراش بريشيت رابا ٨٠ : ١٤ .
- (٣٢٢) يشار فايشلاخ . من ٧٠ . ولجع أيضاً . الزهار . الجزء الأول . من ١٨٨-١٨٨٨ .

- (٢٢٣) التلمود الأورشليمي. باب "براخوت". الفصل الثامن. ص ١٧٢، ومدراش بریشیت رابا ٨٠ : ١٥ ،
والزohar. الجزء الأول. ص ١٨٨ ب .
- (٢٢٤) مدراش بریشیت رابا ٨٢ : ١-٢ ، ومدراش هجانول لسیفر بریشیت . الجزء الأول. ص ٥٤٦ .
راجع أيضاً مدراش شیموت رابا ٣٧ : ١ ، ویلب حولین . ص ٥٦ ب ، وعفولاه زاراه . ص ١٠ أ .
- (٢٢٥) الترجوم الیروشالی لسفر التكوين ٣٦ : ٣٢
- (٢٢٦) مدراش بریشیت رابا ٨٢ : ٣ .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

أحمد درويش	جون كوين	١- اللغة العليا
أحمد فؤاد بليغ	ك. مانهو باتيكار	٢- الوثنية والإسلام (ط١)
شوقي جلال	جورج جيمس	٣- التراث المصري
أحمد الحضرى	لنجا كاريتنيكوف	٤- كيف تتم كتابة السيناريو
محمد علاه الدين منصور	إسماعيل فصيح	٥- ثريا فى غيبوبة
سعد مصاروح ووفاء كامل فايد	ميلكا إيفيتش	٦- اتجاهات البحث العلمى
يوسف الأنطكى	لوسيان غولدمان	٧- العلوم الإنسانية والفلسفة
مصطفى ماهر	ماكس فريش	٨- مشعل العرائق
محمود محمد عاشور	أندرو. س. جودى	٩- التفجرات البنية
محمد منعم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى	جهرار چينيت	١٠- خطاب الحكاية
هناء عبد الفتاح	ليسوالفا شيمپويسكا	١١- مختارات شعرية
أحمد محمود	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	١٢- طريق الحرير
عبد الرهاب طوب	روبرتسن سميت	١٣- بداية السمايين
حسن الوهن	جان بيلمان فويل	١٤- التحليل النفسى للأدب
أشرف رفيق عطفي	إنوارد لوسى سميت	١٥- الحركات الفنية منذ ١٩١٥
بشارف أحمد عثمان	مارتن برنال	١٦- أثنية السوداء (ج١)
محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	١٧- مختارات شعرية
طلعت شافعي	مختارات	١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية
نعيم عطية	جورج سفيريس	١٩- الأعمال الشعرية الكاملة
يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح	ج. ج. كرلوثر	٢٠- قصة العلم
ماجدة العنانى	صمد بهونجى	٢١- خوخة وآف خوخة وقصص أخرى
سيد أحمد حلى الناصرى	جون أنتيس	٢٢- مذكرات رحالة من المصريين
سميد توفيق	مانز جهورج جادامر	٢٣- تجلى الجميل
بكر عباس	باتريك بارنر	٢٤- ظلال المستقبل
إبراهيم السوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومى	٢٥- مثنوى
أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	٢٦- دين مصر العالم
بشارف جابر مصطفى	مجموعة من المؤلفين	٢٧- التنوع البشرى الخلاق
منى أبو سنة	جون لوك	٢٨- رسالة فى التفاهم
بدر الدين	جيمس ب. كارى	٢٩- الموت والوجود
أحمد فؤاد بليغ	ك. مانهو باتيكار	٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)
عبد الستار الطوبجى وعبد الرهاب طوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
مصطفى إبراهيم فهمى	بيفيد روب	٣٢- الانقراض
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هويكز	٣٣- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا القارية
حصة إبراهيم المنيف	روجر آكن	٣٤- الرواية العربية
خليل كفت	بول ب. ديكسون	٣٥- الأسطورة والحداثة
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	٣٦- نظريات السرد الحديثة

٢٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بروجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٢٨-	نقد الحداث	آلن تورين	أنور مخيت
٢٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكويت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عبد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جرين	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماله	بنجامين ياكوب	أحمد محمود
٤٣-	الذهب للزئوج	لوكتافيو بات	المهدي أخريف
٤٤-	بعد عدة أصناف	ألكس هكسلي	مارلين تامرس
٤٥-	التراث المفقود	روبرت دين و جون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد علي
٤٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد الخنم مجاهد
٤٨-	حسابرة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاني
٤٩-	الإسلام في البلقان	ه . ت . نوريس	عبد الوهاب طوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد يرادة وعشمان الميود ويسف الأنكي
٥١-	مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوييا وخ . م . بينيانيستي	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسي التكميلي	ب . توفاليس وس . روجينيتز وروجر بيل	لطفي فطيم ومادل دمرش
٥٣-	الدراما والتعليم	ا . ف . ألتجوتون	مرسي سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصطفي
٥٥-	ما وراء العلم	جون بوكنجووم	علي يوسف علي
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود علي مكي
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطي
٥٨-	مسرحتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المهجرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيرشن	ميري محمد عبد الله
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميت	بإشراف : محمد الجوهري
٦٢-	لذة النص	رولان بارت	محمد خير البقاعي
٦٣-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد الخنم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلن وود	رمسيس عوض
٦٥-	في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمسة مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد الطيف عبد المليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو ميسوا	المهدي أخريف
٦٨-	نشأ المجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبيوتين	أنشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامي في لول القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولي وموردا محمد فهمي
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	لوخينيو تشانج وروجر جت	عبد العميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسي المعجوز	ت . سي . إلييت	فؤاد مجلي
٧٣-	نقد استجابة القارئ	جين ب . توميكنز	حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومي

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه مورو	أحمد درويش
٧٦-	جاءه لكان وإنشاء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد القصور عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	المقالة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روزنسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسينسكي	سعيد القانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عنه «نافورة اليموع»	الكسندر بوشكين	مكرم المغمري
٨١-	الجماعات المختلطة	بنديكت أندرسون	محمد طارق الشرفاوي
٨٢-	مسرح ميغيل	ميغيل دي أونامونو	محمد السيد علي
٨٣-	مختارات شعرية	هوفريد بن	خالد العالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شحبة
٨٥-	منصور الهلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صافقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	عاجدة الغناني
٨٨-	الابتلاء بالفترب	جلال آل أحمد	إبراهيم النيسواني شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنطوان جينتز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	رسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وأخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	للمسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسونسكا - بشونيك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	نائب رئيس للروح الإنسانية المعاصرة	كارلوس ميغيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مارك فيلرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب طوب
٩٤-	مسرحنا الحب الأول والسمبة	سمويل بيكيت	فوزية المشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرد بايخو	سرى محمد عبد الطيف
٩٦-	ثلاث زبيلات وردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فريتان برونل	بشير السباصي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	بيليد روينسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساغة العولمة	بول هيرست وجراهام تومسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي: تقنيات ونماذج	بيرنار فاليف	رشيد بنعدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيب	عز الدين الكتاني (إدريسي)
١٠٣-	قبر ابن عربي عليه آية (شعر)	عبد الوهاب الخريب	محمد بنوس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتول بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبل
١٠٦-	الأدب الأدبي	ماريا خيسوس روبيروماتي	أشرف علي دعود
١٠٧-	مودة القاني في الشعر العربي الكلاسي المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأدبي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩-	حروب المياه	جون بولوك وهادل درويش	عاشق أحمد محمد
١١٠-	النساء في العالم القاصي	هسته بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والبرومة	فرانسيس هيدسون	زهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادي	أرلين علوي ماكلويد	إكرام يوسف

- ١١٣- رواية القمرد سادى يالانت
١١٤- مسرحيات حماد كنجى يسكن المستقيم وول شوينكا
١١٥- غرقة شخص المرء وحده فرجينيا وولف
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا تلسون
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلي أحمد
١١٨- النهضة النسائية فى مصر بث يارون
١١٩- النساء والنسوة يارون: الحلق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلي أبو لطف
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢- نظام التربية القديم والحديث لثاني الإنسان جوزيف فوجت
١٢٣- الإمبراطورية العشوائية وعلاقتها الدولية أنيكل ألكسندرو فتادولينا
١٢٤- النهر الكفني: لولم الروسالية المأهولة جون جراي
١٢٥- التحليل الموسيقي سيفرك ثورپ ديفي
١٢٦- فعل القراءة فولفانج إيسر
١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء اتحي
١٢٨- الألب المظلم سوزان باستوت
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دواورس أسيس جاريو
١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوتكر فرائك
١٣١- مصر القيمة التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين
١٣٢- ثقالة العولة مايك فيلستون
١٣٣- الفوف من المرويا (رواية) طارق على
١٣٤- تشريح حضارة بارى ج. كيمب
١٣٥- المختار من نقد ص. س. إليوت د. س. إليوت
١٣٦- فلاهو القياشا كينيث كونو
١٣٧- مذكرة فاطمة فى السنة الفرنسية على سر جوزيف مارى مواريه
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والصف اندريه جلوكسمان
١٣٩- باريسفان (مسرحية) ريتشارد فاچنر
١٤٠- حيث تنقى الآثار هويرت ميمن
١٤١- اثنا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايفر
١٤٤- صاحبة اللوكاتدة (مسرحية) كارلو جوادوني
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية) كارولس فوينتس
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميچيل دى ليس
١٤٧- مسرحيات تانكريد فورستر
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكي أندرمون إلمبرت
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأوينيس عاطف فضول
١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان
- أحمد حسان
تسيم مجلى
سمية رمضان
نهاد أحمد سالم
منى إبراهيم وهالة كمال
ليس النقاش
إبراهيم: روف عباس
مجموعة من المترجمين
محمد الجندى وإيزابيل كمال
منيرة كروان
أنور محمد إبراهيم
أحمد فؤاد بلبح
سمحة الخولى
عبد الوهاب علوب
بشير السباعى
أميرة حسن لويوة
محمد أبو العطا وآخرون
شوقى جلال
لويس بطر
عبد الوهاب علوب
طلعت الشايب
أحمد محمود
ماهر شفيق فريد
سحر توفيق
كاميليا صبحى
وجيه سمعان عبد المسيح
مصطفى ماهر
أمل الجبوري
نميم عطية
حسن بيومى
مدلى التمرى
سلامة محمد سليمان
أحمد حسان
على عبدالرحمن البمبى
عبدالقادر سكارى
على إبراهيم منوفى
أسامة إسير
منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)	فرنان برونل	بشير السباعي
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣-	غرام الزراعة	فريمان فلتريك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدونة فرانكفورت	فول سايتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد موسى
١٥٦-	المدارس الجمالية للكبرى	جى أنبال وآلن وأديت فيرمو	مى التمساني
١٥٧-	خسرو وشهيرين	النظامي الكتجوى	عبدالمعز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برونل	بشير السباعي
١٥٩-	الأيديولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحي
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسن بيومي
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسباني	ليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبداللطيف زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	برحنا الأسدي	صلاح عبدالعزیز محبوب
١٦٣-	موسومة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	إشراف: محمد الجوهري
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الطفل (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سوير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين الكنيسة والفنانين في إسرائيل	يشياهو ليفمان	محمد محمود أبوالمدي
١٦٧-	في عالم طافور	رابنبركات طاغور	شكري محمد عياد
١٦٨-	دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل ديليبس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيوي	هدى حسن
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ه. ستيفس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التقليد في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم توتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنري تروايا	هبة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مقتارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدي إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جالويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حداد
١٨١-	الله الذي التفت من الكنيسة إلى الكنيسة	فيسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العرف والنبرة (شعر)	وج. بيتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	جان كوكتر على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحي العشري
١٨٤-	القاهرة: حالة لا تقام	هانز إيندورفر	مسوقي سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم في التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب عروب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرض (رواية)	يوزج كلوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأنبي	ألفين كرنان	بدر العيب

١٨٩-	السيرة الذاتية في حياة قائد العسكر	بول دي مان	سعيد القانمي
١٩٠-	محاوالت كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجاني
١٩١-	الكلام وأسماط وتصميم أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازي السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)	زين العابدين الخوافي	محمود علوي
١٩٣-	عامل النجم (رواية)	بيتر أبرامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مفكراته من الفكر التجو-امريكي الحديث	مجموعة من المفكرين	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شطاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاه الدين منصور
١٩٦-	المجلة الأخيرة (رواية)	فالتين راسبيوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلي التعماني	جلال السعيد الحفناوي
١٩٨-	الاتصال الجماهيري	إدوين إمري وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ بوه مصر في الفترة العشانية	عقوب لاندو	جمال أحمد الزقاني وأحمد عبد الطيف حماد
٢٠٠-	شعابا والتنمية: المقاومة والهدوء	جورجي سيبيروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الديني للفلسفة	جوزيف رويس	أحمد الأنصاري
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	ريته ويليك	مجاهد عبد الغنى مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألفاف حسين حالي	جلال السعيد الحفناوي
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد عويدي
٢٠٥-	الجيئات والشعوب والافات	لويجي لوكا كانالي-سفرودا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	علي يوسف علي
٢٠٧-	ليل الفوقي (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	داني أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكم سنائي (شعر)	سنائي الفزوي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فريدان دوسوسير	جوناثان كلار	محمود حمدي عبد النبي
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان العيران	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ عهد نابليون حتى عهد عبدالناصر	ريمون فلويد	سيد أحمد علي الناصري
٢١٤-	قواعد جديدة للنهج في علم الاجتماع	أنتوني جيبنز	محمد محيي الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين الخوافي	محمود علوي
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعتان	هيمول بيكيت وهارولد بيتتر	نادية البهناوي
٢١٨-	لعبة العجلة (رواية)	خوايز كورتلتان	علي إبراهيم منوفي
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كارل إيشجود	طلعت الاشايب
٢٢٠-	الهيولية في الكون	باري ياركر	علي يوسف علي
٢٢١-	شعرية كفاقي	جريجوري جوزيفاتيس	وقعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراي	نسيم مجلي
٢٢٣-	العلم في مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نقاري
٢٢٤-	نمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جانبيل جارثيا ماركيت	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت اورلنس	طاهر محمد علي البربري

السيد عبدالظاهر عبدالله	خوسيه مالويا ديث يوركي	٢٢٧-	السرخ الإسباني في القرن السابع عشر
ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن	جانيت وولف	٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
أمير إبراهيم العمري	تورمان كيغان	٢٢٩-	مترق البطل للوحيد
مصطفى إبراهيم فهمي	فوتسواز جاكوب	٢٣٠-	عن الذباب والفقران والبشر
جمال عبدالرحمن	خايمي سالوم بيدال	٢٣١-	الرفائل لو الجويل الجعبد (مسرحة)
مصطفى إبراهيم فهمي	توم ستونير	٢٣٢-	ما بعد المعلومات
طلعت الشايب	آرثر هيرمان	٢٣٣-	فكرة الانسجملل في التاريخ الغربي
فؤاد محمد عكره	ج. سبنسر تريمنجهام	٢٣٤-	الإسلام في السودان
إبراهيم النسيوي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	٢٣٥-	ديوان شمس تبريزي (ج١)
أحمد الطيب	ميشيل شوكوفيتش	٢٣٦-	الولاية
عتايات حسين طلعت	روين فيدين	٢٣٧-	مصر أرض الوادي
ياسر محمد جلاله وعمر مبرلي أحمد	تأثير لنظمة الأكتاد	٢٣٨-	العولة والتحرير
نادية سليمان حافظة وإيهاب صلاح فايق	جيلا راماز - رايوخ	٢٣٩-	العربي في الأدب الإسرائيلي
صلاح محبوب إدريس	كاي حافظ	٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار
ابتهسام عبدالله	ج . م. كوتزي	٢٤١-	في انتظار البرابرة (رواية)
عبدى محمد حسن	وليام إميسون	٢٤٢-	سبعة أنماط من المفوض
بإشراف: صلاح فضل	إيفي بروفنسال	٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مجا)
نادية جمال الدين محمد	لورا إسكيبييل	٢٤٤-	الطليان (رواية)
فوايق على منصور	إيزابيثا آليس وأخرون	٢٤٥-	نساء مقالات
على إبراهيم منوفى	جابريل جارثيا ماركيث	٢٤٦-	مفكرات قصصية
محمد طارق الشرفاوى	واقر أرميرست	٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والمثاق في مصر
عبداللطيف عبدالحليم	أنطونيو جالا	٢٤٨-	حقوق عدن الضفراء (مسرحة)
رفعت سلام	دولجو شتاسيوه	٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)
ماجدة محسن أبانقة	دومنيك فينك	٢٥٠-	علم اجتماع العلوم
بإشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)
على بدران	مارجو يفران	٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية
حسن بيومى	ل. آ. سيمينوفا	٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية
إمام عبد الفتاح إمام	يف رويشون وجوهى جروفز	٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة
إمام عبد الفتاح إمام	يف رويشون وجوهى جروفز	٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون
إمام عبد الفتاح إمام	يف رويشون وكروس جارات	٢٥٦-	أقدم لك: ميكات
محمود سيد أحمد	وايم كلث ريث	٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة
عبادة كحيلة	سير أنجوس فريزد	٢٥٨-	الحجر
فاروقان كازانجيان	نخبة	٢٥٩-	مفكرات من الشعر الأرمني عبر العصور
بإشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)
إمام عبد الفتاح إمام	زكى نجيب محمود	٢٦١-	رحلة في فكر زكى نجيب محمود
محمد أبو العطا	إدواردو منوتيا	٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)
على يوسف على	جون جرين	٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن
لويس عوض	هوراس ولسلى	٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة

٢٦٥-	روايات مترجمة	لويسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبد المنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عروكي
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزي (ج٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم اندلسي شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧١-	المعارضة اللغوية: الفكرة والتاريخ	توماس سي. ياترسون	شوقي جلال
٢٧٢-	الأدب الأثري في مصر	سي. سي. والتون	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الاسم الشخصية والتقاليد العربية في مصر	جوان كول	عنان الشهابي
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومان جاييجوس	محمود علي مكي
٢٧٥-	د. ص. إلهام شامس (تأليف وكتابة مسرحية)	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبد القادر التلمساني
٢٧٧-	الحيثيات والصراع من أجل الحياة	براين فريد	أحمد فوزي
٢٧٨-	البدائيات	إسماعيل عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف. س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنسب وقصص أخرى	بيوم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد العظيم شرر	جلال الحفناوي
٢٨٢-	طبقة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل وحرق وقصص أخرى	خوان رولفو	علي عبد الرزاق الهبسي
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوديبينيس	أحمد عثمان
٢٨٥-	رحلة خواجه حسن نظامي الهلوي	حسن نظامي الهلوي	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحة نامة إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين المرلشي	محمود علوي
٢٨٧-	الثقافة والعملية والنظام العالي	أنتوني كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائي	بينيديك لودج	ماهر البطوطي
٢٨٩-	ديوان منوچهری الساماني	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبد المنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج١)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج٢)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربي	روجر فن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	يوآنو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
٢٩٧-	فن النثر بين اليونانية والسريانية	ميثيسيس ثوكس ويوسف الأمازي	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	أساسة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٩٩-	ثورة في التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	اسماء مبهمة في الأدب الإنجليزي والعصر (ج١)	لويس عوض	جمال الجزيرة ورياء جاهن ويزابيل كمال
٣٠١-	اسماء مبهمة في الأدب الإنجليزي والعصر (ج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرة و محمد الجندي
٣٠٢-	أقدم لنا: فنجان شين	جون هيتون وجودي جروفر	إمام عبد الفتاح إمام

٢٠٢- أقدم لك: يوزا	جين هوب ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٤- أقدم لك: ماركس	ديوس	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٥- الجدل (رواية)	كروزيو مالتبارت	صلاح عبد الصبور
٢٠٦- الصداقة: النقد الكائناتى للتاريخ	جان فرانسوا ليونتر	نبيل سعد
٢٠٧- أقدم لك: الشعور	فيليد بايينو وهوارد سليفنا	محمود مكي
٢٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جوتز ويورين فان اير	ممدوح عبد المنعم
٢٠٩- أقدم لك: الفهم والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٢١٠- أقدم لك: يوزج	ماجى هارد وملكيل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٢١١- مقال في المنهج الفلسفى	ر.ج. كراتجورد	فاطمة إسماعيل
٢١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديويوس	أسعد طهم
٢١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايريد بيان	محمد حيداله الجعدي
٢١٤- مارسيل بوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعي
٢١٥- جراحى في العالم العربى	ميثول پروتيتور والطاهر لبيب	كاميليا صبحي
٢١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	تسيم محلى
٢١٧- بلا حد	س. شير لايمولف- س. زنيك	أشرف الصباغ
٢١٨- الأدب الروسى في السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٩- صيد دريدا	جايتري اسيفاك وكريستوفر نوريس	حسام تامل
٢٢٠- لغة السراج لعشرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ١)	ليلى پور فنسالى	بلشراف: صلاح فضل
٢٢٢- وجهات نظر حنية في تاريخ الفن القرونى	ديليو يوجين كلينبارو	خالد مطح حمزة
٢٢٣- فن السائور	تراث يوناني قديم	هانم محمد فوزي
٢٢٤- اللعب بالآثار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علقوى
٢٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كريستين يوسف
٢٢٦- المعرفة والمصلحة	پورجين هابرماس	حسن صقر
٢٢٧- مختارات شعرية مترجمة (ج ١)	نخبة	توفيق على منصور
٢٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الهامى	عبد العزيز بقوش
٢٢٩- رسائل عبد الميلاء (شعر)	قد هيوذ	محمد حيد إبراهيم
٢٣٠- كل شيء عن التشكيل الصامت	مارفن شميره	سامى صلاح
٢٣١- عندما جاء السرمدن وقمصن أخرى	ستيفن جواى	سامية دياب
٢٣٢- شهر العسل وقمصن أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٢٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٥٤٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٢٣٤- لقطات من المستقبل	أرش كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٥- عصر الثلج: دراسات عن الرواية	نلتالى ساروت	فتحي العشري
٢٣٦- متون الأهرام	نعموص مصرية قديمة	حسن صابر
٢٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٣٨- نظرات حائرة وقمصن أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٢٣٩- تاريخ الأنثى في إيران (ج ٢)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيرورجلو	فخرى لبيب

٢٤١-	قصائد من ولك (شعر)	واينر ماريا ولك	حسن حلمي
٢٤٢-	سلامان وأيسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجلمى	عبد العزيز بلوش
٢٤٣-	الملك البرجوانى الزائل (رواية)	ناتلين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالاتجير	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	بيته تنائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧-	الصبيحة اللطاشون (رواية)	جان كيككو	يكر الحلو
٢٤٨-	المتنبلة الأولى فى الأدب التركى (ج١)	محمد فؤاد كوزيلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدمورين وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠-	بانوراما الحياة المسيحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١-	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٢٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نهم عطية
٢٥٣-	الإن الإسلامى فى الكلاس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منولى
٢٥٤-	الإن الإسلامى فى الكلاس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منولى
٢٥٥-	التأراخ السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٢٥٦-	الميراث الحر	بول سيلم	بدر الزرقانى
٢٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وييتز غاندى	عمر الفاروق عمر
٢٥٨-	امثال الهوسا العامة	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٥٩-	معاوية بارمنديس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٢٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	لهلى الشريبنى
٢٦١-	التصميم: التمهيد والمجاهبة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وأمال شارب
٢٦٢-	تلمذة بابنبرج (رواية)	هالينرش شيرول	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيمسون	صبرى محمد حسن
٢٦٤-	هداية شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجاه أبو حجاج
٢٦٥-	سام باويس (شعر)	شارل يونجير	محمد أحمد حمد
٢٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا ينكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧-	القام الجوىء	مجموعة من المؤلفين	البراقى عبدالهادى رضا
٢٦٨-	المصطلح السردى: مجمع مصطلحات	جيواله برونس	هايد خزندار
٢٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية المشاوى	فوزية العشماوى
٢٧٠-	الإن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويث	فاطمة عبدالله سمود
٢٧١-	المتنبلة الأولى فى الأدب التركى (ج٢)	محمد فؤاد كوزيلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السميد عبدالحميد
٢٧٣-	كيف تعد رسالة الدكتوراه	أوميرتو إيكو	على إبراهيم منولى
٢٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥-	الظلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦-	الغضب وأحلام السنن (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إيوار الخراط
٢٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (ج١)	إدوارد يولون	محمد علاه الدين منصور
٢٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

جمال عبدالرحمن	سنبل باث	ملك في الحديقة (رواية)	٢٧٩-
شعيرين عبدالسلام	جوتتر جراس	حديث عن الضسارة	٢٨٠-
رائيا إبراهيم يوسف	و. ل. تراسك	أساسيات اللغة	٢٨١-
أحمد محمد نادی	يها، الدين محمد إسفنديار	تاريخ طبرستان	٢٨٢-
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	هنية المجاز (شعر)	٢٨٣-
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	القصص التي يمكنها الأطفال	٢٨٤-
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد علي بهزاد	مشتري المشق (رواية)	٢٨٥-
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	دفاعاً عن التاريخ الأدبي القصوى	٢٨٦-
يها، جافين	جون دن	أغنيات وسوناتات (شعر)	٢٨٧-
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازي	مواضع سعدى الشيرازي (شعر)	٢٨٨-
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	نفاهم وقصص أخرى	٢٨٩-
شمان مصطفى عثمان	إم. في. روبرتس	الأرشيفات والمدن الكبرى	٢٩٠-
منى التروبي	مايف بينش	العاطلة الملكية (رواية)	٢٩١-
عبداللطيف عبدالعليم	فرناندو دي لا جرانجا	مقامات ورسائل أندلسية	٢٩٢-
زينب محمود الغفيري	اندو لويس ماسينيون	في قلب الشرق	٢٩٣-
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	القوى الأربع الأساسية في القرن	٢٩٤-
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	الأم سيالوش (رواية)	٢٩٥-
محمود علوي	تلي تشاري راد	السافاك	٢٩٦-
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتي شين	أقدم الله: نيتشه	٢٩٧-
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودي وهوارد ريد	أقدم الله: سايتر	٢٩٨-
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميرفيلش وآن كوركس	أقدم الله: كاسي	٢٩٩-
باهر الجوهري	ميشائيل إنته	موهر (رواية)	٤٠٠-
ممدوح عبد النعم	زويدين سارور وأخرون	أقدم الله: علم الرياضيات	٤٠١-
ممدوح عبدالنعم	ج. ب. ملك إيغوي وأوسكار زاريت	أقدم الله: ستيفن هوكينج	٤٠٢-
عماد حسن بكر	تومور شخوم وجوفرد كوار	رية الخطر والناقص تصنع القس (رواية)	٤٠٣-
طلبة خميس	فيفيد إبرام	تعويذة الحصى	٤٠٤-
حمادة إبراهيم	أندريه جود	إيزابيل (رواية)	٤٠٥-
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	المستعربون الإسبان في القرن ١٩	٤٠٦-
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	الاب الإسباني الماسر بقلم كتاب	٤٠٧-
عتان الشهواني	جوان فورتشركنج	معجم تاريخ مصر	٤٠٨-
إلهامي عمارة	يوتراندا واسل	انتصار السمادة	٤٠٩-
الزواوي بغودة	كارل بيور	خلاصة القرن	٤١٠-
أحمد مستجير	جيتيفر أكرمان	خمس من الماضي	٤١١-
يأشراق: صلاح فضل	إيلي بروفنسال	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج. ٢، ٣)	٤١٢-
محمد البخاري	ناظم حكمت	أغنيات المنفى (شعر)	٤١٣-
أمل الصبيان	باسكال كازانوف	الجمهورية المالية للآداب	٤١٤-
أحمد كامل عبدالرحيم	فريديش دورينمات	صورة كوكب (مسرحية)	٤١٥-
محمد مصطفى بدوي	أ. أ. وتشلاردز	مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر	٤١٦-

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٤)	رونيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سلسلة الزهر الملقة في مصر القشتية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكتندية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجلس (قصة فلسفية)	قوتيد	الطيب بن وجب
٤٢١-	الولاء والقيامة في المجتمع الإسلامي الأول	روى محمدا	أشرف كيلايى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسماء الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق وأوامع المشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجاسي	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طابوس إلى فرح	محمود طويحي	محمود علوي
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد المعطي يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطالعة (رواية)	باي إنكلان	ثريا شلبي
٤٢٨-	الغزاة الغنية	محمد هوتك بن وفود خان	محمد نمان صافي
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندرجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانت	كريستوفر وانت وأندرجي كليرفسكي	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكي	كريس هوروكس وزيوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللي	بالريك كيري وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلفنت	عمدى الجابري
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	تونيكان هيث وجودي بورهام	عصام حجازي
٤٣٥-	توجهات ما بعد الهداية	نيكولاس زويرج	تاجي رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كيرلسون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	شبلبي النعماني	جلال الحفناوي
٤٣٨-	بطلات ونصاها	إيمان ضياء الدين بيبيرس	هايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت الخرابي (رواية)	صبر الدين عيني	محمد علاء الدين منصور وعبد الطيف يعقوب
٤٤٠-	تراجم اللهجات العربية الحديثة	كريستن بروسنايد	محمد طارق الشرفاوي
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونشاني روي	فخري لبيب
٤٤٢-	هتشيسرت: المرأة الفرحونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاني
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها وبنيتها ونقائها	كيس فوسفغ	محمد طارق الشرفاوي
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لوريوت سيجورنه	صالح علماني
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز نائل خلتاري	محمد محمد پرنس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كركيرن وجيفري ساند كليلر	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. مالك إيفوي وأوسكار زاريت	مسروح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ميلان ليفلتز وأوسكار زاريت	مسروح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيري
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وبيبيكا رايت	جمال الجزيري
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ويتشارد فويزيون وديون فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ويتشارد إيجيتانزي وأوسكار زاريت	محمي الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حكيم طوسون وفؤاد الدمان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رونيه بويغال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كورلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء في الفكر السياسى العربى	سموزان موالر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريستكيون الأندلسيون	مرشديس غارشيا أريفال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتتيرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانتستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليند وجوى جروافز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزمع إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للثقة	مايكل باريتى	حصه إبراهيم الخليف
٤٦٥- قصص اليهود	اويس جنزيرج	جمال الرفاعى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٠٦٥ / ٢٠٠٢

